اتحاد الكتاب العرب - دمشق

جورج عيسى

الآثار والمواقع الأثرية في الجولان

سلسلة الدراسات 8

2012

الآثار والمواقع الأثرية
في الجولان

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتّاب العرب

البريد الالكتروني: E-mail **unecriv@net.sy**
aru@net.sy

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت
http://www.awu-dam.org

الإخراج الفني: وفاء الساطي
تصميم الغلاف: منير الرافاعي

جورج عيسى

الآثار والمواقع الأثرية في الجولان

منشورات اتحاد الكتاب العرب

دمشق

سلسلة الدراسات (8)

2012

مدخل

إن الجولان المعروف بهذا الإسم منذ عصور بعيدة، هو ما تقوم عليه محافظة القنيطرة التي أحدثت بمرسوم تشريعي بتاريخ 27 آب 1964 ، وهو ذلك الإقليم الذي يشكل وحدة جغرافية بحدود طبيعية معروفة «وإن كان يتقلص أو يتجاوز حدوده الطبيعية تبعاً للظروف التاريخية»[1].

وكما كانت سورية بحكم موقعها الجغرافي الذي يتوسط قارات آسيا وأوربة وإفريقيا قد اتخذت أهمية استراتيجية، فتعاقبت على أرضها حضارات عدّة خلفت آثارها في كل بقعة من بقاعها، كذلك الجولان الذي هو في القلب منها، كان ملتقى تلك الحضارات التي عاش بعضها على أرضه وكان معبراً لبعضها الآخر، وممراً للأقوام المتصارعة التي تطمع في استيطان (بلاد الشام) وللجيوش المتناحرة من أجل إخضاع الممالك والدويلات التي عرفتها المنطقة.

صحيح أن الجولان لم يكن كتلك المراكز الحضارية، ولم تقم فيه مدن كتلك العواصم التاريخية التي تشهد عليها أوابد أوغاريت وماري وإيبلا وأفاميا وبصرى وتدمر وغيرها، إلا أنه يتميز بعراقته البشرية والتاريخية منذ أقدم العصور، كما أنه غني بمواقعه الأثرية، وافر بما تحويه هذه المواقع، لكن أرضه لم تلق الاهتمام من الدولة قبل عام 1967 ولم توجّه إليها الأنظار لتعمل بعثات التنقيب على كشف مخبوءاتها بشكل جدي في حين «اكتشف حتى الآن في المنطقة التي احتلها الصهاينة منذ عدوان الخامس من حزيران 1967 نحو (173) موقعاً أثرياً يعود تاريخها إلى العصر البيزنطي؛ وهذا يعني وجود موقع أثري في كل (7) كم تقريباً»، كما تتميز هذه الآثار بتنوعها وتواصلها «حيث تغطي كافة العصور، منذ ما قبل التاريخ وما بعده»[2].

الممالك والأقوام
التي مرّت في تاريخ الجولان

الممالك والدول العمورية الكنعانية:

أمّت سورية في العصر الحديث ولأول مرة بعثات أجنبية (فرنسية وإنكليزية وألمانية) للتنقيب في بعض المواقع الأثرية، وذلك في أواخر القرن التاسع عشر، كان منها ذلك المسح الأثري الوحيد لمنطقة الجولان الذي قام به المهندس الألماني غوتليب شوماخر لصالح الجمعية الألمانية لاستكشاف الأرض المقدسة عام 1883.

ومع أن أعمال التنقيب قد نشطت بعد الحرب العالمية الأولى في عدد من المناطق السورية، وخاصة بعد الاستقلال، فإن أياً من البعثات الوطنية والمشتركة لم توجه اهتمامها إلى الجولان أو إلى ما يحاذيه في القسم الجنوبي من سورية الطبيعية، في حين «قامت في فلسطين أعمال أثرية واسعة وكثيفة» وهي على الرغم من أنها كانت بعيدة عن نزاهة البحث العلمي لتأثرها بالمدرسة التوراتية التي تهدف إلى تأكيد الأفكار العنصرية والسياسية المغلوطة حول الحق التاريخي لليهود، إلاّ أنها أكدت «وجود الممالك الكنعانية في فلسطين وفي المناطق المجاورة لها، مثل تل الحصن (بيت شان) وتل القدّاح (حاصور) شمالي بحيرة الحولة»[3]. هذه الممالك التي أقامها (العموريون) الكنعانيون[4] – كما يحدثنا عنها التاريخ – إبان نشوء دول المدن «منذ نهاية الألف الثالثة ومطلع الألف الثانية ق.م. في سائر أنحاء المنطقة السورية – الفلسطينية»[5].

وكان من أهم هذه الممالك والدويلات في الجولان وما جاورها:

1ـ مملكة حاصور: في الجنوب الغربي من بانياس، أي «في موقع تل القاضي على الضفة اليمنى لنهر الأردن بين بحيرتي الحولة وطبريا، وقد كشفت التنقيبات الأثرية فيها عن معابد ومنحوتات تشهد على رقي فني العمارة والنحت»[6] وكان قد «ورد ذكر حاصور في وثائق الألف الثالث ق.م. الرافدية إضافة إلى وثائق إيبلا على أنها كانت مدينة تمارس تجارة الترانزيت البرية بين بلاد الرافدين وشمالي سورية من ناحية، ومصر وشمالي الجزيرة العربية من ناحية أخرى»[7].

2ـ مملكة كوميدي: نسبة إلى عاصمتها كوميدي أو كوميدو في البقاع الجنوبي «وكانت أيضاً مقر مقاطعة أفه أو أوبه التي شملت منطقة دمشق والجولان وحوران تقريباً، وقد كشفت التنقيبات الأثرية فيها عن آثارها الرائعة مثل القصور والمعابد والتحف الفنية»[8].

وفي القرن الخامس عشر ق.م. كانت مملكة كوميدي ضمن نطاق النفوذ المصري إلا أنه في فترة حكم كل من امنحوتب الثالث والرابع في النصف الأول من القرن الرابع عشر، تراجع هذا النفوذ عن الدويلات السورية وأصبح اسمياً في حين كان الحكم الفعلي بيد الحكام المحليين الذين يدفعون الجزية للفرعون المصري[9].

3ـ مملكة يانوعما: (تل النعمان الآن) جنوبي بحيرة طبريا، وخلال هذه الفترة كان الحثيون (وموطنهم الأصلي بلاد الأناضول) قد ظهروا على مسرح الأحداث وتمكنوا من تأسيس مملكة قوية لهم في شمالي سورية عاصمتها كركميش (جرابلس). وعندما ازداد نفوذهم في سورية وتدخلهم في شؤونها «احتدم النزاع بينهم وبين فراعنة مصر الذين كانوا يزاحمونهم على سورية وفلسطين، فنشبت بينهما معارك أشهرها حرب قادش على نهر العاصي جنوبي حمص التي وقعت سنة 1299 ق.م.»[10].

وبعد حروب طويلة بينهما «استطاعت معاهدة التحالف عام 1272 ق.م. بين حاتوشيلي الثالث ملك الحثيين ورعمسيس الثاني أن تخلق جواً من التفاهم بين الطرفين، وكان الجولان كسائر سورية الجنوبية والوسطى من حصة الفرعون المصري» بينما كانت سورية الشمالية من نصيب الحثيين. كذلك اصطدم الآشوريون

بمصر وحلفائها في المنطقة في باشان، أي الجولان وحوران «وكان على الجولان وأهله احتمال نتائج النزاع الحربي والسياسي بين الدول»[11].

4ـ مملكة دمشق: التي كانت حدودها التقليدية «متطابقة مع حدود إقليم أوبي في عصر البرونز الأخير، فإلى الشمال جاورتها مملكة حماة، وإلى الجنوب توقف تخمها عند الحدود السفلى للجولان»[12].

الممالك والدويلات الآرامية :

تواجد الآراميون في بلاد ما بين النهرين وفي ما يعرف ببلاد الشام في الألف الثاني ق.م. على شكل جماعات وقبائل من البدو لكنهم ما لبثوا أن هجروا حياة البداوة وانتقلوا إلى حياة الاستقرار والتحضّر بعد أن «اقتبسوا الكثير من العموريين والكنعانيين ومن الحضارات التي جاوروها ولا سيما حضارة وادي الرافدين والحثيين» مع الاحتفاظ بلغتهم ولهجتهم الخاصة بهم[13].

وبعد أن توغلوا في أطراف البلاد بدؤوا بإنشاء دول وممالك لهم بين القرنين الثاني عشر والعاشر في داخل بلاد الشام، أعظمها مملكة دمشق ومملكة حماة، «وكانت أغلب تسميات الدويلات الآرامية تبدأ بكلمة (بيت كذا) نسبة إلى الشخص الذي أسس هذه الدولة، وذلك عندما تقوم الدولة في منطقة لم تكن فيها في السابق دولة معروفة، أما عندما تقوم مكان دولة سابقة فإنها تأخذ اسم الدولة القديم، مثل آرام حماة وآرام دمشق»[14].

وكان أهم دويلاتهم في الجولان وما جاورها بين القرن الثاني عشر و600 ق.م. :

1ـ مملكة جيشور: التي يرجّح كما يرى أبو عساف أن أصحابها كانت منازلهم في منطقة الزوية والجولان عامة، وهو ما أصبح يعرف بمحافظة القنيطرة[15]، أو كما يقول أحمد سوسة «بين اليرموك ومقاطعة دمشق»[16].

2ـ مملكة دمشق: التي كانت تتبع حين قيامها مملكة صوبا الآرامية الممتدة من البقاع وحوض الأردن إلى البادية شرقاً، ثم استقلت عنها في القرن العاشر ق.م. لتسيطر «على الأراضي الممتدة من منابع العاصي في الشمال حتى نهر الزرقا في الجنوب، ومن حفرة الانهدام في الغرب حتى البادية في الشرق»[17].

3ـ بيت معكة: المتاخمة للجولان من الشمال، وعلى السفوح الغربية لجبل الشيخ في البقاع الجنوبي من لبنان[18].

4ـ بيت رحوب: وهي متاخمة للجولان من الجنوب، بين نهري الزرقا واليرموك وكانت تابعة لمملكة دمشق[19].

ولتوخي الحقيقة لا بد هنا من أن ننوّه بما توصل إليه الباحث فراس سواح في دراسته حول هذه الدول الآرامية مثل (صوبة ومعكة ورحوب) فرأى أن المؤرخين الذين جعلوا منها ممالك، كانوا واهمين في ذلك لأنهم لم يخرجوا عن النص التوراتي الذي كانت غايته أن يجعل (داود) ملكاً عظيماً دانت لسلطته كل المناطق الواقعة بين دمشق والفرات، وانتصر على ملك صوبة وحلفائه، وهو ما لم تؤيده النصوص الآرامية والآشورية، أو تدعم حقيقته التنقيبات الأثرية بأية بيّنة[20].

فمملكة داود التي جعل منها محررو التوراة إمبراطورية كبيرة تمتد من الفرات إلى البحر المتوسط عبْر مناطق وسط سورية وجنوبها لم تكن في الحقيقة أكثر من مشيخة قبلية متواضعة، كما أن تلك الممالك — وإن لم ننكر وجودها — فإنها لم تكن أيضاً أكثر من مشيخات قبلية، حرّف حقيقتها محررو التوراة بعد أن «التقطوا أخباراً متواترة عن مشيخات آرامية قريبة إليهم زمنياً، وجعلوا منها شعوباً وممالك قوية»[21].

بعد انهيار الممالك الآرامية:

سقطت مملكة دمشق الآرامية بيد الآشوريين سنة 732 ق.م. ومن بعدها الممالك الآرامية الأخرى سنة 710 ق.م. وأصبحت معظم المناطق في سورية من الشمال حتى الجنوب تخضع للحكم الآشوري، فقد طالت حملات تفلات فلاصر الثالث في اجتياحه للمناطق الجنوبية «مملكة آرام دمشق والتي تشمل حوران والجولان والبقاع وبعض الأجزاء الشمالية من شرقي الأردن»[22].

وبعد موت آشور بانيبال سنة 626 ق.م. انتهت الإمبراطورية الآشورية الحديثة إلى الضعف والانحلال، فما أن اعتلى عرش بابل في السنة التالية نابو بولاصر

الكلداني، حتى آلت آشور ونينوى إلى السقوط والدمار (614، 612 ق.م.) وما لبث أن قامت الإمبراطورية البابلية الجديدة التي مثّلها الكلدانيون وهم فرع من الآراميين، وكان أبرز حكامهم نبوخذ نصر الثاني (605- 562ق.م.) المعروف باحتلاله أورشليم، وتدميره مملكة يهوذا، وقيامه بسبي اليهود إلى بابل في عامي 598 و587 ق.م. وظلت الإمبراطورية البابلية الجديدة قائمة حتى عام 539 ق. عندما سقطت بابل من غير مقاومة في أيدي الفرس بزعامة قورش الثاني الذي بسط سلطته على سورية، وبقيت المنطقة تحت الحكم الفارسي حتى مجيء الاسكندر المقدوني وانتصاره على داريوس الثالث في معركة إيسوس سنة 333 ق.م.، وبعد موت الاسكندر في 323 ق.م. بدأ العصر المعروف بالعصر الهلنستي الذي انقسمت فيه إمبراطورية الإسكندر وتوزعت ولاياتها بين قادته، فكانت سورية وبلاد الرافدين من نصيب السلوقيين، ومصر من نصيب البطالمة.

ظهور الأنباط في عصر السلوقيين:

ما هو جدير بالذكر أن نبوخذ نصر عندما غزا فلسطين، سانده الأنباط في ذلك. وكان الأنباط في القرن السادس ق.م. ينتشرون في الجهة الشرقية من نهر الأردن وفي المنطقة الممتدة جنوبي البحر الميت على شكل أقوام من البدو الرحل إلى جانب «البدو الآخرين الذي يجوبون وسط الجزيرة العربية وشمالها وكل بادية الشام»[23] وبقايا السكان «من الكنعانيين القدماء ومن الآراميين الذي استقروا في المنطقة في أيام سيطرة دمشق الآرامية وعزّها»[24].

والأنباط عرب يتكلمون اللغة العربية «فلسانهم عربي مثل أسمائهم، كما أن أسماء ملوكهم عربية كالحارث وعبادة ومالك، وإن كانت آثارهم منقوشة باللغة الآرامية، لأن الأرامية كانت لغة الكتابة في ذلك العهد»[25]. أما كتابة الأنباط «الذين جاؤوا بخطهم ولغتهم من الآراميين»[26] فتعدّ أصلاً للخط العربي الذي اشتق منها، وما لبث أن استقل عنها وأصبح خطاً متميّزاً عن أصله.

وقد برزت قوة الأنباط تاريخياً لأول مرة عندما أرسل أنتيغونوس ــ أحد قادة الإسكندر الذي دخل في صراع مع سلوقس الأول على السلطة — حملتين سنة 312 ق.م. لغزوهم في عاصمتهم البتراء، وفي كليهما باء بالإخفاق، لما أبدوه من

شدة في القتال، وبسبب وعورة منطقتهم الجبلية، فكان «وقوفهم في وجه دول كبيرة كالمملكة السلوقية قد رفع مركزهم كدولة سورية — عربية، وقوّى معنوياتهم»[27] خاصة وأنهم كانوا يهيمنون على الطرق التجارية بين الشام ومصر والجزيرة العربية، وما لبث أن اشتد أمرهم فأنشؤوا لهم دولة ملكية وسكّوا النقود باسمهم. «ويلاحظ أنهم أخذوا يتوغلون شمالاً بقدر ما كانت تضعف الدولة السلوقية»[28].

وأول من عُرف من ملوكهم الحارث الأول الذي حكم سنة 169 ق.م. وشملت مملكة الأنباط في عهده شبه جزيرة سينا في الغرب ووادي القرى في الجنوب وحوران والجولان في الشرق. وتمكن أريتاس الثالث (الحارث الثالث 87 — 62 ق.م.) سنة (85 ق.م.) من احتلال دمشق التي كانت عاصمة لأحد السلوقيين «وذلك بموافقة السكان، واتخذ لقب فيلهيلين (أي حبيب الإغريق) ليرضي رعاياه الجدد»[29].

وأهم ما يميّز تاريخ الجولان في الفترة السلوقية هو ذلك الصراع الدامي بين ملوك السلوقيين والبطالمة من أجل السيطرة على سورية والذي امتدّ من سنة 273 وحتى سنة 198 ق.م. فكان مسرحاً للمعارك الحربية وآخرها تلك الحرب التي شنها أنطيوخس الثالث سنة 198 على أوصياء العرش البطلمي ونفوذهم في سورية، وأنزل بجيشهم هزيمة كاملة في أفاميا وفي بانيون التي هي بانياس«وتمكن بنتيجتها من تحرير كافة جوف سورية من النفوذ البطلمي إلى غير عودة»[30].

المرحلة الرومانية :

انتهى حكم الإمبراطورية السلوقية سنة 64 ق.م. عندما دخل الرومان المنطقة بقيادة بومبي، فأصبحت سورية ولاية رومانية، لكن الأنباط ظلوا يتولون السلطة على القبائل العربية وبعض المدن في سورية ومنها دمشق، فالحارث الرابع الذي حكم من سنة 9 إلى 40 بعد الميلاد يرد ذكره في إحدى رسائل القديس بولس بقوله: «في دمشق والي الحارث الملك كان يحرس مدينة الدمشقيين يريد أن يمسكني، فتدليت من طاقة في زنبيل من السور ونجوت من يديه»[31].

وبدأ الضعف والانحلال يدبّان في مملكة الأنباط بعد الحارث الرابع، ففي عهد آخر ملوكهم (مالك الثالث) شنّ عليهم الإمبراطور الروماني تراجان حملة هزمهم فيها واستولى على مدينتهم (سلع أو البتراء) «فذهبت عصبية النبط وانحلت قواهم فأخلدوا إلى الدعة واختلطوا بأهل البلاد الأصليين من السريان أو الآراميين وانتشروا على حدود سورية وفلسطين مما يلي البادية بين سينا والفرات، ولم تقم لهم قائمة منذ ذلك الحين. وتحولت الطرق التجارية — بعد ذلك — إلى تدمر»[32]، وما لبث الرومان «أن شكلوا من حوران والجولان وشرقي الأردن إقليماً جديداً أطلقوا عليه اسم ولاية العربية أو (إقليم العربية)»[33].

ولا غرو إذا أطلق الرومان اسم العربية على هذه الولاية؛ ذلك لأنهم في المدة التي بدأ فيها سلطانهم بالاستقرار في سورية، بل قبل أن يدخلوا إليها بدأ العرب يثبتون وجودهم في مناطق متعددة منها (في دمشق وحوران والجولان وحمص وبعلبك والرها) «وكان غزو اللغة العربية لها يتفق مع حادث تاريخي هام هو وصول عدد كبير من أمراء العرب في الوقت نفسه إلى البلاد السورية، وكانت أسماء الأعلام العربية التي تقدمها لنا النصوص المكتشفة في حوران قد وجدها رينان (عام 1856) مرة أخرى في دمشق وحمص وتدمر»[34].

• الصفويون:

ومن القبائل العربية التي استوطنت المنطقة الصفويون. اتخذوا اسمهم من (الصفا) وهو إقليم ذو صخور بركانية يقع في الشمالي الشرقي من جبل حوران. وكان الصفويون من البدو الذين ينتقلون بحثاً عن المراعي، فيقضون الشتاء في نجد ويتجهون في الربيع نحو الشمال «ويغزون أيضاً المراعي الطبيعية مثل مراعي الجولان»[35]. وقد تركوا كتابات كثيرة محفورة على الصخور البركانية يرجع أقدمها إلى القرن الأول قبل الميلاد وآخرها يرجع إلى القرن الثالث الميلادي. أما لغتهم العربية فصلتها متينة بلغة العرب «لكن العناصر الأعجمية الكثيرة البارزة فيها شوهتها وحرفتها كثيراً»[36] وأبجديتهم «مركبة من ثمانية وعشرين حرفاً كما هي بالعربية» ولهذا لم يكن بينهم وبين قبائل العرب في الجزيرة فروق كبيرة[37].

• الغساسنة :

وكان الغساسنة آخر القبائل العربية التي استوطنت بلاد الشام قبل ظهور الإسلام. جاؤوا من اليمن ونزلوا أوائل القرن الثالث الميلادي في البلقاء وحوران والجولان وضواحي الشام واتخذوا بصرى عاصمة لهم، وما لبثت إمارتهم أن امتدت إلى بادية الشام حتى الفرات غرباً وإلى الرصافة شمالاً، وفلسطين جنوباً. ولما كانت إمارة الغساسنة قد قامت في ظل الحكم الروماني (البيزنطي)، فقد استنصرهم الروم في حروبهم ضد الفرس ومنحوهم لقب ملك، وعندما أساء الروم البيزنطيون معاملتهم «ابتعد عنهم قسم منهم وصاروا أدلاّء للعرب في هجماتهم وانحازوا إليهم، وهكذا فتح الغساسنة أذرعهم لأبناء عمومتهم العدنانيين في معركة اليرموك (634م/13 هـ) فتمّت الغلبة للعرب وتحررت البلاد من حكم الروم البيزنطيين»[38].

وهكذا فإن إقليم الجولان كما قال الدكتور أديب باغ «كان عربياً قبل الدولة العربية الإسلامية بقرون عديدة»[39].

ونستعرض الآن أهم المواقع الأثرية في محافظة القنيطرة، وما عُرف فيها من آثار.

الهوامش

1 — د. أديب باغ (الجولان، دراسة في الجغرافية الاقليمية). ترجمة د. يوسف خوري وآخرون، ص 245.

2 — عز الدين سطاس (الآثار في الجولان والانتهاكات الإسرائيلية لها) محاضرة ألقيت في المركز الثقافي بدرعا سنة 1999، مطبوعة على الآلة الكاتبة، ص 2.

3 — د. سلطان محيسن (آثار الوطن العربي القديم) ص 20 — 21 .

4 — تعني لفظة أمورو (عمورو) من الناحية الجغرافية والبشرية البلاد التي هي غربي بلاد الرافدين والتي سكنتها أقوام امتدت إلى داخل سورية، وأقامت فيها دولاً وحضارات من أشهرها حضارة ماري في حوض الفرات الأوسط (الألف الثالث ق.م.).

5 — د. جباغ قابلو (تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي) ص 203.

6 — د. علي أبو عساف (فنون الممالك القديمة في سورية) ص 117.

7 — د. جباغ قابلو (م. س.) الصفحة نفسها.

8 — د. علي أبو عساف (م.س) ص 116 وقد وردت هذه المقاطعة عند قابلو (م.س.) ص 218 باسم أوبى التي كانت في جنوبي سورية وشرقي الأردن (وتشمل بالطبع الجولان) ومركزها كوميدي (كامد اللوز).

9 — انظر د. حباغ قابلو (م. س.) الفصل الخامس (الصراع الدولي على سورية وعصر العمارنة) ص 7.

10 — د. أحمد سوسة (العرب واليهود في التاريخ) ص 160.

11 — د. أديب باغ (م. س.) ص 251- 252.

12 — فراس سواح (آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي) ص 203.

13 – د. أحمد سوسة (م.س.) ص 106.

14 – د. جباغ قابلو (م.س.) ص 253.

15 – د. علي أبو عساف (م.س.) ص 149.

16 – (العرب واليهود في التاريخ) (م.س.) ص 177.

17 – د. علي أبو عساف (الآراميون تاريخنا ولغة وفناً)، ص 62.

18 – (م. س.) ص 72.

19 – يرى د. محمد حرب فرزات أن بانياس كانت – على الأرجح – حوالي الألف الأول ق.م. عاصمة لمملكة بيت رحوب الآرامية. انظر محاضرته (تاريخ الجولان) المنشورة في كتيّب (ندوة الجولان التاريخية) ص 55.

20 – انظر فراس سواح (م. س.) ص 130.

21 – (م. س.) ص 192.

22 – (م. س.) ص 246.

23 – رنيه ديسو (العرب في سورية قبل الإسلام) ترجمة عبد الحميد الدواخلي، ص 2.

24 – أسد الأشقر (الخطوط الكبرى في تاريخ سورية ونشوء العالم العربي) ج3، ص 210.

25 – جرجي زيدان (العرب قبل الإسلام). طبعة راجعها د. حسين مؤنس، ص 93.

26 – أ. ولفنسون (تاريخ اللغات السامية) ص 198.

27 – أسد الأشقر (م. س.) ص 212.

28 – (م. س.) ص 213.

29 – رنيه ديسو (م. س.) ص 15.

30 – د. مفيد رائف العابد (سورية في عصر السلوقيين)، ص 109.

31 – من رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثيوس (العهد الجديد) 32/11 - 33، والمكان الذي هرب منه القديس بولس هي الكنيسة التي ما زالت قائمة في دمشق ومعروفة باسمه عند الباب الشرقي.

32 – جرجي زيدان (م. س.)، ص 89.

33 – الأب متري هاجي أثناسيو (موسوعة بطريركية أنطاكية التاريخية والأثرية) مج5 (سورية الجنوبية) ، ص 395.

34 – رنيه ديسو (م. س.) ص 14.

35 – د. أحمد سوسة (حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور) ص 203.

36 – أ. ولفنسون (م. س.) ص 188.

37 – (م. س.) ص 183.

38 – الأب متري أثناسيو (م. س.) ص 370.

39 – (م. س.) ص 248.

محافظة القنيطرة

التقسيمات الإدارية، المساحة، السكان

تشكلت محافظة القنيطرة عام 1964م من منطقتي القنيطرة وفيق، حسب التقسيمات الإدارية التالية :

مركز المحافظة	عدد المناطق (2)	عدد النواحي (4)	عدد القرى	عدد المزارع
القنيطرة	القنيطرة فيق	الخشنية مسعدة خان أرنبة البطيحة	162	149

وتبلغ مساحة المحافظة (1860) كم^2.

أما عدد سكانها عام 1967م فهو على النحو التالي :

ذكور	إناث	المجموع
77.057	75.932	152.99

الجولان

جبل الشيخ
لبنان
مرجعيون
جبل الروس
زرعة
جباتا الزيت
بانياس
عين قنية
مسعدة
زعورة
الخالصة
جرفا
مقروصة
بقعاثا
جب اليس
عين عور
واسط
القلع
منصورة
قنيطرة
ام الطينة
الطيحة
كفر نفاخ
العال
العارة
دبورة
جسر بنات يعقوب
خشنية
الدوكة
عامودية
جرابا
الرفيد
العالية
نوى
كفر حارب
مسعدية
الجوخدار
معلقة
بحيرة طبريا
طبريا
الكرسي
نقيب
عين غيف
العال
فيق
الياقوصة
الحمة
اليرموك
وادي خالد
الأردن
تل شهاب
سحم الجولان
الشجرة
جسر رقاد

الفصل الأول

الآثار والمواقع الأثرية
في الأراضي المحتلة

أ ـ منطقة القنيطرة .

ب ـ منطقة فيـــق .

أ ـ منطقة القنيطرة

● **بانياس :**

تقع بلدة بانياس في السفح الجنوبي لجبل الشيخ (جبل حرْمون) وإلى الشمال الغربي من مدينة القنيطرة التي تبعد عنها 25 كم. أما نهرها الذي ينبع من أرضها ويتخذ اسمها، فهو واحد من الأنهار التي يتشكل منها نهر الأردن.

وقد كانت بانياس على مرّ العصور مسرحاً للصراع بين الدول والأقوام المتصارعة على المنطقة. وهنا ما جعلها ذات أهمية تاريخية منذ العهد اليوناني أيام السلوقيين إلى نهاية القرن الثالث عشر ميلادي. فتحدثت عنها كتب التاريخ القديمة. وعرض لذكرها ولِما جرى فيها من أحداث مؤرخونا العرب القدامى، كالقلانسي في (ذيل تاريخ دمشق) وابن جبير في (رحلته) المشهورة وأسامة بن منقذ في (الاعتبار). وإن ما تبقى فيها من آثار إلى جانب قلعتها المعروفة بـ(الصُبيبة) لشاهد حي على عراقتها وما عرفته من ازدهار وعظمة، وما مرت به من محن ونكبات بشرية وطبيعية.

ويرتبط تاريخ بانياس بتاريخ المنطقة التي كان يسكنها الكنعانيون ومن ثم الآراميون الذين استقروا وأنشؤوا ممالك لهم فيها. وما لبث الأنباط أن بسطوا سلطتهم عليها. وكان نفوذهم قوياً في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد حتى أنهم كانوا يصدون هجمات السلوقيين المتكررة، غير أنّا لا نعرف شيئاً عن تاريخ بانياس في هذه الفترة لقلة الدراسات المستقصية في تلك العهود. و«لأن المؤرخين العرب القدامى قد جهلوا الأنباط أو تجاهلوهم. فما أتوا إلا لماماً على ذكرهم مع أن الدولة النبطية هي من أعرق الدول العربية وأعظمها شأناً على الصعدان الضارية والعسكرية والسياسية والاقتصادية»[1].

لكنّا نعرف أن بانياس كانت مسرحاً للصراع القائم على بسط النفوذ بين السلوقيين والبطالمة في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد. ففي سنة 198 قبل الميلاد تمكن أنطيوخس الثالث (السلوقي) من عبور طوروس ومنها إلى أفاميا فبنانيون وحرر سورية من النفوذ البطلمي إلى غير عودة. كما مرّ معنا.

وقد اتخذت بانياس اسمها في العهد اليوناني من بانيون نسبة إلى اسم الإله اليوناني (بان) إله الرعي والغابات والمواشي، الذي شيّدوا له هيكلاً عند المغارة التي فوق نبع بانياس في عهد هيرودوس الأول، وبلغت المدينة ذروة مجدها وازدهارها في عهد فيليبوس بن هيرودوس. وقد حصل على لقب (تيترارخوس) وبهذا الاسم وردت في العهد الجديد (متّى 13:16) عندما جاءها السيد المسيح، فكانت «المكان الوحيد في العالم خارج حدود فلسطين الذي دخل إليه»[2]، أما هيرودس الثاني فأطلق عليها — وكان ذلك لمدة قصيرة — اسم نيرونياس إكراماً للقيصر الروماني نيرون «ثم دخلت بانياس في النصرانية، وفي القرن الرابع جعلت مركز أسقفية» وما لبثت أن دخلت العصر الإسلامي منذ فتح بلاد الشام «وتعرضت فيما بعد لغارات مكررة تعاورتها أيدي الصليبيين والمسلمين مراراً، وكانت في تلك الحقبة وقبلها، قصبة كورة الجولان، وأوذيت بلاد حوران والجولان من جراء مهاجمة بانياس ودمشق، ومن توالي غارات الصليبيين ودفاع المسلمين وعبور جيوش الفريقين بالمدينتين، فخرّبت قراها وهجرها سكانها»[3]، وبعد أن كانت محجة يؤمها الاكليروس للصلاة ويقصدها الحجاج الآتون إلى الجليل، أخذ يبرز طابعها الإسلامي. ويذكر أسامة بن منقذ أنه وجد فيها 600 نسمة معظمهم من المسلمين، وأن كنيسة مسيحية قد حُوّلت إلى جامع، وناووس قبر القديس جوارجيوس ومعبداً للخضر[4].

وبعد أن اندثرت بانياس القديمة لم يبقَ منها إلاّ بقايا أطلال وخرائب تتمثل في مدخلها الأثري والحصون الخربة وقطع من الأعمدة (شكل 1) والتيجان والحجارة المنحوتة إلى جانب أبراج وبقايا مبان تعود إلى العصر الروماني والعهود الإسلامية. وقد عثر نتيجة حفريات جرت منذ نصف قرن على نقوش بديعة من الفسيفساء، وفصوص خواتم على بعضها صور آلهة، منها ديانا إلهة الصيد. وعلى بعضها

نقوش عربية من زمن الصليبيين، وكتابة محفورة على أحد الأبواب تقول «أمر بعمارة هذا الثغر المبارك الأمير الكبير الموفق الغازي في سبيل الله ناصر أمير المؤمنين سنة سبع وستين وخمسمائة. صنعه أبو الفضل». ويرى أحمد وصفي زكريا، على ما يظن، أن هذا الأمير هو نور الدين محمود زنكي[5].

ومن المكتشفات الأثرية في بانياس حلي ذهبية مكسّرة، منها ست أساور ذهبية مرصعة بأحجار كريمة من زمرد ولؤلؤ، وثوب من البروكار زالت خيوطه الحريرية وبقيت خيوطه الذهبية وهو من مقتنيات المتحف الوطني بدمشق إلى جانب مجموعات هامة من النقود اليونانية والسلوقية والبطلمية والرومانية والبيزنطية والإسلامية.

«والجدير الذكر أن مدينة بانياس سكّت نقوداً تحمل اسمها في بداية العصر الروماني، منها ما هو على وجه النقود صورة جانبية لرأس شاب يعلوه إكليل، وعلى ظهر النقود آلة مزمار رب الرعاة (بان) ومنها صورة أبولون يمسك قوسه بيمناه وسهمه بيسراه وعند قدميه حمامة وعلى ظهر النقد ربة الصيد ديانا» ومنها ما يمثل صورة كل من زوجة نيرون وابنته[6].

وقد اكتشفت في منطقة بانياس سنة 1965 – كما روى لي شاهد عيان من سكانها – قبور منحوتة في الصخر، فوق المعبد في قمة الجبل، ربما تكون قبوراً ملكية، كما وُجد ضمن تابوت حجري في بستان من التين (بالمنطقة التي تُدعى الخشابية) تعود ملكيته للشيخ صالح العرقاوي، تمثال نصفي من البرونز لسيدة بالحجم الطبيعي تقريباً (شكل 2) يعود تاريخه إلى النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي. وربما تكون هذه المرأة التي ترتدي قميصاً بأكمام شبه مزرّرة، هي زوجة أحد الأباطرة، أو «تمثل إلهة لا يمكن تحديد شخصيتها بدقة، ولا تقدّم تسريحتها ذات العقدة والإكليل الذي تضعه على رأسها أيّة إيضاحات مؤكدة، ولكن من المعتقد أنها تمثّل أفروديت. ويتألف التمثال من جزءين هما التمثال النصفي المجوّف المصبوب والذي لا تزال فيه بقايا حشوة رصاصية، ثم الإطار الذي يحيط به على شكل ترس. وبما أن حجم التمثال النصفي هذا أصغر من الحجم الطبيعي، فالأرجح أن يكون تقدمة نذر»[7].

ونتيجة التنقيبات التي أجريت في منطقة المغارة كشف النقاب عن محاريب تحمي التماثيل (شكل 3)، «وعثر على ثلاث أوانٍ زجاجية محفوظة في متحف الآباء الفرنسيسكان في الناصرة، وعلم أن المنطقة الواقعة في غربي المغارة كانت تؤلف المركز الديني والثقافي للمدينة. وفيه مجمع يضم معبداً لحوريات المياه وأغورا (الساحة العامة) من العصر الروماني و12 حجرة مقببة من العصر البيزنطي مبلطة ومزينة بالفسيفساء الملونة»[8]، وبالإضافة إلى الغرف الحجرية (شكل 4) وجدت قطع من النقود يعود تاريخها إلى القرن الثالث الميلادي، يمثل أحد وجهيها الإله بان ينفخ في مزماره (شكل 5).

• قلعة الصُبيبة أو قلعة بانياس: (شكل 6)

وعلى المستوى الشعبي يسمونها قلعة النمرود «دون أن يعرفوا سبب هذه التسمية الخاطئة ومعناها وزمن وضعها»[9].

تقوم على أحد الهضاب المنحدرة من المرتفعات الجنوبية لجبل الشيخ. ومع أنها اتخذت اسمها من مدينة بانياس التي تشرف عليها من الغرب إلا أنها تقع ضمن أراضي جباتا الزيت التي تطل عليها من الشمال. وهي تعلو عن بانياس 300 م، أما ارتفاعها عن سطح البحر، فيصل إلى 629م. ويبلغ طولها 440 م وأقصى عرض لها من جهة الشرق 165م. أما من ناحية الغرب فهو 115م. ويضيق عرضها من الوسط إلى أن يصل 65 م[10].

لا يُعرف من وضع أساسات هذا البناء لأول مرة، ولا في أي تاريخ شُيّدت القلعة، قد يكون ذلك زمن السلوقيين أو الرومان أو البيزنطيين، أو قبل ذلك بكثير.

ولما كان تاريخ القلعة يرتبط بتاريخ بانياس، فممّا لا شك فيه أنها أقيمت لحماية هذه المدينة منذ نشوئها. والدفاع عن المنطقة – حفاظاً على ما ازدهرت فيها من حضارة – تجاه الأقوام الطامعة التي اتخذت منها معبراً إلى مناطق أخرى، فغزتها من الشمال والغرب من خلال مرورها فيها.

كل ما هو معروف مما تبقى من آثارها أن «الأجزاء السفلية منها من عمل الصليبيين، أما أقسام القلعة وأبراجها فهي عربية صرف»[11].

وما هو معروف من تاريخها أنها كانت تحت سلطة الأتابكة من بني بوري الذين أعقبوا السلاجقة في حكم دمشق[12] (1103 – 1154م)، وأن الأتابك طغتكين بن عبد الله أول حكام هذه الأسرة. والذي حارب الصليبيين ودافع عن دمشق قد سلمها سنة 524هـ/1129م إلى الإسماعيلية[13] كي يخفّف العبء عنه في حربه مع الصليبيين، ثم استعادها تاج الملوك بوري بن طغتكين سنة 527هـ/1132م. غير أنه «نتيجة نشوب صراع عربي داخلي بين حكام دمشق وحلب. سلمت إلى الفرنجة»[14] فاستردها شمس الملوك إسماعيل بن بوري سنة 537هـ/1142م «ووضع فيها أحد قواده. لكن هذا القائد سلمها بعد حين إلى عماد الدين زنكي صاحب حلب الذي كان خصماً لآل طغتكين أصحاب دمشق»[15] وعندما تولى حكم دمشق مجير الدين آبق بن محمود بن بوري وكان آخر الحكام البوريين تحالف مع الصليبيين ضد نور الدين محمود زنكي وهاجموا القلعة وافتتحوها سنة 544هـ/1149م. فأصبحت في حوزة الصليبيين، وبعد أن انتزع نور الدين زنكي حكم دمشق سنة 549هـ/1154م. من مجير الدين بوري وأنهى حكم البوريين قام بعدة محاولات للاستيلاء على بانياس وقلعتها. إلى أن تمكن من ذلك سنة 560هـ/1164م.

وفي عهد الدولة الأيوبية قام الملك المعظم عيسى بن الملك العادل (أخو صلاح الدين) خلال حكمه في الشام (616- 625هـ/1218- 1227م) بتهديم أبراج القلعة وأسوارها كي لا يطمع الصليبيون بها مرة ثانية، غير أن أخاه العزيز عثمان وابنه حين أعادا بناء الأبراج «كما يتضح ذلك من الكتابات والنقوش التي لا تزال باقية، ومقروء أكثرها»[16]، ومن هذه الكتابات عند البرج الواقع في الجهة الجنوبية الغربية «بسم الله الرحمن الرحيم، أمر بعمارة هذا الثغر المحروس العبد المذنب الخاطئ الفقير إلى رحمة الله عثمان بن مولانا السلطان الأعظم الملك العادل المجاهد المرابط الغازي الشهيد أبي بكر بن أيوب تغمده الله برحمته. كان بناء هذا البرج في شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين وستمائة وتولى عمارته العبد الفقير أبي بكر بن نصر الله بن أبي سراقة الهمذاني العزيزي» وفي أحد الأبراج على حجرة فوق مكان للرماة «بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا البناء مولانا السلطان بن مولانا

السلطان الملك العزيز عثمان بن صلاح سنة خمس وعشرين وستمائة» وعلى أحد الجدران المحيطة بالحصن في الطرف الشمالي الشرقي للقلعة «بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذه الباشورة المباركة مولانا السلطان الملك العزيز عماد الدين سيف الإسلام أخ الملوك شمس السلاطين أبو الفتح بن الملك العالم ناصر أمير المؤمنين تقريباً إلى ألله رداً له سنة خمس وعشرين وستمائة» وعلى نافذة في أحد الأبراج «بسم الله الرحمن الرحيم. جدد هذا المكان المبارك الملك السعيد مجير الدين حسن بن مولانا السلطان الملك عماد الدين سنة سبع وثلاثين وستمائة»(17).

وظلت القلعة قائمة على هذه الحال إلى أن خربت كما خرب غيرها من القلاع عندما اكتسح هولاكو بلاد الشام سنة 658هـ/1259م.

وفي عهد الملك الظاهر بيبرس البندقاري (659- 676هـ/1260- 1277م) أعيد بناء القلعة «فجددها وأنشأ لجامعها منارة وبنى بها داراً لنائب السلطنة وعمل جسراً يمشي عليه إلى القلعة». ومن بعدها لم تعد التواريخ تذكر عن هذه القلعة خيراً «ويبدو أنها ظلت مأوى للزعماء الإقطاعيين في أيام السلاطين المماليك والعثمانيين، وكان من هؤلاء الأمراء آل معن وآل شهاب. كما أن الزلازل التي كانت تهز بلاد الشام وخاصة زلزلة سنة 1759م. قد فعلت في هذه القلعة وزادت في خرابها»(18).

وبعد نكبة حزيران 1967 عمل الصهاينة على التنقيب في القلعة كما في كل أراضي الجولان التي احتلتها، وبالتالي على طمس الحقائق لما كانت تكتشفه من آثار تؤكد على عراقة القلعة ووقوفا في وجه الطامعين الذين اندحروا عنها وعن المنطقة من قبل إلى غير رجعة.

أما مخطط القلعة فهو على الشكل المتطاول الذي عرضناه في الرسم (شكل 7) والذي حددنا أبعاده من قبل.

والمدخل لزيارة القلعة كما يقول أحمد وصفي زكريا عندما زارها سنة 1946 وأجرى فيها دراسة ميدانية ما زالت حتى الآن المرجع العربي الوحيد لكل باحث(19) هذا المدخل هو تلك الثغرة الواقعة في الطرف الجنوبي الغربي منها (رقم 3 في المخطط) في حين أن المدخل الأصلي للقلعة — وكان مطموراً عند زيارته — يقع في

وسط البرج الثاني (ب) رقم (2). غير أنه بحسب ما ورد في كتاب (القلاع في أيام الحروب الصليبية) فإن البوابة الخارجية الرئيسة للقلعة هي عند البرج (هـ) رقم (1) التي لم يشر إليها زكريا، لأنه على ما يبدو لم يكن هناك ما يؤكد على وجود أثر لها في زمنه. في حين أن هذا الكتاب يعدّ الثغرة المذكورة سابقاً رقم (3) هي المعبر الذي يؤدي إلى داخل القلعة وهي في حالها التي استقرت عليه في وضعها الأخير.

وبامتداد الجناح الشمالي للقلعة من الشرق إلى الغرب على جرف صخري شديد الانحدار جعل هذا الجانب منها يتمتع بحماية طبيعية. ومع ذلك فقد أقيمت فيه ثلاثة أبراج دفاعية هي (ط. ي. ك). بينما الجناح الجنوبي منها، المعرّض للهجوم والذي يتطلب تحصيناً قوياً. فقد أقيمت فيه سبعة أبراج عظيمة هي (أ. ب. جـ. د. هـ. و. ز) ليأتي بعدها البرج (ح) وهو أقواها ويؤلف الزاوية الشمالية الشرقية من القلعة. وتتباين هذه الأبراج واحدها عن الآخر بالتصميم والحجم والشكل. فمنها المربع ومنها الدائري ومنها نصف الدائري، وقد أقيمت فيها طوابق دفاعية ذات أدراج وممرات اتصال وكوى للرمي والضرب. ويرتبط بعضها ببعض بجدران ضخمة يبلغ عرضها أربعة أمتار. فتحت فيها منافذ للرمي. أما الواجهة الغربية التي تطل على سهل الحولة فقد حفر بمحاذاتها خندق عميق محمي بجدار عظيم. ويقوم فيها برج مربع الشكل (ل) وبناء مستطيل محصن (م). وإلى جانبه الثغرة التي تؤدي إلى الداخل وتفضي إلى باحة عظيمة تدل أنقاضها على أنها كانت مكاناً يحتوي على مهاجع للجنود ومستودعات وإصطبلات وصهاريج ماء وأقبية. وفي الجهة الغربية من الباحة سرداب محفور في الأرض يبتدئ من البرج (ل) ويتجه إلى الشمال ثم ينحرف نحو الشرق على طول 30 م لينتهي عند أحد جوانب الوادي، وفي منتصف الباحة آثار منشآت مدنية لكنيسة ومسجد [20] أما في الجهة الشرقية من الباحة وحتى نهاية القلعة شرقاً فيقوم الحصن رقم (6) الذي يشرف على القلعة كلها ويؤلف قلعة داخلية مستقلة ذات برجين مهدمين يطلان على الباحة وبمحاذاتهما خندق عريض. والمدخل إلى هذا الحصن أو القلعة الداخلية هو البوابة رقم (4) التي توصل إلى بوابة أخرى خاصة رقم (5). وقد عثر في القلعة على «مجسم حجري لنسر يرمز للسلطان بيبرس، نقش على حجر جيري أبعاده

(150×70) سـم إضـافة إلى التماثيـل البازلتيـة الـتي يـزد عـددها عـن خمسـين تمثالاً»[21].

إن قلعة بانياس (الصُبيبة) التي قامت منذ البدء لحماية مدينتها والذود عـن المنطقـة. مـا زالت تقف شاهداً على صلابة الأرض العربية التي تقف عليها وعلى حماتها الأبطال الذين اندثرت وتندثر أمامهم كل القوى الغاشمة من الدخلاء المعتدين.

• قمة جبل الشيخ (جبل حرْمون) :

ومن المواقع الأثرية المهمّة في المنطقة القمة العليا من جبل الشيخ (شكل 8) الذي كان مقدّساً عند الكنعانيين القدماء «فعظموه وعدّوه سيّد الأرض والسحب و(عرش الآلهة)»[22]، وهذه القمة العليا التي هي على ارتفاع (2814)م تطل نحو الشرق على جبل العرب والجولان وغوطة دمشق، ومن الجنوب على وادي الأردن وسهل الحولة وبحيرة طبريا، ومن الغرب على البحر المتوسط، من صور حتى جبل الكرمل.

«واسم (حرْمون) الذي كان الصيدونيون يدعونه أحياناً (سيريون) معناه المحرم أو المقدّس، والأموريون يدعونه (شنير). أما العرب فقد عرفوه بأسماء عدة، فدعوه بـ (جبل الثلج) و(سنير) و(جبل الشيخ)»[23].

وفي القرن التاسع عشر كشفت الحفريات في الجانب الجنوبي الغربي من القمة معبداً وثنياً قديماً يتألف من حجارة حديبية، تسمّيه العامة (قصر عنتر) وبعضها (قصر شبيب). وهذه التسمية في الحقيقة لم تكن في العصر الحديث اجتهاداً عربياً، إنما تكشف أن بعل كان إلهاً عالمياً لكل الشعوب، فهو الأعظم كما تذكره الكتابة اليونانية، فتسمية شبيب تحريف، لاسم إله الحوريين الأعظم (شوب) إله الطقس. وقد وُجد الحوريون في منطقة حرمون منذ أقدم الأزمنة، كما تفيد ذلك تسمية (كفر شوبا) على سفح حرمون.

وعلى اليمين من هذا المعبد، في الجهة الجنوبية الشرقية، تم اكتشاف معبد آخر «كان للإله (البعل) وذلك في أعلى القمة، حيث توجد في هذا الموقع صخرة تبلغ مساحتها حوالي (50) $م^2$ بعمق يتراوح بين المتر والمترين. أما أبعاد المعبد المربع

الشكل فهي (9×8)م. وله أرضية مكشوفة وسقف، وواجهة مزيّنة باتجاه الجنوبي الغربي، وقدّر تاريخ بنائه على الأغلب في القرنين الثاني والثالث الميلادي»[24].

وقد بيّن الباحثون الغربيون أهمية هذا الموقع الديني القديم، وحدّدوا عشرة معابد تدور حول الجبل كالإكليل هي: (قلعة بصرى، هباريّة، نبي صفا، عيتا، رخله، دير العشاير، بكّا، برقش، عين عطا، عين حرشه (شكل 9))، وهي تلتف حول حرمون الذي يعلوه معبد لإله أعظم هو «بعل حرمون»، وكلها مبنيّة في العهد الروماني الذي لا يعود إليه منشأ العبادة في هذه المعابد، إنما تجددت العبادات وتواصلت فيها أيام الرومان، كما «بقيت حركة الحج إلى (بعل حرمون) تتم باحتفالات مهيبة حتى زمن القديس (جيروم) في أوائل القرن الخامس للميلاد»[25]، ثم استمرت بعد ذلك «حتى القرنين السادس والسابع الميلاديين»[26] وكانوا يقدمون له الأضاحي ويقيمون له الهياكل الكثيرة، ويذكر لوسيان السميساطي أن الأراميين كانوا «ينقلون الماء باحتفال عظيم من بعض الآبار إلى قمة حرمون ويسكبونه في الحفرة المقدسة، معقتدين بأن الآلهة ستجعل بذلك ينابيع الجبل غزيرة المياه، فيتوفر له الماء اللازم للري والشرب في تلك السنة»[27].

أما المركز المقدّس في قمة الحرْمون، فتتمثّل – كما ذكر الباحث الآثاري الفرنسي (كليرمون غانو) بدائرة بيضوية الشكل من الحجارة المقصوبة يتوسطها مخروط مجوّف في وسطه، ممّا يشير إلى مكان تمثال مقدّس كان يوضع في هذا التجويف. وهناك غرفة صغيرة في الناحية الجنوبية من الدائرة تبدو وكأنها كانت لتلقّي نذور المؤمنين. وفي مكان ما من هذه الدائرة «وُجدت كتابة يونانية محفورة على حجر، قام (سير شارلز وورن) بوصفه سنة (1870) وهو بطول (121.6) سم وعرض (45.72) سم وسماكة (30.48) سم. وكان قد حصل على إذن من رشيد باشا حاكم دمشق، وبذل جهداً كبيراً في نحت الحجر لتصغير حجمه، ونقله بعد كسره إلى قطعتين على ظهور البغال من علّو (2800)م، وتقول الكتابة «بأمر الإله المقدّس. مقدّمو النذور من هنا» وهي إشارة لإرشاد أصحاب النذور ببدء الطواف حول الدائرة التي كانت تحوي (قدس الأقدس)»[28]. أما النذور فكانت تتمثّل في «عدد وافر من الخواتم البرونزية المعثور عليها في مفاصل كتل الحجارة وفي الجدران»[29].

وفيما بعد عُثر في موقع قمّة الحرْمون «على لقيات نفيسة، منها ورقة برونزية نادرة وجدت في المعبد، وهي موجودة الآن في متحف ما يسمى بإسرائيل»[30].

• تل أبو الندى :

اتخذ هذا التل اسمه من أحد الأولياء المسلمين الصالحين الذي لم يعرف إلاّ بلقبه (أبو الندى). وقد شُيِّد مقامه الذي رآه (شوماخر) ووصفه في أواخر القرن التاسع عشر بأنه يستقرّ في حفرة واسعة في أعلى نقطة من التل، وأن طول هذا المقام (11.5)م وعرضه (6.40)م. وارتفاعه (2.40)م. وله قبّتان مطليتان باللون الأبيض. أمّا ضريحه فهو ملفوف بقماش حريري، ويقع في القسم الجنوبي من مبنى المقام.

وقد وُجدت هناك عدة قطع بازلتية نُقش على كل واحدة منها رسم لورقة شجر (شكل 10)، كما وجد على سطح المقام شكل طائر في حجر بازلتي (والرأس مفقود) يبلغ ارتفاعه 7 سم (شكل 11).

وتل (أبو الندى) هو أعلى تل بركاني في الجولان. يقع في الطرف الغربي من القنيطرة، وتصل أعلى نقطة فيه إلى (1256)م فوق سطح البحر، ويقوم على هضبة تبدو وكأنها تحيط به، يصل ارتفاعها إلى (1056)م.

وفوق فوُهة بركانية صغيرة عند القاعدة الجنوبية للتل تبدو آثار موقع قديم لم يبق منها إلاّ أساسات جدران، وأنقاض مبانٍ حجرية، لا يعرف شيء عنها.

• بيدروس :

موقع غير مسكون. كان في زمن مضى بلدة عامرة، لكن الجولان الحديث لا يعرفها إلاّ خراباً وأنقاضاً؛ فقد سقطت من سجّل البلدان الحيّة.

ويعرّفها (شوماخر) بأنها خربة كبيرة في الجولان الصخري، وهي تقع إلى الجنوبي الغربي من (تل أبو الندى).

وتشهد بقايا وأنقاض بيدروس على أنها كانت بلدة قديمة جداً وذات حجم كبير ومبانٍ جيّدة، غير أنها ما لبثت أن دُمّرت وأصبحت أنقاضاً؛ مما يوحي بأن

الطبيعـة — وربّمـا الـزلازل — قـد سـاهمت في عمليـة التـدمير، ففـي أرضـها مبـانٍ متداعية، وعـدد كـبير من أحجـار البناء الكـبيرة — ومعظمهـا غـير منحوتـة — علـى أساسات مربعة. وقد وُجدَ في أطـراف البلـدة مـدافن قديمة مغطّـاة بـصفائح بازلتيـة، وكذلك غرف كبيرة تحت الأرض مساحتها بين 4 و5 أمتـار مربعـة محاطة بكتـل مـن البازلـت ومـسقوفة بالأحجـار البازلتيـة، وسماكـة الجـدران بـين (76- 102)سـم. وتبدو طبقات الجدران مرتّبة كما يوضحه (الشكل 12). أما بالنسبة للزخـارف فقـد وُجدت على تيجان الأعمدة، كما وجد نقش صليب مستقيم الخطوط علـى حجـر بشكل هرم. ويستنتج (شوماخر) بأن البلدة كانت مستوطنة مسيحية.

● العدنانية :

هي قرية كان يقطنها الشراكسة، وكانت تعـرف بالـصرمان[31] وفي سـنة 1953 استبدل باسمها اسم العدنانية. تقع على بعد 3 كـم إلى الجنـوبي الـشرقي مـن مدينـة القنيطرة، وعلى ارتفاع نحو ألف متر عن سطح البحر.

ذكرها (شوماخر) على أن أرضها كانـت «مغطـاة ببقايـا موقـع قـديم جـداً»[32] كذلك قال أحمد وصفي زكريا بأنها بلدة قديمة، لما فيها من آثـار تـدلّ علـى عمـران سابق «من أطلال دور ومباني أثرية كثيرة ذات أبواب وأحجـار منحوتـة ومزخرفـة، بعضها مزبور عليه كتابات يونانية»[33]، غير أن من قدّم دراسـة حديثـة شـاملة حـول القرية من النواحي الطبيعية والاجتماعيـة والديمغرافيـة هـو عـزّ الـدين سـطاس (ابـن قرية العدنانية). وقـد بيّن في دراسته الـتي اعتمـدت علـى النظـرة التاريخيـة والبحـث الميداني، وبعض نتائج التنقيبات الصهيونية منذ الاحـتلال وحتـى سـنة 1972، قِـدم الاستيطان البشري في موقع البلدة ومحيطها منـذ عـصور مـا قبـل التـاريخ، وتواصـل هـذا الاسـتيطان في المنطقـة دون انقطـاع، وهـو مـا أدى إلى تـشكّل القـرى والمـدن في بداية العصر الهليني وازدياد حركة العمرانِ والتجمّعات في العصر البيزنطي؛ فهناك عدد من الكهوف والمغاور وقبور ما قبل التاريخ في تـل العدنانيـة وتـل (بـات كـري) ضمن أراضي القرية، وفي تل (كاوتش) على حدود أراضي القريـة مـن الجنـوب[34] والقبور في هذه المغاور «لهـا جوانـب حجريـة مـع غطـاء مـن ألـواح حجريـة بازلتيـة» (شكل 13)، وبعضها تحتويه المغـاور الـتي يتّـصل بعـضها ببعـض عـن طريـق أنفـاق

ضيّقة «حيث تتألف كل مغارة من باب كبير وثلاثة جدران، في كل صفّ من الفتحات أو الحفر» (شكل 14 و15)[35].

وممّا عُثر عليه في (العدنانية) أيام الانتداب عدد من القطع الأثرية القيّمة القديمة، منها «تماثيل صغيرة، وعربة صغيرة تجرّها الخيول مصنوعة من الذهب، وعملات تعود إلى العهد الأموي، استولت عليها سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين».

كما ذكر (سطاس) ما عثرت عليه سلطات الاحتلال الصهيونية في موقع القرية خلال تنقيباتها بعد عام 1969 «من ذلك 37 كتابة على شاهدات القبور، واسكفّات الأبواب باللغة اليونانية من العهد البيزنطي. وقد قامت سلطات الاحتلال بنهب كل ما وجدته، خلافاً للقوانين الدولية التي تمنع التعدي على آثار المنطقة المحتلّة»[36].

• الأحمدية :

الأحمدية قرية كان يقطنها التركمان[37] تقع في الناحية الغربية من المنطقة الوسطى في الجولان. تقوم بيوتها على منحدر تقع على سفحه الغربي خربة تدعى شويكة، وهي مكان موقع قديم عُثر فيه على لوح حفرت فيه الأحرف المبيّنة في (الشكل 16) وعلى تاج عمود دوري[38]، بالقرب منه شمعدان في تسع شعب (الشكل 17) وكان المسيحيون الأوائل يستخدمون مثل هذا الرمز، غير أن (شوماخر) يعدّه رمزاً يهودياً، ويرى أن مثل ذلك موجود بكثرة في (الدنقلية) ويتكرر مراراً في المنطقة المحيطة، مما يقوده إلى الافتراض بأن الشعب اليهودي كان يسيطر في الجولان الغربي والأوسط في بداية الحقبة، ويقول بأن (يوسيفوس)[39] يشهد على ذلك ويؤيد هذا الافتراض غير أنّا لم نجد مثل هذا التكرار الذي يشير إليه (شوماخر) في كتابه (الجولان)، وبالرجوع إلى ما كتبه فيه عن موقع (الدنقلية وخان بندق) ص 121 يقول: «ويوجد بين الزخارف شمعدان يهودي، سباعي الشعب، وكذلك صليب مسيحي»، فليس هنا أكثر من وجود شمعدان واحد، وليس الكثير، وكان مثل هذا الشمعدان يستخدمه المسيحيون أيضاً. وما يؤكد ذلك وجود الصليب إلى جانبه، ممّا يُسقط حجج الافتراض الذي قال فيه بأن يوسيفوس يؤيده ويؤكد عليه.

وفي الطرف الجنوبي من الأحمدية استخرج التركمان من بين الأنقاض بقصد البحث عن المال – كما يقول شوماخر – أحجاراً بازلتية كبيرة منحوتة، يحمل بعضها زخارف ونقوشاً، منها ما يمثّل نسراً نُفّذ تشكيله بدقة كبيرة وبطابع روماني (الشكل 18)[40].

• كفر نفاخ :

ما بقي من آثار ظاهرة في هذه القرية التي تقع في المنطقة الوسطى من الجولان، يدل على أنها كانت قديماً ذات أهمية، فعدا وجود مخزن كبير للقمح، وبقايا قناة حجرية، هناك عدد كبير من أحجار البناء القديمة غير المنحوتة مكومة على شكل تلال منتظمة، غير أن الكثير من هذه الآثار لا يمكن التعرف عليها إلاّ بصعوبة؛ من ذلك الأساسات المربعة، وما على الأعمدة من زخارف، وحتى اسطوانات الأعمدة.

أما القبور المنزلقة التي تقع بالقرب من حافة الوادي، فتتكون من ثلاثة صفوف تضم ثلاثة عشر أو أحد عشر قبراً، وكل منها من الداخل بطول (197.5) سم، أما العرض (وكذلك الارتفاع) فهو (58.5) سم. ويفصل بينها صفائح بازلتية. وجميع هذه القبور تقع تحت مستوى سطح الأرض، وتفصل بينها ممرات اتجاهها من الشمال إلى الجنوب[41].

• عسَلية :

تقع عسليّة في الجنوبي الغربي من المنطقة الوسطى. وكانت في أواخر القرن التاسع عشر خرائب ذات امتداد واسع غير عادي، تحتوي على عدد هائل من حجارة البناء المنحوتة وغير المنحوتة؛ ممّا يدل على أن هذا المكان فيما مضى كان له أهمية كبيرة. لكنه غير معروف إلى أي عصر ينتمي، ولا في أي فترة معماريّة أنشئ بناؤه، ولا إلى أي تاريخ محدد بُني المقام الذي يقوم هناك للولي المبجّل (الشيخ موسى).

وإلى الغرب من الخرائب حيث تشكّل المصاطب البازلتية منحدراً، تظهر بقايا سورٍ مبني من كتل حجرية مربعة غير منحوتة يحيط بالجانب الأسفل من البلدة.

ومن أسفل المصاطب ينبثق نبع الشيخ موسى من موقع مبنيّ بالأحجار البازلتية والملاط، ليروي السهل الجميل والمناطق المحيطة. كما يوجد مزار أو تشريفة للشيخ موسى تظللها شجرات البطم والبلوط القديمة جداً، وبجانبها بقايا مبانٍ أخرى، وأحجار منحوتة كبيرة[42].

• الدورة :

تقع خرائب الدورة في الطرف الغربي من المنطقة الوسطى في الجولان، بين وادي الفاخورة ووادي السنابر. وفي الجهة الغربية والجنوبية منها مصاطب ذات انحدار شديد، وجدار سميك من أحجار عظيمة غير منحوتة، تقوم بعده إلى الجنوب أنقاض بلدة تتوضع فيها قطع اسطوانية، وتيجان أعمدة دوريّة، وأحجار منحوتة، نميّز من بينها بوّابة لمدينة قديمة منحوتة بعناية من أحجار طول الواحد منها (182) سم. وهناك أعمدة متناثرة في أماكن أخرى. وفي البلدة نبعان غزيران كانا يديران فيما مضى مطحنة قديمة.

وبين (الدورة) وعلمين في الغرب، تقوم مقابر (الدولمن) محفوظة بحالة جيدة، حيث تُشاهد صفيحة أو صفيحتان علويتان ضخمتان من البازلت[43].

• الفرْج :

تقع بلدة (الفرْج) على الطرف الغربي من (تل الفرس) وعلى بعد 19 كم جنوبي مدينة القنيطرة. وقد كشفت التنقيبات الأثرية الحديثة فيها عام 1983 (أي بعد الاحتلال) عما وصلت إليه من ازدهار بعد انتصار المسيحية في بداية القرن الرابع الميلادي؛ لما كان فيها من مبانٍ ومنشآت ومدافن، وفنون زخرفية تمثّلت في النقوش على الأبواب والشبابيك الحجَرية «كرسم السمكة التي ترمز إلى النور، إلى جانب الصليب المتساوي الأضلاع». كما بيّنت هذه التنقيبات أن بعض النصارى المتأثرين بالديانة اليهودية في بداية المسيحية «قد استخدموا في مراسم عبادتهم رسوماً رمزية؛ منها الشمعدان ذو الأذرع السبع»[44]. وكل هذه الأشكال في (اللوحة 19).

• البيـــرة :

تقع البيرة غربي (الخشنية)، في المنطقة الوسطى من الجولان، كانت تغطي الخرائب فيها مساحة ما يقرب من (64) فدّاناً، فيها عدد كبير من حجارة البناء غير المنحوتة، وتبدو بين القبور أساسات على شكل مستطيل. أما اسمها بالآرامية فمعناه كتلة من الصخر ضخمة ومشقوقة، كما يعني الحصن أو القلعة، ومن هذا نستطيع أن نميّز في الخرائب آثار حصن قديم. وكل هذا يدل على أن (البيرة) كانت قديماً بلدة ذات أهمية[45].

• نعـــران :

هي في الجهة الغربية من المنطقة الوسطى في الجولان، وكانت على ما يبدو في الأزمنة القديمة محطة هامة للقوافل. أما خرائبها التي تقع على تلة، فتدّل على أن أبنيتها رومانية الطابع، وجدرانها مبنية بالأحجار البازلتية والملاط، وبعض هذه الجدران سماكتها من (78- 89)سم، وتعود زخارف الأعمدة إلى العصر الروماني.

وفي الجنوب من هذه الخرائب يقوم بناء، ربما كان حمّاماً في الأزمنة السابقة (الشكل 20) بُني من الأحجار والملاط. ولم يتبق منه إلاّ غرفة داخلية من ناحية الغرب، سماكة جدرانها (91) سم، وقبّة مهدّمة مبنيّة من حجارة صغيرة مدعّمة بالملاط. كما تدل الخرائب أيضاً على أن هناك غرفاً تحت الأرض مغطّاة بصفائح بازلتية.

وقد عُثر بين الأنقاض على حجر حُفر فيه رسم صليب (الشكل 21) وحجر آخر فيه صورة نسر (الشكل 22). أما تيجان الأعمدة البازلتية (الشكل 23) فهي من الطراز الدوري[46].

• الرمثانية :

تقع الرمثانية على سفوح تلّة في الجهة الشرقية من المنطقة الوسطى، شمالي الخشنية. وكانت الأنقاض فيها تتوضع في أكوام كبيرة جداً من حجارة منحوتة وغير منحوتة. ووُجد عدد من الحجرات الصغيرة تحت الأرض مسقوفة بصفائح بازلتية

طولها (182.5) سم تحتوي على سراديب لوضع النواويس فيها، وبالقرب من هذه الحجرات وفوقها أكوام من حجارة البناء تعود إلى الحقبة الرومانية.

وفي الغرب يقوم مبنى منعزل فيه بروزات دائرية في الشمال، ومحاط بجدران أساسات مربعة في الجنوب. وعلى القمة الشمالية للسلسلة البركانية المتجهة إلى الجنوب مبنى قديم كبير، تبدو فيه حجرة كبيرة مقسمة بأقواس مدبّبة ارتفاعها (2.75)م. يتصل فيها غرفة أصغر منها باتجاه معاكس (الشكل 24)، مقاس الأقواس (68.5)سم، وسماكة الجدران (89) سم. وجميع جدران المبنى منحوتة بدقة.

وهناك مبنى حجري مهدّم ومسوّر يبدو أنه أُقيم في العصور الإسلامية من أنقاض مبانٍ مسيحية، وعلى الأرجح أن يكون بينها كنيسة؛ وما يؤكد ذلك وجود الأقواس، والزخارف على قطع كثيرة، كرسم الصلبان الثلاثة المحفورة على العتبة العلوية لأحد الأبواب (الشكل 25)، وبقرب الباب عتبة مزخرفة بالصلبان والكلمات اليونانية (الشكل 26)، ورسم صليبين على عتبة ثانية مع زخارف أخرى مطموسة (الشكل 27). وفي داخل البناء صليب كبير محفور على حجر بازلتي (الشكل 28)، وأشكال تزيينية من الحلي مع عناقيد عنب (الشكل 29) وزخارف أخرى مع رسوم أشجار نخيل (الشكل 30 و31). وعلى حجر في أحد الأقواس تبدو شجرة نخيل وسط دائرة، وحولها كتابة يونانية (الشكل 32)[47].

• اليعربيــة :

اليعربية — وكان اسمها من قبل (اليهودية) — من قرى المنطقة الوسطى في الجولان، وفي الناحية الغربية منها.

خرائب هذه البلدة كان يحيط بها جدار حجارته بدائية، ومثّبت بعضها ببعض دون ملاط. سماكته (182) سم وذلك في الجانب الغربي الأقل حماية. وتتناقص هذه السماكة في الجوانب التي تحميها الطبيعة.

توجد بين الأنقاض بقايا مبانٍ قديمة، منها حجارة بناء بازلتية كبيرة منحوتة تتوضّع في أكوام، وقطع أعمدة وتيجان غريبة تبدو في أسلوب وكأنه تطبيق بدائي

بين الطرازين الأيوني والكورنثي[48] (الشكل 33 و34)، وكلها أثرت فيها عوامل الطبيعة بشدّة، ممّا يدل على قدمها الضارب في عمق الزمن، وبجانب بقايا الأعمدة وُجد حجران متماثلان، مما يوضع في أعلى البناء، لا يزالان على حالهما بشكل جيد (الشكل 35).

ويقول (شوماخر): «إذا كانت هذه الخرائب الظاهرة على السطح غير هامة إلاّ أنها متميّزة لا يوجد لها مثيل في أي مكان آخر في الجولان، وإذا ما عملت التنقيبات على الوصول إلى مكتشفات أكثر أهمية، فإننا نحصل على معلومات قد تطلعنا على ما إذا كانت هذه البلدة (اليهودية) من حيث اسمها وطابعها يهودية المنشأ أم لا»[49].

ونحن نرى أن التسمية عندما تنسب اعتباطاً إلى موقع دون أي دليل أو معلومات موثوقة، فإنها لا تعبر عن الحقيقة؛ ولهذا نقول إن البدو عندما حلّوا في هذا الموقع، وسمّوا بلدتهم (اليهودية) لم يكن ذلك منهم إلاّ لأنهم كانوا عندما يرون شيئاً قديماً أو غريباً، دون أن يعرفوا أصله، فإنهم يعزونه إلى اليهود الذين سبقوهم بزمن بعيد؛ ولهذا كانوا يطلقون على قبور الدولمن (قبور اليهود)، ولهذا أيضاً أطلقوا على هذا الموقع القديم اسم (اليهودية).

• البطميّة :

هي في الطرف الجنوبي الشرقي من المنطقة الوسطى في الجولان. فيها الكثير من حجارة البناء القديمة، والخرائب التي يحمل بعضها الطابع البيزنطي، وبعضها الآخر الطابع العربي؛ ففي خرائبها ما يدلّ على وجود خان قديم كان يضمّ عدة غرف، الواحدة منها بعرض (3)م. مقسّمة إلى جزءين بقوس مفرد بسيط من النمط الحوراني (الشكل 36)، كما أن هناك معلفاً للمواشي، وخزاناً كبيراً في الباحة، وتعود هذه البقايا إلى الآثار العربية الإسلامية. كما أن هناك ما يدل على حقبة مسيحية أقدم، وهو وجود الزخارف والنقوش التي تمثّل أشكالاً هندسية وأزهاراً وعناقيد عنب، وخاصة على العتبات العليا للأبواب والمداخل (الشكل 37 و38). وكذلك الكتابات وبعض العلامات اليونانية والرموز المسيحية كالصلبان والشمعدانات (الشكل 39)[50].

ب ـ منطقة فيق

• **فيـق :**

تقع (فيق) إلى الشرق من الطرف الأدنى لبحيرة طبريّا، وعلى بعد ما يقرب من (5.5) كم. وقد كانت في القديم تحتلّ مركزاً تجارياً هاماً بين سورية وفلسطين، وموقعاً استرتيجيّاً لمرور الجيوش المتحاربة. كما يستدلّ من آثارها المتبقية أنها عرفت العمران والازدهار في عصور مختلفة، إلى أن انتهت إلى الخراب في أواخر القرن التاسع عشر، وهجرها قسم كبير من قاطنيها؛ فكانت تُرى وخاصة في الجنوب والشرق من أرضها بقايا مبانٍ تبدو في الحجارة المنحوتة، واسطوانات الأعمدة البازلتية وتيجانها ذات الطراز الأيوني، وعتبات الأبواب القديمة التي كانت تحمل كتابة بالخط الكوفي، إلاّ أنها مطموسة بشكل كامل.

وكانت القرية تحتوي على عددٍ كبير من معاصر الزيتون، وخزانات المياه، وبئر دائرية يصل عمقها إلى (7.6) م. حوافيها من الحجارة المنحوتة. وقد وجد في أحد الجدران قطعة حُفرت فيها كتابة عربية غير واضحة يعود تاريخها إلى سنة 741هـ (1240)م، كما عُثر على كتابة أقدم منها (الشكل 40) وكتابة يونانية على أحجار أخرى (الشكل 41 و42)، ورسم شمعدان سباعي (الشكل 43) محفور على عمود بازلتي صغير تبدو تحته علامات مطموسة كما يقول (شوماخر)[51]، هذا إلى جانب أشكال زخرفية متنوعة (الشكل 44 و45) كما وُجدت رسوم صلبان على عتبات الأبواب العليا (الشكل 46) وحلية زخرفية على شكل ثعبان كثيراً ما يتكرر على لوحات حجرية (الشكل 47)، كما تتكرر الأشكال الزخرفية التي تبدو في (الشكل 48) وكذلك الرموز التي تبدو في (الشكل 49).

وعلى التلة التي تقع في جنوبي البلدة يقوم ضريح إسلامي يدعى باسم جامعة العمري تكريماً للولي المدفون فيه، وإلى جانبه ضريح آخر للشيخ فياض عبد الغني، وإلى الشرق منها مقبرة قديمة.

أما في جنوبي القرية فيقوم (قصر العليّة) على مرتفع من الأرض يطلّ على المنطقة المجاورة بكاملها، وهذا القصر هو مبنى إسلامي كان مخصصاً في السابق لاستقبال الغرباء. وقد كان محصّناً حسبما يتضح من الأسوار[52].

وكل ذلك يدلّ على أن (فيق) كانت بلدة قديمة وهامة، ومركزاً لاستراحة القوافل المتّجهة من حوران إلى فلسطين.

وإلى جانب فيق من الغرب – بينها وبين بحيرة طبريا – «يقع دير فيق الذي كان آهلاً بالرهبان في أيام ياقوت الحموي[53]. وكان المسافرون يحطّون فيه قديماً»[54].

ومن مكتشفات مدينة فيق المعروفة في قسم العهود اليونانية والرومانية والبيزنطية في المتحف الوطني بدمشق.

- تمثال برونزي لولد طوله 23 سم رافعاً يديه، وقد صنعت عيناه من الفضة.
- قمقم من الزجاج الأزرق المعتم، ارتفاعه 92 سم، تزيّنه خطوط متموّجة من المينا الصفراء.
- تمثال برونزي من العصر الروماني يمثّل ربّة الجمال فينوس، كالذي اكتشف في خسفين، وفي مناطق أخرى من القطر.

ومن المعروضات الموجودة في جناح آثار حوران وجبل العرب:

- إبريق برونزي ارتفاعه 17 سم، له عنق قصير ينتهي بفوهة على شكل زهرة لها ثلاث وريقات، ويزيّن عروته رأس ميدوزا[55].
- إناء صغير من البرونز على شكل دواة ارتفاعه 18 سم، يمثّل حسناء إفريقية تجلس القرفصاء، وتبدو شبه عارية.

كما اكتشف في مدينة فيق: تمثال برونزي يمثل الربّة فينوس عارية تحاول أن تستر جسمها بيسراها ويدها اليمنى على صدرها، وهي تستند في وقفتها على رجلها اليسرى، وتثني ركبتها اليمنى قليلا إلى الأمام[56].

• العـال :

تقع بلدة (العال) على بعد (5) كم إلى الشمالي الشرقي من فيق، تحيط بها مصاطب تنحدر إلى وادٍ يحمل الاسم نفسه. وعلى أطراف القرية آثار ذات طابع وسمات رومانية؛ فهناك بقايا لعدد من أعمدة البازلت دون تيجانها، وقطعة من إفريز روماني (الشكل 50) وعدد كبير من النواقيس الحجرية البازلتية، أكثرها محطم تماماً، عدا واحد منها كان بحالة جيدة، مزخرف بإتقان بطريقة الحفر البارز، طوله (197.5) سم وعرضه (48.5) سم (الشكل 51) يمثل ما عليه من زخرفة رسم امرأتين تمسك كل واحدة بإحدى يديها ميدالية يبرز منها رأس رجل، وباليد الأخرى غصن نخيل كرمز للسلام، ومع أن رأسيهما محطمان فإن شعرهما الأجعد لا يزال ملحوظاً. ويحمل رأس الرجل النوع نفسه من الشعر، وشفته العليا يغطّيها شاربان. وقد اطّلع (شوماخر) إلى جانب ذلك على تمثال جميل من البازلت، ارتفاعه (106.4) سم ربما يمثّل إلهة يونانية، وهي تبدو بثوب من القماش يطوّق الردف وذي ثنيات. وقد فقد من التمثال الرأس واليد اليمنى، أما اليد اليسرى فتحمل ترساً، كما أن القدمين محطمان (الشكل 52). كما رأى حجراً على شكل ضريح، ارتفاعه (78.75) سم، يحمل كتابة يونانية ونقوشاً زخرفية بغير إتقان (الشكل 53)، أما الجزء المكسور من الحجر فقد استخدمت عتبةً عليا في أحد الأبواب، وتحمل تتمة الكتابة السابقة. ويصل عرض القطعتين إلى (34.56) سم[57].

كما عُثر فيما بعد على سروجٍ برونزية؛ منها سراج له مقبض على شكل رأس حصان، وسراج آخر له مقبض بشكل ورقة نباتية.

والجدير بالذكر أن الصليبيين احتلوا البلدة سنة (1105 — 1106). وأقاموا فيها حصناً أطلقوا عليه اسم (علعال)[58] كما أقاموا حصناً آخر قريباً منه يعرف بقصر البردويل، لم يبقَ من آثاره إلاّ عدد من أحجار البناء، وبقايا من مبنى قديم وخزّانات محصورة بين الجدران الصخرية[59].

• جبين :

تقع (جِبين) إلى الشمال الشرقي من فيق، على منحدر وادي (حيتل). وتتميّز بغزارة مياهها الصافية التي تتألف من ثلاثة ينابيع «وعين جِبين. واحد منها محاط

بناء صغير، يصبّ ماؤه في ناقوس حجري لينحدر بعدها في الوادي والناقوس من البازلت، طوله (197) سم وعرضه (60) سم وارتفاعه (69.85) سم. ويوجد على جانبيه الطولانيين إكليلان على شكل زخرفي مربوطان بشريط كالتي تظهر على النواقيس دائماً، ولكنهما هنا مطموسان بفعل عوامل الطبيعة»[60].

في الجهة الغربية من البلدة يقوم ضريح بسيط متواضع هو مقام (النبي يونس) وأمامه باحة صغيرة. وقد اكتشفت في هذه البقعة بقايا لعدة حجر صغيرة تحت الأرض، مساحة الواحدة منها 2.43م، وارتفاعها ما يقارب المترين، وأسطحها تتكوّن من صفائح بازلتية، وهي على مستوى السطح العلوي للأرض (الشكل 54)، وربما كانت تستخدم لتخزين بعض المواد[61].

أما في شمالي البلدة فتوجد خرائب منها بقايا المسجد المعروف بالعمري الذي كانت باحته الخارجية مرصوفة بالصفائح البازلتية. وبين الخرائب التي شاهدها (شوماخر) قواعد أعمدة عادية من النمط الحوراني (الشكل 55) وبعض كتابات قرآنية منها ما وجد على العتبة العلوية لأحد الأبواب، لكنها مطموسة تماماً ولم يبقَ منها إلاّ كلمة (لا ..... الله). كما وُجد في القرية تاج عمود أيوني (الشكل 56) وقاعدة عمود وجزء من تاجه يحمل زخارف خرزية، وهو من الطراز البدوي. لكن صنعته غير متقنة، وبعض اسطوانات أخرى من الأعمدة البازلتية بطول (152) سم وقطر (35.56) سم. هذا بالإضافة إلى بقايا معاصر الزيتون.

• خسفين:

تقع (خسفين) 10 كم إلى الشمالي الشرقي من فيق، وتبعد عن بحيرة طبريا 14 كم. وكانت بلدة هامة في زمن السيادة العربية. وقد بيّن المسح الاستكشافي الذي قام به (شوماخر) للمنطقة في أواخر القرن التاسع عشر أن هناك بقايا بناء في الطرف الغربي من البلدة بطول (48.5) م من الشمال إلى الجنوب، وعرض (40.5) م من الشرق إلى الغرب، وأنه يوجد مدخل بوّابة عظيمة في الجنوب عرضه (3.50) م وفي الجهة الغربية من البناء باحة مستطيلة الشكل يحيط بها جدار داخلي سماكته (91) سم وجدران خارجية سماكتها بين المترين و(2.75) م، وممرّ في الغرب

عرضه حوالي ستة أمتار، ويرى شوماخر أن طراز العمارة في هذا البناء يعود إلى عصر ياقوت الحموي ويوحي بأنه كان حصناً أو خاناً محصّنا، استخدم لأغراض عسكرية[62].

وفي زمن أبعد من ذلك كانت خسفين مدينة مزدهرة، فالخراب في البلدة يعود أيضاً إلى العصر الروماني، ولم يتبق من هذه الخرائب إلاّ أنقاض تحت الأرض، وأحجار منحوتة وغير منحوتة من البازلت للأبنية المتهدمة يحمل بعضها زخارف رومانية كما في (الشكلين 57 و58) كما أن علامة الصليب تظهر على الحجارة بأشكال متعددة، ومعظمها مدفون تحت الأرض.

ونتيجة للمسوحات التي جرت في الموقع بين حين وآخر وُجدت لقى أكثرها من الزجاج تبيّن أنها ترجع إلى العصر الروماني المتأخر، أو الفترة البيزنطية المبكّرة.

وفي عام 1942 قدمت اكتشافات خسفين «مخطّطات لأربعة وخمسين قبراً بمجملها مدافن فردية» وقام بأعمال الكشف هذه شفيق الإمام، المسؤول عن المتحف الوطني آنذاك مع آخرين مهتمين بالآثار. ولم تكن هناك معلومات أخرى حول أشكال القبور، أو مواضع التقدمات الجنائزية. أما اللقى المكتشفة فهي موجودة في المتحف الوطني بدمشق، وتتألف بشكل رئيسي من الأواني والأدوات الزجاجية، وهناك أيضاً أوانٍ فضية، وحُلى ذهبية، وأحجار كريمة، وعاجيات منحوتة، ومغازل وإبر مصنوعة من العظم أو العاج، وقطع برونزية وأسلحة. وترجع هذه كلها إلى أواخر القرن الثالث والقرن الرابع. وتغلب بين التقدمات الزجاجية «الصحاف الصغيرة والكؤوس والأباريق الصغيرة (الشكل 59). وهناك بشكل متفرّق نموذج قارورة صغيرة ذات زخرفة خيطيّة بشكل متعرّج واسع الانتشار (الشكل 60) وقطعة نموذجية أخرى هي وريقة ذهبية عليها ثمانية عشر سطراً بكتابة يونانية منقوشة في القبر3 إلى جانب رقائق أخرى تتألف من أدعية للآلهة، ونداءات للوقاية من أمراض محدّدة. وعثر في أحد القبور على أربعة صحون، وهناك أيضاً صحيفتان ملفوريّتان[63] في قبر آخر.. «كما يحظى صندوقان صغيران من العاج بأهمية خاصة، ويعودان إلى النصف الثاني من القرن الثالث، عُثر عليهما في القبر (14) يمثل أحدهما «النعم الثلاث»، والصندوق الآخر الأصفر يمثل ولادة أفروديت (فينوس) ولا ريب أن كلا الصندوقين مقدّسان»[64].

أما اللقى الأثرية الموجودة في المتحف الوطني بدمشق، المعروضة في قسم العهود اليونانية والرومانية والبيزنطية، ممّا وُجد في خسفين فهي:

- قدح من زجاج الملفيوري بلون أخضر وبنفسجي، ارتفاعه 3.5 سم وقطره 18 سم مزخرف بألوان صفر وحمر وخضر.
- قدح صغير من الزجاج الحليبي اللون، ارتفاعه 5.5 سم، وقطره 10.6 سم.
- تمثال برونزي يمثل ربّة الجمال فينوس[65] من العصر الروماني.
- إناء برونزي على شكل فيل، طوله 22.5 سم.
- إناء زجاجي مغزلي الشكل بلون أصفر، ارتفاعه 31 سم وقطره 6 سم.
- حق زجاجي أخضر اللون له عروتان، ارتفاعه 42 سم وقطره 10.5سم.
- صحن فضي قطره 18 سم.
- صحن من زجاج الملفيوري بلون أزرق قاتم ارتفاعه 3,8 سم، وقطره 25.5سم مزخرف بأزهار زرق، تحوطها إطارات بيض.
- صحن صغير من زجاج الملفيوري بنفسجي اللون، ارتفاعه 1.1 سم وقطره 11 سم مزخرف بأزهار من اللونين الأخضر والأزرق إلى جانب اللون الأبيض.
- صحن زجاجي ارتفاعه 4.3 سم وقطره 30.5 سم.
- صحن من الزجاج الحليبي اللون.
- طاسة من الزجاج الحليبي اللون لها مقبضان، ارتفاعها 6.6 سم وقطرها من الأعلى 24 سم، ومن الأسفل 14.4 سم.
- مجموعة من الإبر والمغازل العظمية.
- أدوات تستخدم في الطب والجراحة بأشكال مختلفة من ملاقط ومباضع وملاعق ودبابيس مصنوعة من البرونز.
- مشبك ذهبي من الصفيح المضغوط (الشكل 61).
- خاتم ذهبي وقفل عقد.
- قلادة مؤلفة من 21 قطعة على شكل أجنحة، عُثر عليها في القبر (41) «وتشكّل هذه القلادة نظائر كثيرة لها على أراضي الإمبراطورية الرومانية التي يعود بعضها إلى القرن الثالث.

- سيف من الحديد عُثر عليه في القبر (3)، له غمد من العاج، أما طوله فيبلغ 79 سم وبداخله نصلة مكسورة طولها 52 سم وعرضها 4 سم.
- مجموعة من العلب المصنوعة من العاج والعظم تستخدم لحفظ المجوهرات، وُجدت في القبور 2 و3 و17 و18 و24 و34 و44، منها:
- علبة مجوهرات من العاج اسطوانية الشكل، ارتفاعها 10.5 سم ينتهي غطاؤها بقرص مستدير.
- علبة مجوهرات رباعية الشكل طولها 22.5 سم تقوم على أربع قوائم اسطوانية، غطاؤها المحدّب مزيّن بنقش يمثل ربّات الطبيعة الثلاث (أو النعم الثلاث، كما مرّ من قبل) وهنّ متعانقات عاريات، ضمن إطار من الزخرفة النباتية (الشكل 62).
- صندوق صغير من العاج مستطيل الشكل، طوله 30 سم وعرضه 10 سم. غطاؤه مزيّن بمشاهد نافرة تمثّل الربّة فينوس، يحيط بها كيوبيد واثنان من الكائنات البحرية والمخلوقات البشرية. وتبدو في اليمين نيريئيد يحملها وحش مجنّح، وفي النهايتين تبدو الربّات النريئيدات في إطار نصف مستدير (الشكل 63)[66].

ومن الآثار المكتشفة في خسفين: «تمثال برونزي صغير يمثّل فينوس واقفة عارية تستر جسمها بيسراها، وترفع يدها اليمنى إلى الأعلى وقد زُيّن عنقها بطوق ذهبي، ومعصم كل من يديها بسوار، وكل من رجليها بخلخال»[67].

• كفر الما:

تقع (كفر الما) في الجهة الشرقية من جنوبي الجولان، وإذا كان الموقع القديم يمتدّ فوق حقل واسع غربي البلدة يضم حجارة بناء، إلاّ أن الخرائب الكثيرة توجد في أراضيها، منها حجارة بناء قديمة بازلتية بأعداد كبيرة، معظمها غير منحوت، وهي مكوّمة على شكل تلال منتظمة، ومنها تيجان أعمدة كورنثية مزخرفة، واسطوانات أعمدة، وكوّة كاملة مقنطرة فيها زخارف شعاعية تشبه الصدف وزخارف خرزية.

ومّما اكتشفه الفلاحون في القرية واطلع عليه (شوماخر)[68] تمثال ارتفاعه (96.5) سم محفور بشكل نافر في حجر بازلتي لرجل تمسك يده اليمنى قضيباً تلتف عليه أفعى (الشكل 64) ويتكون لباسه من قميص على شكل حراشف من الزرد يغطّي الصدر ويصل حتى الركبة ورأسه معصوب بنوع من جديلة حبل ثلاثية اللفّات، وتحمل يده اليسرى نوعاً من سهم ذي ريش، وفي ذراعه سوار عريض. ويقف التمثال على أرضية بارزة من الحجر البازلتي ارتفاعه 91 سم وعرضه 50 سم وسماكته 86.5 سم. كما عثر الفلاحون على كتلة مزيّنة بالتماثيل ينتصب فوقها مذبح صغير من البازلت، ارتفاعه (61) سم على قاعدة مربعة ضلعها (23) سم وفيه تجويف مستدير قطره (11) سم في وسط سطحه العلوي زخارف تشبه زخارف التمثال (الشكل 65)، وكل ذلك بعمل فنّي متقن مما يدل على أن المكان قديم وأنه كان مهمّاً فيما مضى، وأنه كان غنيّاً بالمباني المعمارية. كما أن في البلدة عدداً من المدافن التي يعود تاريخها إلى العصر الروماني والبيزنطي[69].

أما في أسفل البلدة، فهناك نبع غزير بنيت فوقه قنطرة ترتفع فوقها صخور بازلتية ضخمة. ويتدفق ماء النبع في حوض حجري ليجري بعدها عبر قناة قديمة لري البساتين، ويبدو كل ذلك بعمل فني متقن.

• الحسينية:

هي في الشمالي الشرقي من سهل البطيحة الذي يؤلف الحافة الشرقية في شمالي بحيرة طبريا، والتي كانت في أواخر القرن التاسع عشر مغطّاة بالخرائب والأنقاض على امتداد كبير. ويستدل على أن المباني في الحسينية كان قد استخدم في إنشائها الأحجار البازلتية المنحوتة والملاط، وكذلك الأحجار الطبيعية. ويعود ذلك إلى العصر الروماني.

وقد كشف البدو فيها مبنى يبدو من مخططه أنه كان حماماً (الشكل 66) وتتكوّن أرضية الحجرة الرئيسة فيه (غ) من مستويين مختلفين: العلوي الذي تبلغ سماكته بين (2.5 — 5) سم، وهذه الطبقة مكوّنة من أحجار صغيرة ممزوجة بالملاط. وعلى عمق (58.50) سم توجد أرضية من الألواح البازلتية. ويستنتج (شوماخر)[70] من هذا ومن الجدران المحيطة به أنه خضع لفترتين معماريتين

(الرومانية والإسلامية) كما أن البقايا تحت الأرضية في الجوار والمزوّد بمشغولات على شكل خلايا (الشكل 67) والتي توجد قربها قطع من حلية معمارية رومانية (الشكل 68) تشير إلى أنها بُنيت أيضاً على النمط الحوراني ؛ لأن جميع المشغولات من هذا النوع يبلغ ارتفاعها (48.25) سم، وبالعرض نفسه، وفوقه ينتصب قوس من حجر ليشكّل معاً جداراً ارتفاعه (197.60) سم موجودة في جميع أنحاء حوران.

• الدوگـة :

تقع (الدوگـــة) بالقرب من نهر الأردن شمالي البطيحة مباشرة. ويقوم الموقع القديم إلى جانبها على مرتفع صغير. ومن آثارها المتبقية بين الخرائب مطحنة مخرّبة وقناة، ومعالم مبنى قديم خطوطه مستقيمة، وأحجاره البازلتية منحوتة بعناية، طوله (16.75) م وعرضه (10) أمتار. ويبدو ممّا تبقى من آثار منه أنه كان محاطاً بجدران خارجية بسماكة (91) سم (الشكل 69). وللمبنى في الزاوية الشمالية الغربية مدخل يقود إلى الداخل، حيث توجد مجموعتان من الدرجات في أنحائه بارتفاع (45.72) سم.

وبين الجدار الخارجي والدرجات على الجانب الشرقي عمودان قائمان من البازلت ارتفاع الواحد منها (1.52) م ومثلهما أربعة أعمدة في الحجرة الداخلية، أي إن المبنى كان محمولاً على أعمدة.

أما الزخارف والنقوش فتبدو على الجدران والأعمدة ؛ منها نقش محفور بارز على حجر بازلتي (48×3) سم لامرأة مجنّحة (الشكل 70) وزخارف تمثل أشكالاً دقيقة ووروداً وعناقيد عنب (الشكل 71) وأعمدة لولبية مزدوجة (الشكل 72) وزخارف هندسية (الشكل 73 و74). وهناك بعض اسطوانات أعمدة ملساء تكشف كلّها عن الطابع البيزنطي.

ويقول (شوماخر) بأنه إذا كان هناك ما يدلّ على بقايا كنيس يهودي، فإنه ليس من الجرأة الكبيرة أن تعدّ (الدوگـــة) من ضمن المباني اليهودية[71].

• الكرسي :

هي قرية تقع على الساحل الشرقي لبحيرة طبريا عند أقصى عرض لها. بدأ السكن الحديث فيها منذ بداية القرن العشرين. وكانت من قبل خرائب. تعود بقايا ما فيها من أحجار بناء مبعثرة وأساسات إلى حقبتين قديمتين: الأولى يرجع تاريخها إلى زمن السيد المسيح، وكانت تعرف بكورة (الجرجسيين) كما جاء في إنجيل (متّى) «8 : 28» وأصبحت تعرف باسم (جرجسية) في العصر الحديث، وحقبة ثانية أحدث من الأولى، وقد تكون رومانية أيضاً.

تميّزت آثارها بغرفها المربّعة، وجدرانها العالية التي تحيط بها بسماكة 91 سم والمبنيّة من حجارة صغيرة مثبّتة بالملاط. ويستدل من الخرائب والأنقاض أنه كان هناك برج مستدير، وبقايا قناة. وإلى جوار البلدة التي تحتوي على الصخور الكلسية توجد عدة كهوف طبيعية كبيرة[72].

• سكوفيا :

تقع سكوفيا في الشمال الغربي من فيق على مرتفع يطلّ على الشاطئ الشرقي لبحيرة طبريا، وقد وُجد فيها منذ المسح الذي قام به (شوماخر) كهوف محفورة اصطناعياً في الجهة الشرقية من البلدة، ومساحة هذه الكهوف (4) م^2 ويتم الوصول إليها بدرجات. ووُجد أيضاً بعض الأساسات الحجرية القديمة لمبنى مستطيل الشكل قرب المقبرة، ويدعى القلعة، كما توجد عدّة خزّانات مهدّمة وأشكال لصلبان محفورة حفراً نافراً على بعض الحجارة. وهناك في القرية عدد كبير من الكتابات النحاسية المطموسة، والتي تبدو غير مألوفة[73].

وقد ذكر لي بعض النازحين من أهالي البلدة بعد نكسة حزيران 1967 أنه كان في سكوفيا آثار لكنيسة بيزنطية وقد حوّلت فيما بعد إلى مسجد، كما كان فيها أجران من الحجر ومعاصر زيتون، ومقابر قديمة.

• كفر حارب:

هي قرية تقع إلى الجنوب الشرقي من فيق، وتطلّ من على جرف بازلتي على الشاطئ الشرقي لبحيرة طبريا. وتبدو على شكل نصف دائرة، وتنبثق عند أسفل الجرف عدة ينابيع غزيرة محاطة بمبانٍ حجرية.

ومع أن البلدة فيها الكثير من حجارة البناء القديمة، من بقايا الماضي، إلاّ أن الآثار المتبقية قليلة فيها؛ فممّا يعود إلى العصر الروماني رسوم زخارف منقوشة على الحجارة التي تستخدم عتبات عليا للأبواب، وهي تمثّل زخارف من ورود وغيرها (الشكل 75)، وكتابة يونانية محفورة على أحد الأحجار (الشكل 76)، وغرف صغيرة تحت الأرض، أبعادها (198 — 152) سم وعلى ارتفاع (150) سم، مبنيّة من أحجار منحوتة ودون ملاط، كانت تستخدم — على ما يظنّ — مدافن للموتى. وهناك آثار طريق رومانية يحاذيها بقايا جدار.

أما طوابع الآثار الإسلامية فتبدو في الخان الذي يقع في الجانب الغربي من البلدة، وكان مخصصاً لاستراحة القوافل، وضريح بسيط للشيخ محمد العجمي في الجنوب، وآثار مسجد لم يبقَ منه غير الجدران، وكتابة عربية مطموسة[74].

• أم القناطر:

هي قرية تقع على الحافة الشرقية لبحيرة طبريا، إلى الشمال الشرقي من أراضي (البطيحة). يتدفق في الجهة الجنوبية منها نبع غزير من بين الصخور ليشكّل ما يشبه الحوض، أُقيمت فوقه قوسان من الأحجار المنحوتة المبنيّة بدقّة دون ملاط وهي على ارتفاع (4.86) م (الشكل 77). وأحجار قوس النبع مرتّبة بالطريقة التي يمثلها (الشكل 78). وفي أسفل أحد الأقواس وُجدت كتابة لكنّها مشوّهة تماماً. واستُخرجت من الأرض حلية معمارية على شكل أسد (الشكل 79).

وفي شمالي النبع كومة من الخرائب تعلوها صفائح بازلتية كبيرة بشكل غير عادي، ربّما كانت تغطي قبوراً تحتها. وهنا عُثر على حلية نُحت عليها رسم نسر بشكل نافر (الشكل 80). وفي المكان نفسه تقوم بقايا مبنى كبير مستطيل الشكل مساحته (14.60) م^2، وله باب بعرض (182) سم، وحجارته المنحوتة بعناية تتوضع بأكوام كبيرة مما جعلها تخفي أرضية المبنى. ويمكن أن نميّز بأن درجاً كان يمتدّ

حول الغرفة الداخلية، وأن المبنى كان محاطاً برواق مسقوف على شكل قناطر. أمّا قطع أعمدة البازلت العديدة التي يبلغ قطرها 48 سم فهي متنافرة في الأسفل.

ومن الأشكال الزخرفية التي عُثر عليها ما يمثّل كوة مزخرفة (الشكل 81) وقاعدة نصف عمود (الشكل 82) وحجر مشكّل بصورة غريبة (الشكل 83) وزخارف متنوّعة على أحجار البناء، منها (الشكل 84).

وحيث أن هذه الآثار تفتقر إلى أية كتابة، وأنها إذا وجدت فإنها مطموسة فإن من الصعب أن نحدد كما يقول شوماخر، الحقبة المعمارية التي تنسب إليها[75].

• الدويـــر:

تقع الدوير في أقصى جنوبي الجولان قريبة من المكان الذي يدخل فيه نهر اليرموك غور الأردن، ويحيط بها من جانب النهر جدار صخري شديد الانحدار سماكته (91) سم مبنيّ من حجارة غير منحوتة يصل بينها الملاط. ويبدو أن الموقع كان يضمّ بضعة مبان مستطيلة الشكل، كما يكشف المرء بقايا خرائب على القاعدة الجنوبية للتلّة المشرفة على اليرموك مباشرة.

وفي وسط الهضبة دائرة حجرية يدوية قطرها (4,86) م يُحدَّد الشرق والغرب فيها بوساطة حجر كبير، وفيها منخفض عمقه (152) سم تحت مستوى السطح، كما توجد بقايا لقبور بدوية على سطوح التلال، وكل ذلك يعود إلى الزمان العربي.

وكانت (الدوير) كما يرى (شوماخر) تُستخدم كنقطة مراقبة لمداخل وادي اليرموك، ونقطة دفاع عن هذه المداخل.

ولا ريب في أن هذا الموقع قد لعب دوراً بارزاً في المعركة التي وقعت بين المسلمين والبيزنطيين سنة 635م[76].

• عيـــون:

تقع (عيون) في الطرف الأقصى من جنوبي الجولان، على الحافة الغربية لوادي مسعود. وكانت البلدة القديمة تغطّي مساحة عدة هكتارات، وفيها بقايا من أحجار البناء البازلتية غير المنحوتة ما يعود إلى الأزمنة الحديثة والوسطى والقديمة؛

فمن بقايا العصور الإسلامية جدران أساسات المباني، ومن بقايا العصر الروماني اسطوانات الأعمدة البازلتية، وطول الواحد منها 152 سم وقطره (30.48) سم. وهناك أيضاً مخازن القمح القديمة، ويحمل حجر بازلتي قديم طوله 71 سم كتابة يونانية (الشكل 85)[77].

• قلعة الحصن : (الشكل 86)

لم يصف قلعة الحصن أحد بأفضل مما وصفها (شوماخر). فهي جبل غربيّ فيق يطلّ على بحيرة طبريا، تغطّيه الخرائب، محاط في الشمال والجنوب والشمال الشرقي بخوانق صخرية عميقة؛ فيشكّل حصناً طبيعياً نادر الوصف. وفي الجنوبي الشرقي يتّجه حرف جبلي ضيّق جداً هو ظهر الأحمر المحاط بجدران بازلتية على ارتفاع (18.24)م و(2128) م لينحدر بعدها إلى عمق كبير، ولكن بصورة تدريجية. أما الجدران الجنوبية التي تحضن الحرف بسماكة (3.64)م، من الجنوب والغرب والشرق فهي مبنيّة بالحجر الكلسي والحجر البازلتي والملاط، وفي هذه الجدران حلّي زخارف معمارية بارزة.

وبعد الجدار الشرقي يمكن أن يلاحظ المرء كومة أحجار ربّما كانت بقايا برجين (ب) و(ج). ارتفاع الثاني منهما يبلغ (7.50) م، يحيط به جدار منفصل. ووجود حجارة القناطر العديدة التي يشبه مقطعها أقواساً حجرية، وقطع الأعمدة والأفاريز يدلّ على أن بناءً مقنطراً كان ينتصب هناك. كما أن وجود عدة نواويس في الفجوات الصخرية خارج الجدار في الناحية الشمالية يدل على أن المبنى مخصص للقبور، وقياس النواويس المكوّنة من الحجر الكلسي هي بين (1.50 — 2) م طولاً و(61) سم عرضاً و(50.80) سم ارتفاعاً، ومغطّاة جزئياً بصفائح بازلتية (الشكل 87 و88) وتتّجه جميعها من الشمال إلى الجنوب، وأحد هذه النواويس مصنوع من رخام (عجلون) ومنحوت بعناية، وإلى جانبه من الشرق يقوم رواق مقنطر مع حلية معمارية وردية الشكل، ولوح كتابة لم يدوّن عليه شيء. ويوجد على الناووس حلية معمارية. وهي تبدو كغيرها من عمل يد غير مجرّبة. وهنا يسوّغ (شوماخر) عدم إتقان هذا العمل بأنه يمكن عدّه زخرفة رائدة من الحقبة المعمارية اليهودية في بداية العصر المسيحي.

وبعد حوالي خمسين متراً من البرج (جـ) إلى الشمال توجد بوابة حجرية تغلق إحدى الممرات المشقوقة في الصخر، وبذلك يمكن إغلاق الطريق المؤدية إلى أعلى الحصن، مما يحميه من أي هجوم، لأن الجدران الصخرية على جانبي البوابة منحدرة بشدّة إلى الأسفل، إلى جانب وجود الخنادق الصخرية قبل البوّابة.

ويمتد الجدار في الغرب ثم ينحرف نحو الشرق — وبناؤه هنا أقل متانة — ويظلّ في صعود نحو الشمال إلى أن يصل بوابة القلعة، وهي بعرض (3.64) م وعلى الجانبين منها جدران بازلتية مدعومة بملاط أبيض، وبسماكة (4)م. وتمتد هذه الجدران حول حوافي الهضبة، وهي مخرّبة جزئياً.

وابتداء من البوابة وبعرضها، يمتد شارع مرصوف بصفائح البازلت بخطوط مستقيمة حتى يصل إلى جدارها في الشمال الغربي، وهو محاط بخرائب ضخمة من الجانبين؛ من أساسات مربّعة، وقطع أعمدة، وأشكال مطموسة. أما البرج المنفرد بعد البوابة فمهمته مراقبة هذا المدخل. والجزء الجنوبي هنا كانت جدرانه قوية إلى حد ما وسماكتها (1.37)م ولكنها على ارتفاع (2.90) م وهي مبنيّة فوق جرف من الصخور البازلتية العمودية التي تنحدر بعمق (3.50)م. وضمن هذه الجدران كان هناك برجان قويان، وبرج آخر مهدّم في الزاوية الجنوبية للسور.

ويصل طول الهضبة (500)م وعرضها في الأسفل (أي الجنوب) (110) م وفي الوسط (240)م. وفي الأعلى (130) م.

وقد تبقى من أثار الخرائب في أرجاء الهضبة أحجار البناء الكبيرة المنحوتة التي تآكلت بفعل الطقس، وقواعد أعمدة وتيجانها من الطراز الأيوبي والكورونثي والدوري في الفن اليوناني. أما زخارف الأعمدة العلوية المخروطية التي تحل محل التيجان (الشكل 89) فهي وفيرة جداً، كذلك سيقان الأعمدة المجوّفة (الشكل (90) وحجارة الأقواس كما في الشكل (91)، وقطع من أنابيب ربما كانت بقايا قناة (الشكل 92) وجميعها من البازلت. ومن الآثار أيضاً ما وُجد من حليات معمارية، منها ما يمثله (الشكل 93) الذي تبدو فيه أنصاف دوائر وفراغات.

ويُستدل من الخرائب، ومن الأساسات الظاهرة المتراصّة القريبة من بعضها بعضاً أنه كان في الهضبة عدد كبير من المباني المتقاربة؛ من ذلك مبنيان كبيران يقعان

بالقرب من الشارع الرئيس في منتصف الهضبة، ويحتفظان بأكثر أجزائهما، المبنى رقم (1) (الشكل (94). جداره الشرقي يطلّ على الشارع وكان متّصلاً بقنطرة مع مبنى مهدم يقع إلى جانبه، وبالقرب منهما عمود من الغرانيت طوله (4.10) م وقطره (49) سم وأعمدة أخرى من الغرانيت أيضاً يتراوح طولها بين (1.52 — 1.97)م. وغربي المبنى الأول يقوم المبنى رقم (2) على مخطط أرضي مستطيل الشكل، متين البنيان حجارته منحوتة، وفي جانبه الشرقي تجويف عرضه (48.5) سم (الشكل 95). ولم يتّضح تماماً لأي شيء كان يستخدم هذا المبنى.. وهنا تتناثر أيضاً قطع من أعمدة كبيرة، وإلى الشرق من الفجوة يوجد خزّان كبير ممتلئ تماماً، طوله (17.90) م وعرضه (5.24)م وارتفاعه (8.60)م يمكن الوصول إليه من الشرق عن طريق درج. وربما كان يملأ في الماضي من ماء النبع عن طريق قناة، كما أنه كان يوجد خزّانات كبرى غيره في غربي الهضبة وشمالها.

وتشير الحفريات العديدة في الأرض إلى أن هذه المدينة كانت تحتوي على غرف تحت الأرض كالتي عُثر عليها في شمالي الهضبة، وقد تبيّن أن هناك درجاً صغيراً يقود إلى تجويف أرضي يحتوي على غرفة واسعة محمولة على أعمدة، وجدرانها من الأحجار البازلتية المنحوتة بالأزميل والمطرقة ودون أي بلاط أو طلاء. وربّما كانت هذه الحجرات تحت الأرض تُستخدم ملاجئ أثناء الحصار. ولا بد أنه كانت هناك مخارج سريّة عبر ممرّات في الهضبة، وإلاّ لّما كانوا قد بنوا هذه الحجرات قريباً من أسوار الحصن حيث يمكن النزول أو الهرب منه.

• الحمّــة :

تقع (الحمة) في أقصى جنوبي الجولان على الحدود الأردنية حيث يمر نهر اليرموك في سهل جنوبي البلدة ينخفض (156) متراً عن سطح البحر.

وتتميّز الحمة بما وهبتها لها الطبيعة من ينابيع باردة وساخنة. وهذه الأخيرة أخذت شهرتها من مياهها المعدنية التي تتفاوت بدرجات حرارتها؛ فما يعرف بـ(الريح) درجة حرارته 36° و(البلسم) 40° و(المقلى) 47°. ولهذا عملت الحكومة السورية أيام الانتداب على إنشاء حمامات منظّمة من هذه المياه، بما أقامته لها من أحواض ضمن مبان خاصة، وما يستلزم ذلك من خدمات.

وتاريخ الحمّة قديم، فقد سكنها الكنعانيون منذ الألف الثالث قبل الميلاد، أي في عهد الدويلات العمورية الكنعانية «في العصر البرونزي الأول ومطلع البرونزي الوسيط، ويبدو أن عصر البرونزي الأخير لم يترك آثاراً معروفة فيها»[78].

والحمّة غنيّة بالآثار، وخاصة في الجزء الغربي منها؛ وهو ما ذكره (شوماخر) بدقّة خلال المسح الذي قام به في الجولان. فهناك ما يدلّ على أنه كان هناك معبد أو قلعة، وبقايا حمام روماني، ومبنى قويّ ذو أقواس، وحجارة بناء منحوتة وغير منحوتة، وضريح إسلامي للولي سليم، وقطع من الأعمدة وتيجانها وقواعدها، كما في (الشكلين 96 و97) اللذين يمثلان الطرف العلوي من عمود، وتاج عمود من الطراز الأيوبي. كما تبدو بقايا مسرح روماني بمدرّجه الذي يرتفع عن الأرض بمقدار (5.75)م. ويتألف من اثني عشر صفّاً من المقاعد الحجرية (الشكل 98) ويتسع لألف وخمسمائة متفرج، ويبلغ ارتفاع المقاعد (45.70) سم (الشكل 99)، وعرضا (77.50) سم. وتتشكّل الحافة العلوية من حلية معمارية مقسّمة إلى عدة أفاريز ضيّقة ومسطحة. ويبلغ قطر صفوف المقاعد نصف الدائرية (26)م. والمسرح مرفوع على حليات معمارية (الشكل 100 و101)، وطوله وعرضه متساويان (10) م وتحيط بالجميع جدران سماكتها (98.8) سم. أما غرف اللباس وخزائن الثياب وغيرها التي كانت إلى جانب المسرح فقد أصبحت أنقاضاً بفعل الزلازل التي خرّبت أيضاً صفوف المقاعد وأزاحتها عن مكانها. وفي غربي المسرح تقوم تلّة صغيرة على ارتفاع 8 أمتار لتشكّل ما يشبه الجدار[79].

«وقد قامت المديرية العامة للآثار والمتاحف في سورية خلا عام 1962 — 1964 بترميم أجزاء المدرّج وجدران الحمامات القديمة القائمة فيها، كما عملت على صيانة القطع الأثرية المنحوتة من الرخام التي عثر عليها خلال الحفريات، وقد تعرضت معالمها القديمة ومدافنها الأثرية للنهب والتشويه»[80]. ومن الآثار التي عثر عليها في الحمّة «لوحة فسيفساء هامة»[81]. ومن الشواهد المتبقية منذ أيام الغساسنة آثار كنيسة متهدمة «شيّدت على اسم القديس سرجيوس»[82].

وتحيط بمنطقة الحمّة من الجهة الشمالية جدران صخرية تصل إلى ارتفاع بين (24 — 27) م تنحدر مباشرة بشكل عمودي إلى سهل الحمّة المنبسط الذي يخترقه

نهر اليرموك، وتتشكّل في ثنايا هذه الصخور كهوف طبيعية كانت تتخذها كما يبدو في الماضي السحيق كائنات بشرية مساكن لها، وهو ما يستدل عليه – من فحص التربة على عمق يقارب المتر – من وجود عدد كبير من بقايا العظام الحيوانية والبشرية، مع وجود نفايات ناعمة من فحم الحطب.

أما في الجهة الغربية من المنطقة فالجدران الكلسية فيها تصل إلى ارتفاع (20)م والكهوف فيها شديدة الانحدار، وهي ذات حجرات وفتحات مربّعة (الشكل 102) كان يلجأ إليها أو يستخدمها الإنسان القديم، وهو ما تدلّ عليه آثار الفعل الإنساني في الأعمال الحجريّة[83].

مواقع أثرية أخرى:

وأخيراً نقول إن قرى الجولان كلها وبلداته غنية بالآثار، حتى أنه من النادر أن تخلو واحدة منها من موقع أثري يحتفظ بمخلّفات الماضي وبقاياه. ومن هذه المواقع في الأرض المحتلّة :

جباتا الزيت، مجدل شمس، عين قنية، زعورة، عين فيت، واسط، الدلوى، باب الهوى، المنصورة، الدبورة، سكيك، سلوقية، قرحتا، السبتّة، الغادرية، المغيّر، الجويزة، فزارة، راوية، الدلهمية، قصرين، خربة العرايس، تل زاكية، العرج، جرماية، تل المنطار، الكواير، ناب، سوسيه، الياقوصة، سمخ.

ونذكر الآن الخانات، وضرائح الأولياء، والأديرة التي كانت قد أنشئت في مثل هذه المواقع المحتلة من الجولان، عدا ما مرّ معنا منها من قبل.

• الخانات :

خان الجوخدار، خان (سكيك)، خان بندق، خان الشعبانية، خان العقبة، خان (الكواير)، خان (خربة العاشق)، خان البراق (شمالي قلعة الحصن).

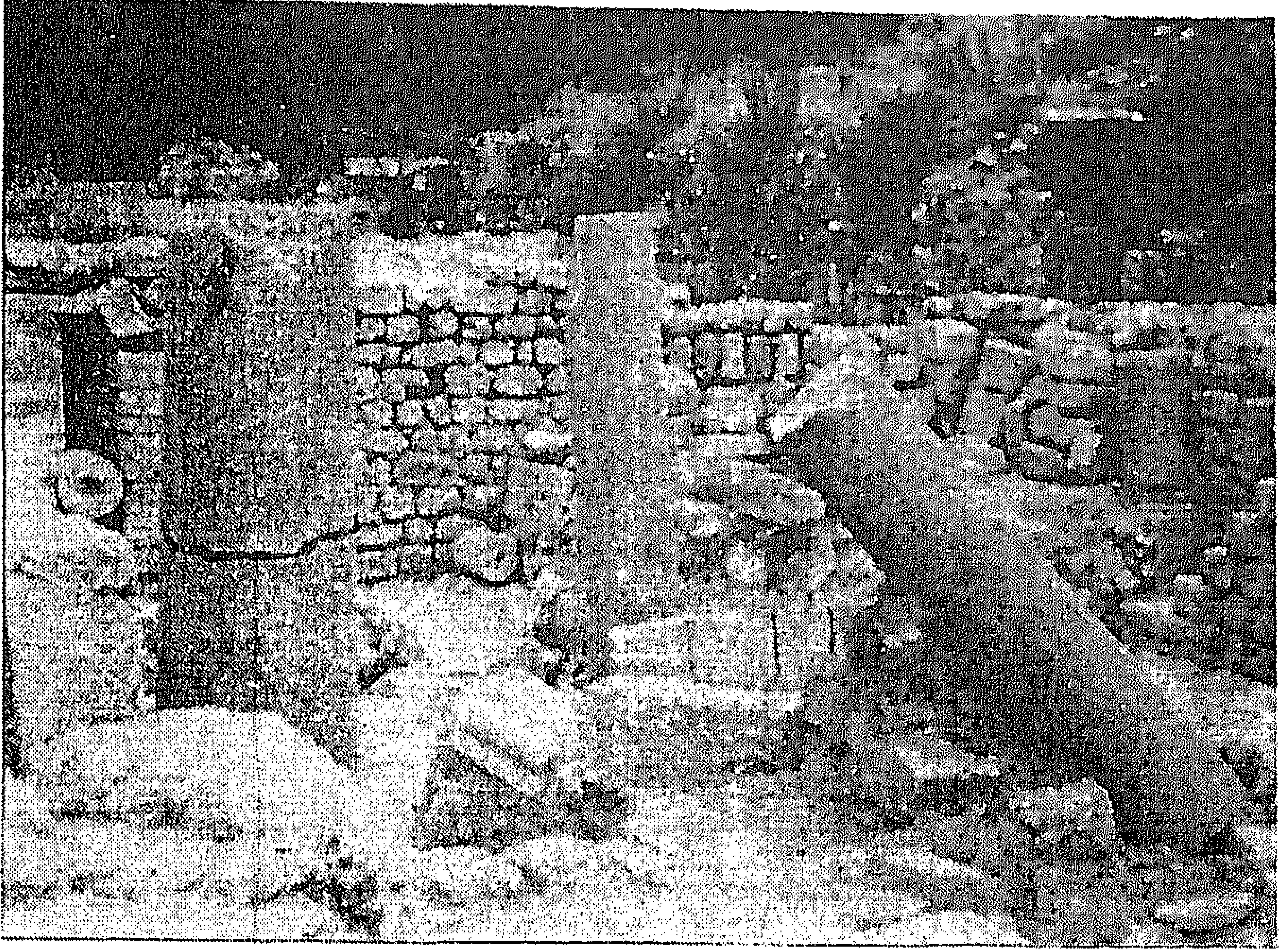
• ضرائح الأولياء الصالحين:

وجدت قبور لأولياء الله الصالحين في كثير من قرى الجولان؛ منها: عِلْمين، والجميزة، وقبة الفرع، وسرعة، والشيخ خليل، وتل أبو زيتونة، وتل الشيبان، والعليقة، وأم العجاج بالقرب من البطيحة.

كما أن هناك قبراً لأحد شيوخ الأتراك الصالحين محمد المخفي في خربة المخفي بالقرب من القنيطرة، ومقاماً للولي المبجّل حسن الجزار في تل الفرس، وضريحاً للشيخ إبراهيم في وادي الشيخ إبراهيم بالقرب من اليعربية، وضريحاً لولي الحطب محمد في حيتل، وضريحاً باسم (العجمي) في زعورة، وضريحاً للولي مرزوق في عيون مخلدة جانب قرية العليقة.

• الأديـــرة:

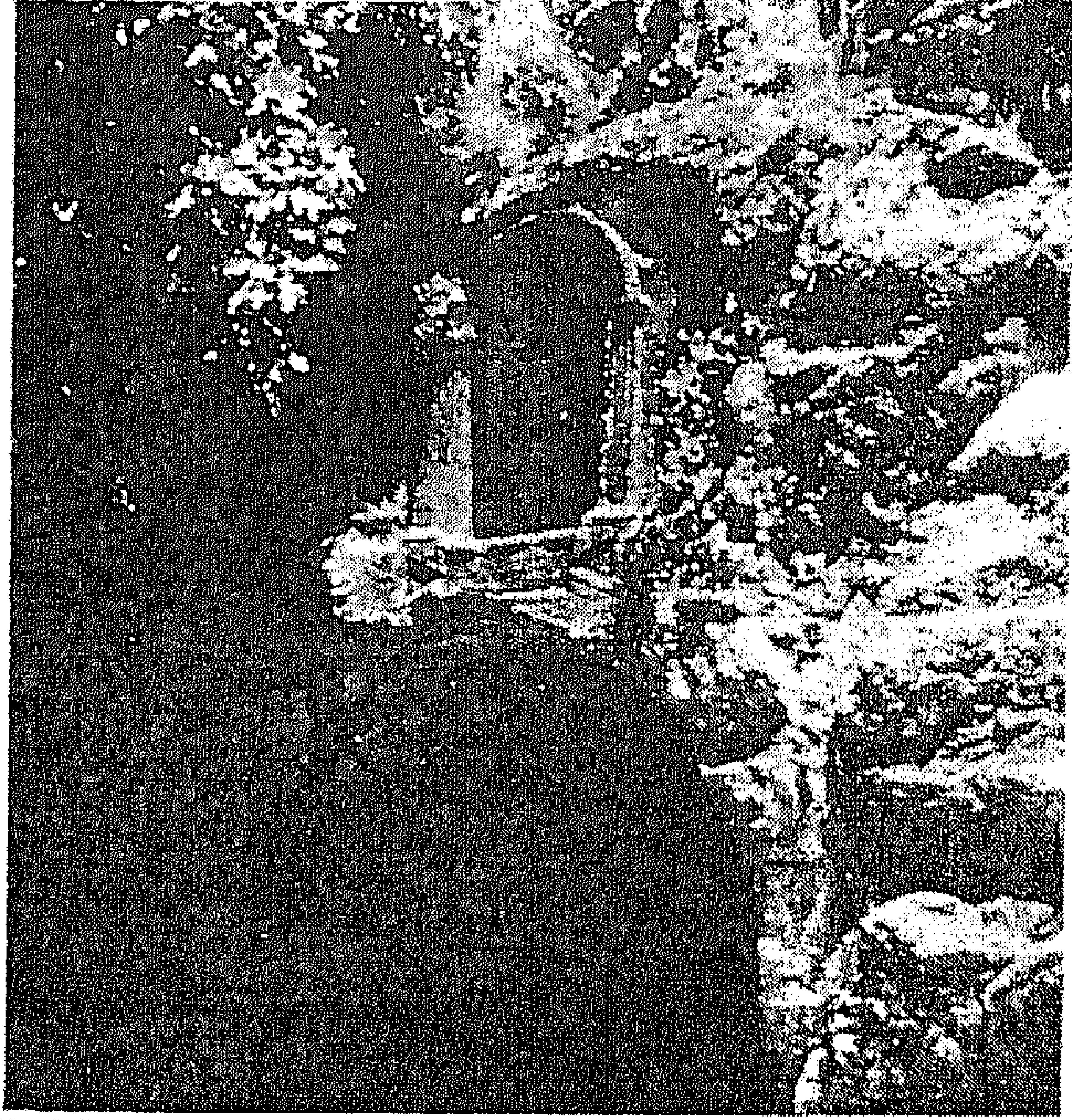
من المواقع الأثرية التي أنشئت فيها أديرة في الجولان: دوير اللوز، وقد عثر في خرائب هذا الموقع على بقايا كنيسة من أيام الغساسنة ولم يبقَ أي أثر لهذه الأديرة في المواقع الأخرى مثل دير الراهب (جنوبي نعران)، ودير عزيز في وادي الشقيف (في الطرف الجنوبي من المنطقة الوسطى في الجولان) ودير السباع (جنوبي كفر لما) ودير سراس (بالقرب من وادي دبورة).

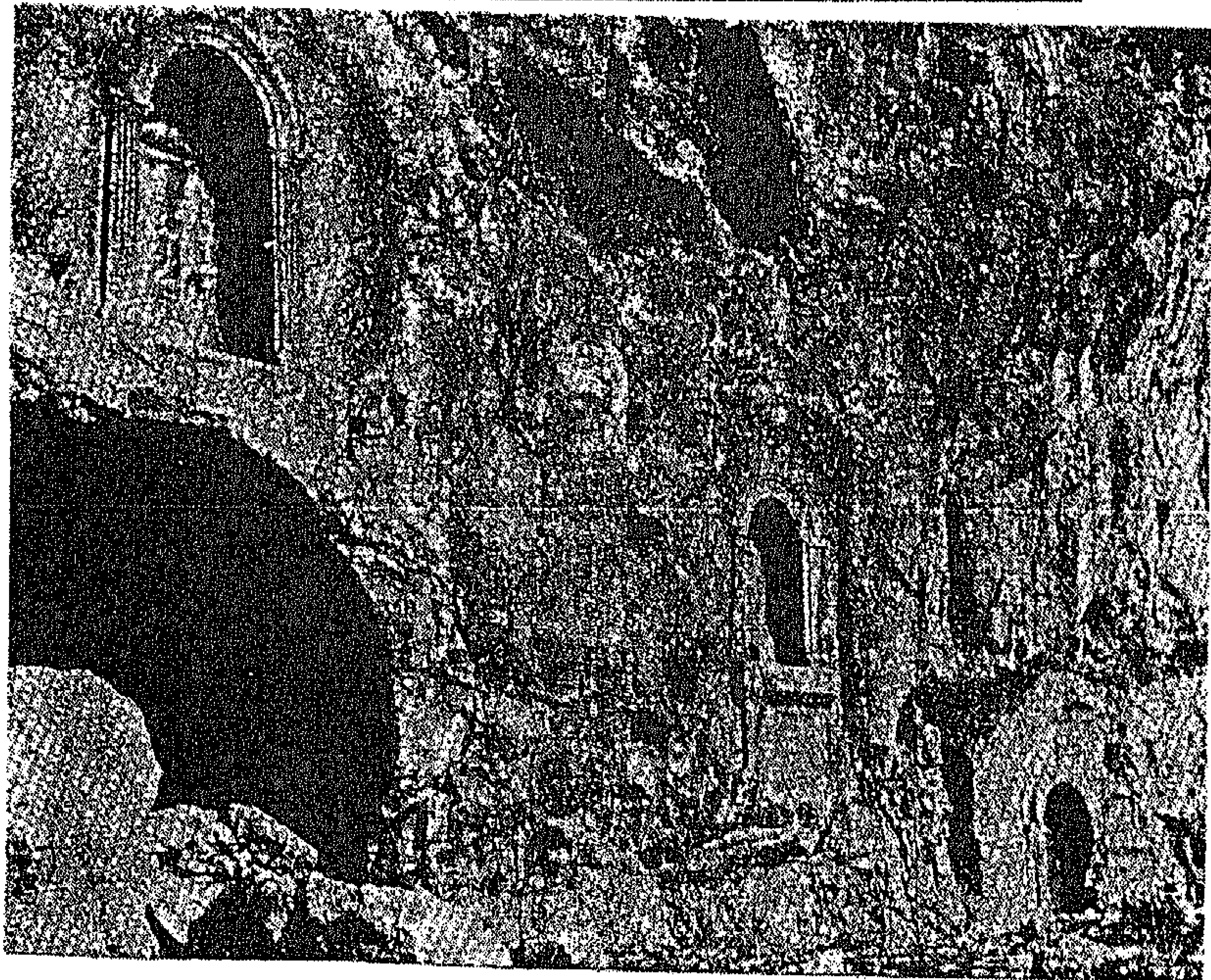


(شكل 1) من آثار بانياس: بقايا مبانٍ وأعمدة رومانية (صورة تنشر لأول مرّة)

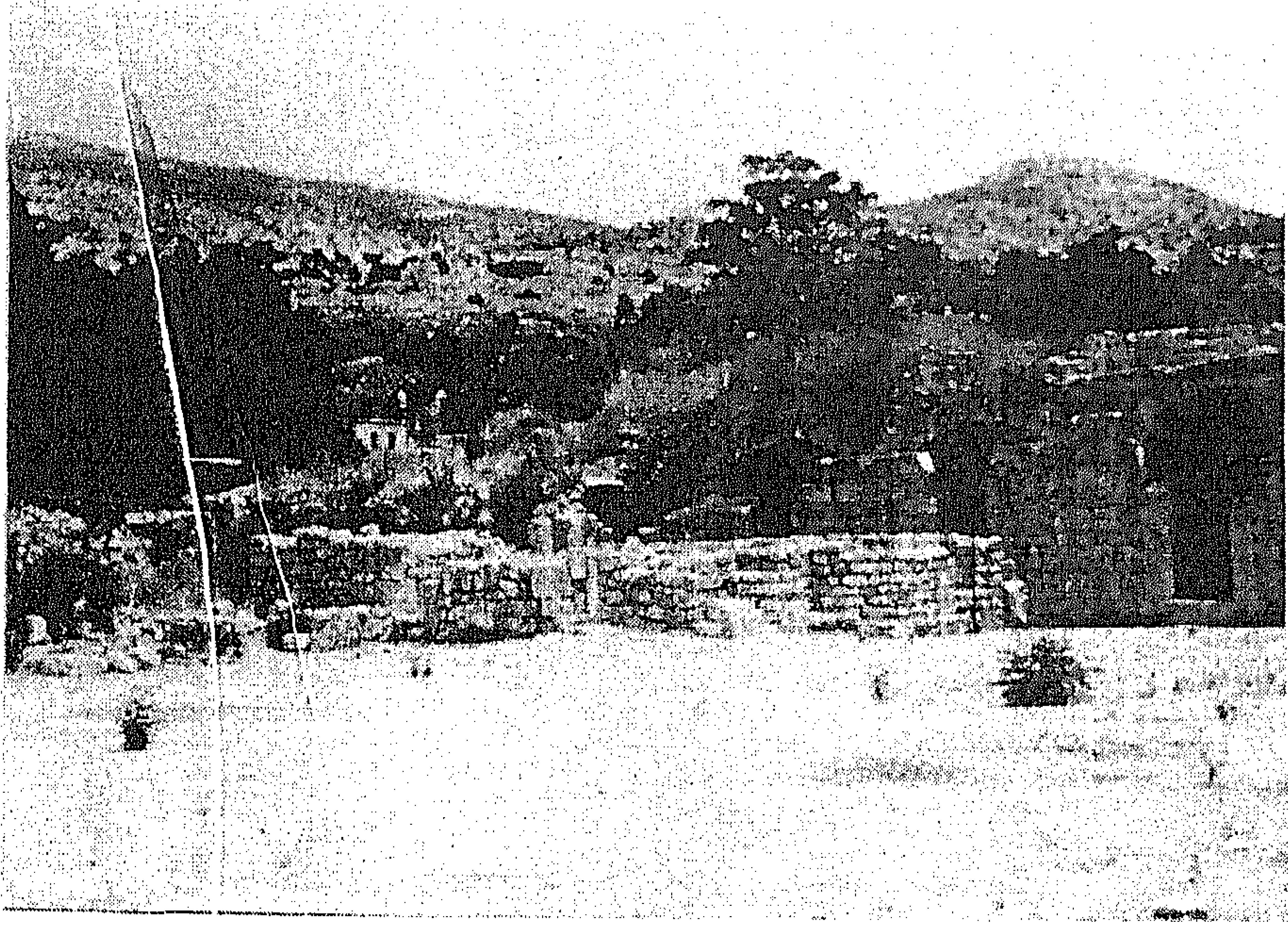


(شكل 2) تمثال نصفي من البرونز لما يعرف بأميرة بانياس





(شكل 3) محاريب منحوتة في الصخر:
(منطقة المغارة في بانياس من العصر اليوناني)



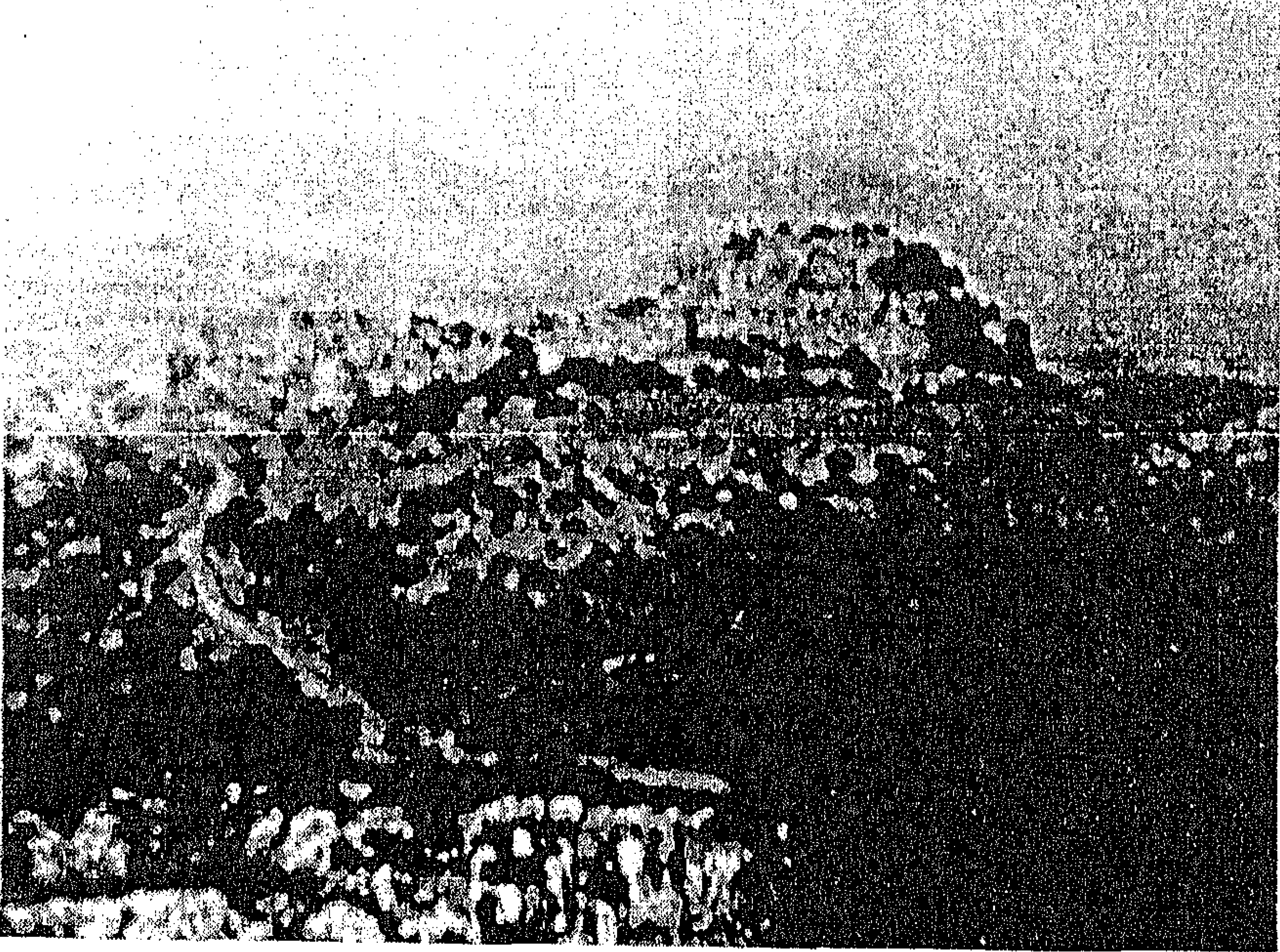
(شكل 4) بقايا غرف حجرية في بانياس من العصر البيزنطي
(صورة تنشر لأول مرّة)



(شكل 5) قطعة من النقود وجدت في بانياس
من العصر الروماني تمثل الإله بان

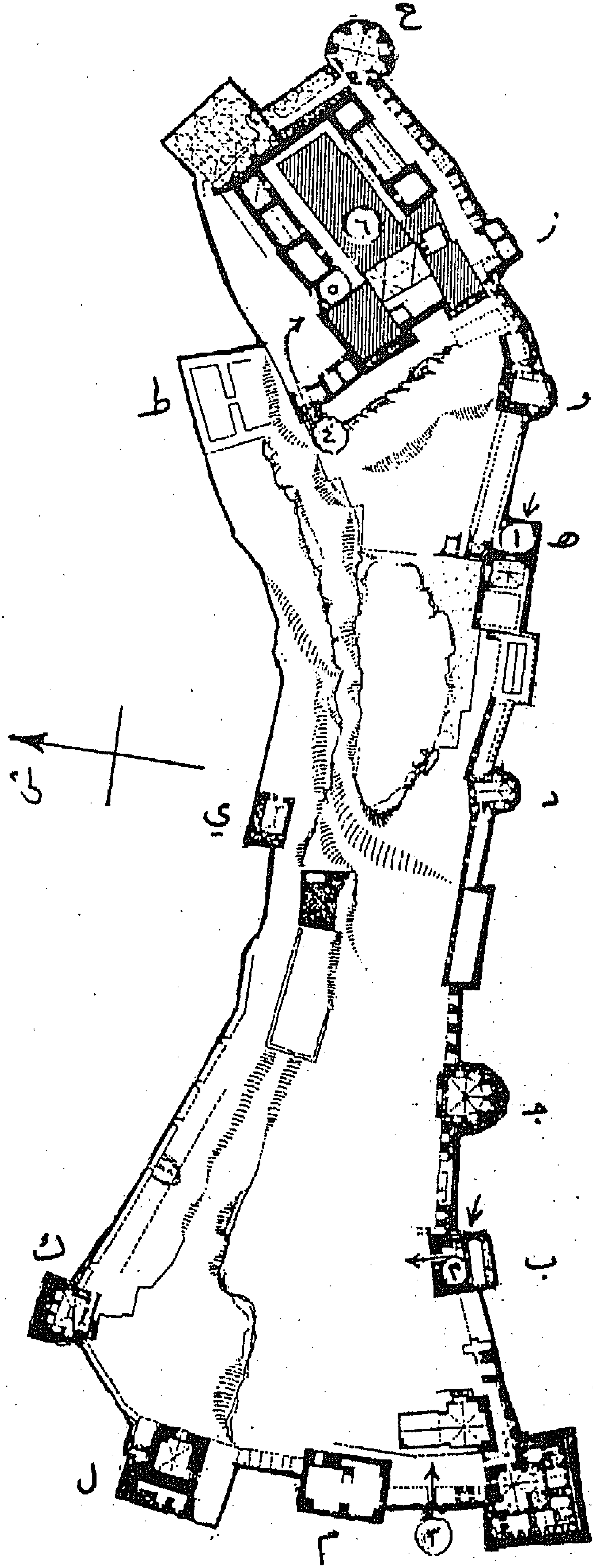


(شكل 6) قلعة الصَبيبة (بانياس)



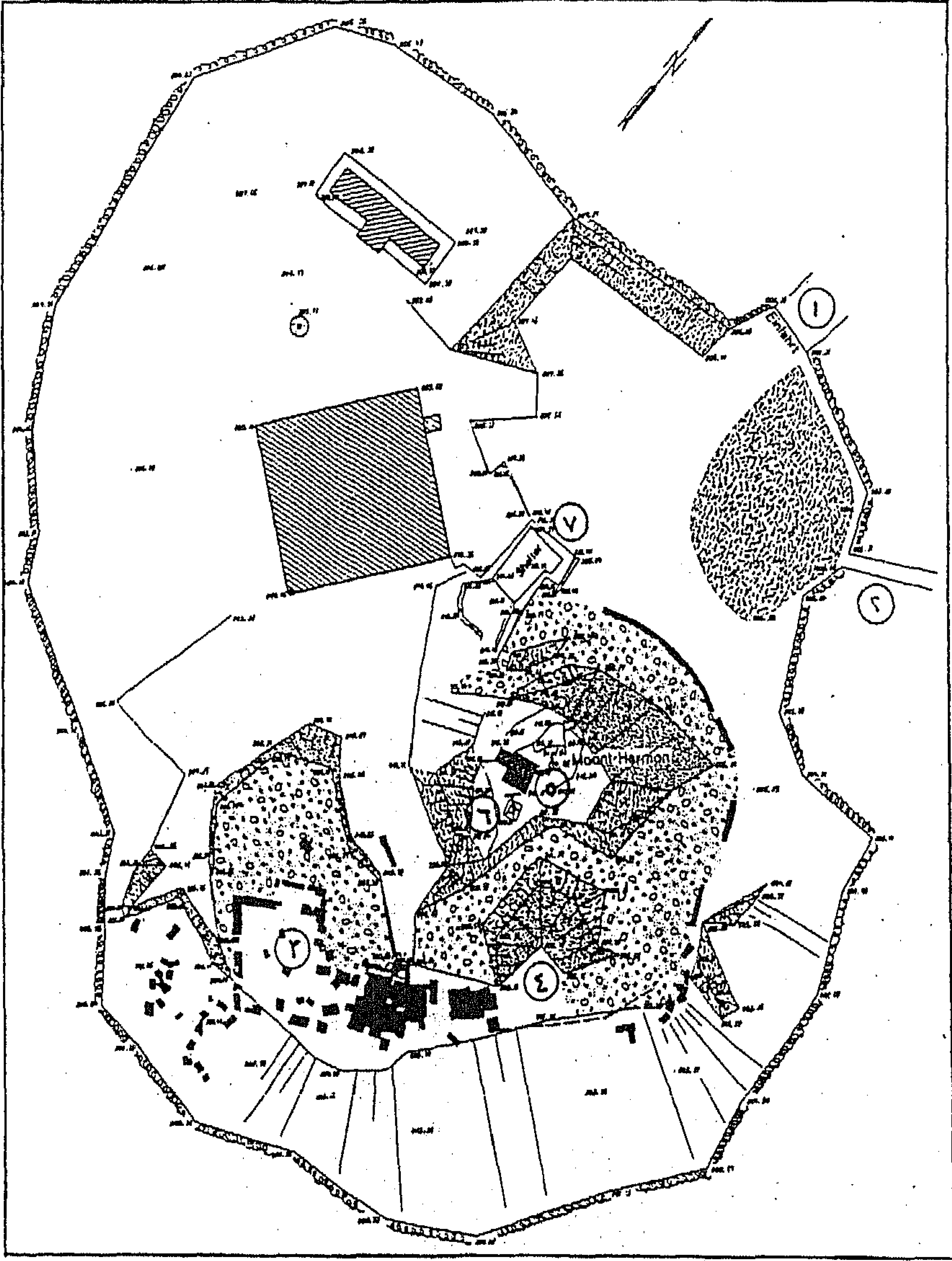
منظر القلعة من بعيد ، وهي تطل من الغرب على سهلة الحولة

(صورة تنشر لأول مرّة)



(شكل 6)
المخطط العام
لقلعة الصَبيبة

- الأحرف الأبجدية: أبراج القلعة .
- الأرقام من 1-5 : أبواب القلعة .
- رقم 6 : الحصن أو القلعة الداخلية .

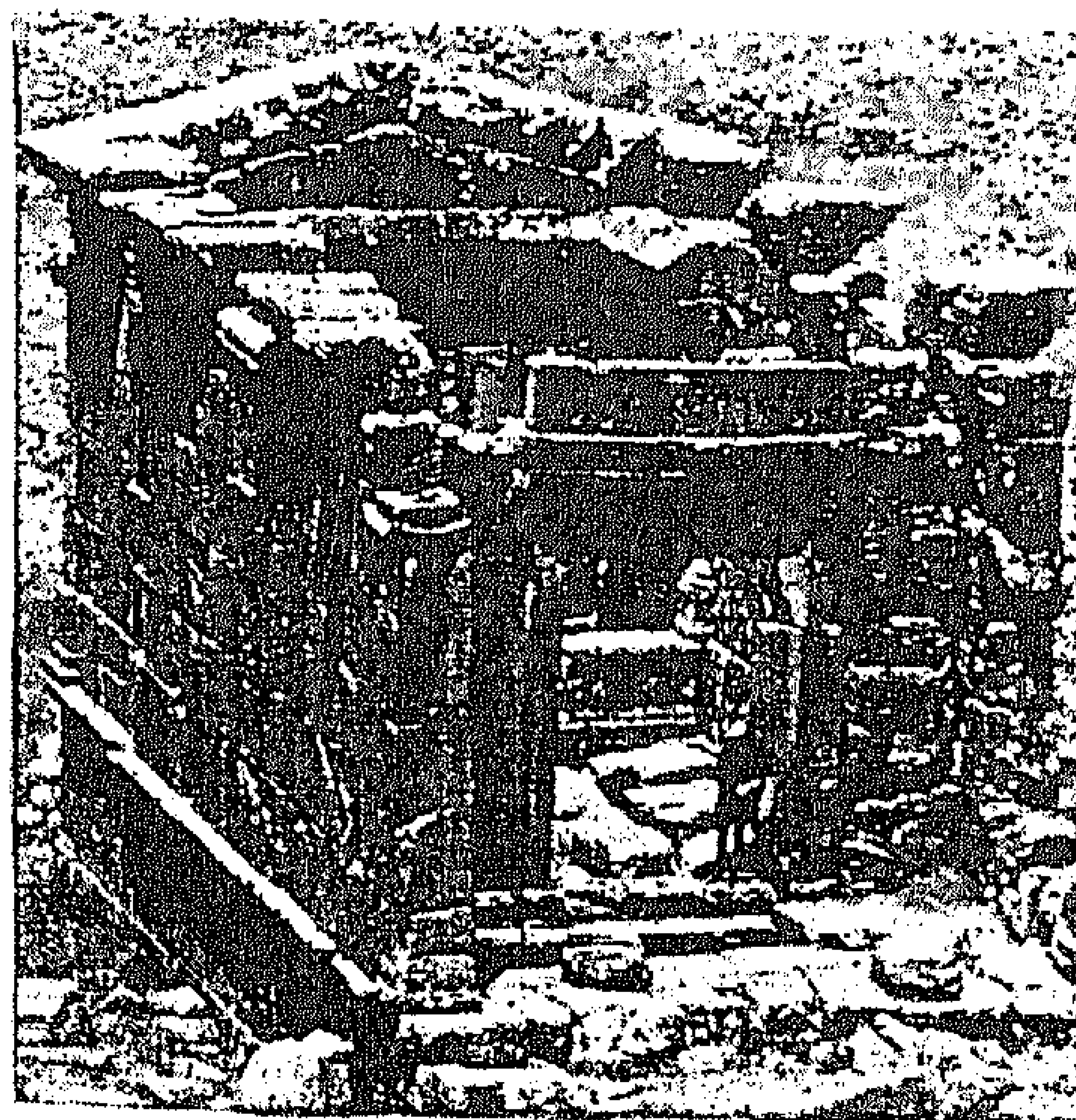


(شكل 8) مخطط لقمة جبل الشيخ

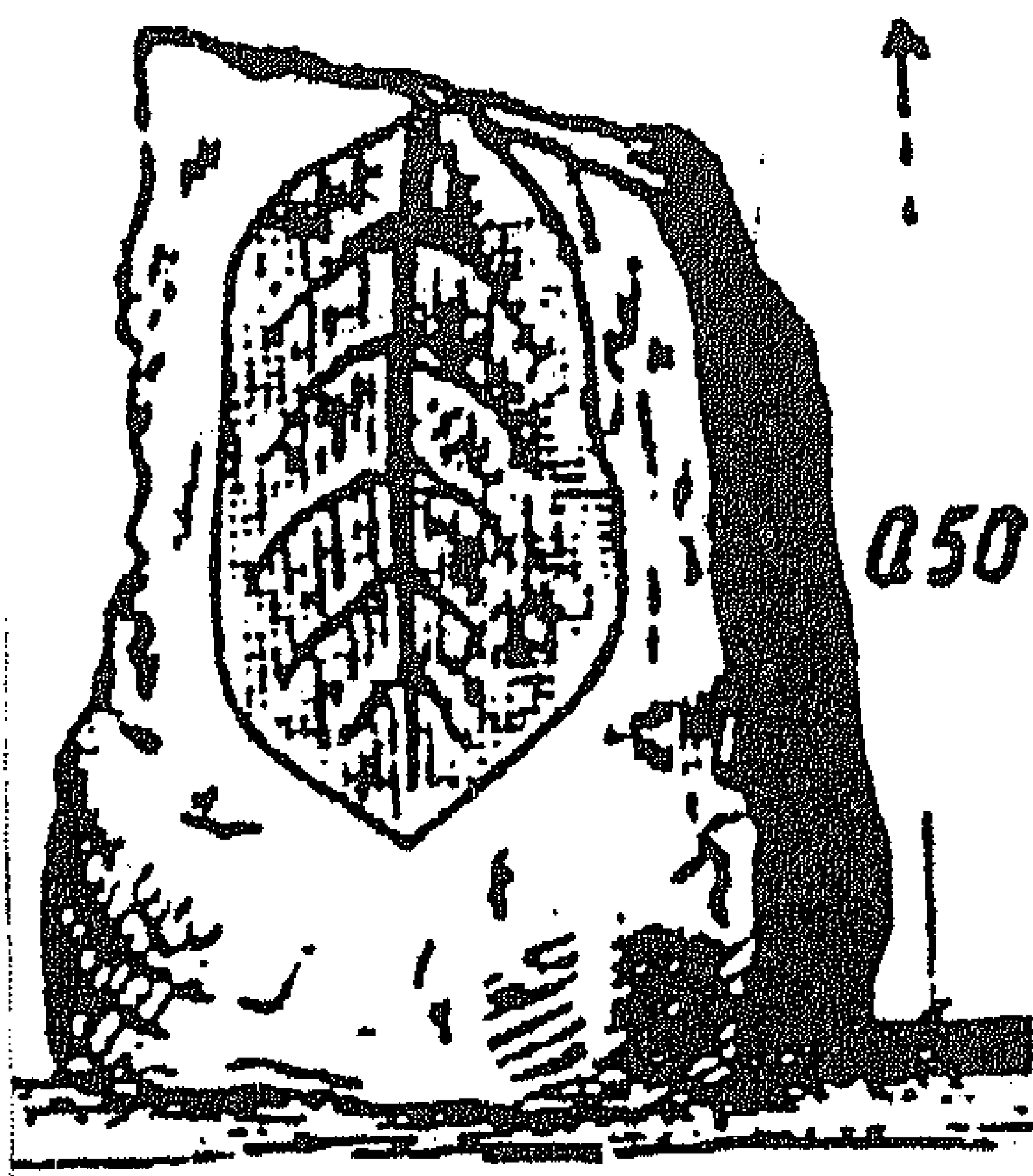
1- المدخل الرئيس . 2- مدخل جانبي . 3- معبد (قصر شبيب)

4- معبد الإله بعل . 5- المركز المقدّس .

6- غرفة مخصصة لتلقّي النذور . 7- ملجأ



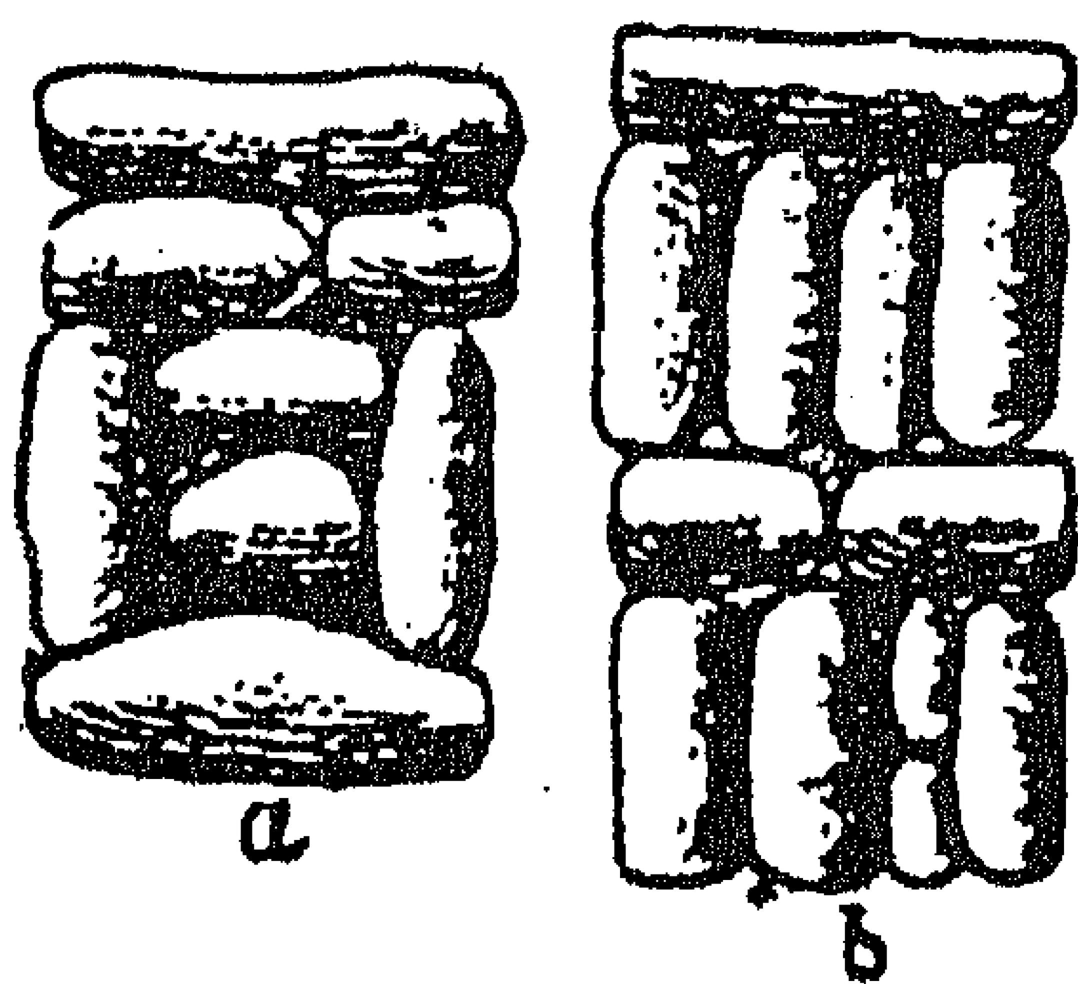
(شكل 9) معبد عين حرشة



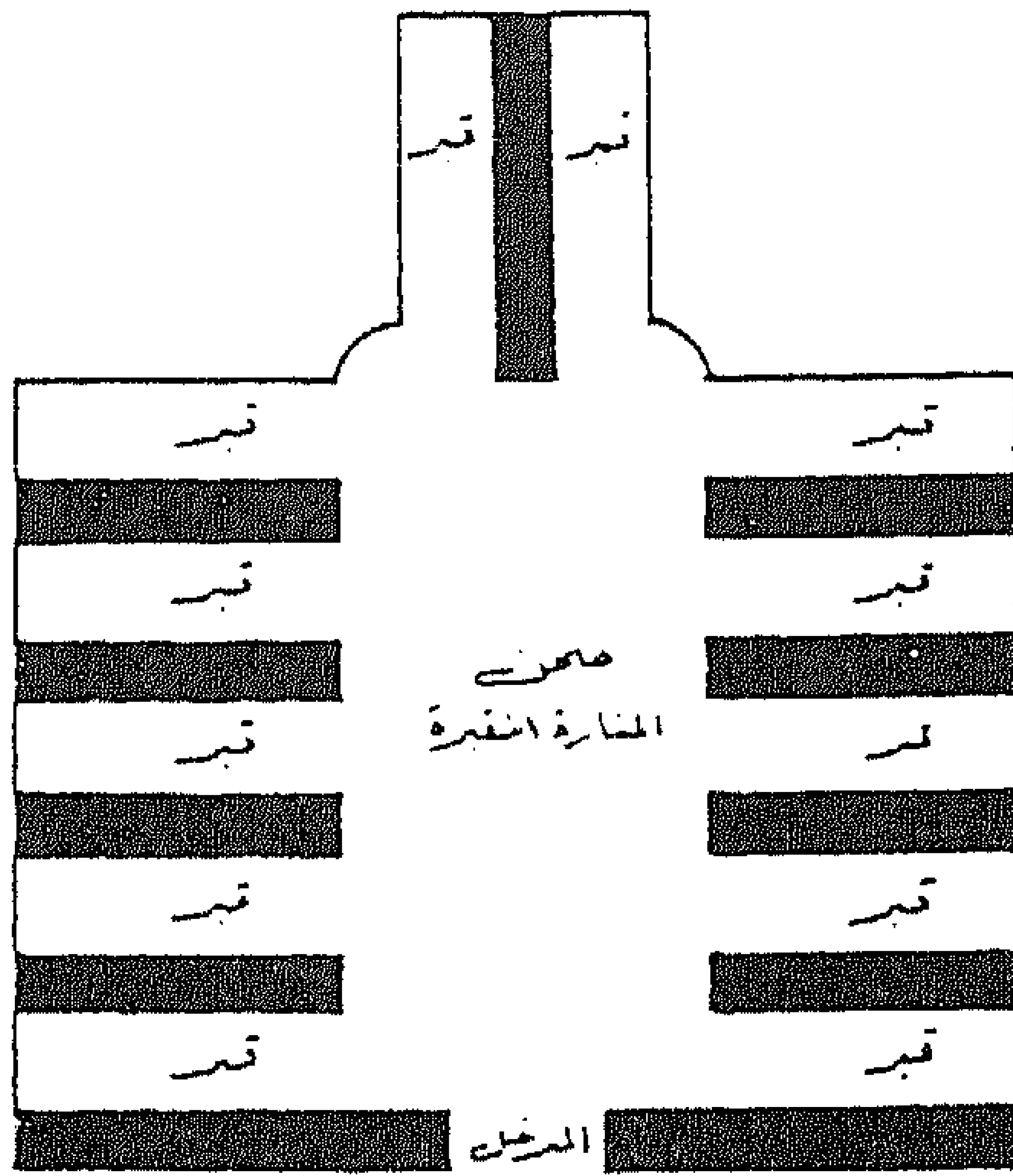
(شكل 10) أبو الندى



(شكل 11) أبو الندى



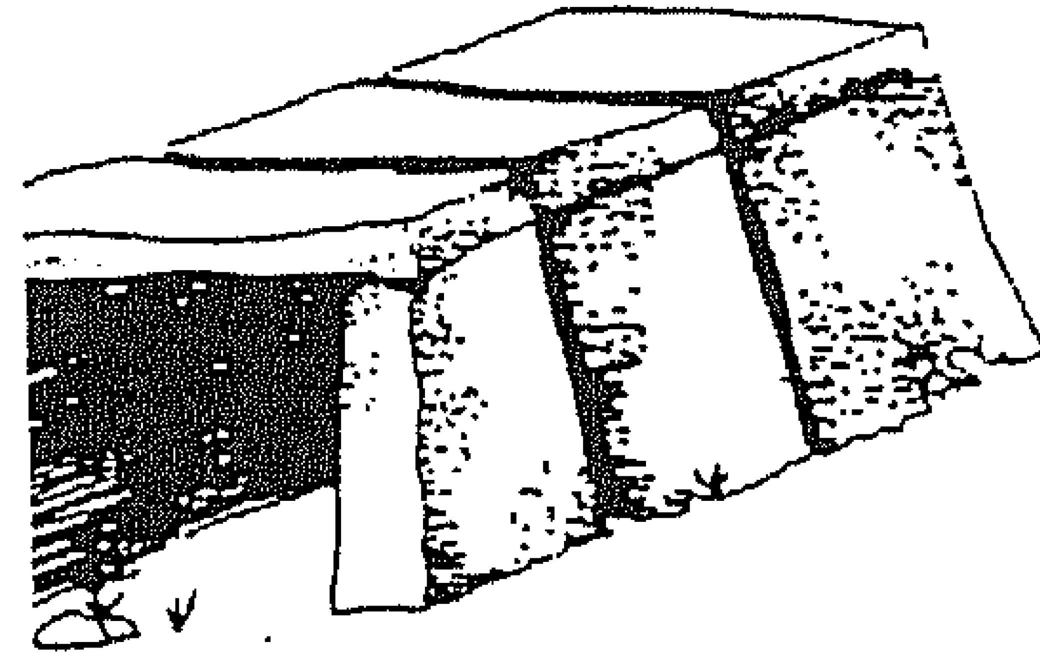
(شكل 12) بيدروس



مقطع لنموذج من المغاور المقابر

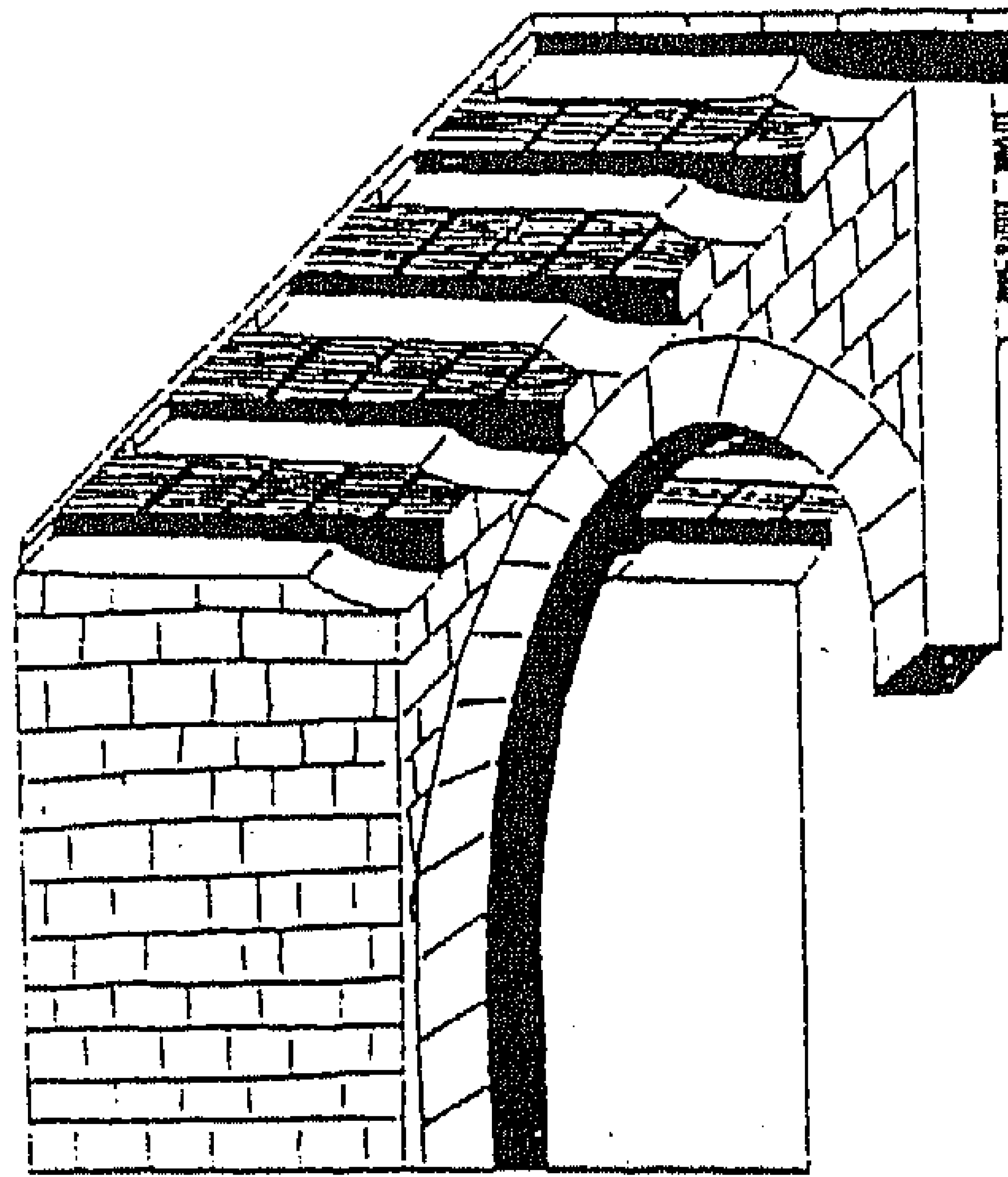
(شكل 14) العدنانية

(نقلاً عن سطاس)



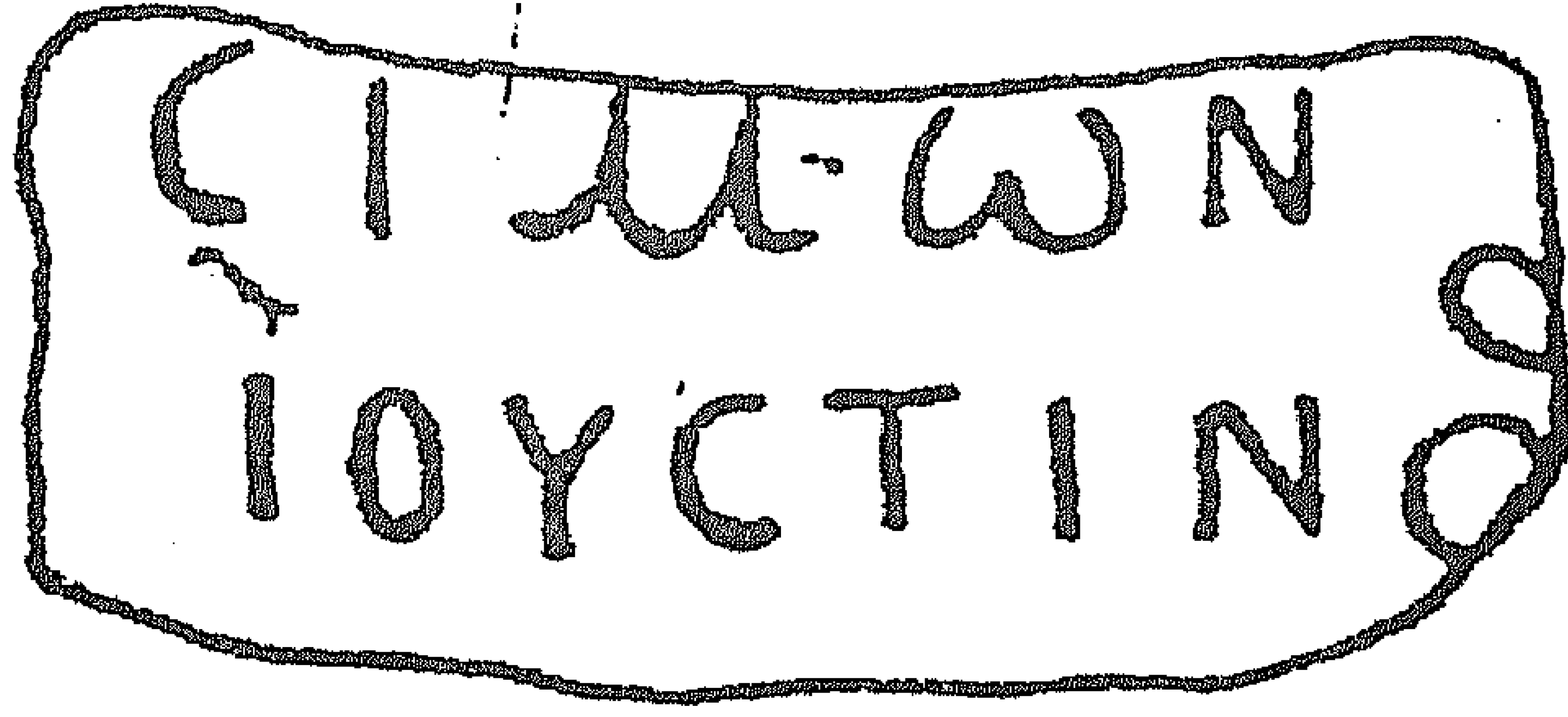
(شكل 13) العدنانية

نقلاً عن عز الدين سطاس.

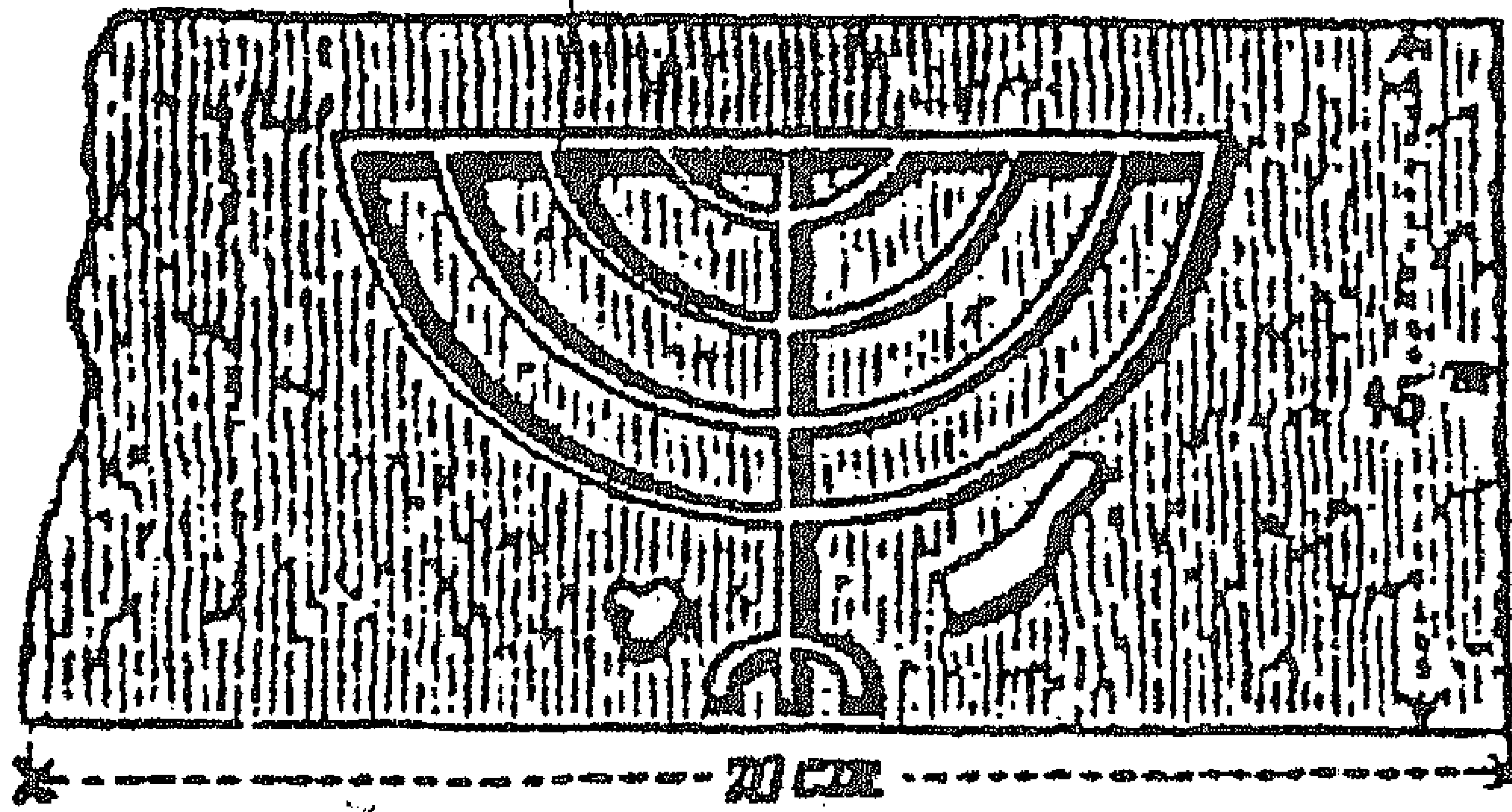


(شكل 15) العدنانية ، مقطع لبناء قديم

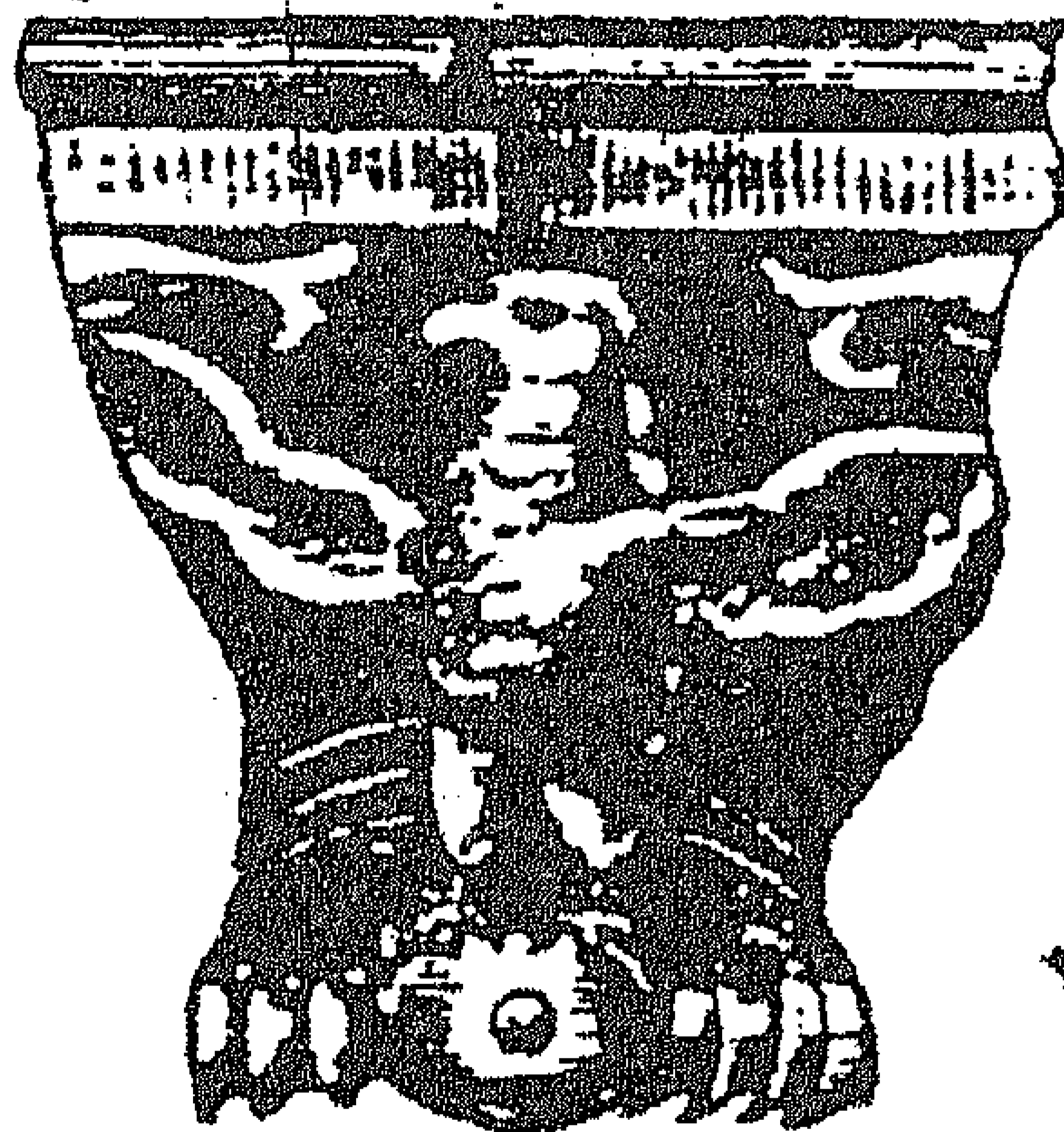
(نقلاً عن سطاس)



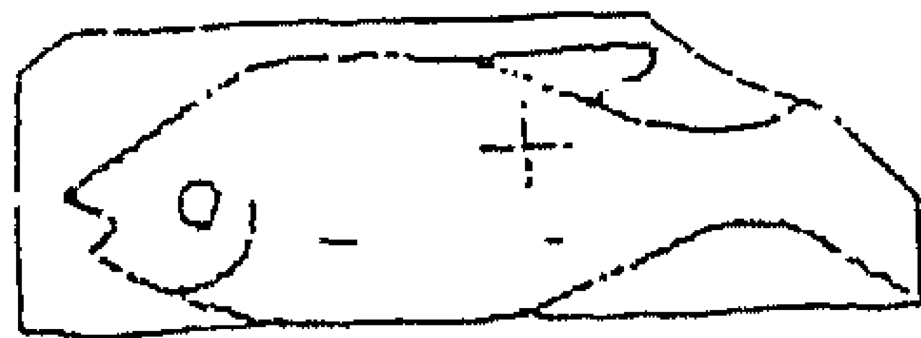
(شكل 16) الأحمدية

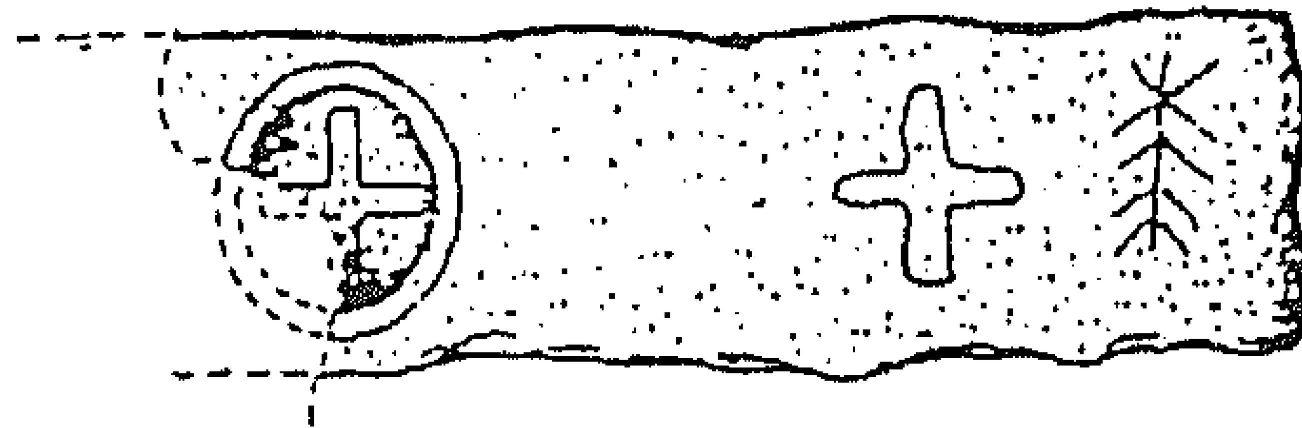


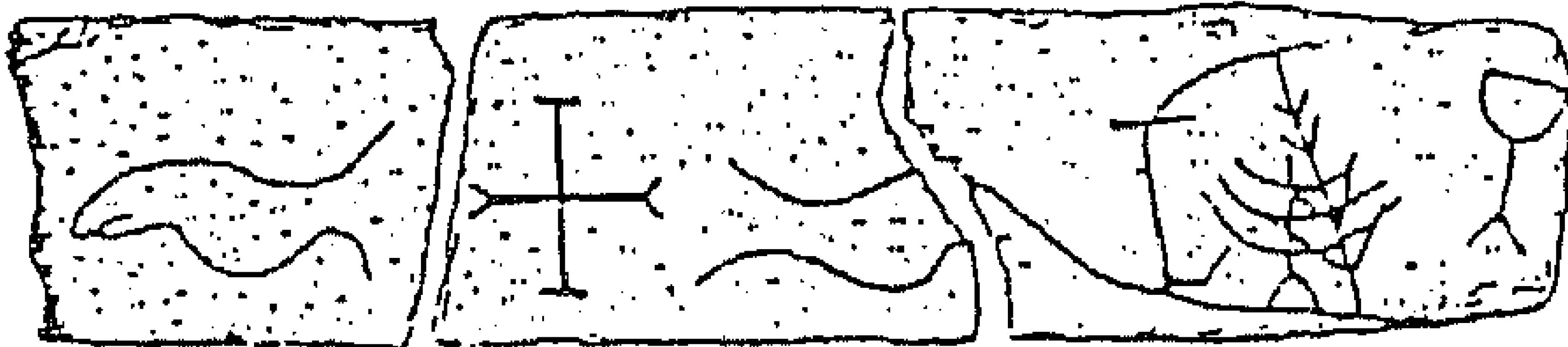
(شكل 17) الأحمدية

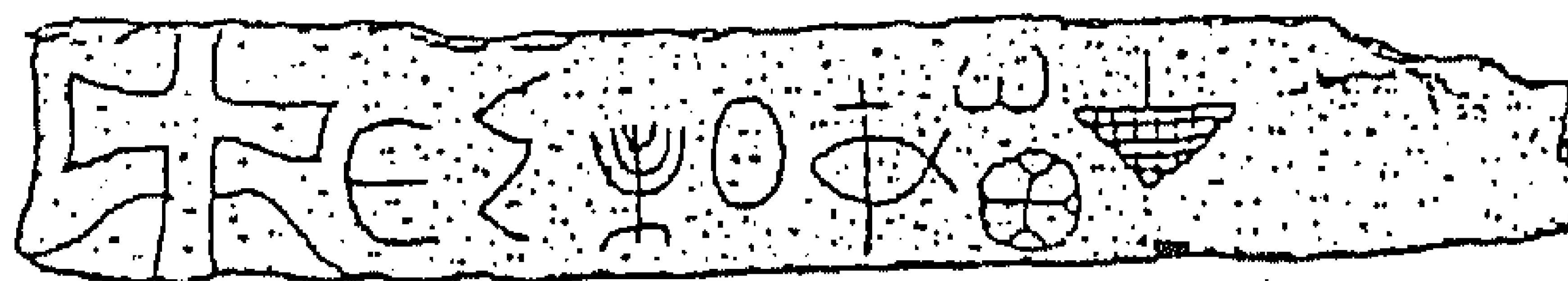


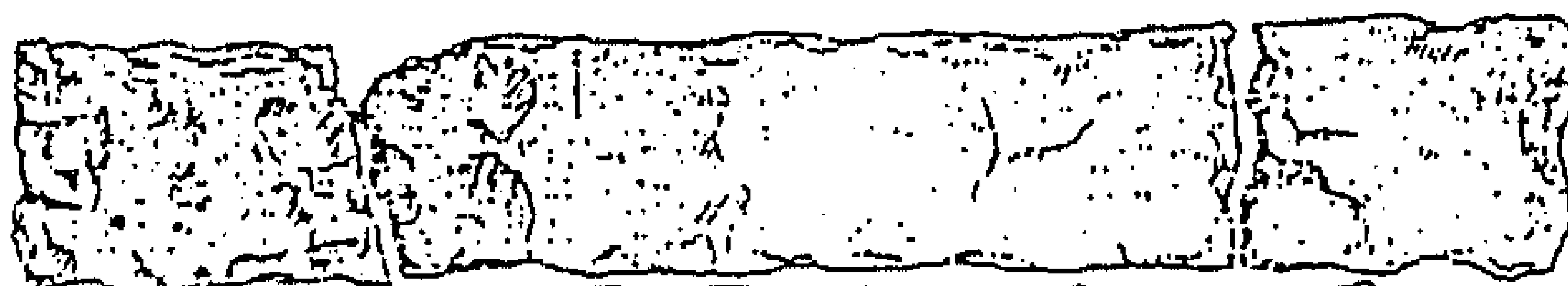
(شكل 18) الأحمدية

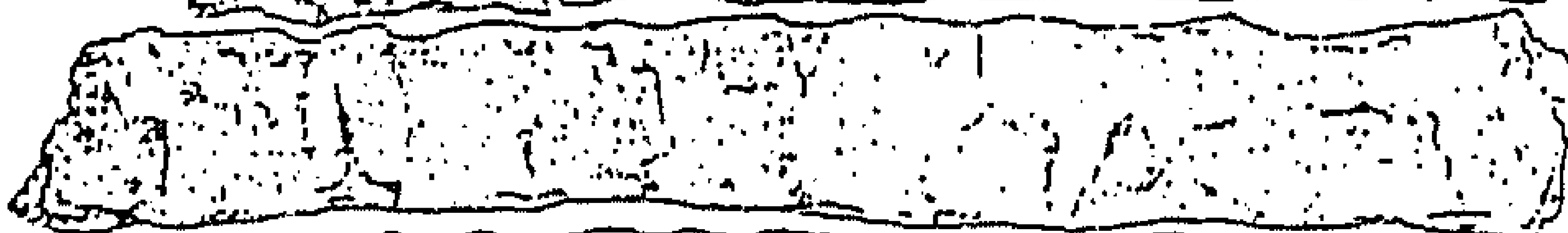




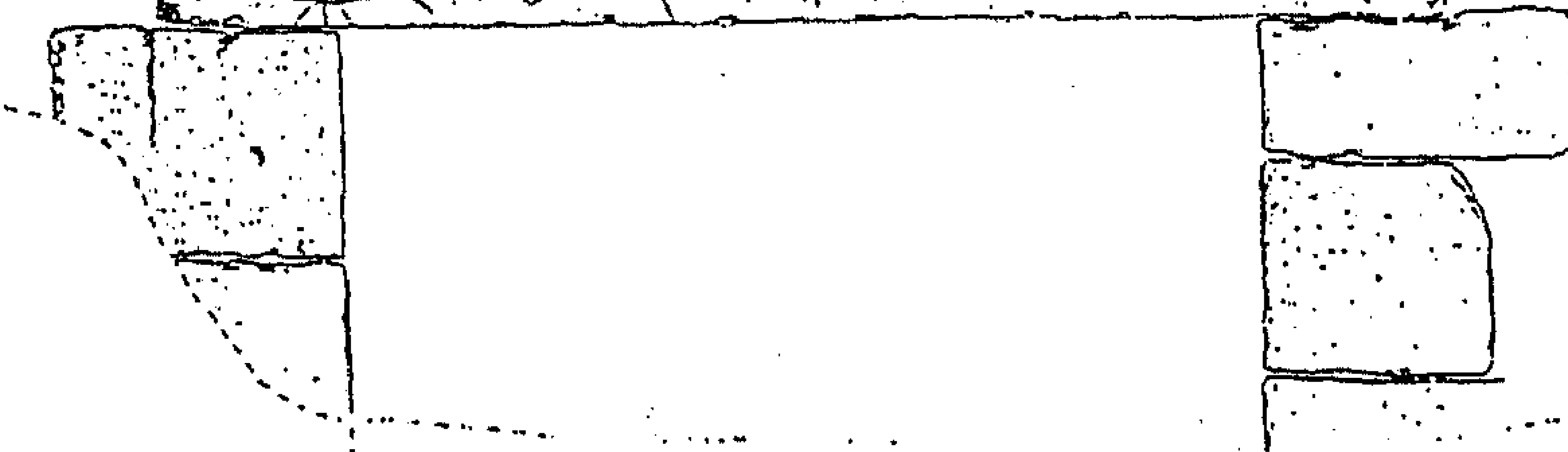






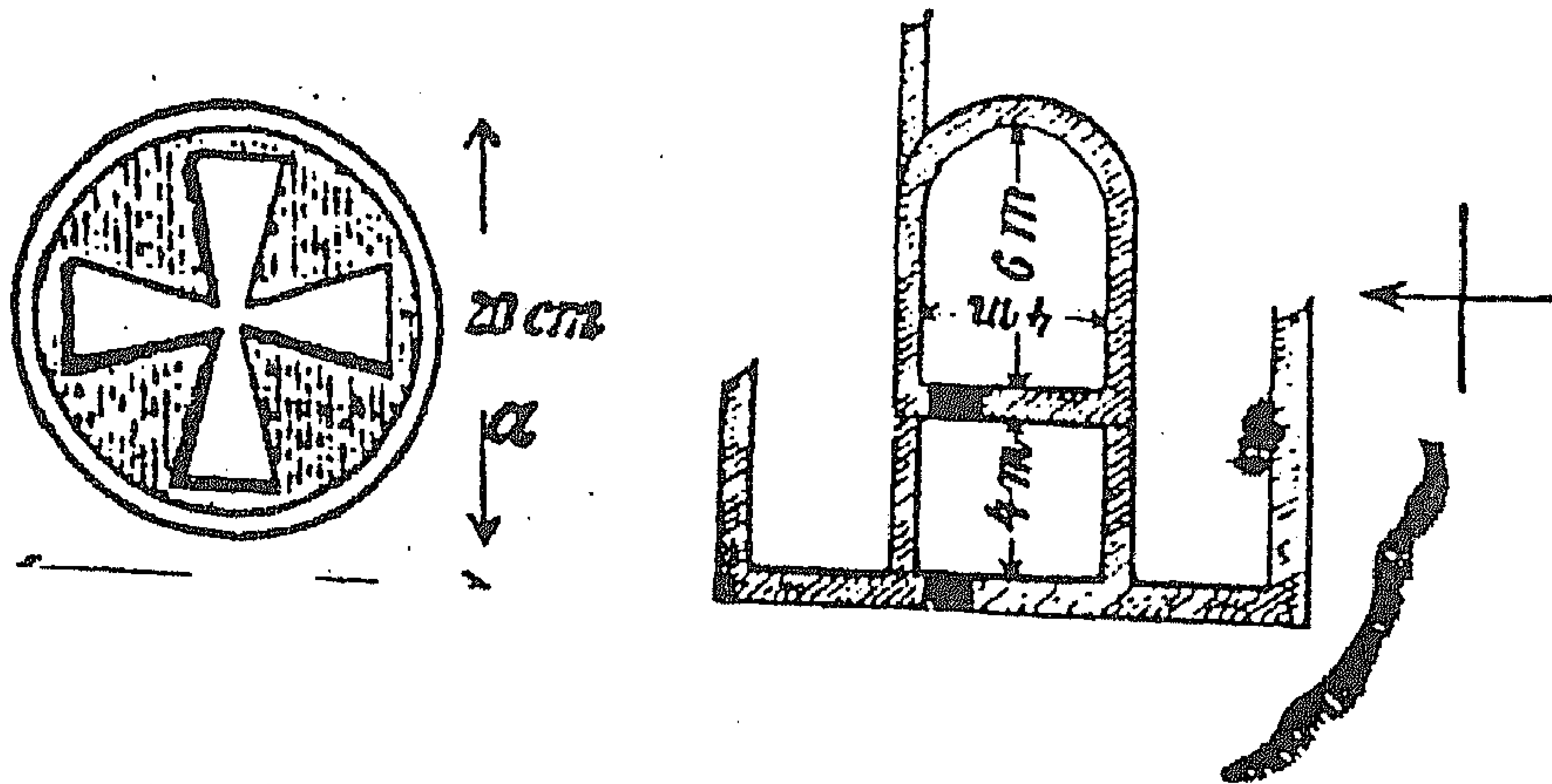






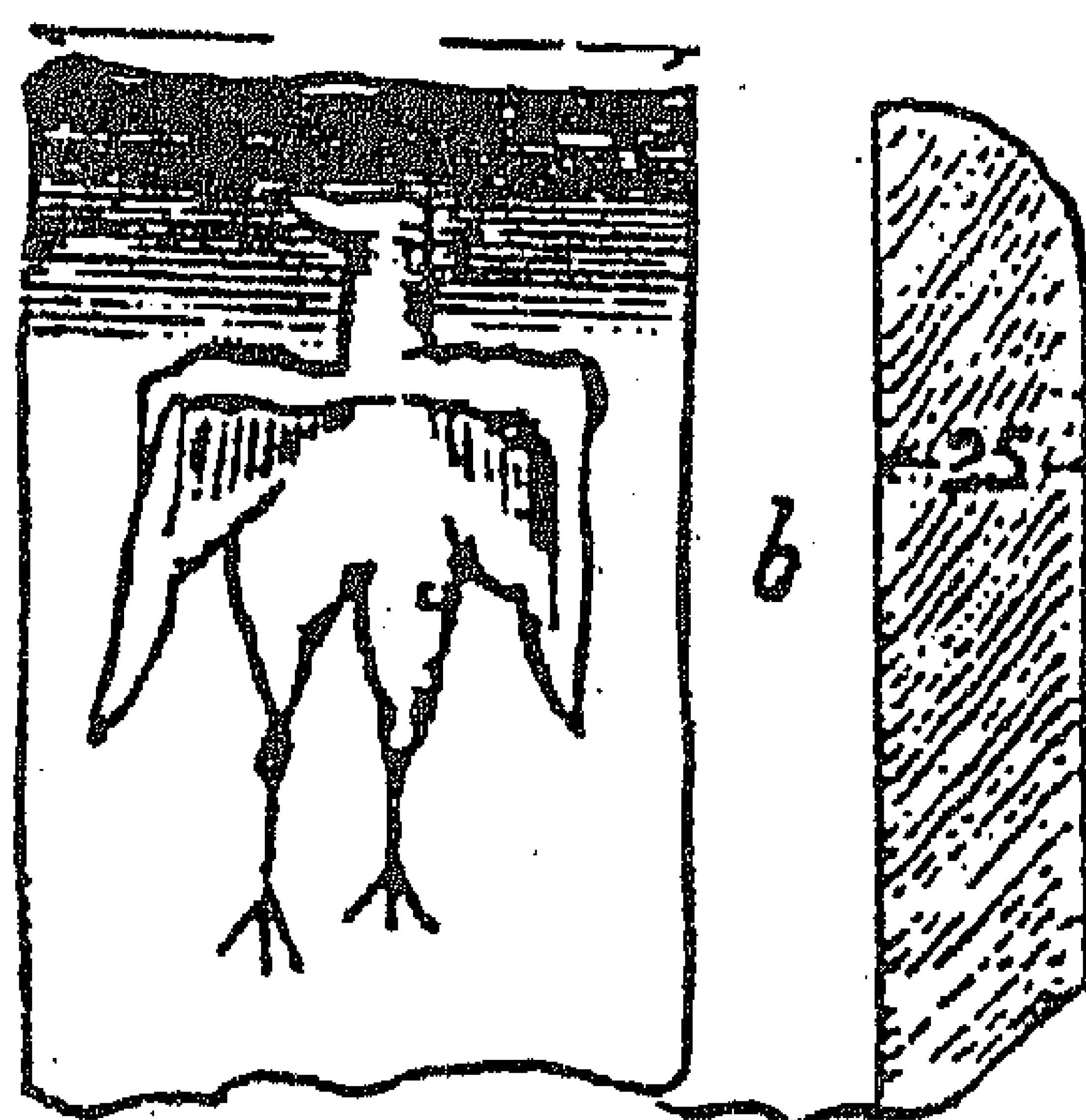
(شكل 19) نقوش ورموز من العصر البيزنطي في بلدة الفرْج

(نقلاً عن الأب متري أثناسيو)

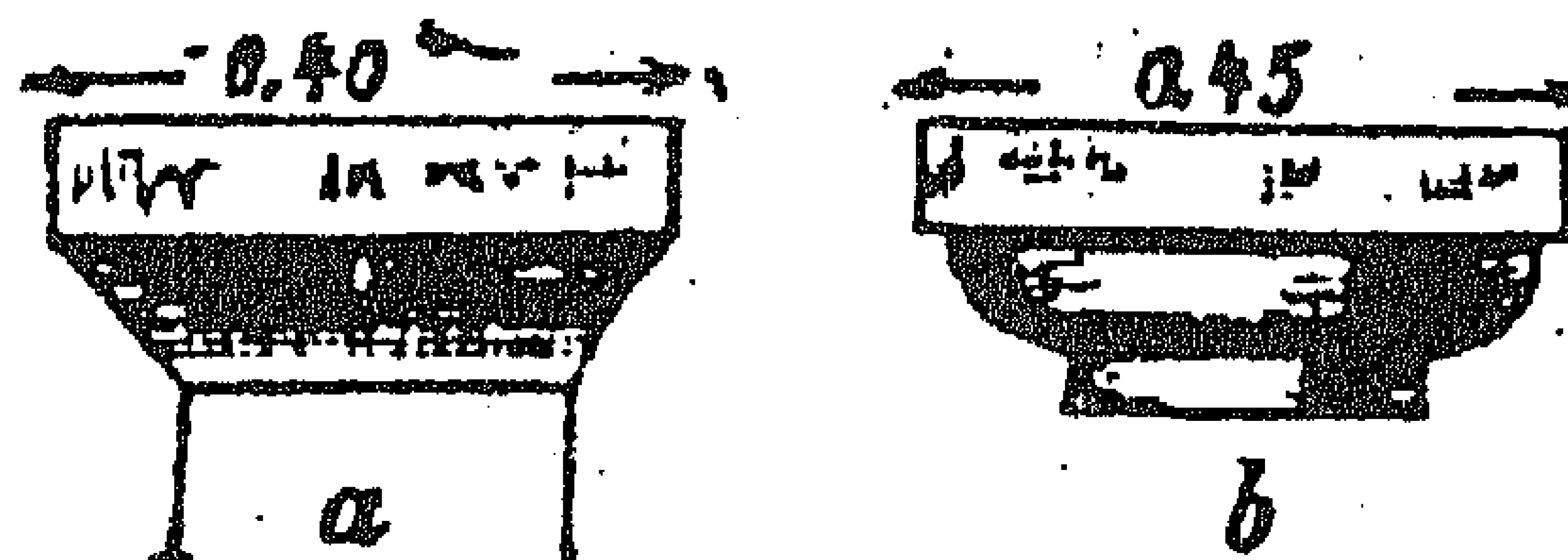


(شكل 21) نعــران

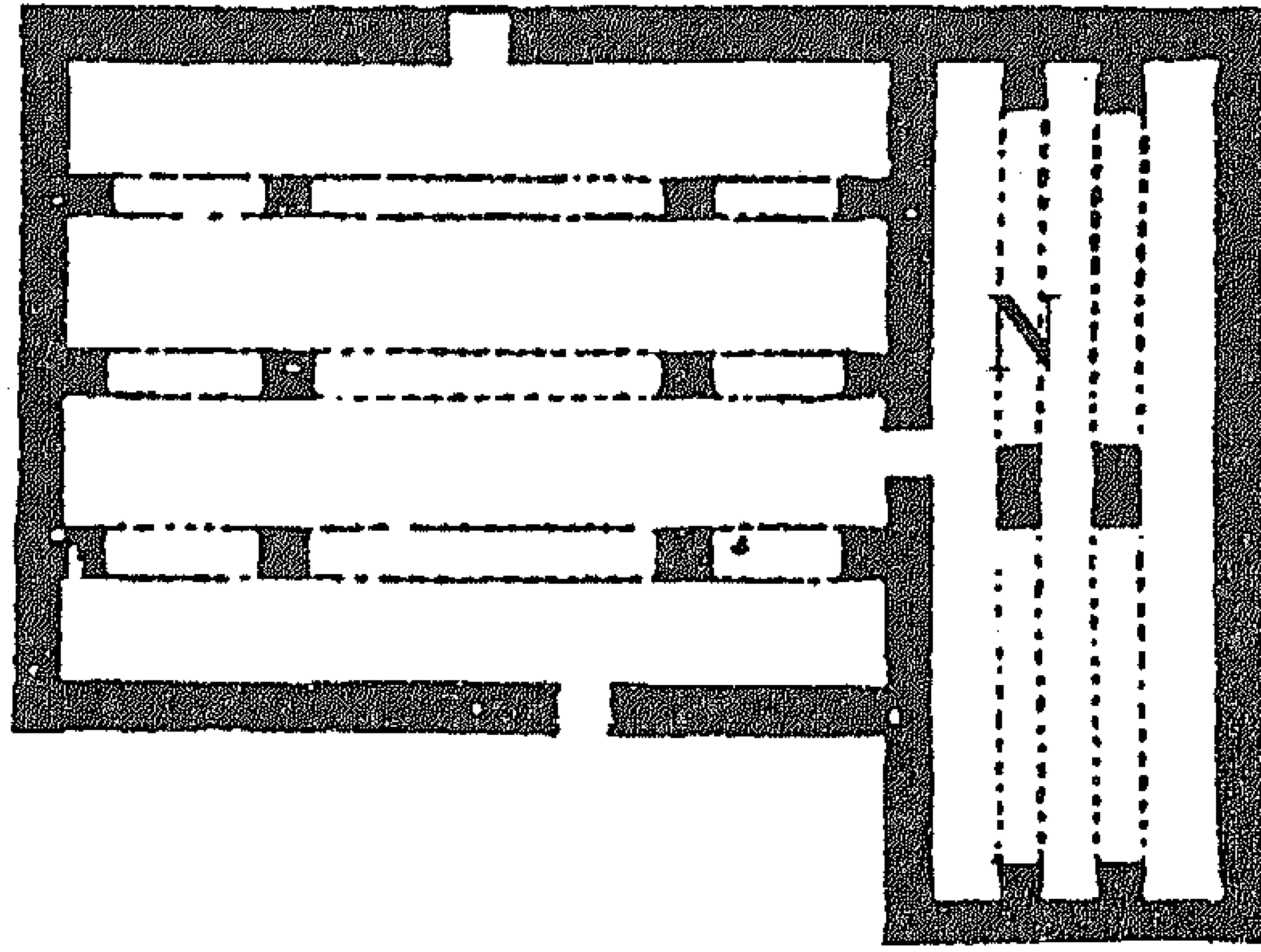
(شكل 20) نعــران



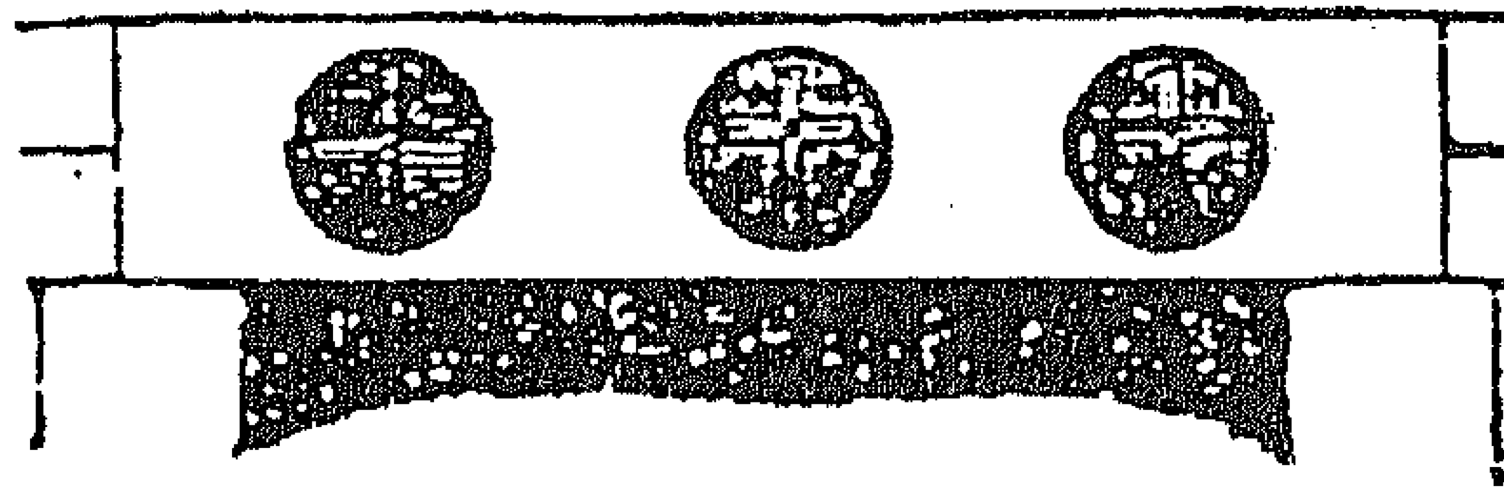
(شكل 22) نعــران



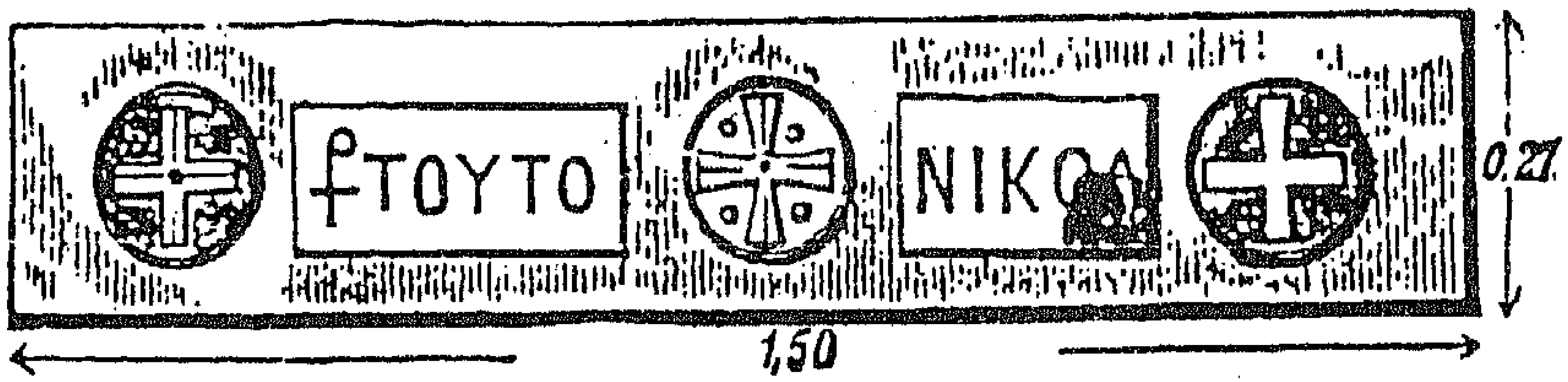
(شكل 23) نعــران



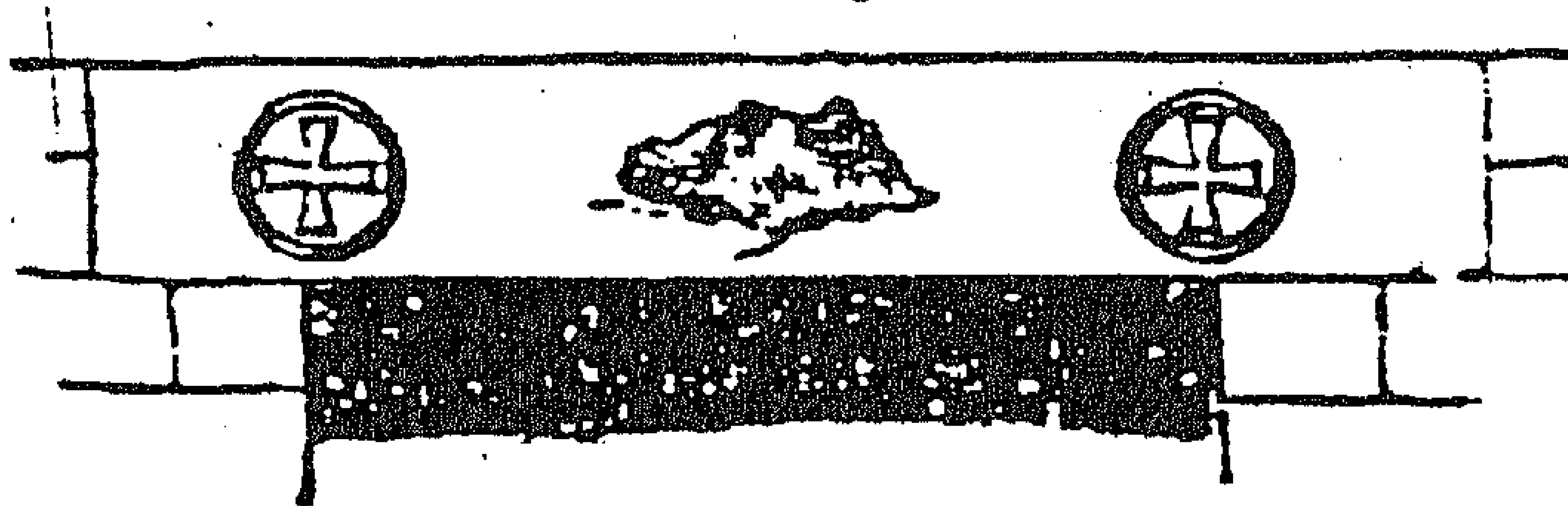
(شكل 24) الرمثانية



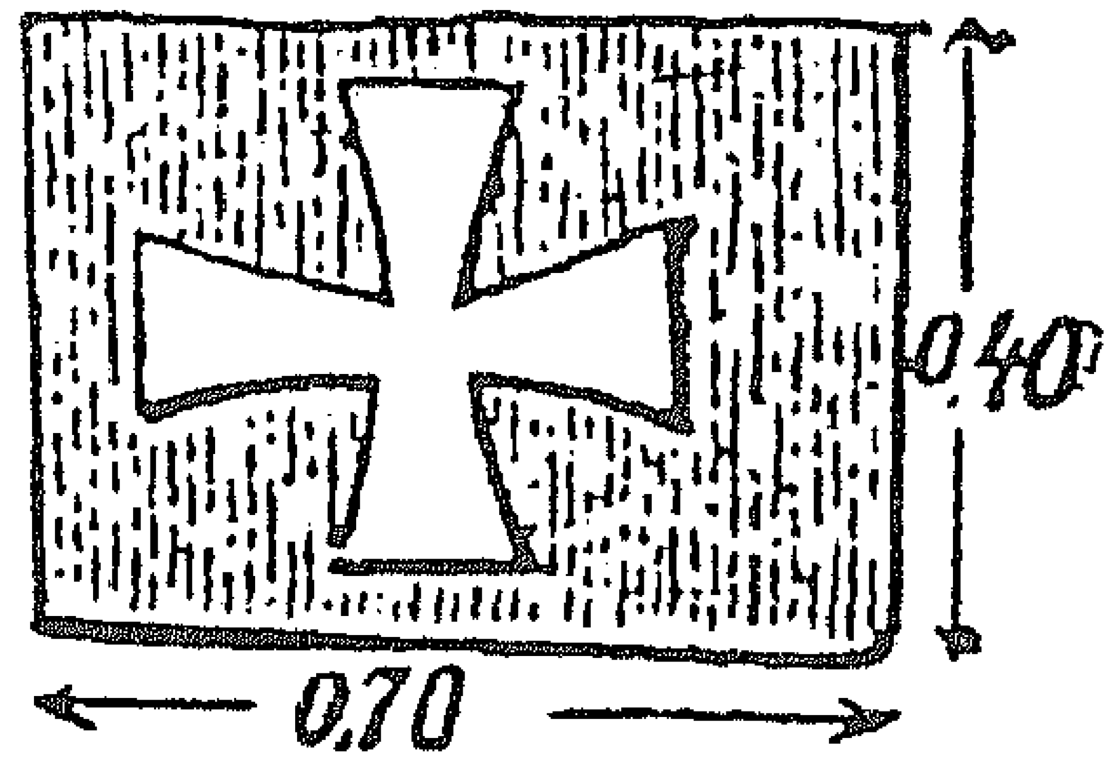
(شكل 25) الرمثانية



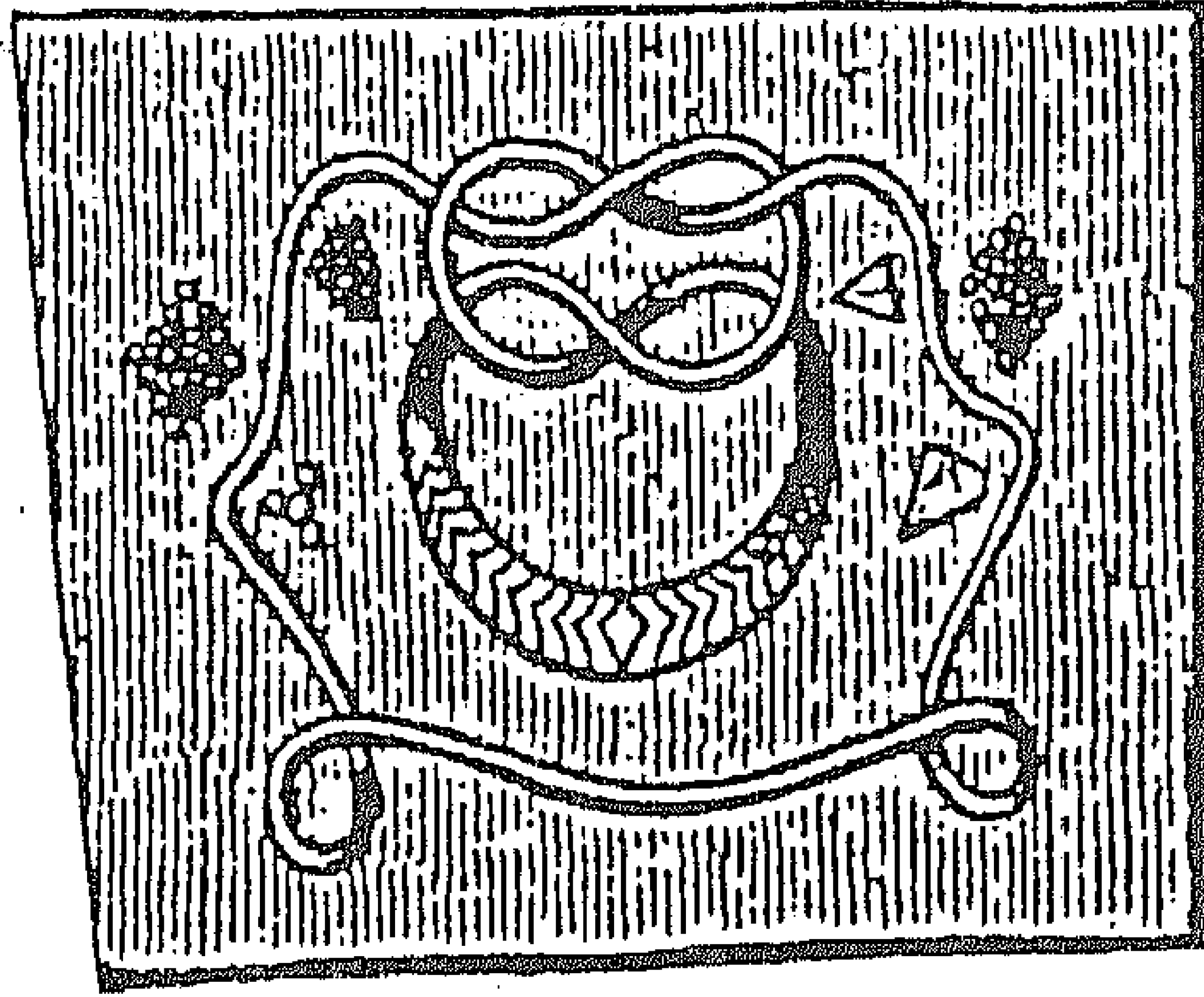
(شكل 26) الرمثانية



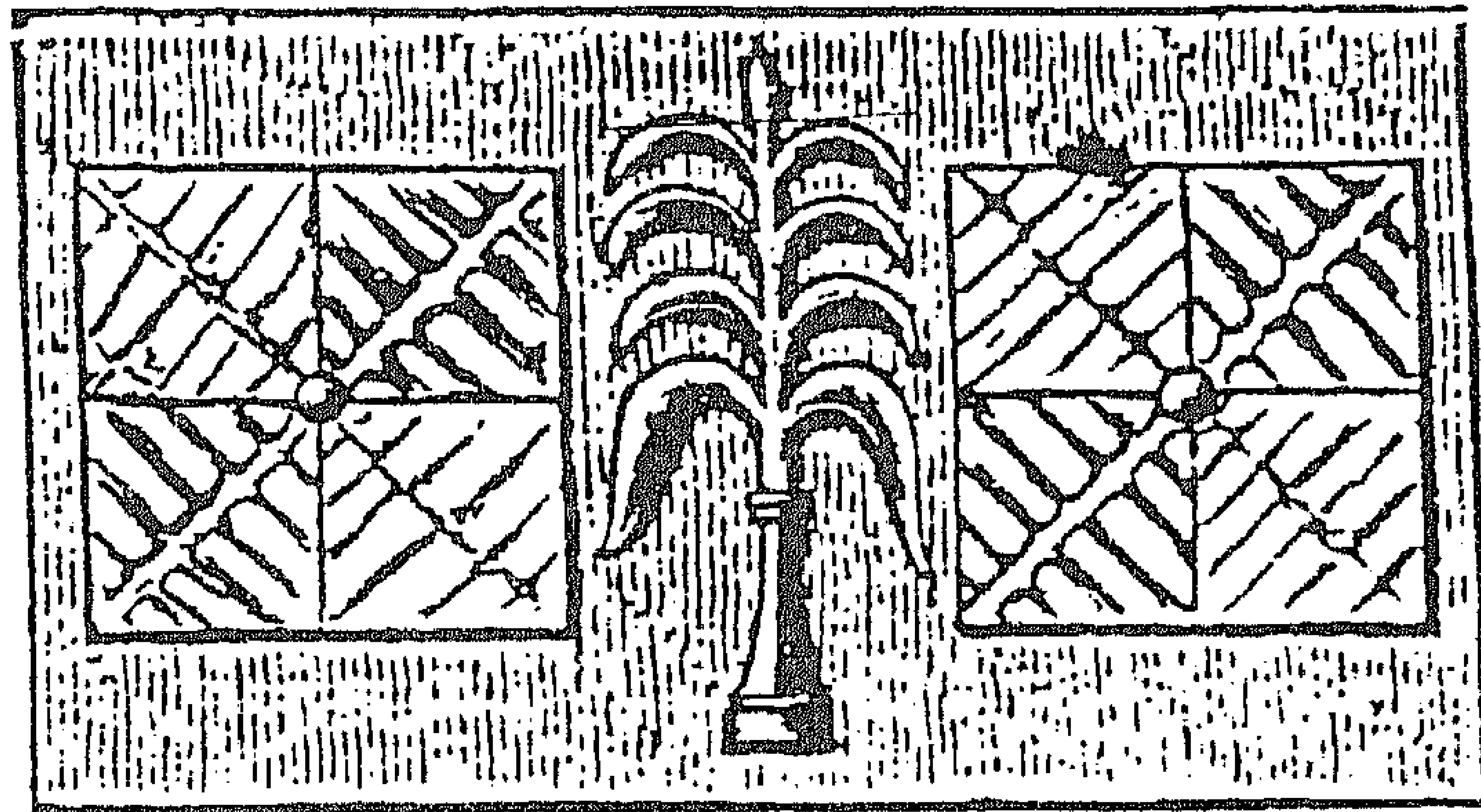
(شكل 27) الرمثانية



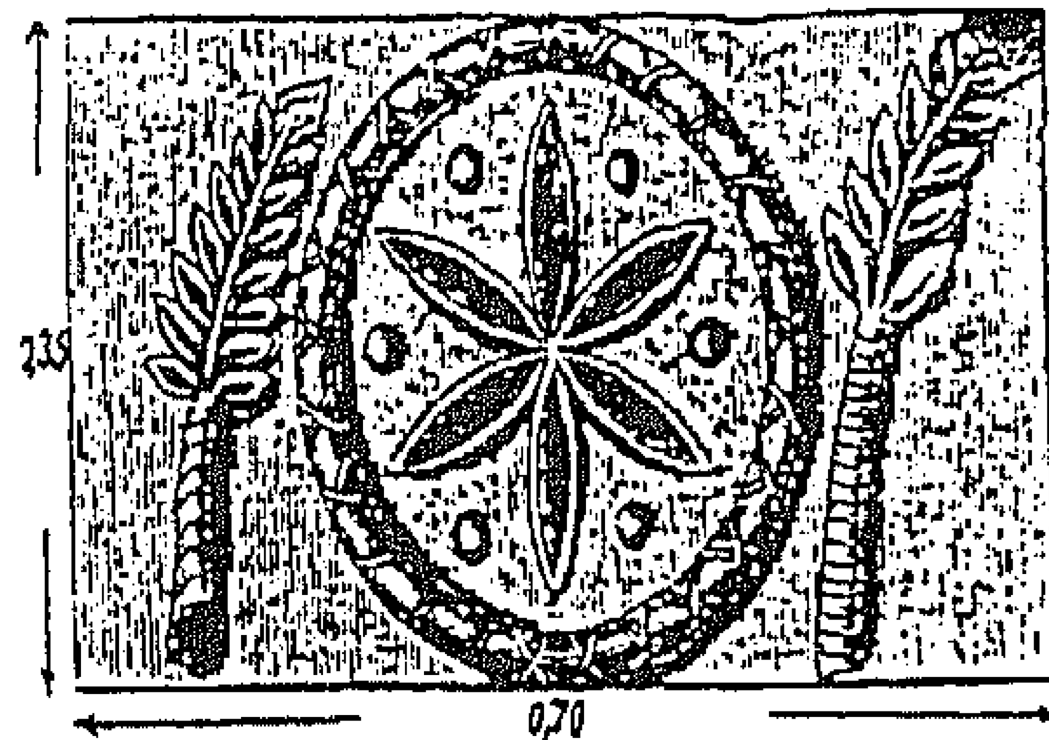
(شكل 28) الرمثانية



(شكل 29) الرمثانية



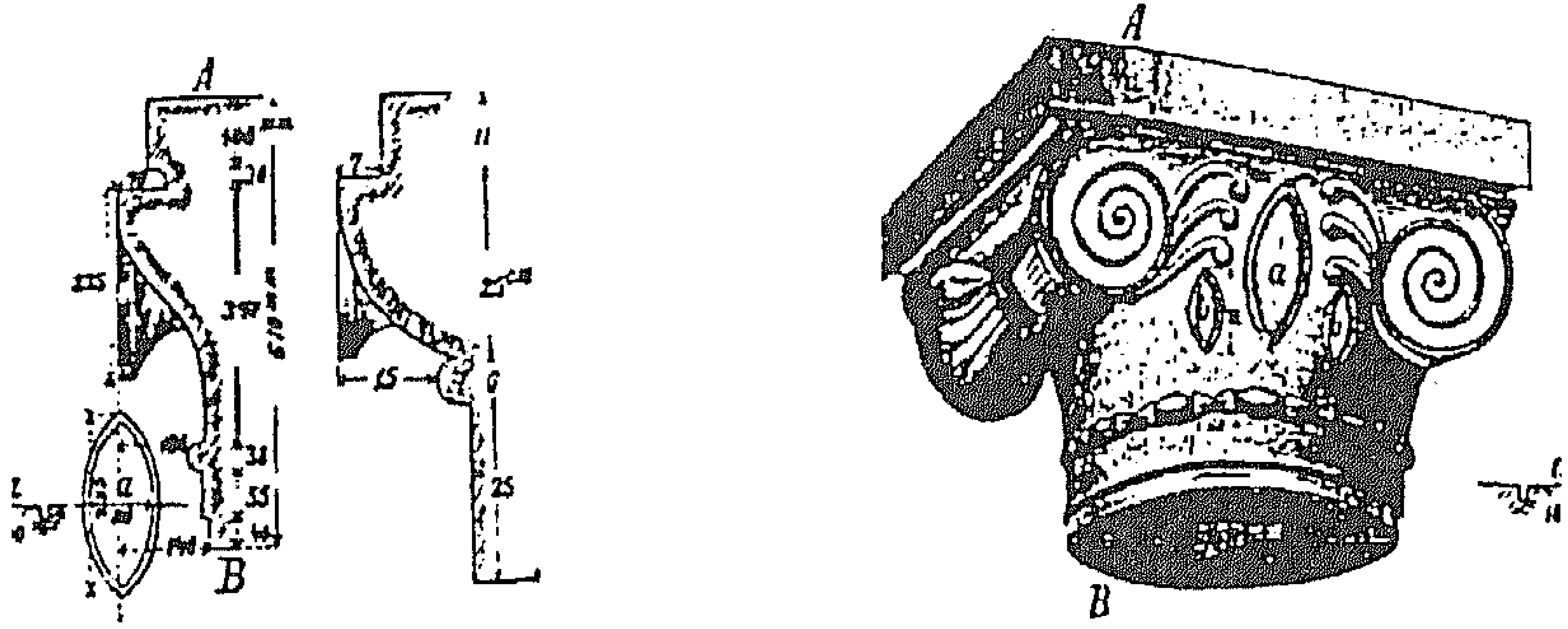
(شكل 30) الرمثانية



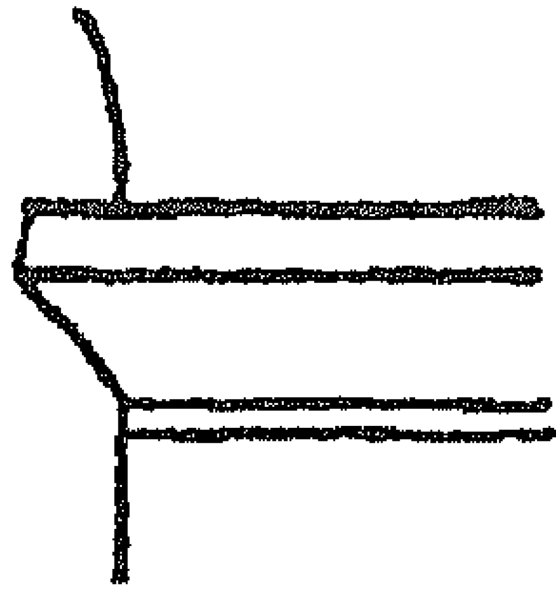
(شكل 31) الرمثانية

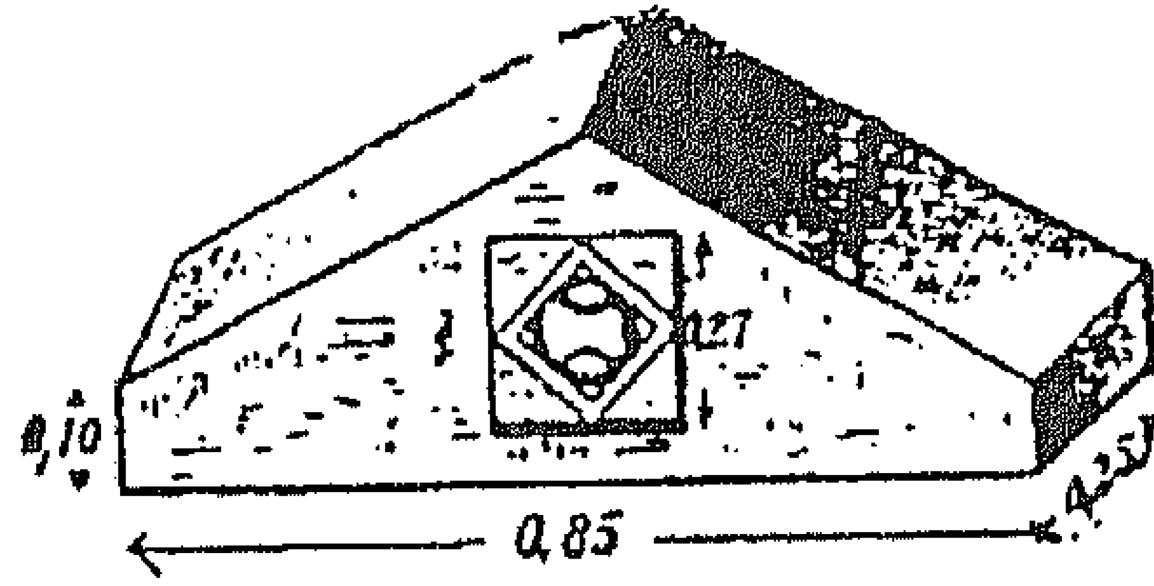


(شكل 32) الرمثانية

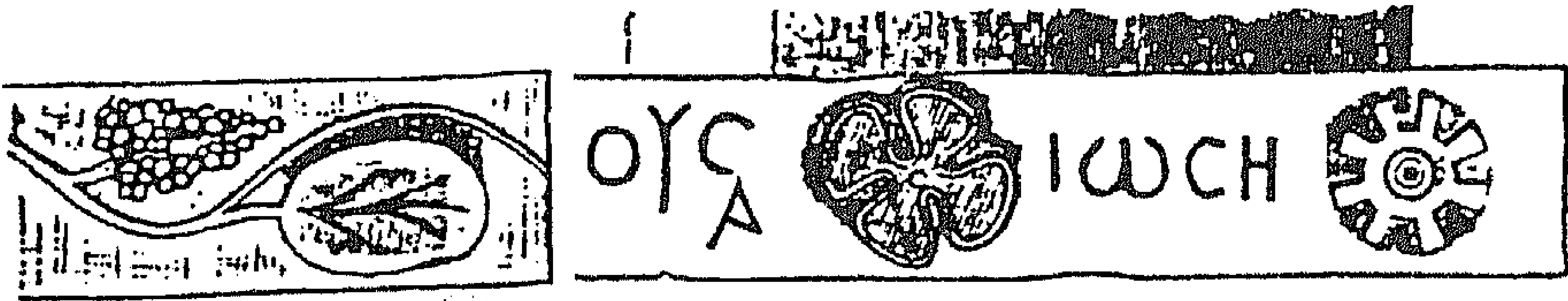


(شكل 33 و34) اليعربيــة

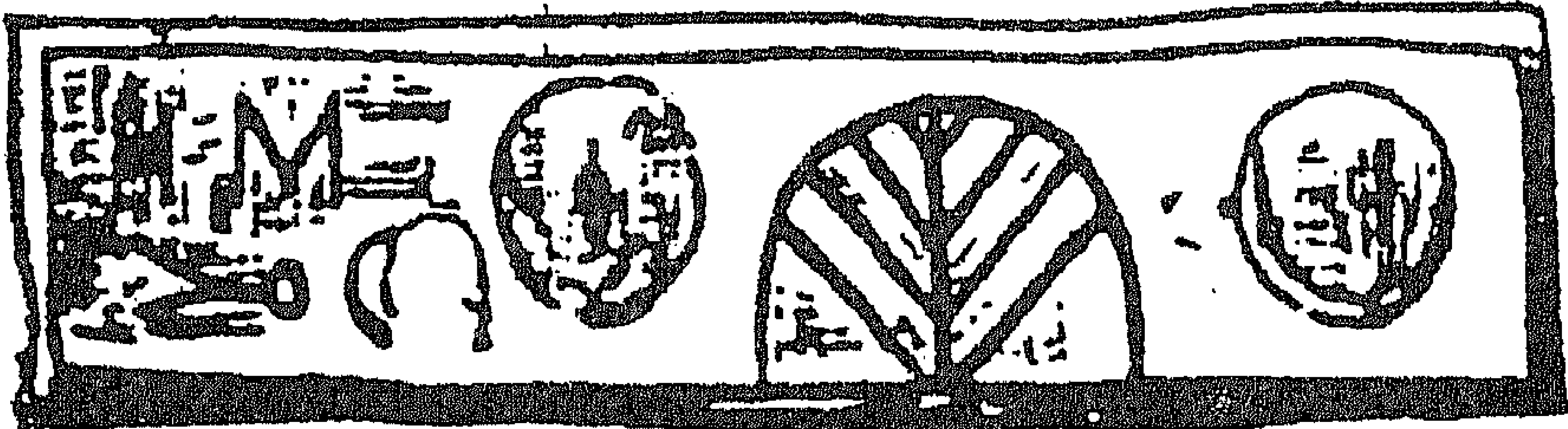




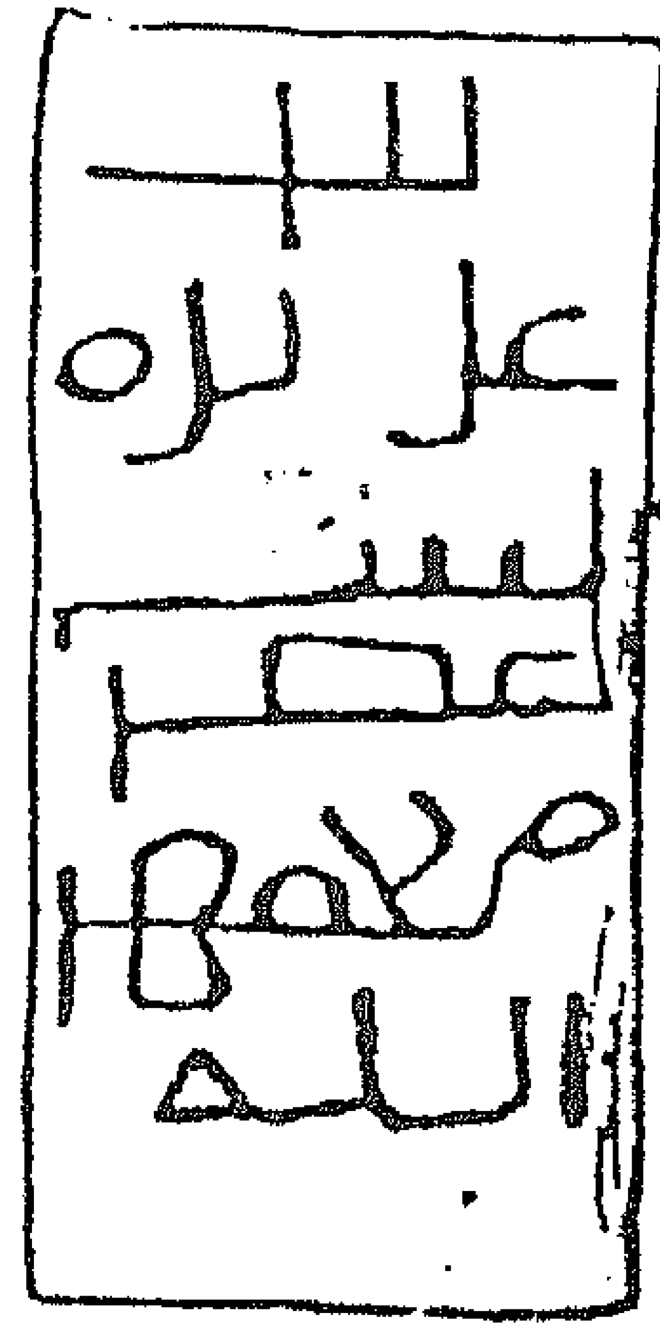
(شكل 35 و36) اليعربيــة



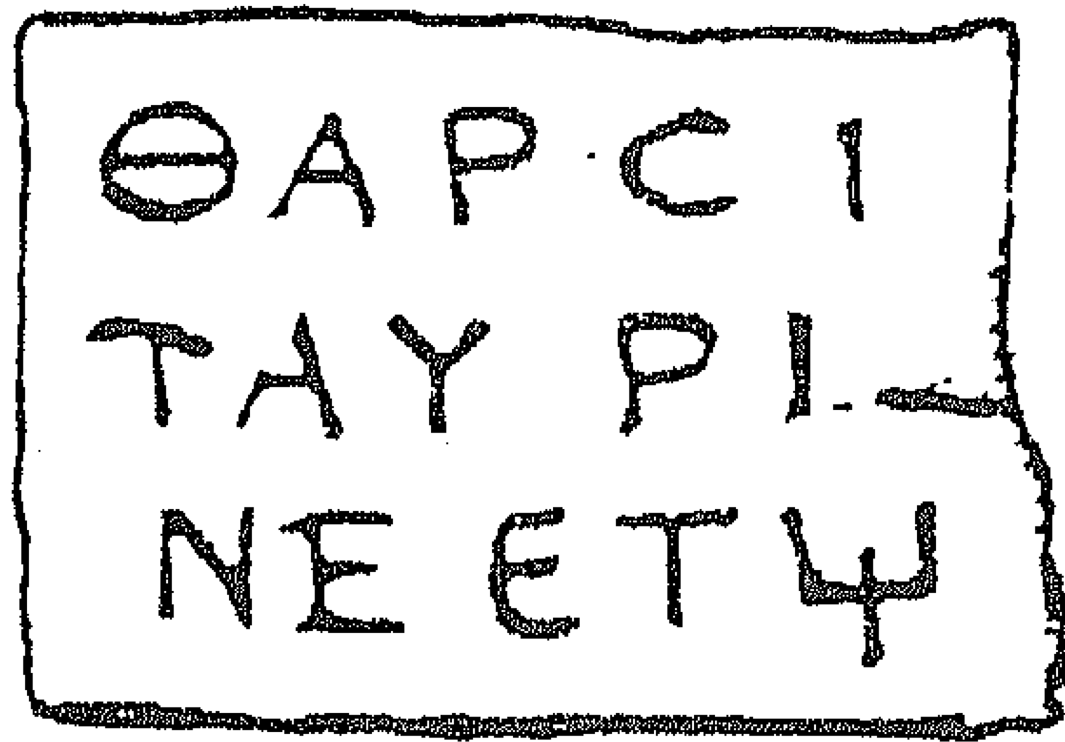
(شكل 37 و38) البطميــة



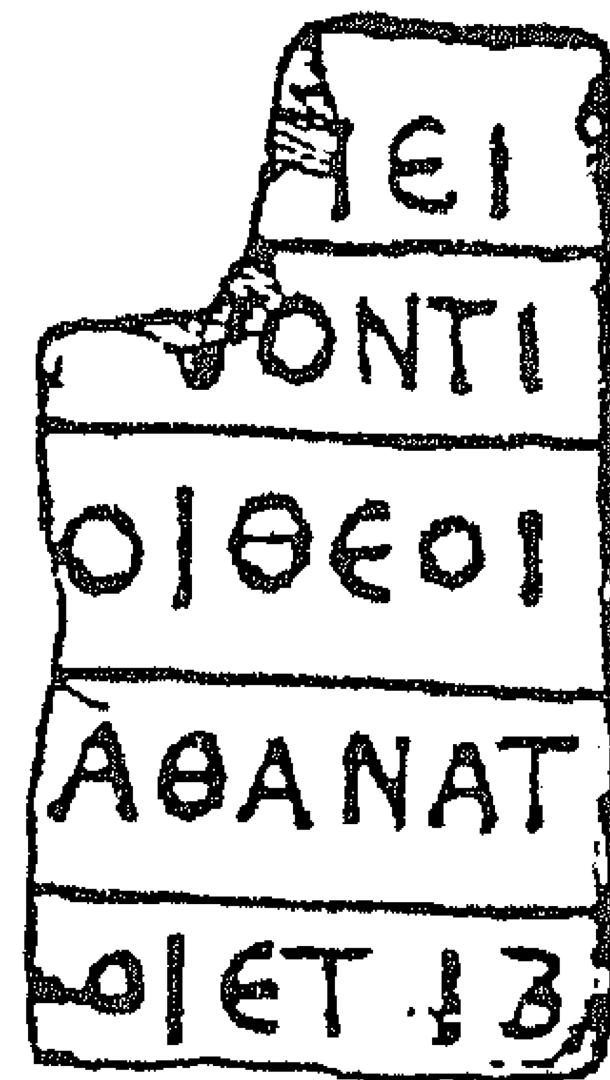
(شكل 39) البطميــة



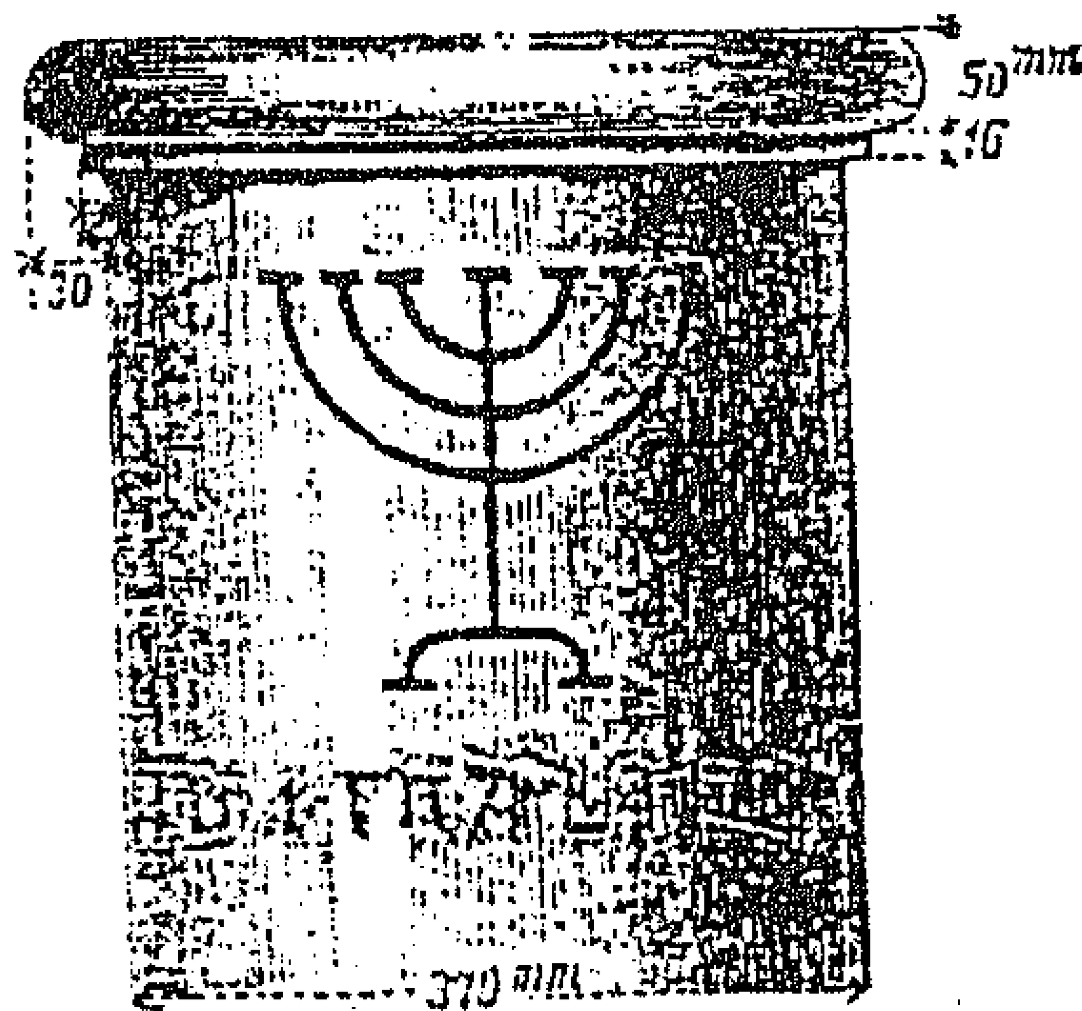
(شكل 40) فيـق



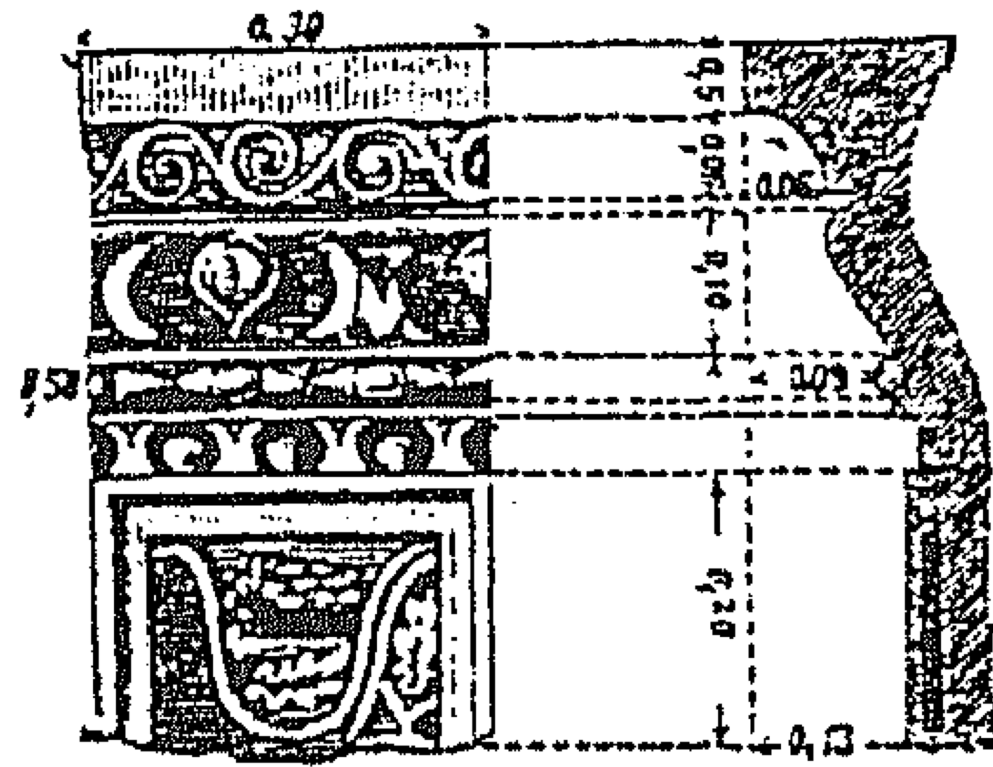
(شكل 41) فيـق



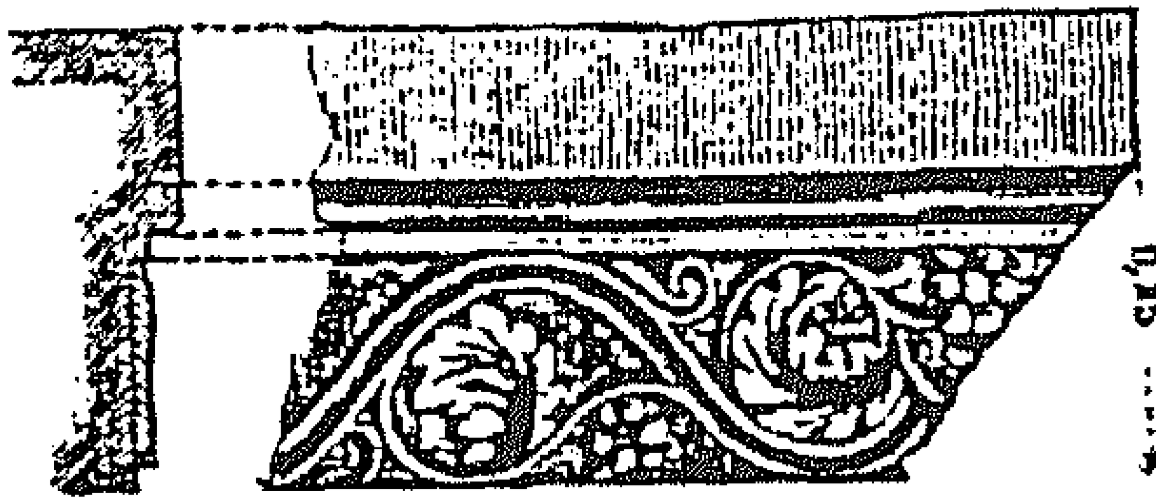
(شكل 42) فيق



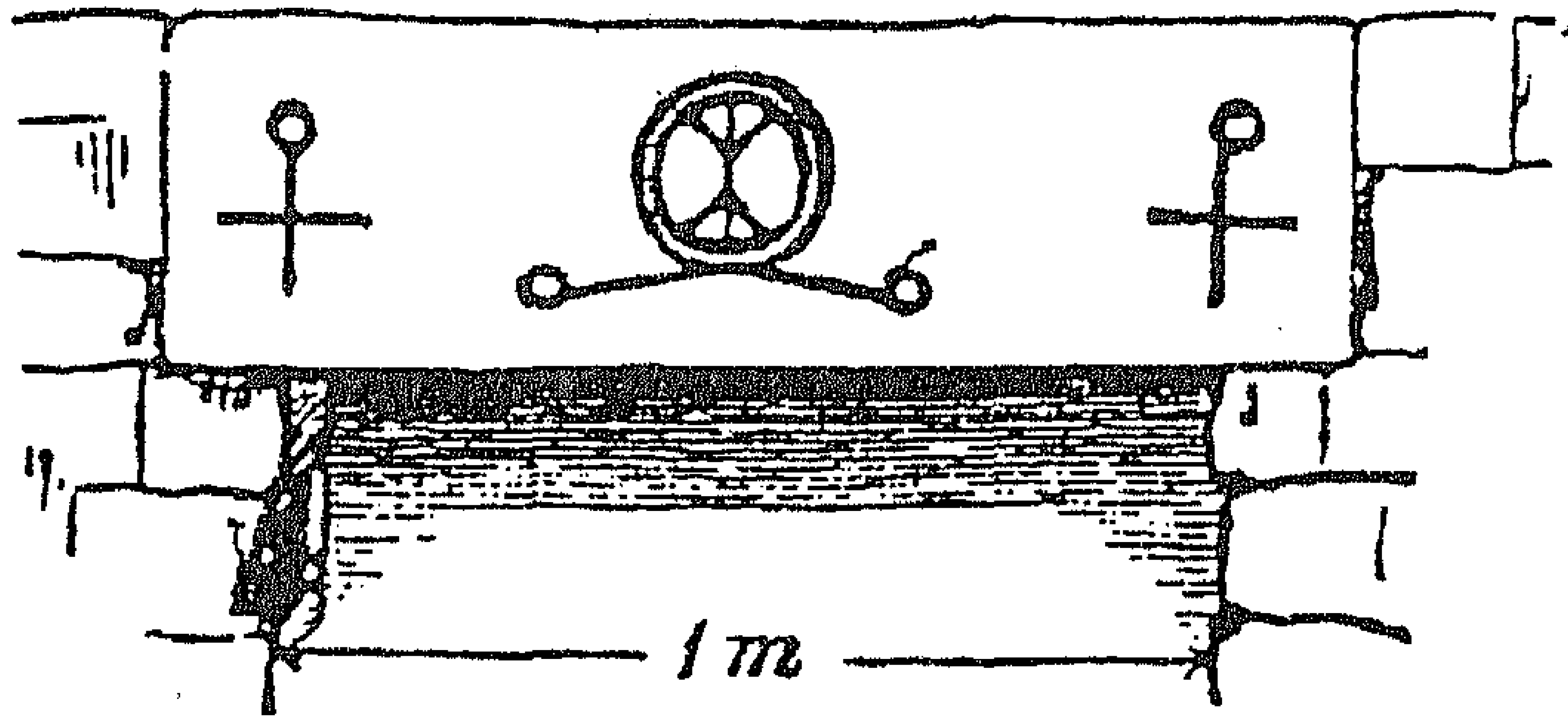
(شكل 43) فيق



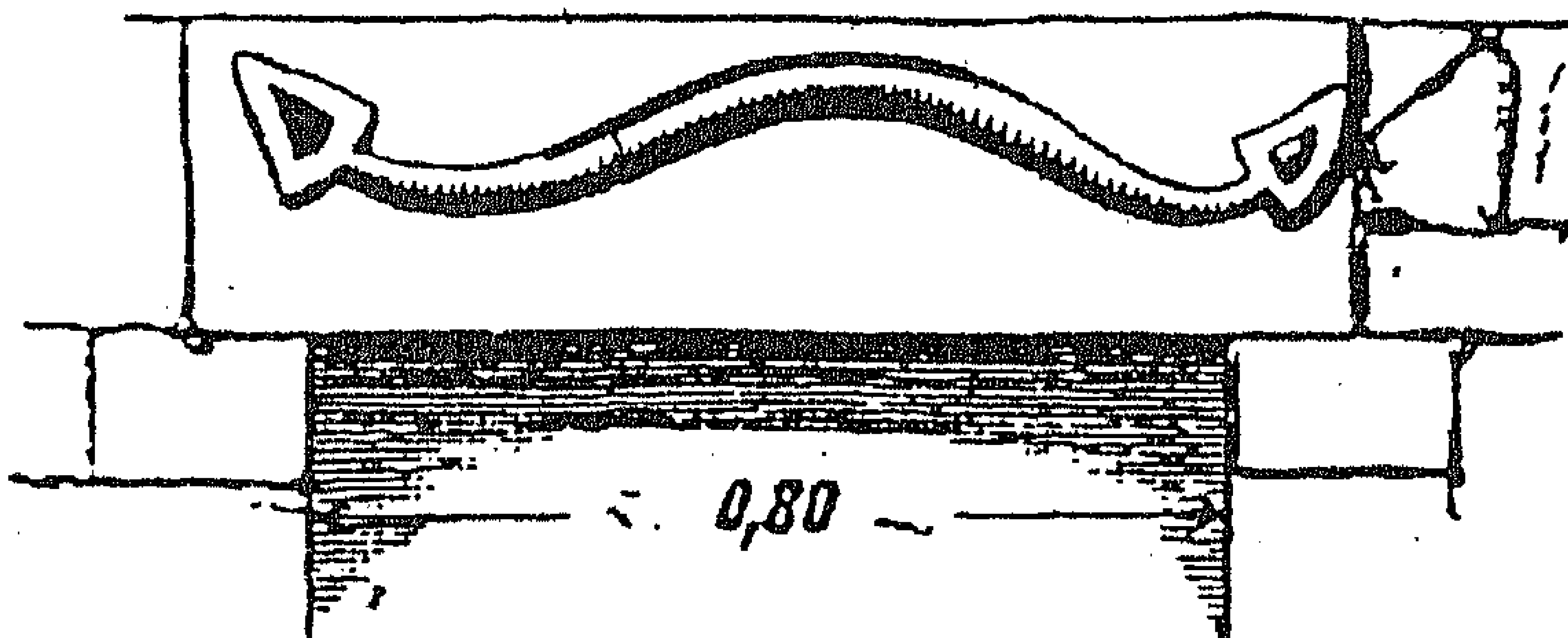
(شكل 44) فيق



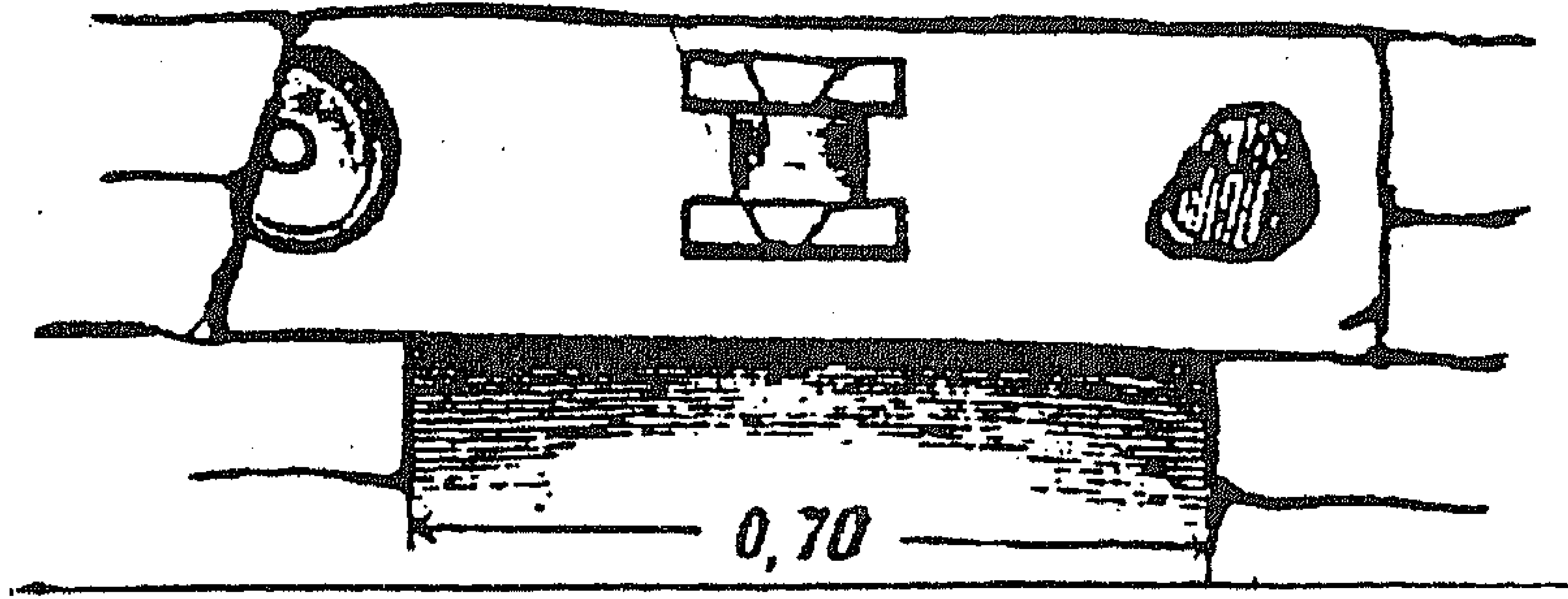
(شكل 45) فيق



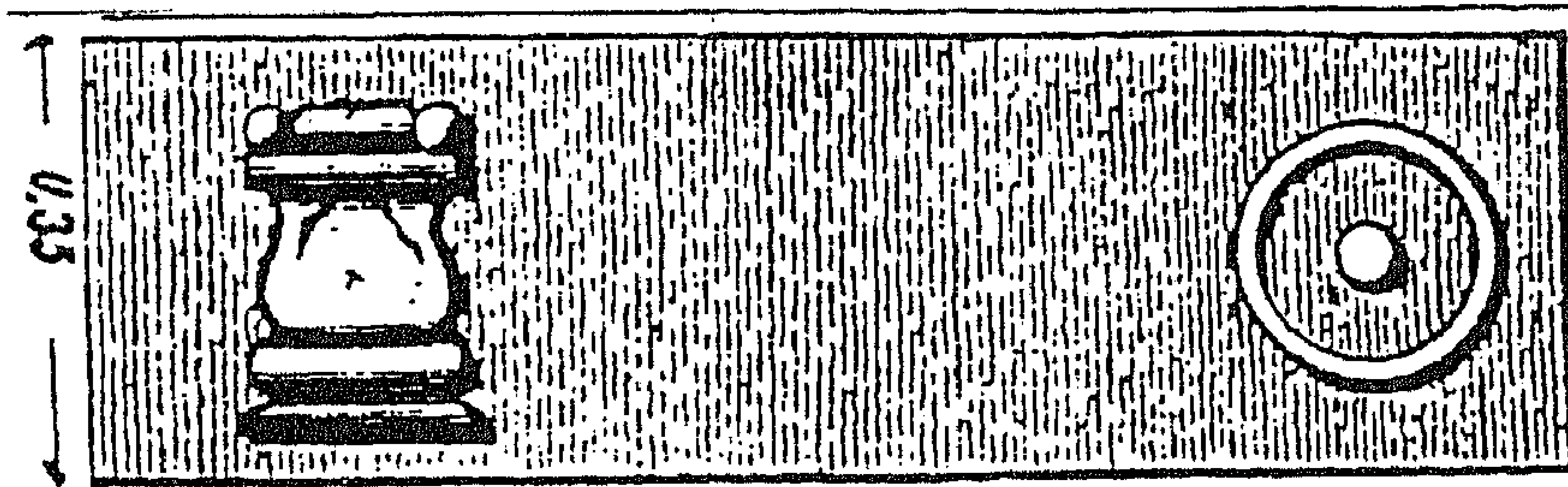
(شكل 46) فيق



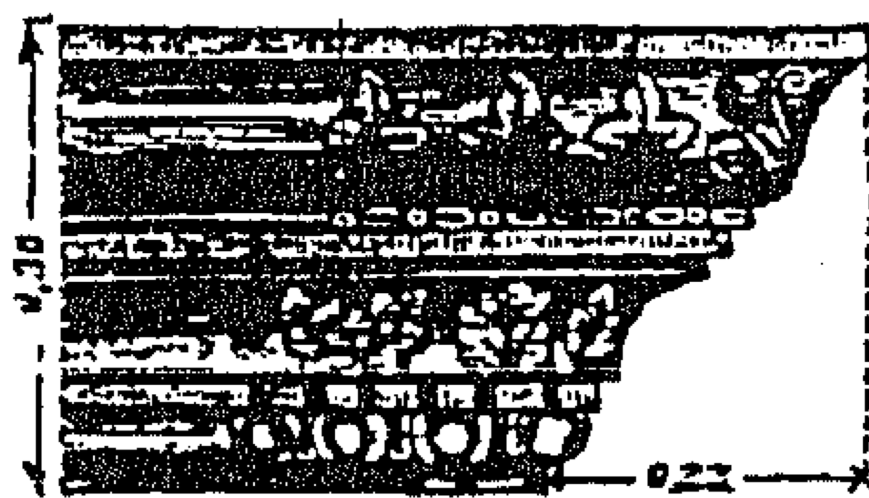
(شكل 47) فيق



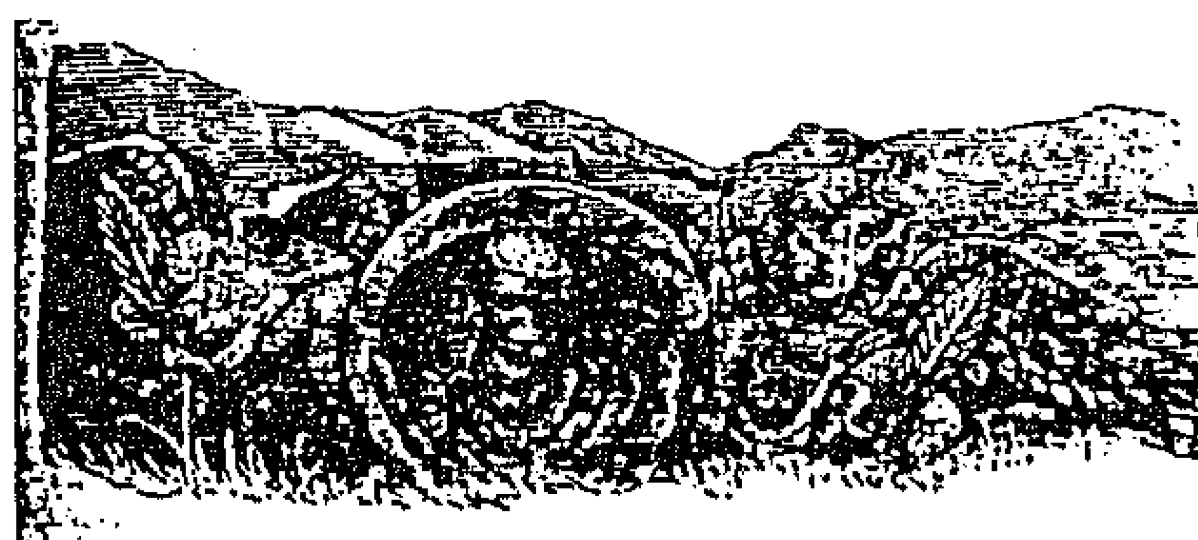
(شكل 48) فيق



(شكل 49) فيق



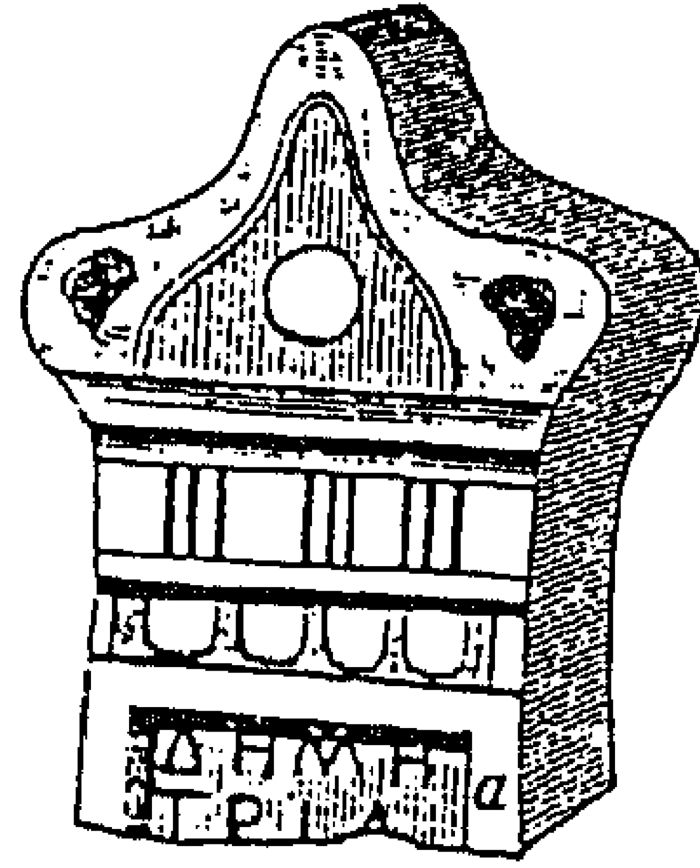
(شكل 50) العـال



(شكل 51) العـال

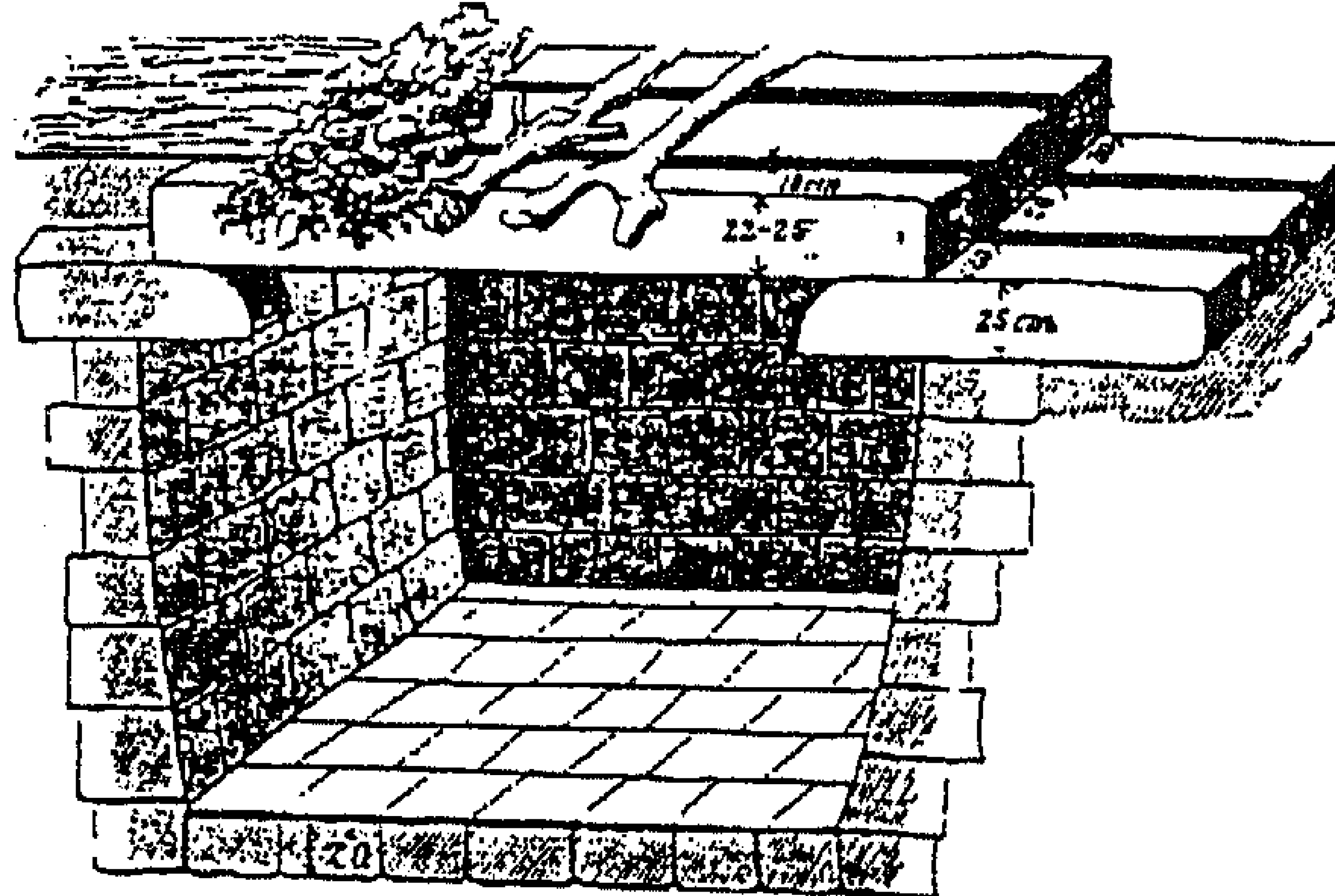


(شكل 52) العـال

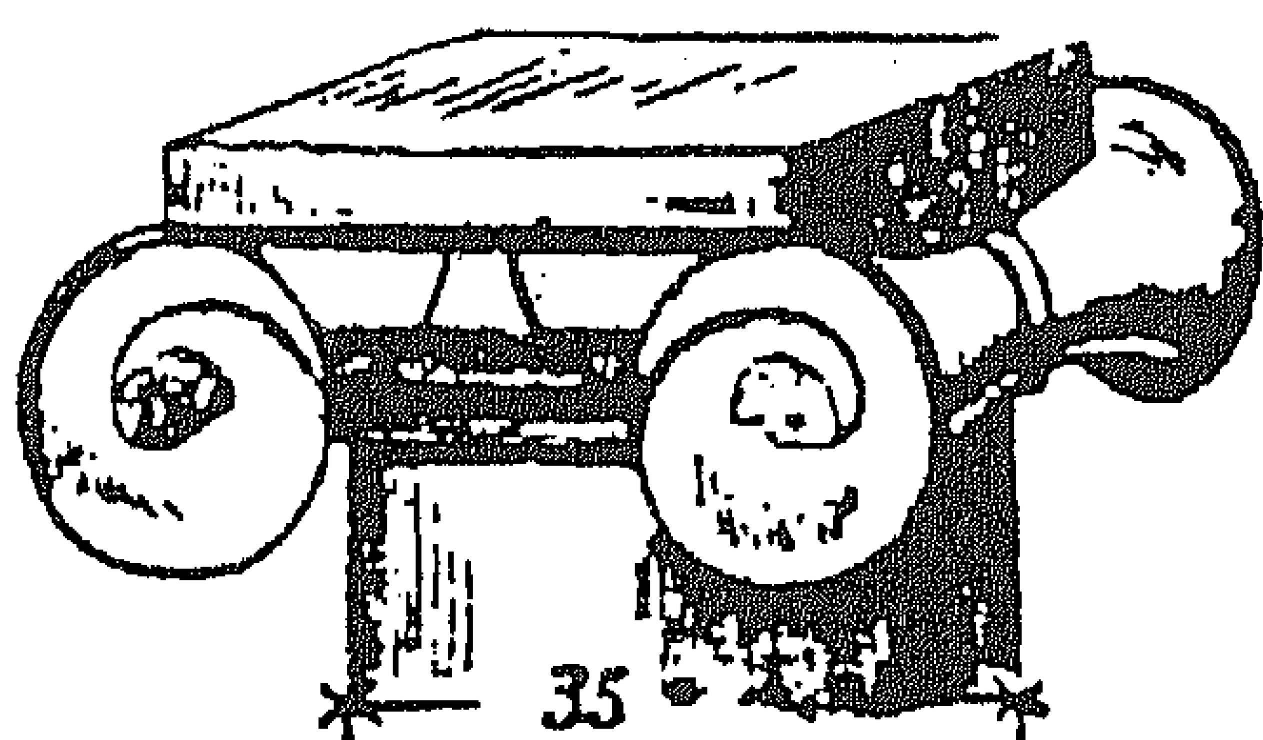




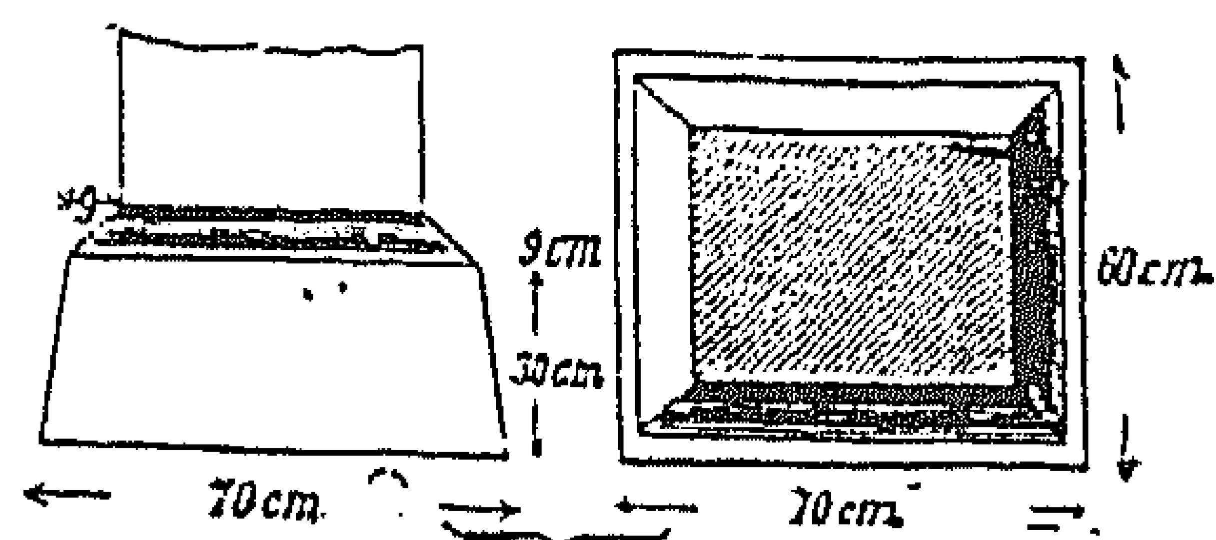
(شكل 53) العـال



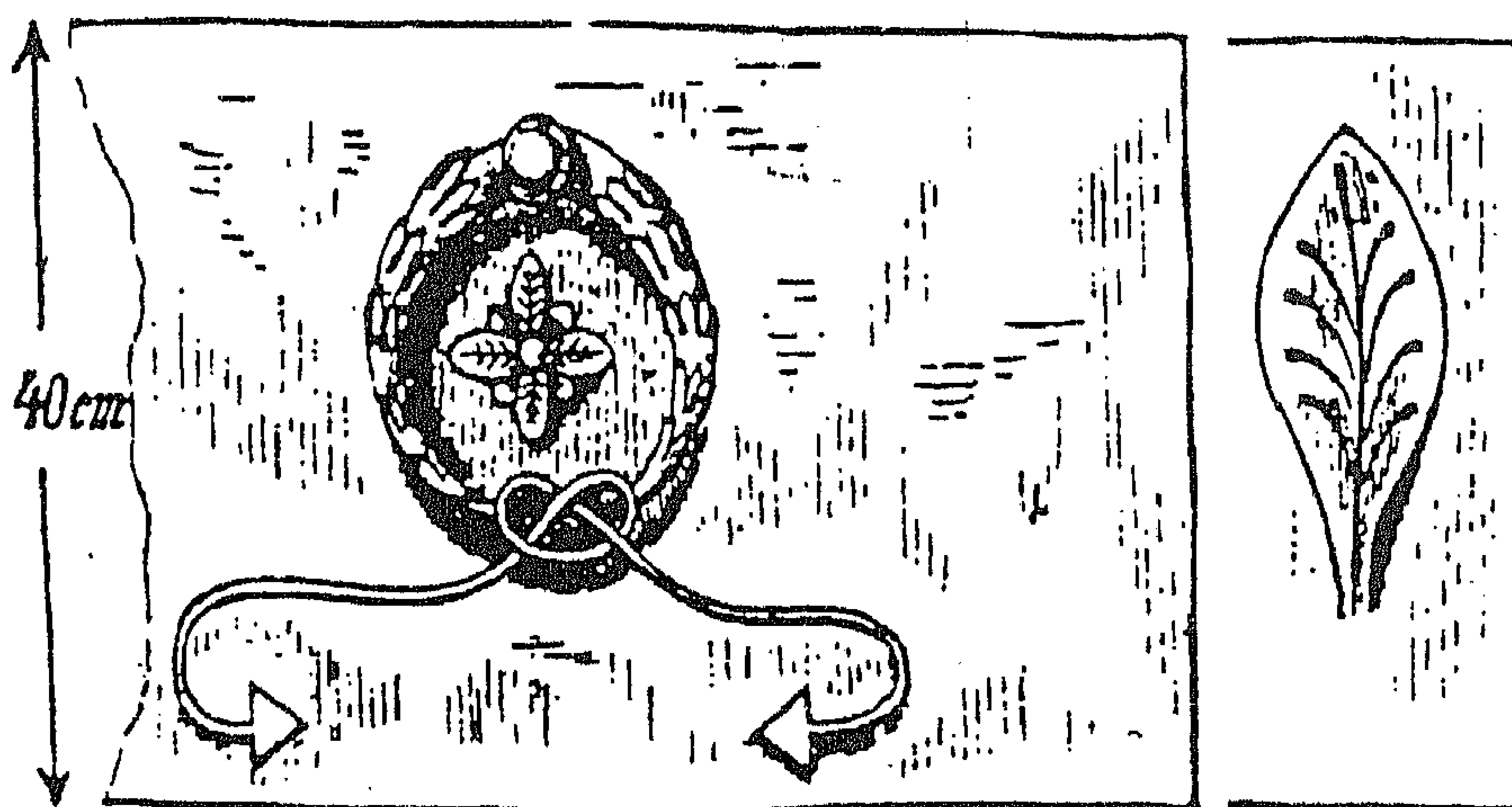
(شكل 54) جبيـن



(شكل 56) جبيـــن



(شكل 55) جبيـــن

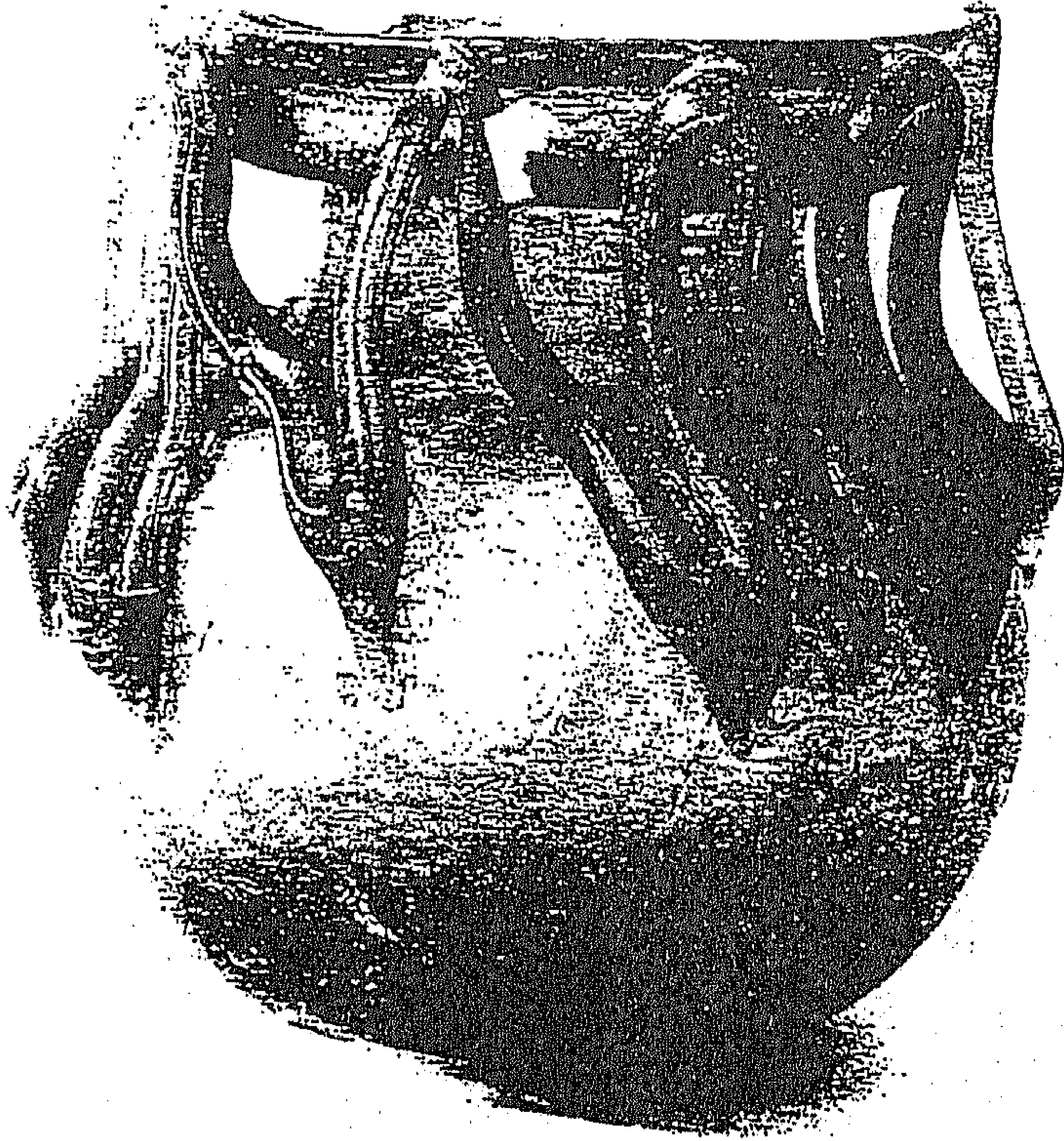


(شكل 57 و58) جبيـــن

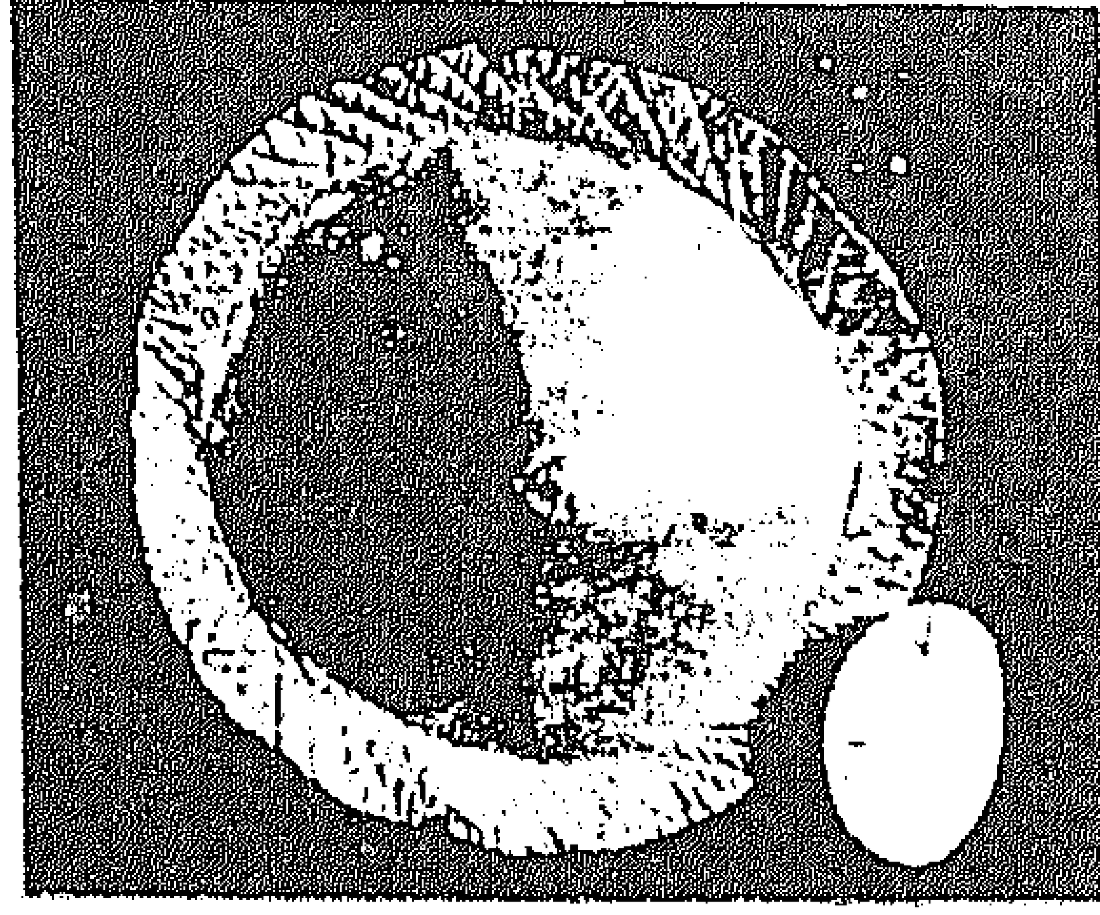


(شكل 59) خِسفين

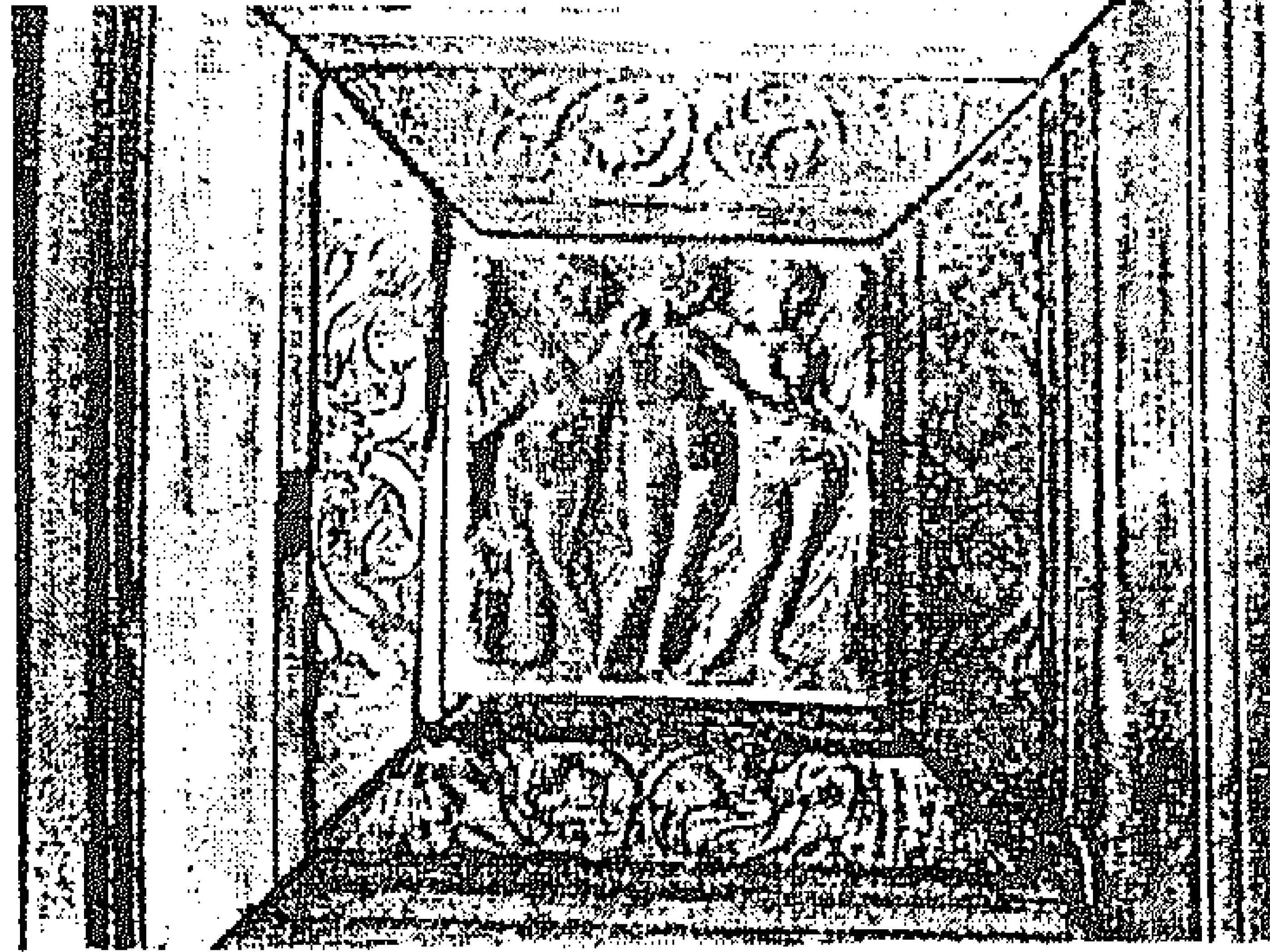
(نقلاً عن كتاب محمد سالم قدور)



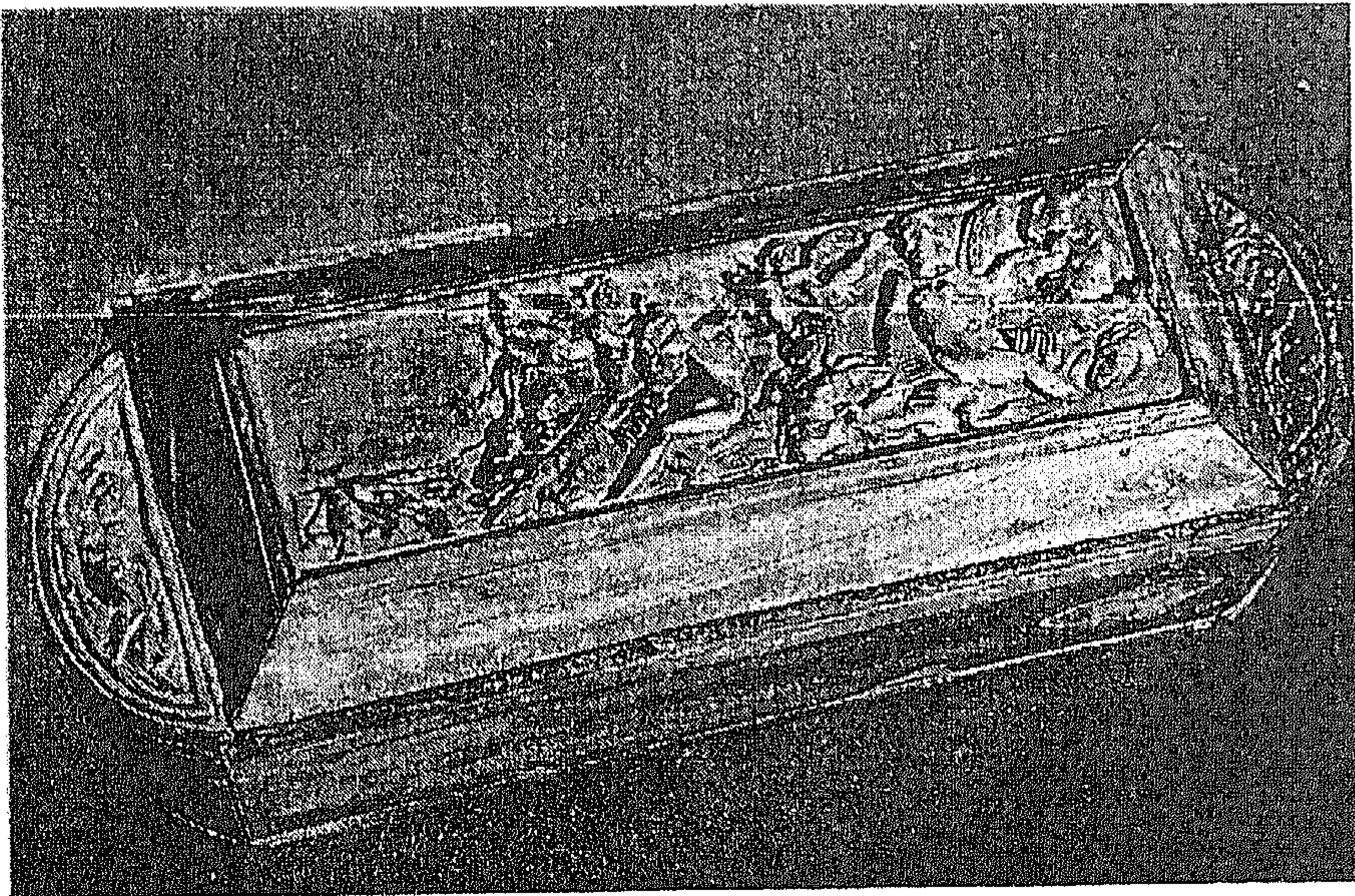
(شكل 60) خِسفين



(شكل 61) مشبك ذهبي من قبور خِسفين (عن كتاب محمد قدور)



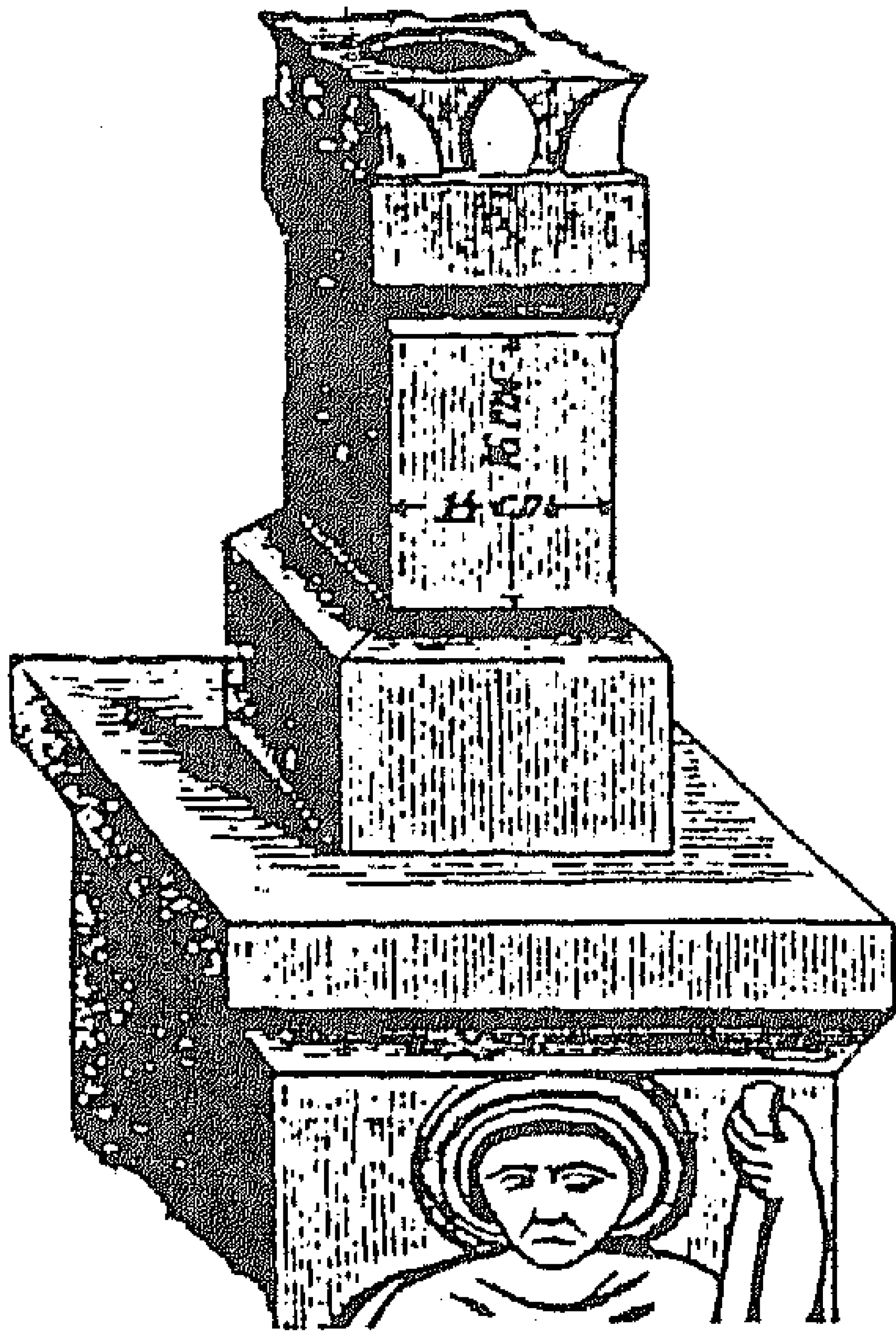
(شكل 62) علبة مجوهرات (خِسفين)



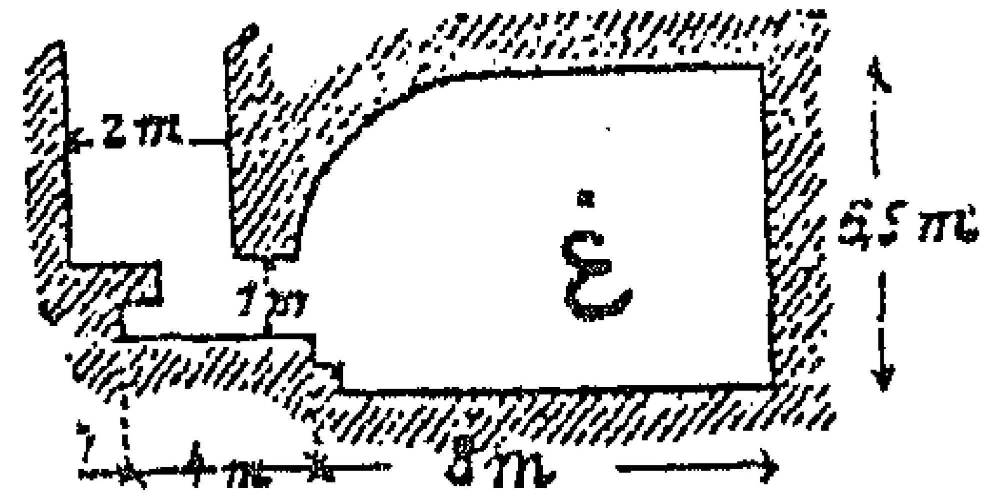
(شكل 63) صندوق صغير من العاج من قبور خِسفين (عن كتاب محمد قدور)



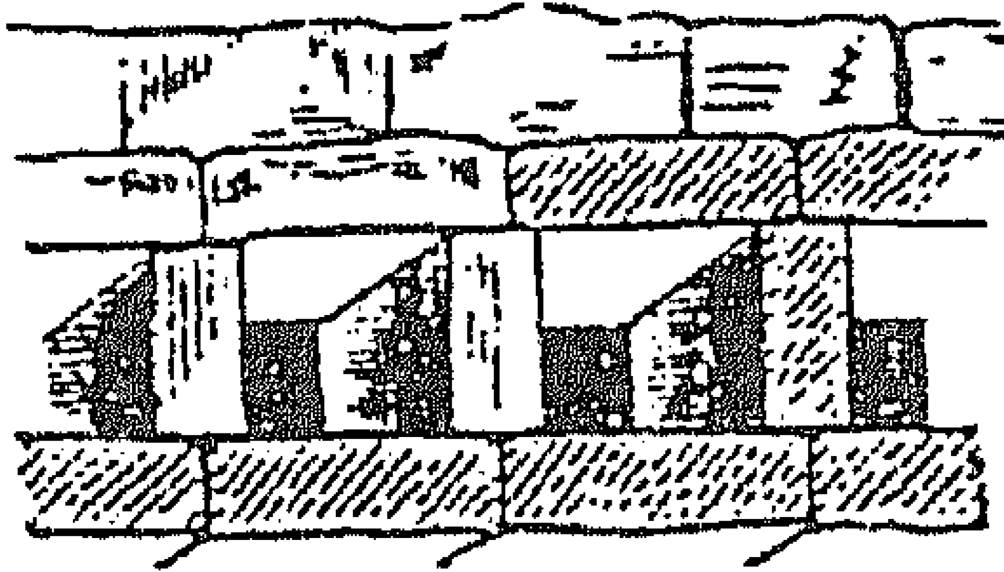
(شكل 64) كفر الما



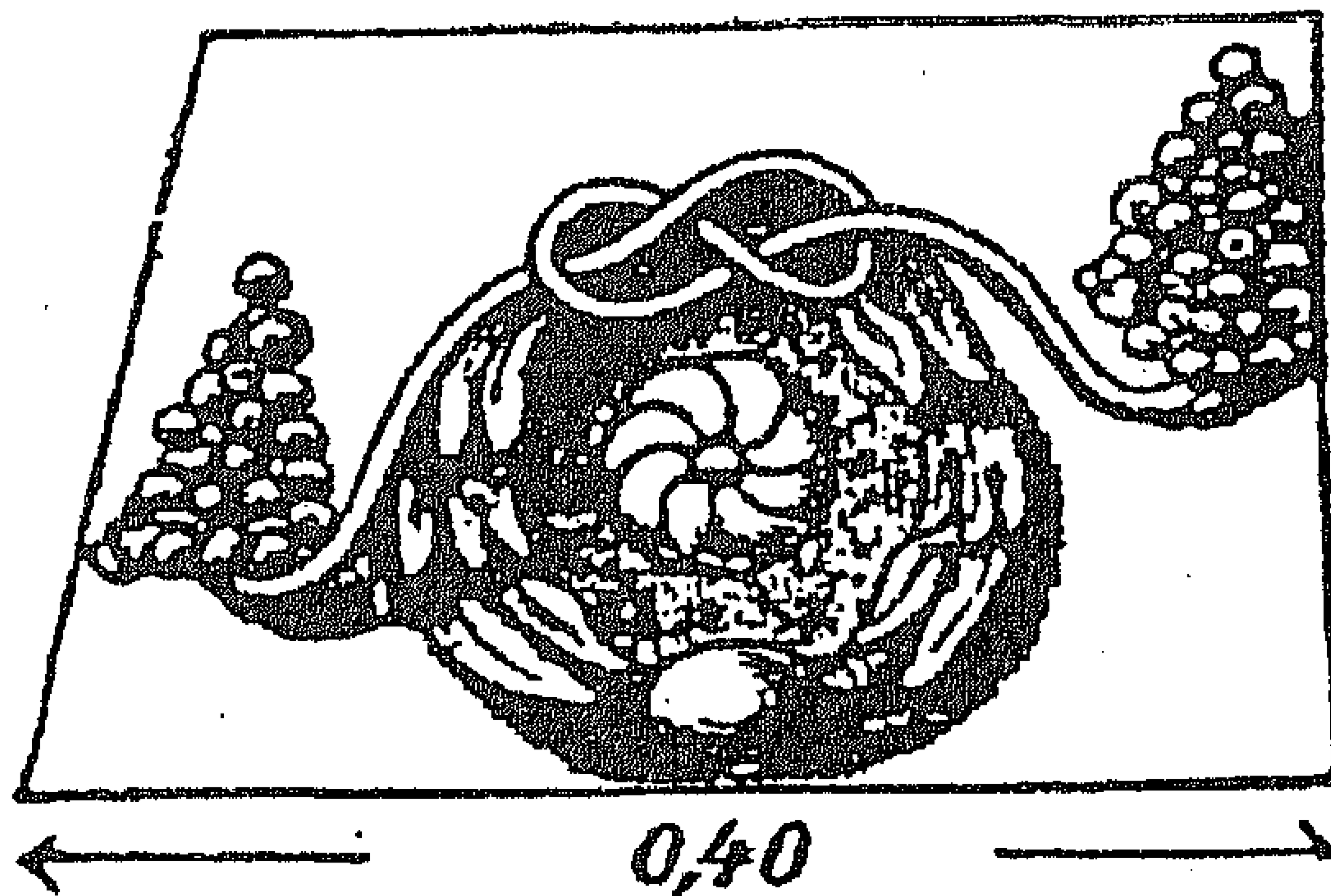
(شكل 65) كفر الما



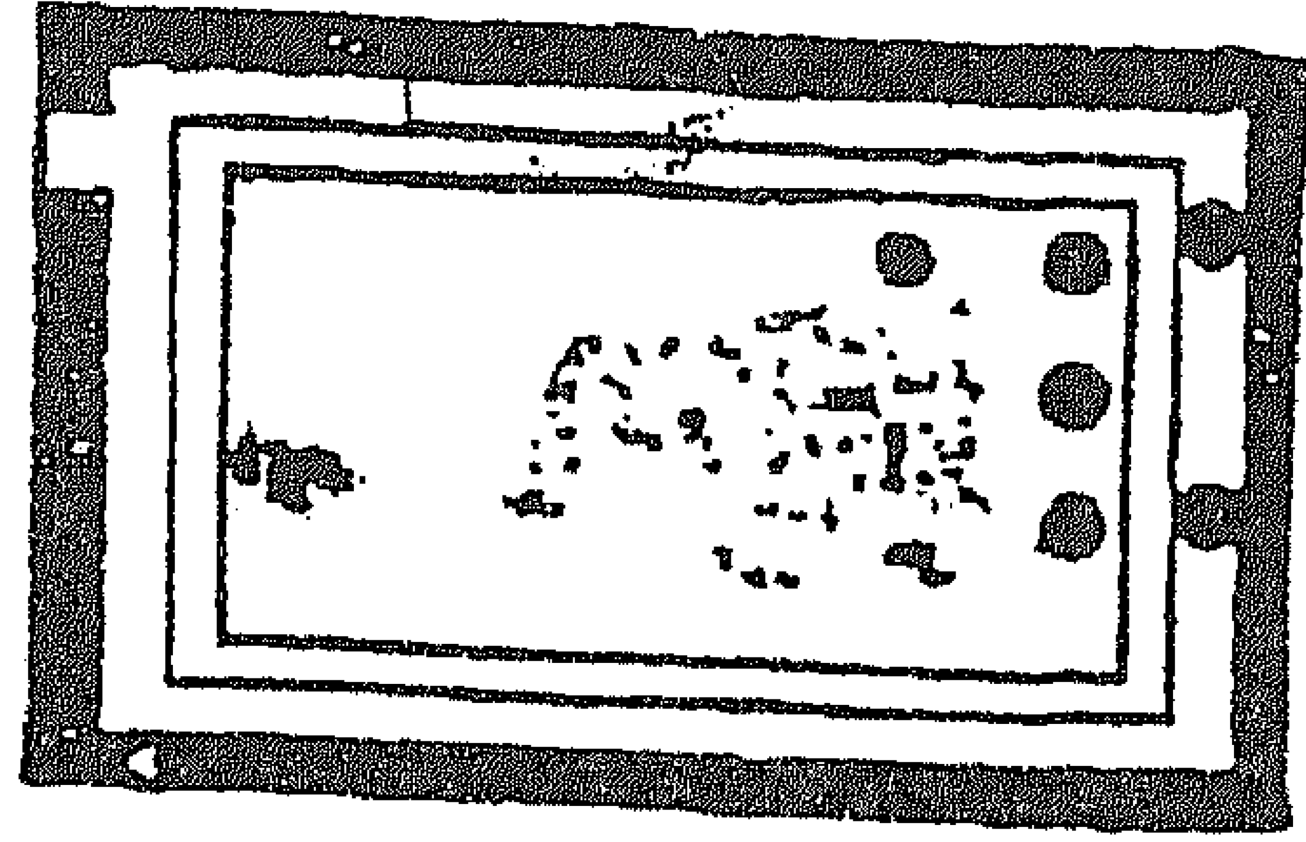
(شكل 66) الحسينية



(شكل 67) الحسينية



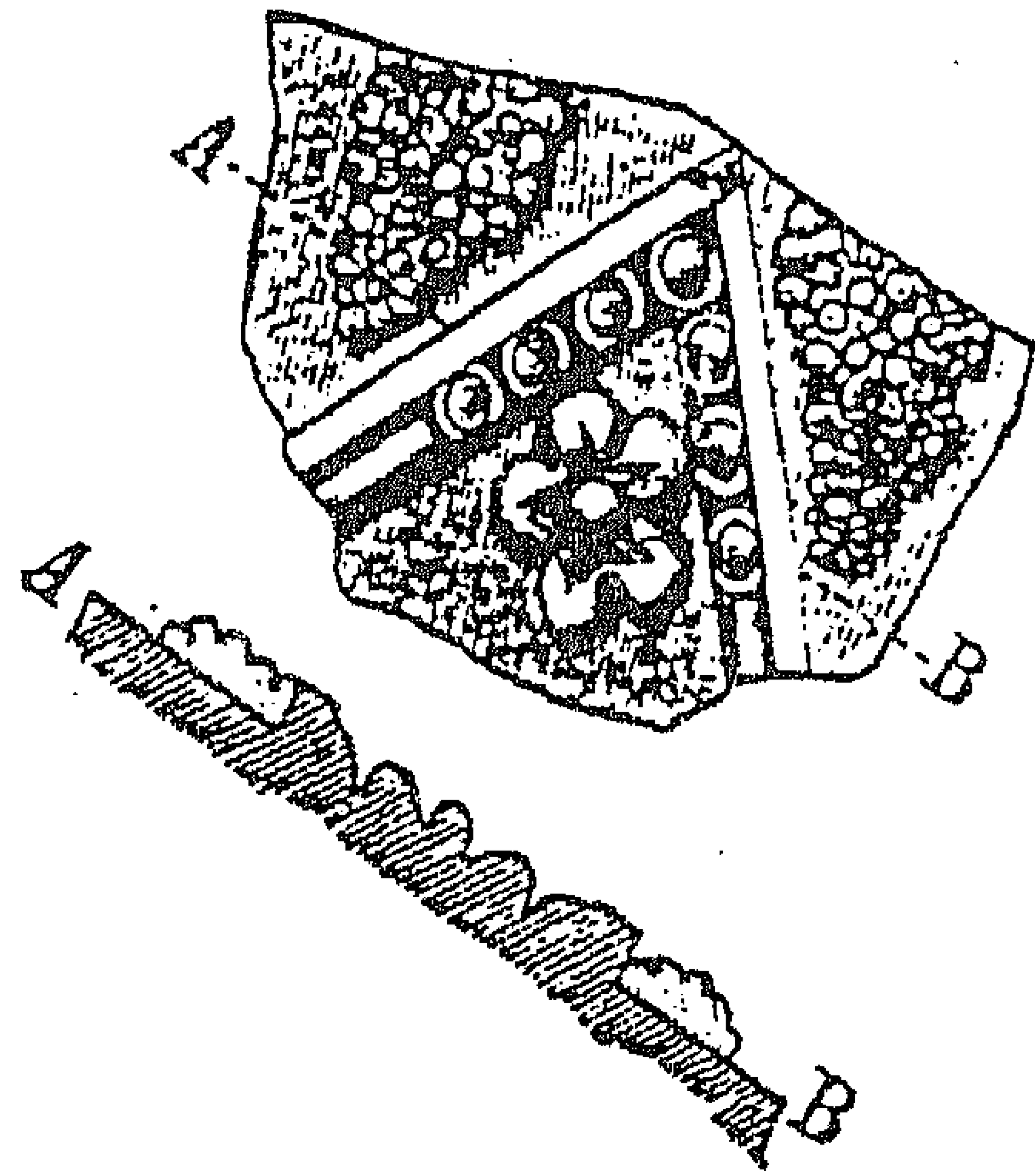
(شكل 68) الحسينية



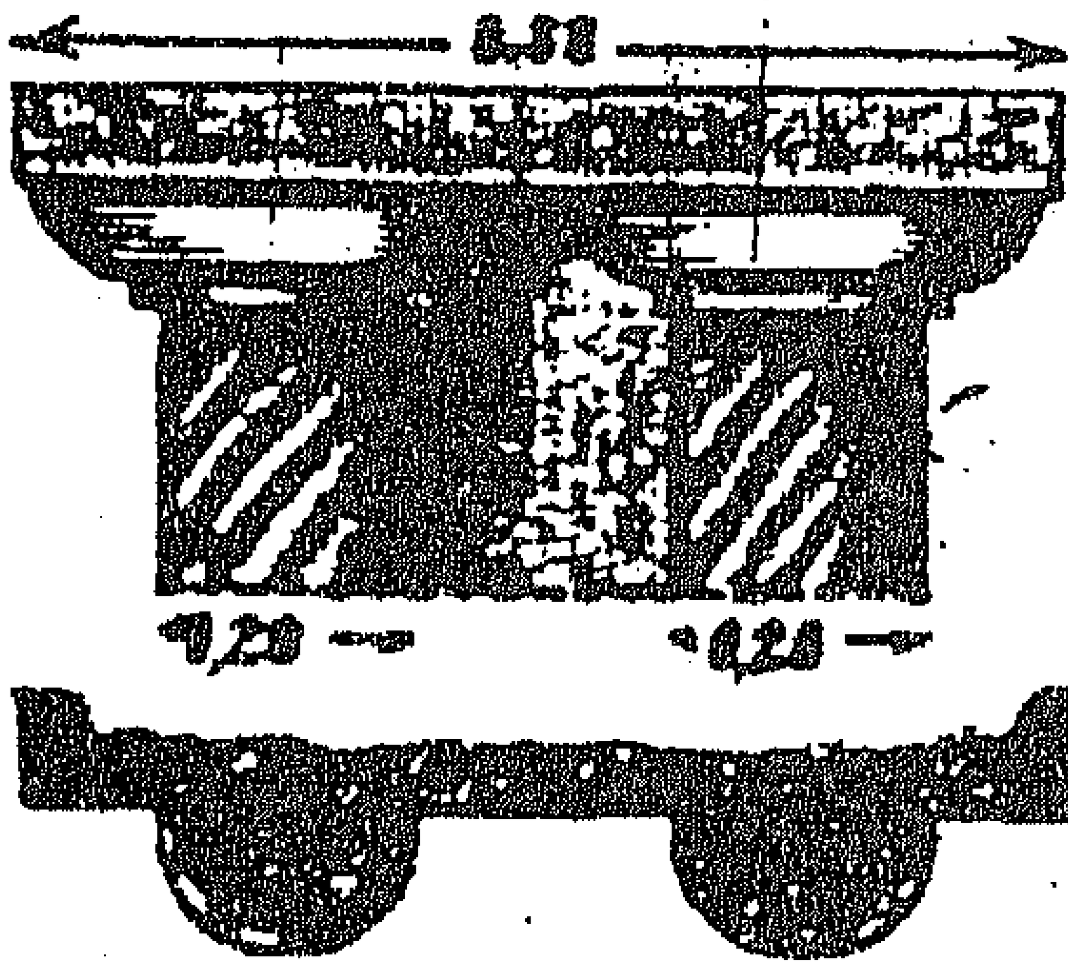
(شكل 69) الدوكـة



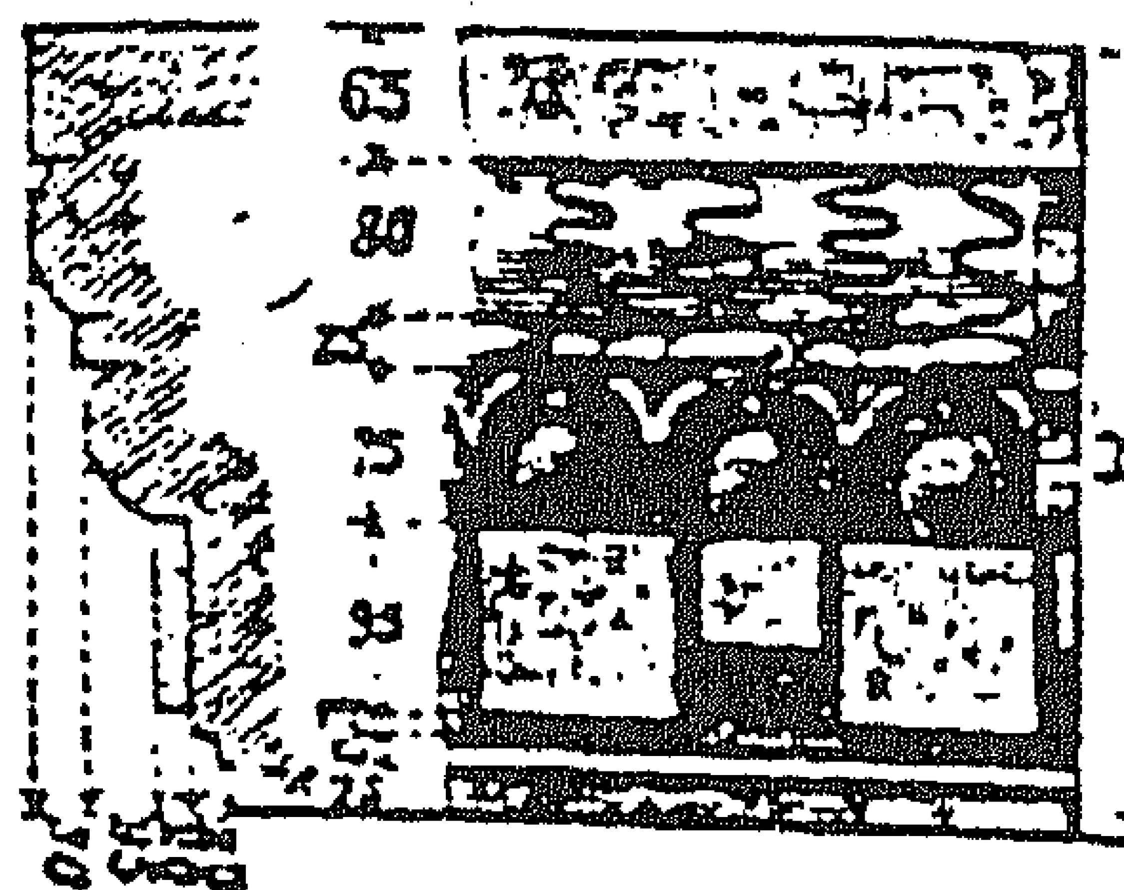
(شكل 70) الدوكـة



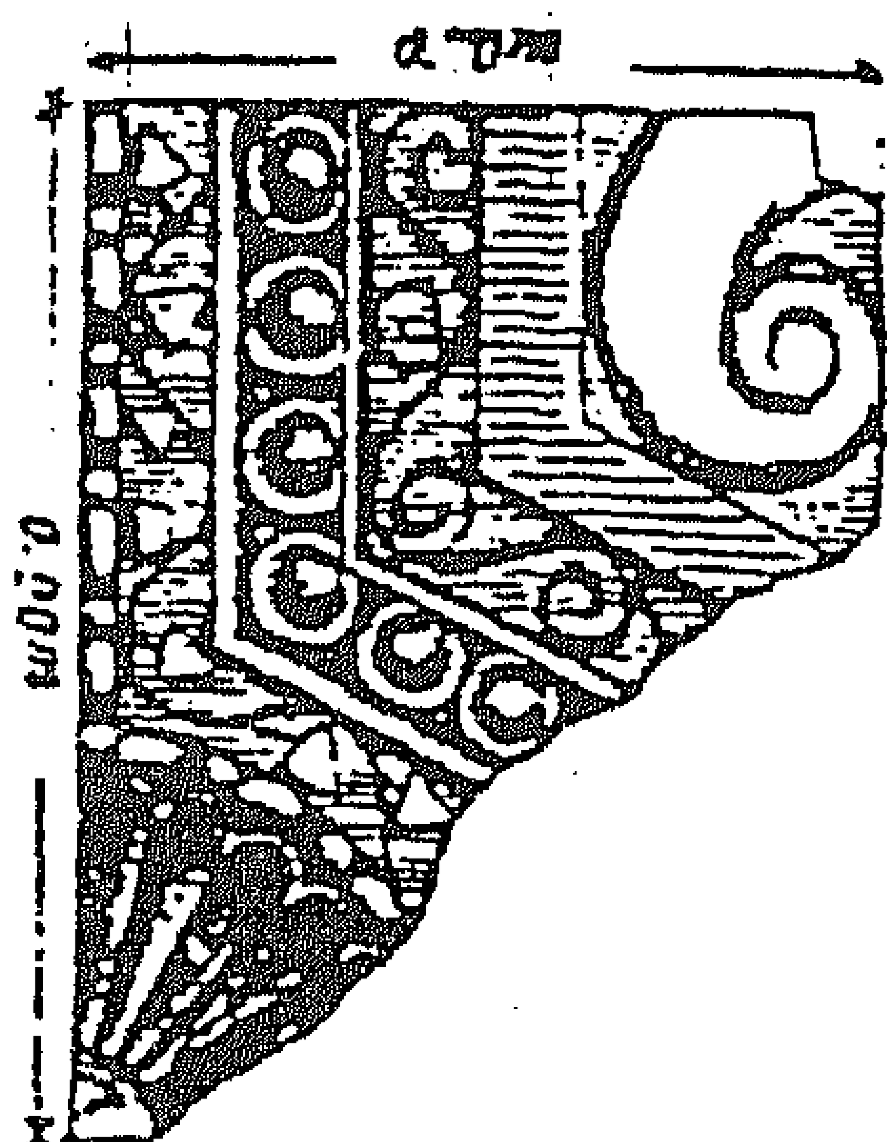
(شكل 71) الدوكـة



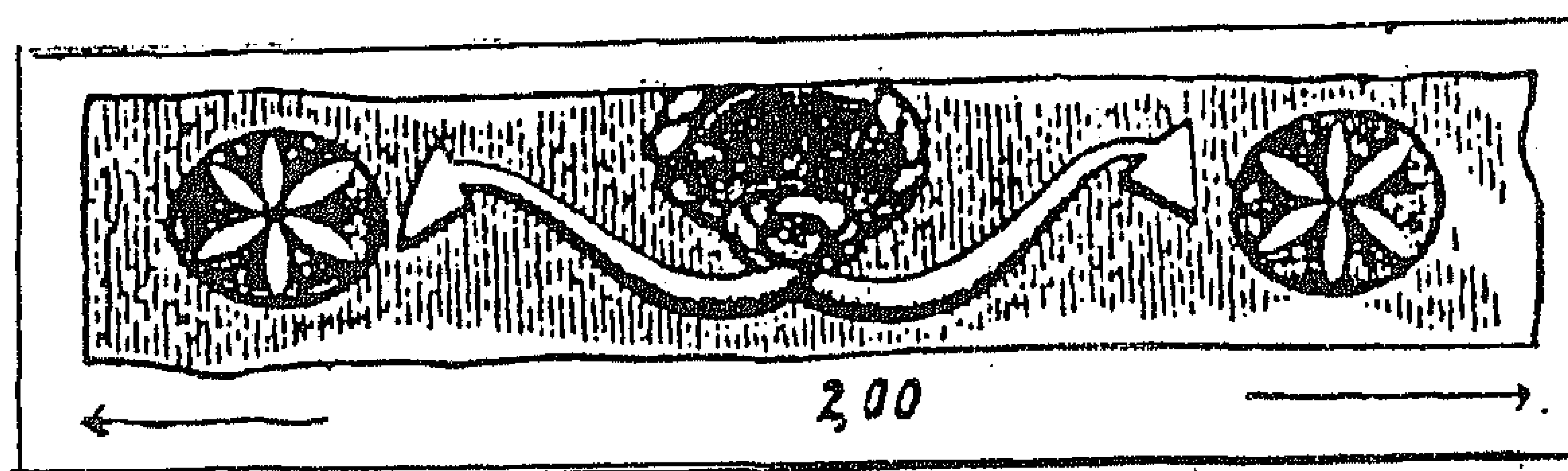
(شكل 72) الدوكـة



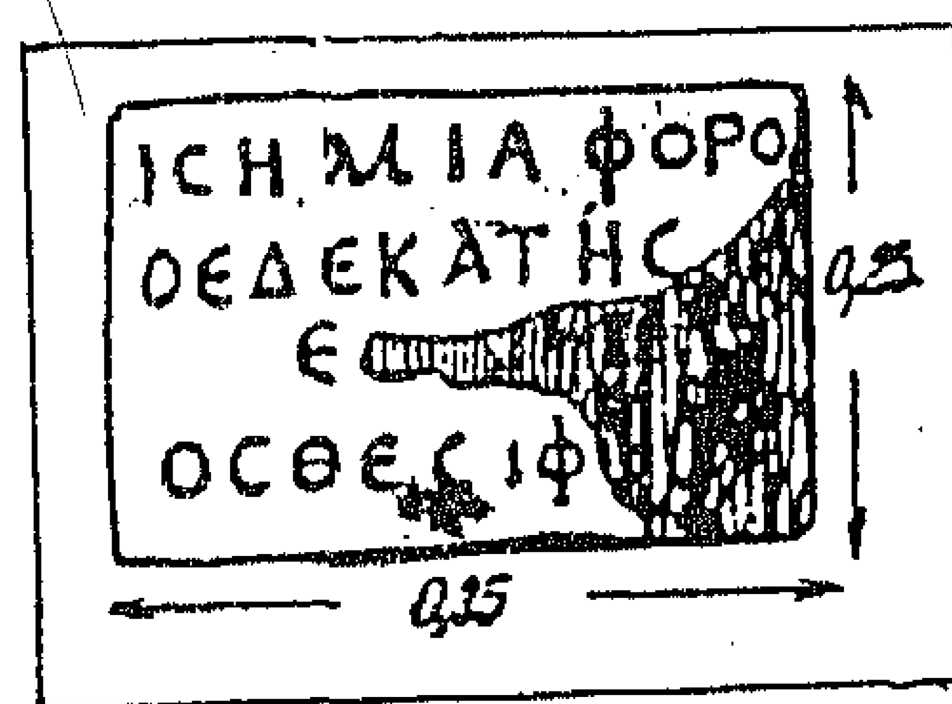
(شكل 73) الدوكـة



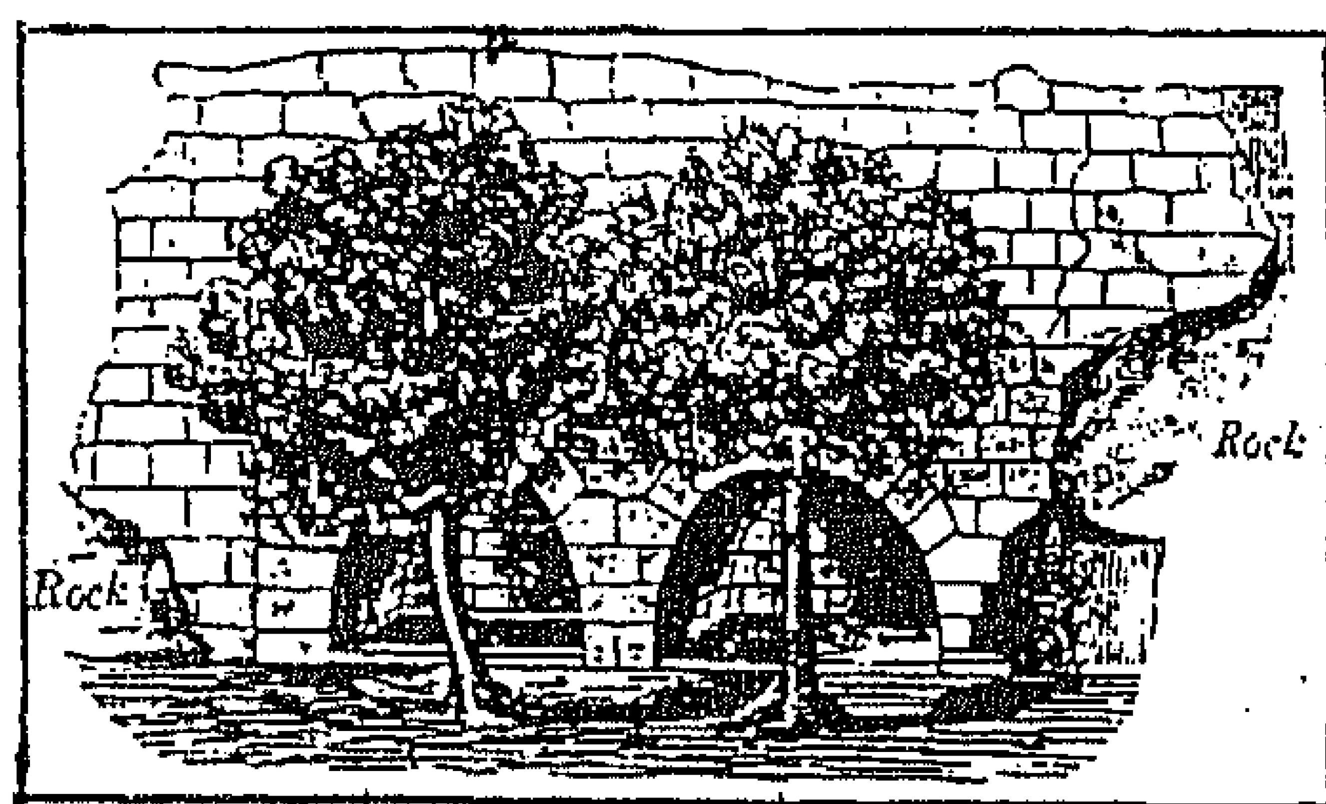
(شكل 74) الدوكـة



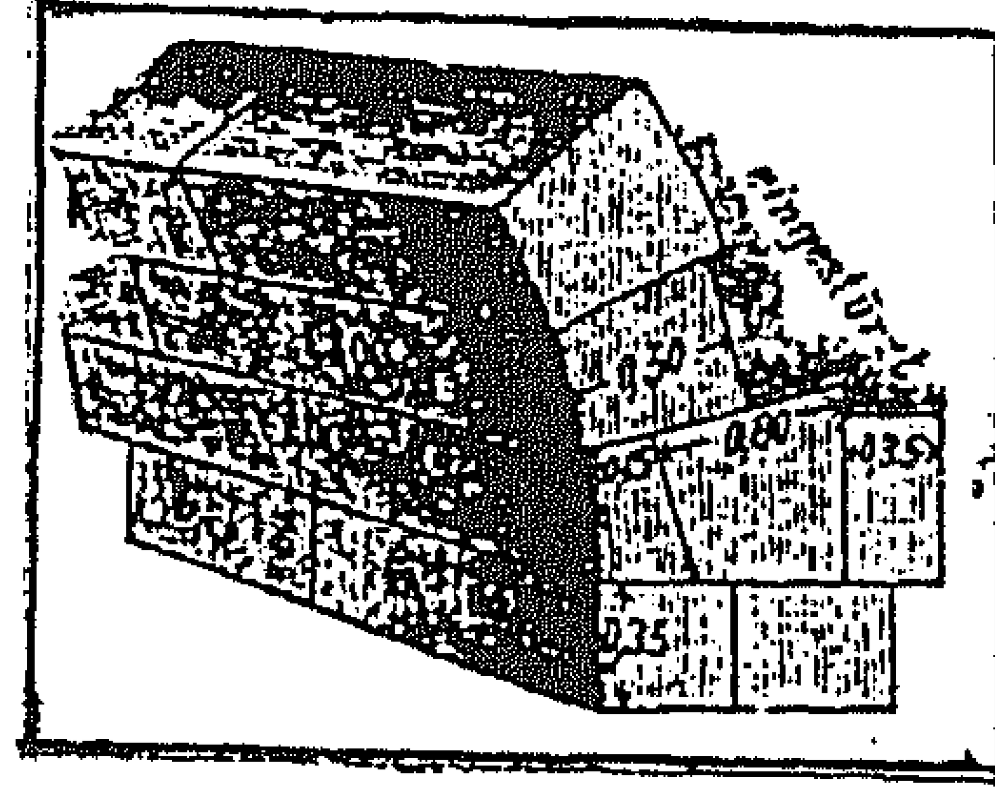
(شكل 75) كفر حـارب



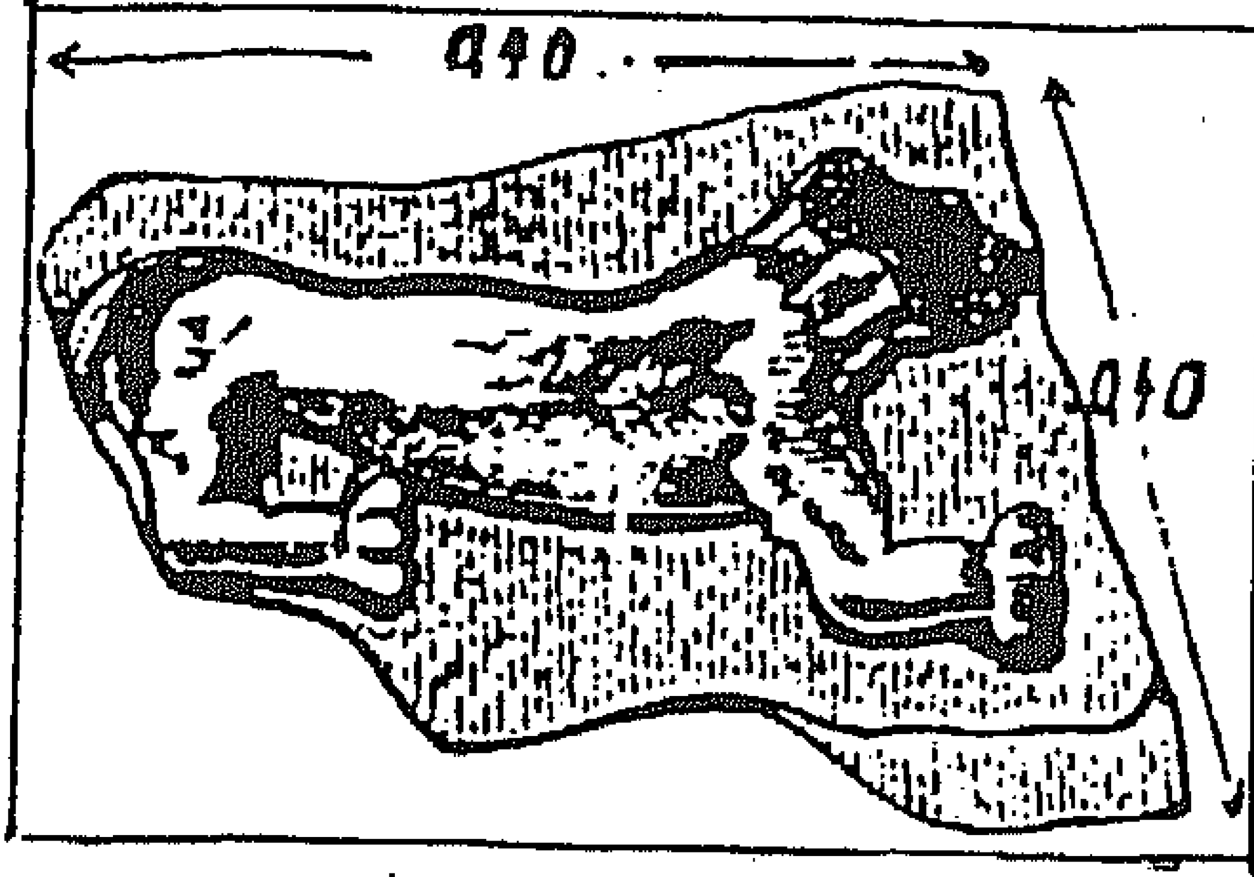
(شكل 76) كفر حـارب



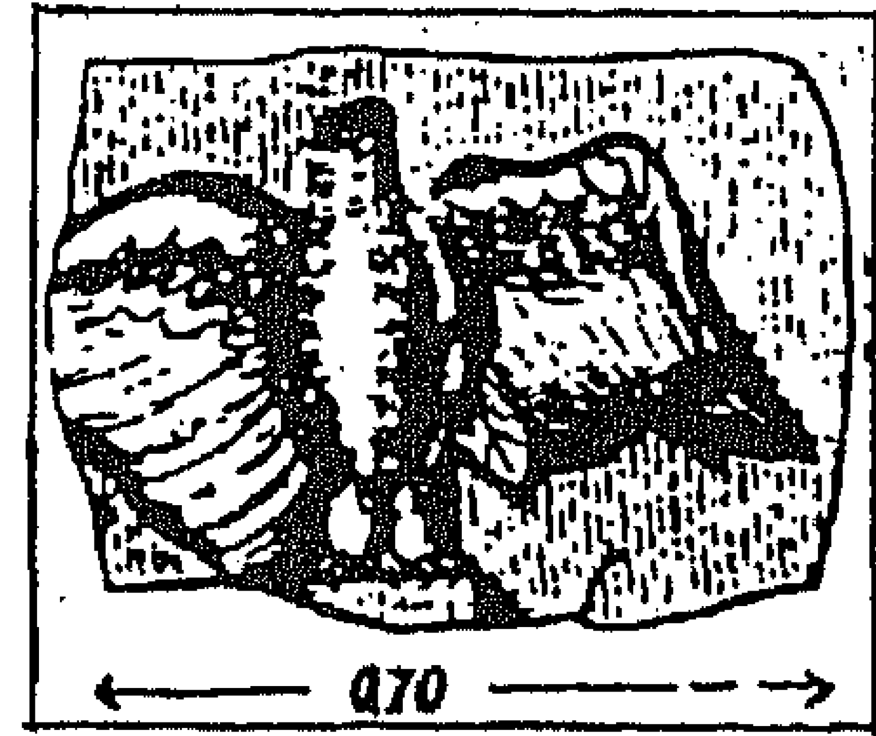
(شكل 77) أم القناطر



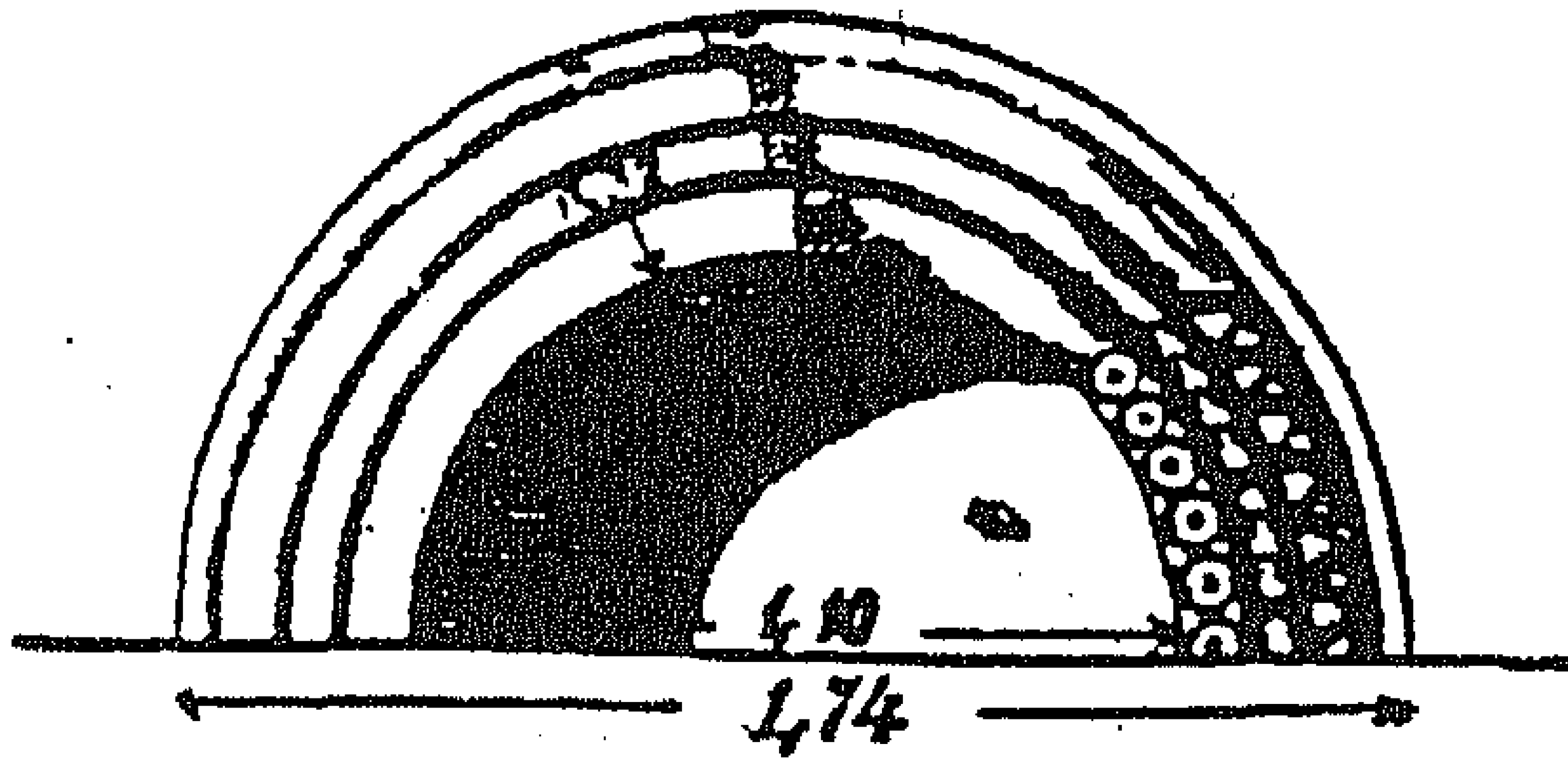
(شكل 78) أم القناطر



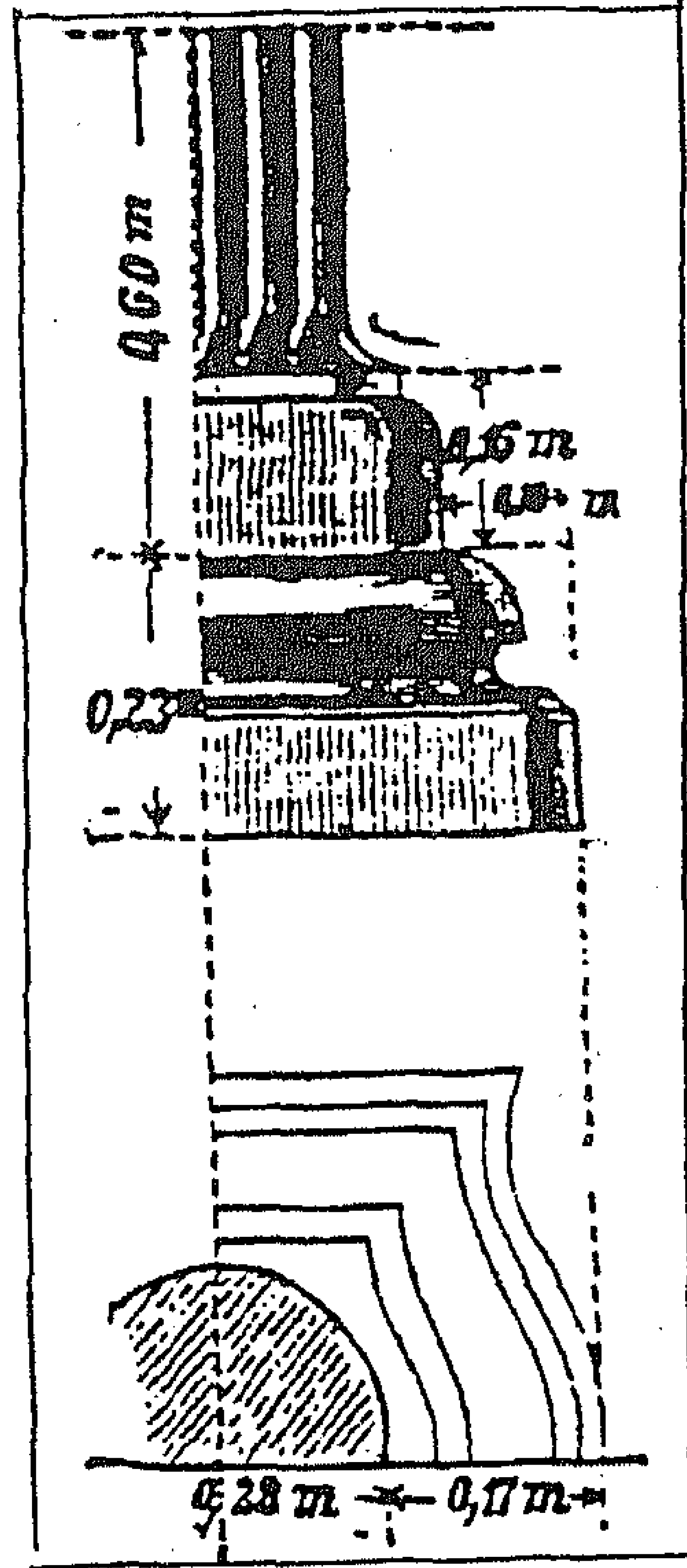
(شكل 79) أم القناطر



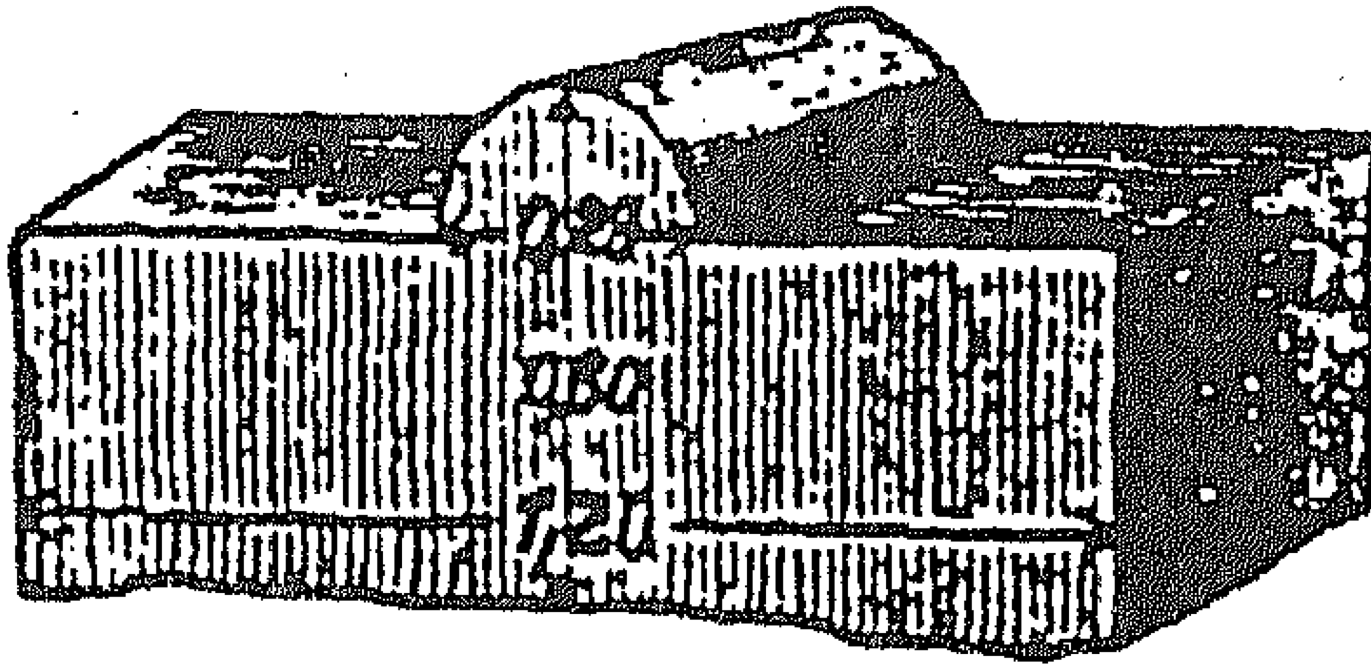
(شكل 80) أم القناطر



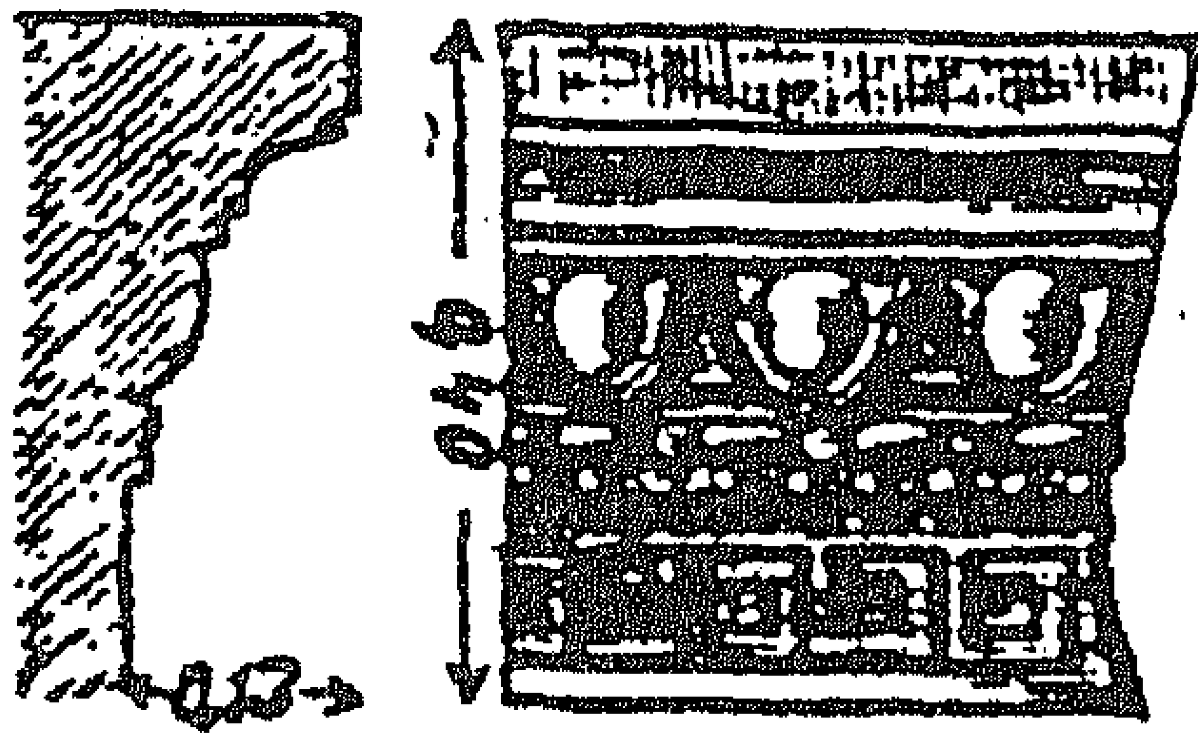
(شكل 81) أم القناطر



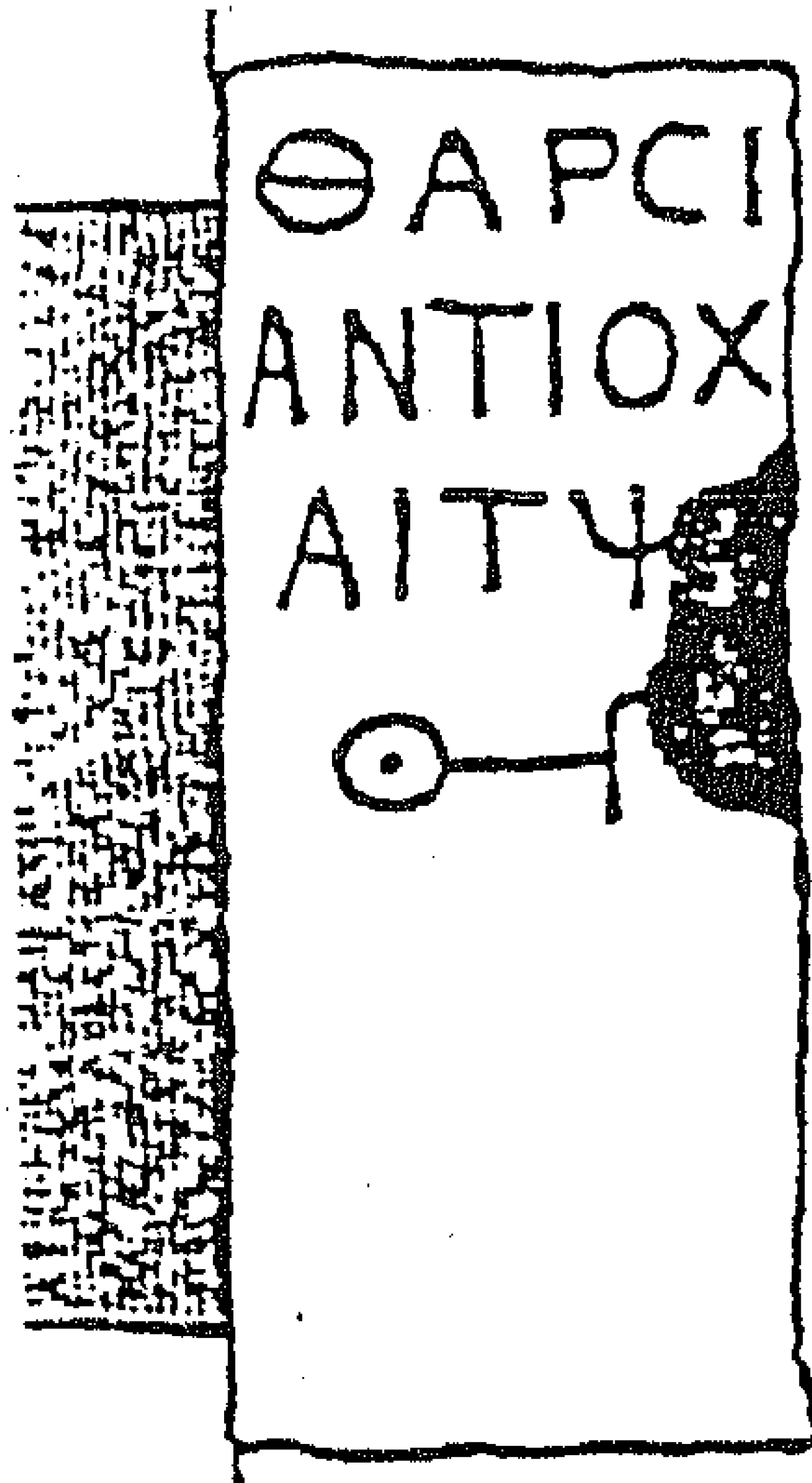
(شكل 82) أم القناطر



(شكل 83) أم القناطر



(شكل 84) أم القناطر



(شكل 85) عيـون



(شكل 86) مصوّر قلعة الحصن

1- الحرف الجبلي (ظهر الأحمر، من 1 – أ)

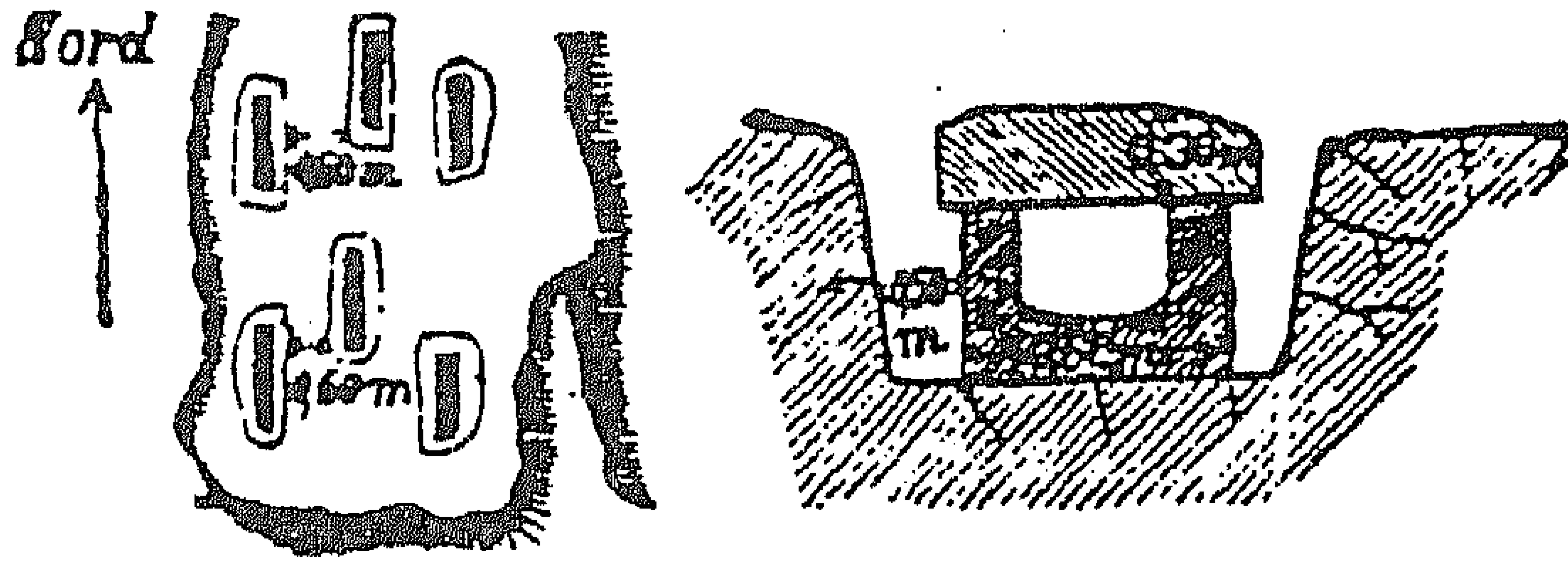
2- الجدران الجنوبية (في الجنوب والشرق والغرب) .

3- بقايا البرجين (ب) و(جـ) .

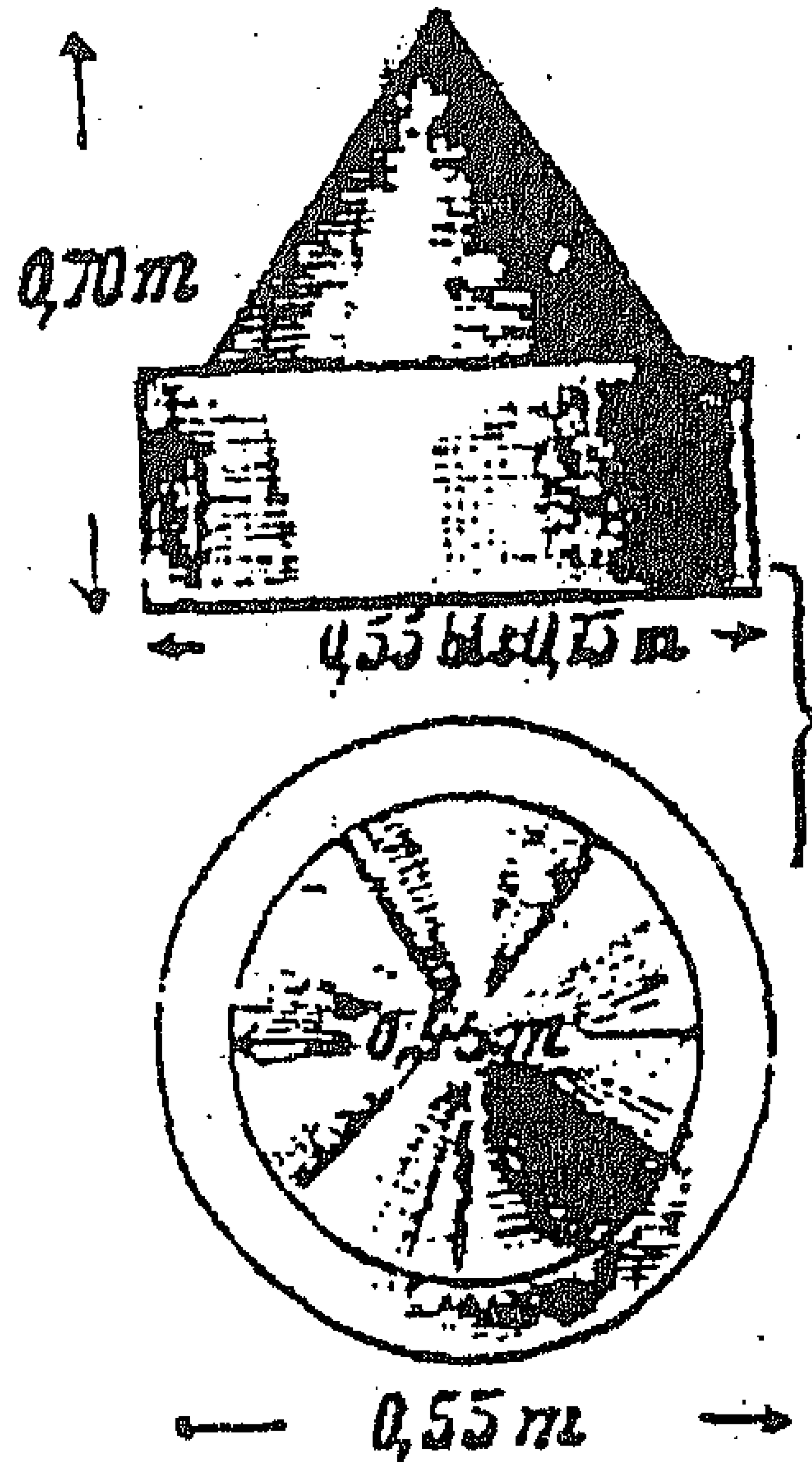
4- موضع النواويس . 5- بوابة حجرية . 6- بوابة القلعة .

7- امتداد الشارع الرئيس حتى أقصى الشمال .

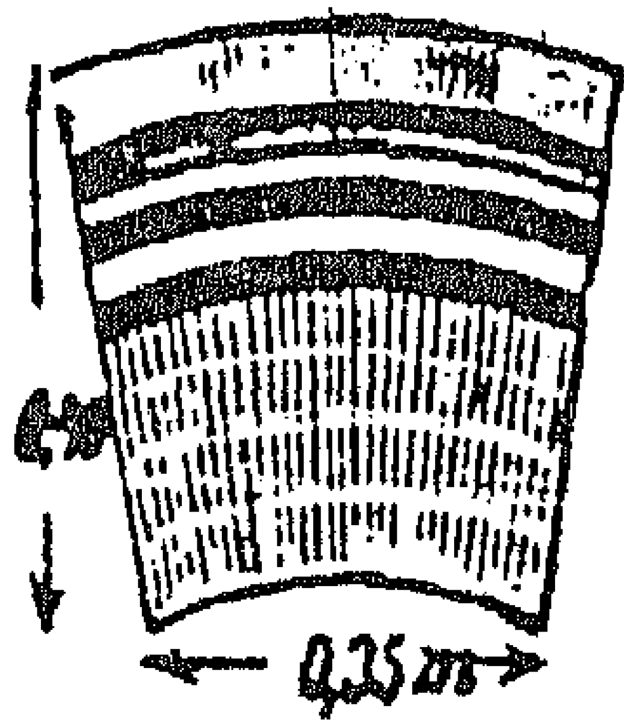
■ : أبراج . O : خزّانات .



(شكل 87 و88) قلعة الحصن

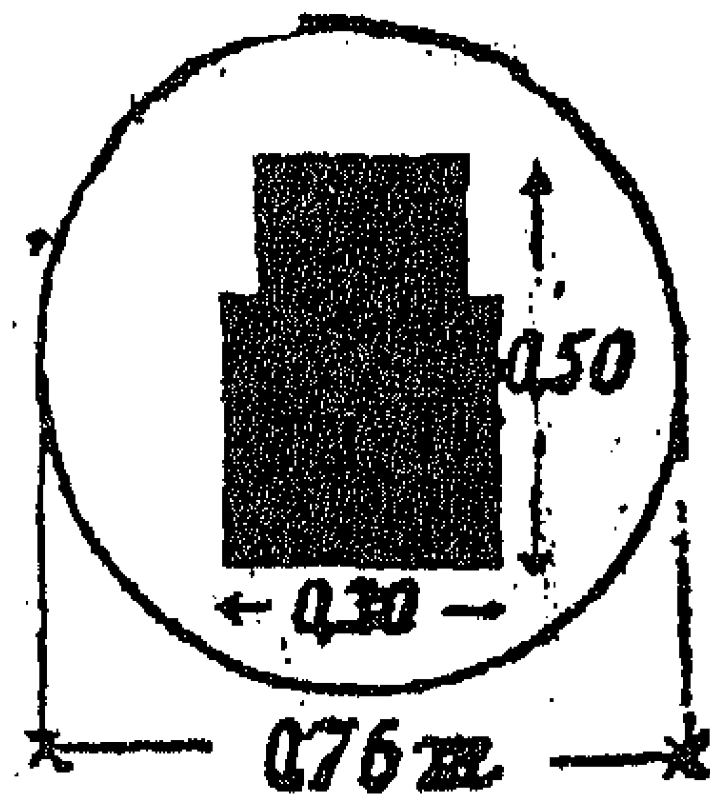


(شكل 89) قلعة الحصن

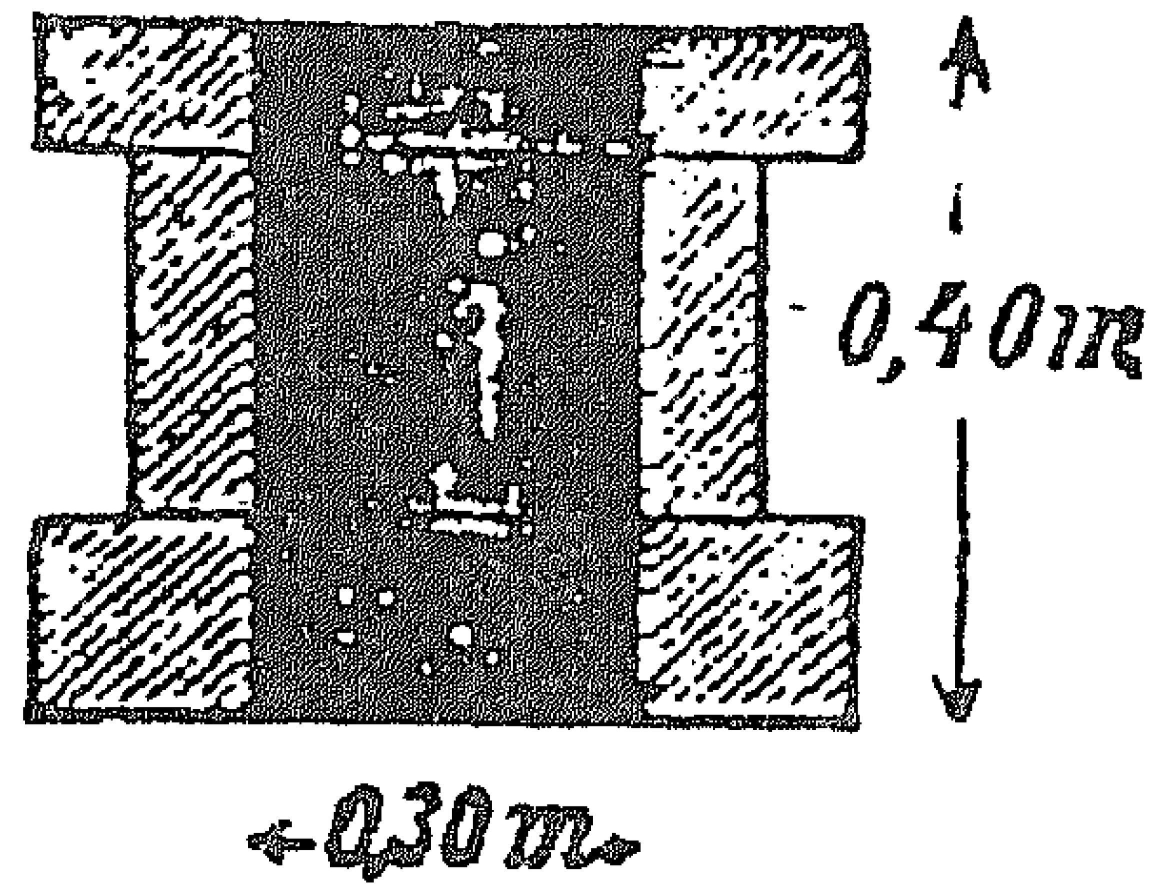




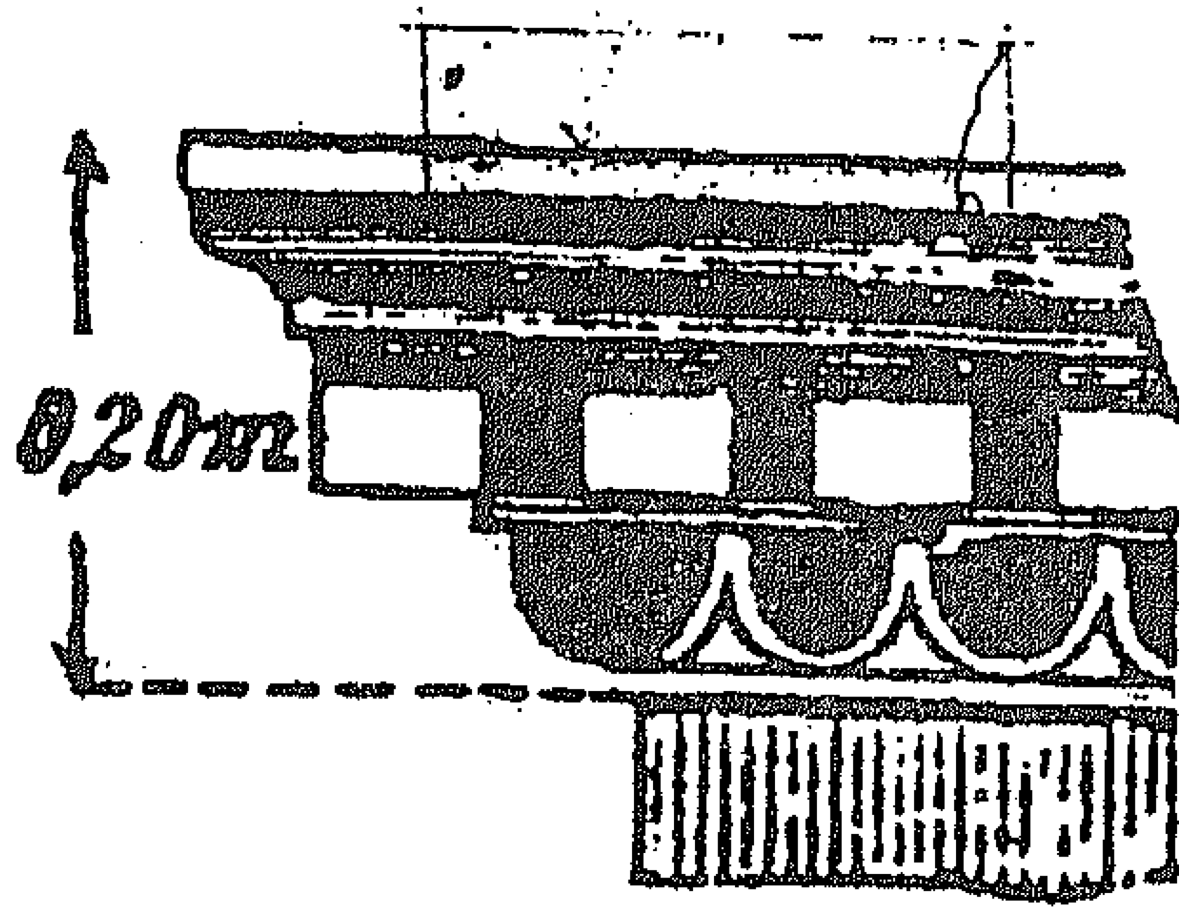
(شكل 91) قلعة الحصن



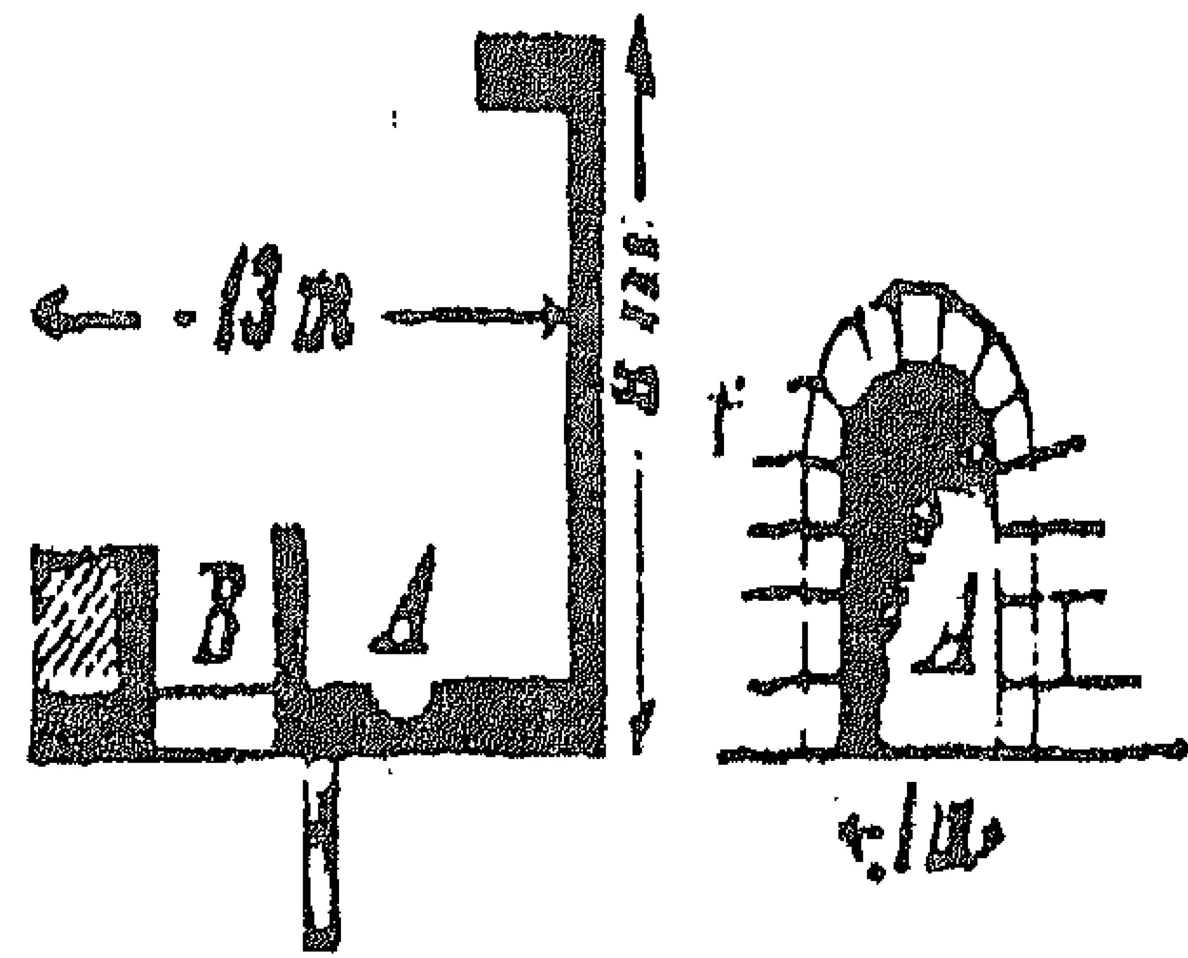
(شكل 90) قلعة الحصن



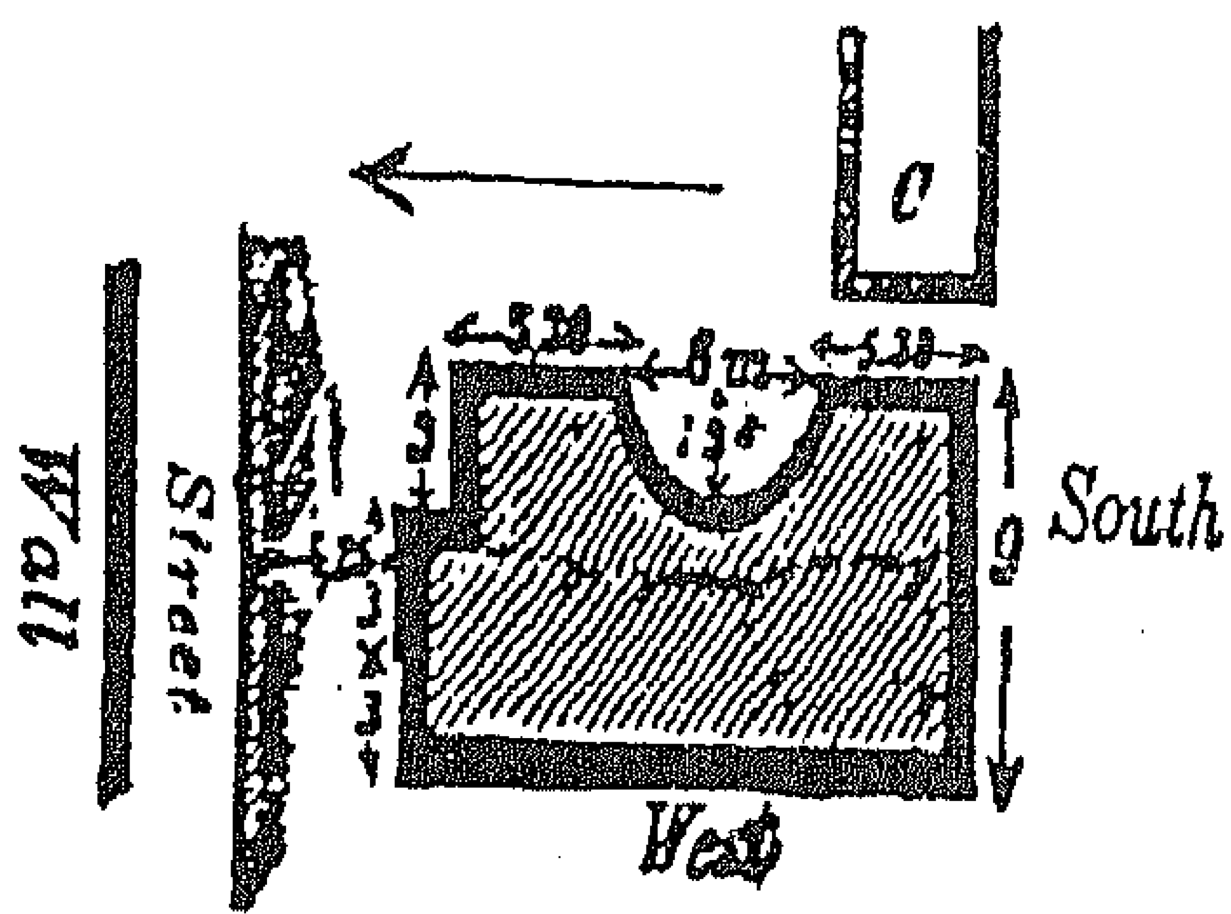
(شكل 92) قلعة الحصن



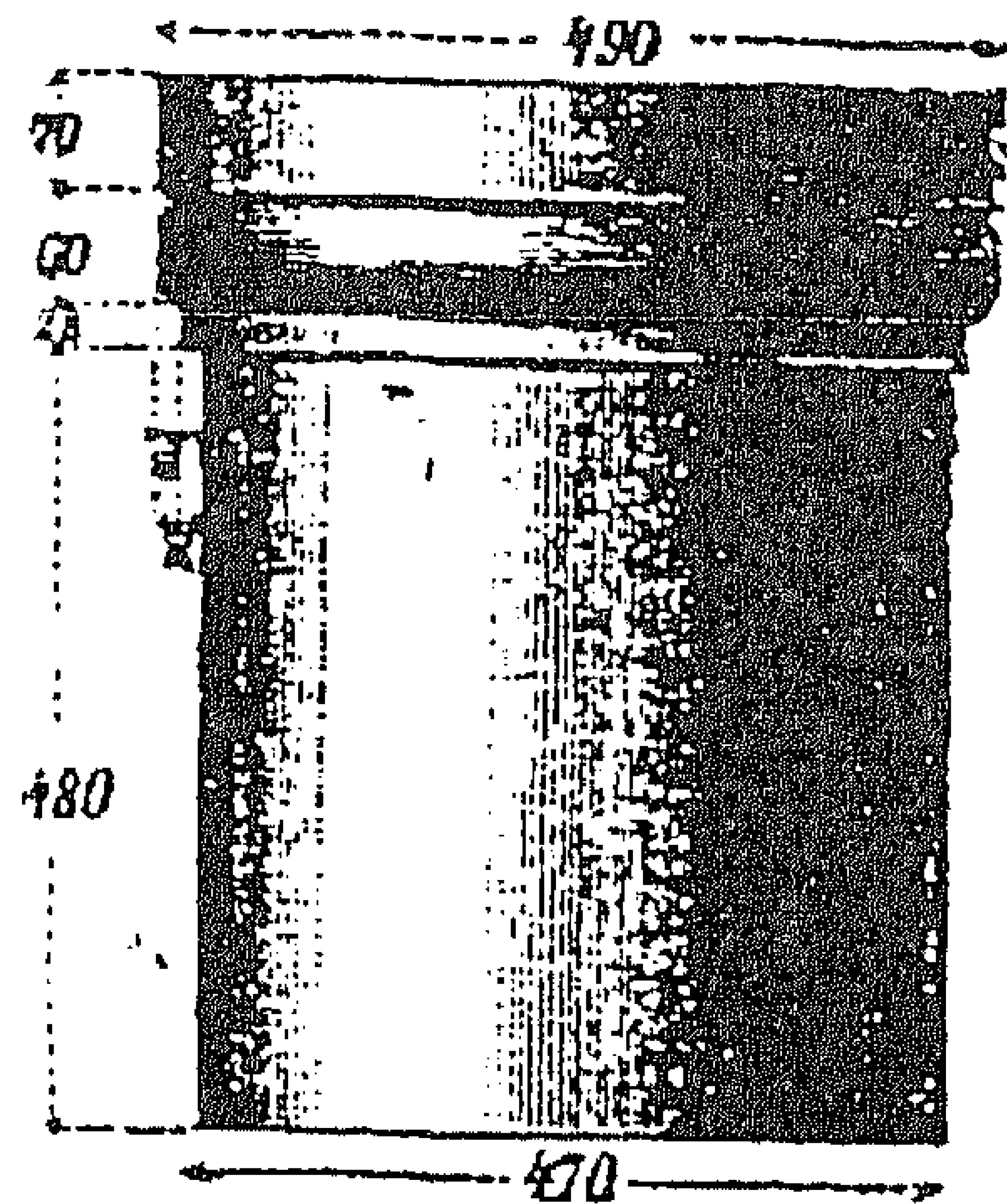
(شكل 93) قلعة الحصن



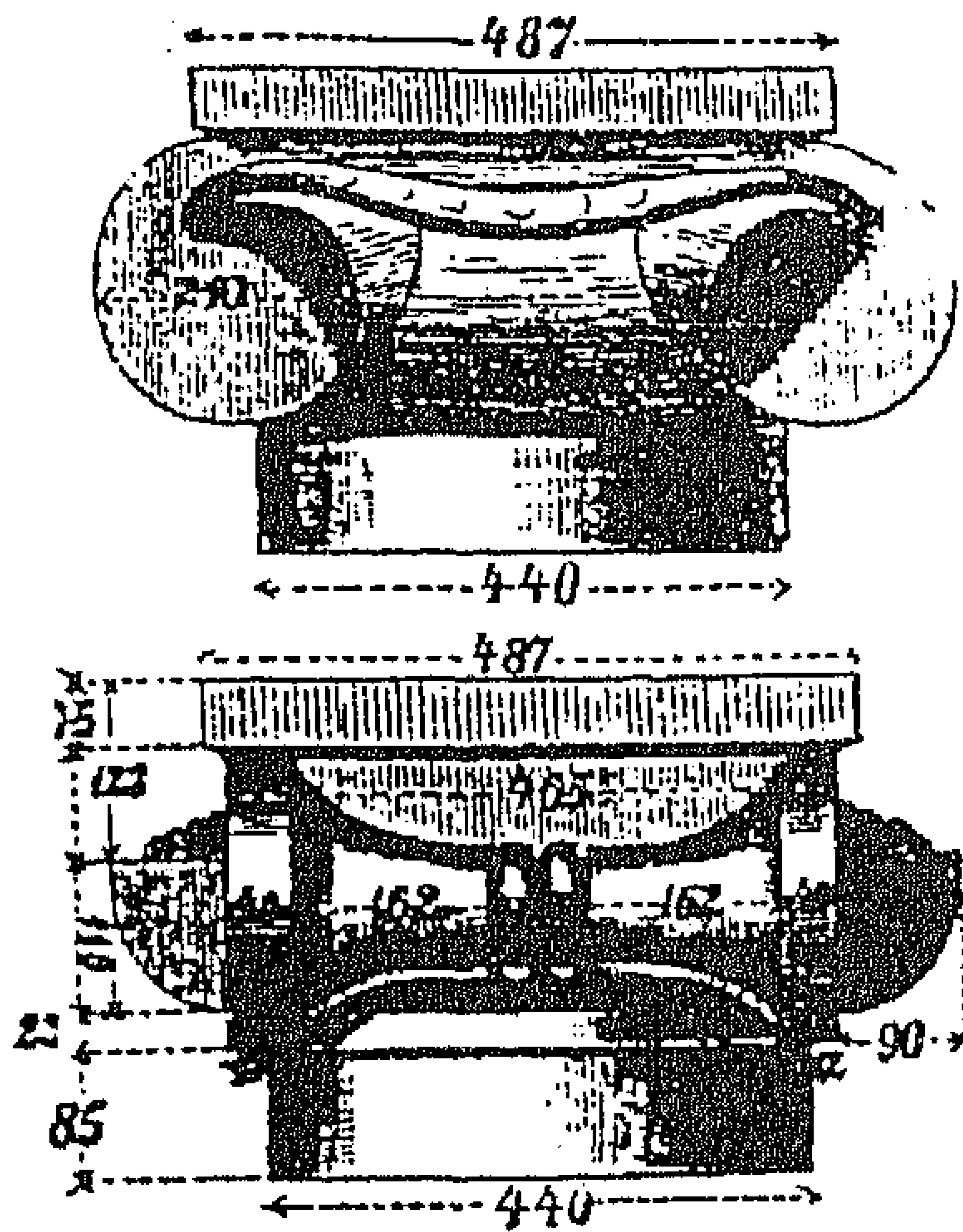
(شكل 94) قلعة الحصن



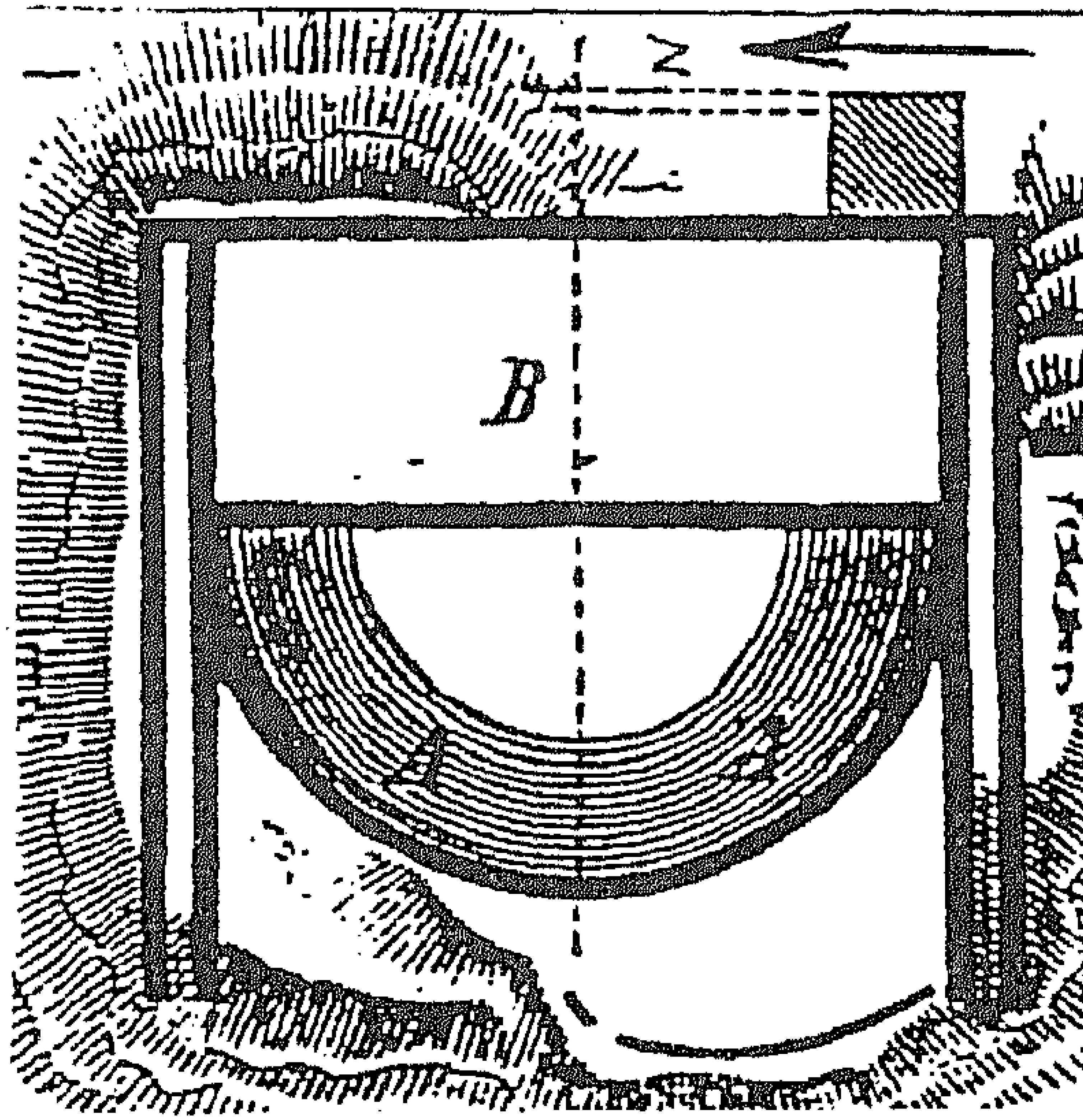
(شكل 95) قلعة الحصن



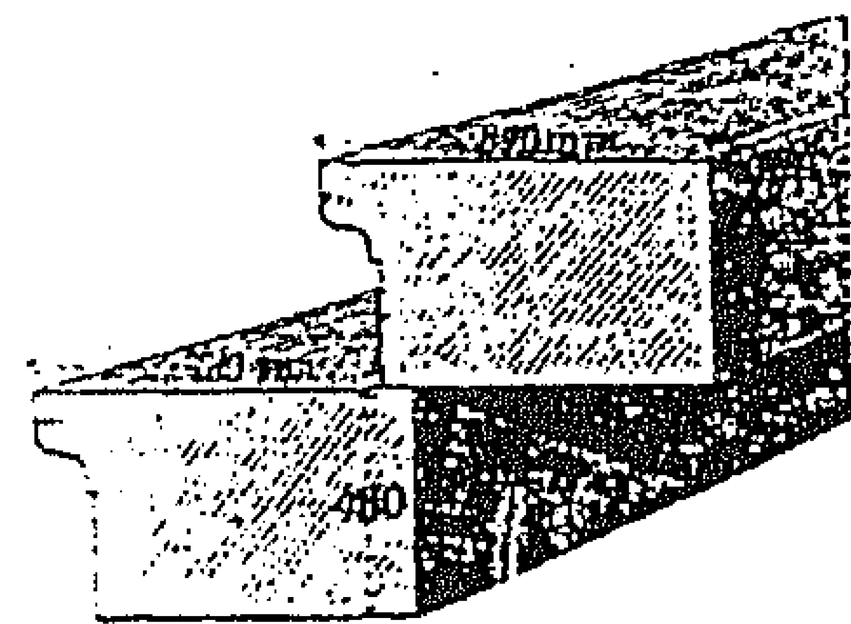
(شكل 96) قلعة الحمة

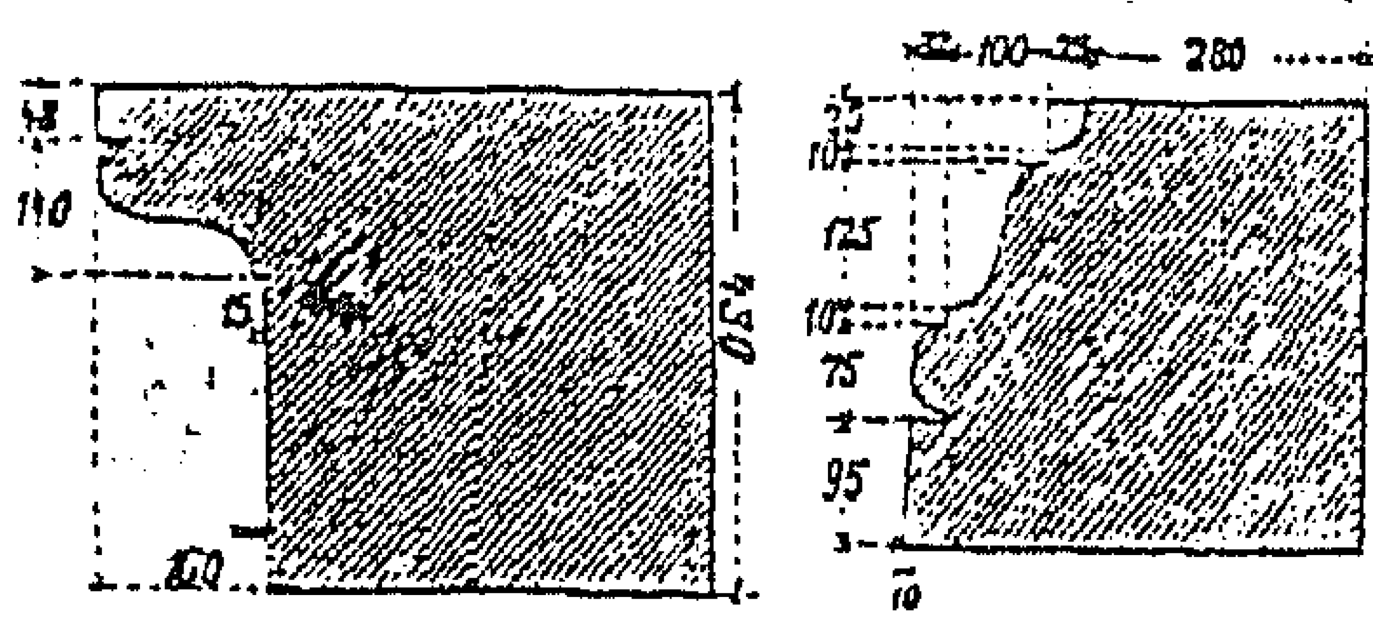


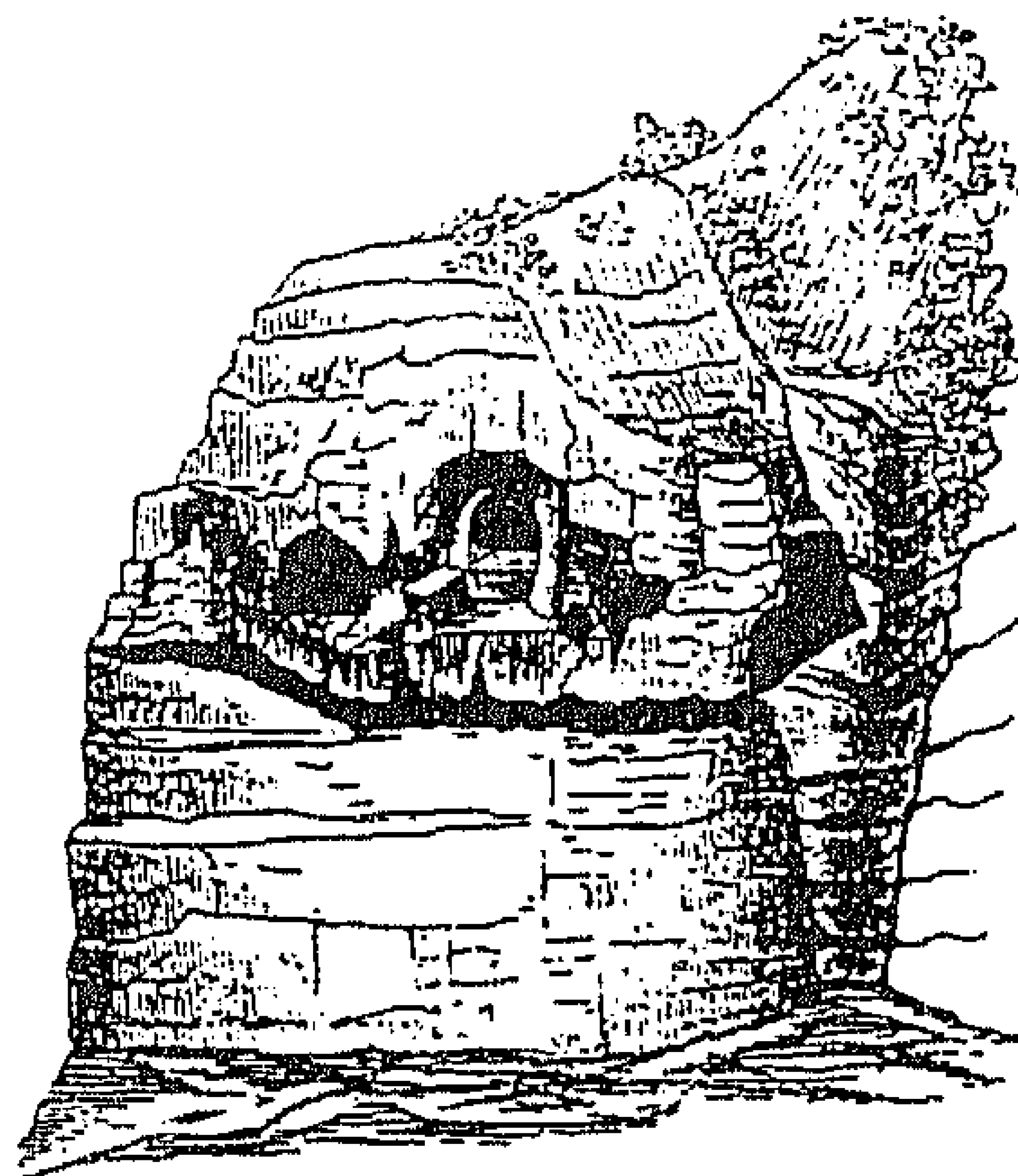
(شكل 97) قلعة الحمة

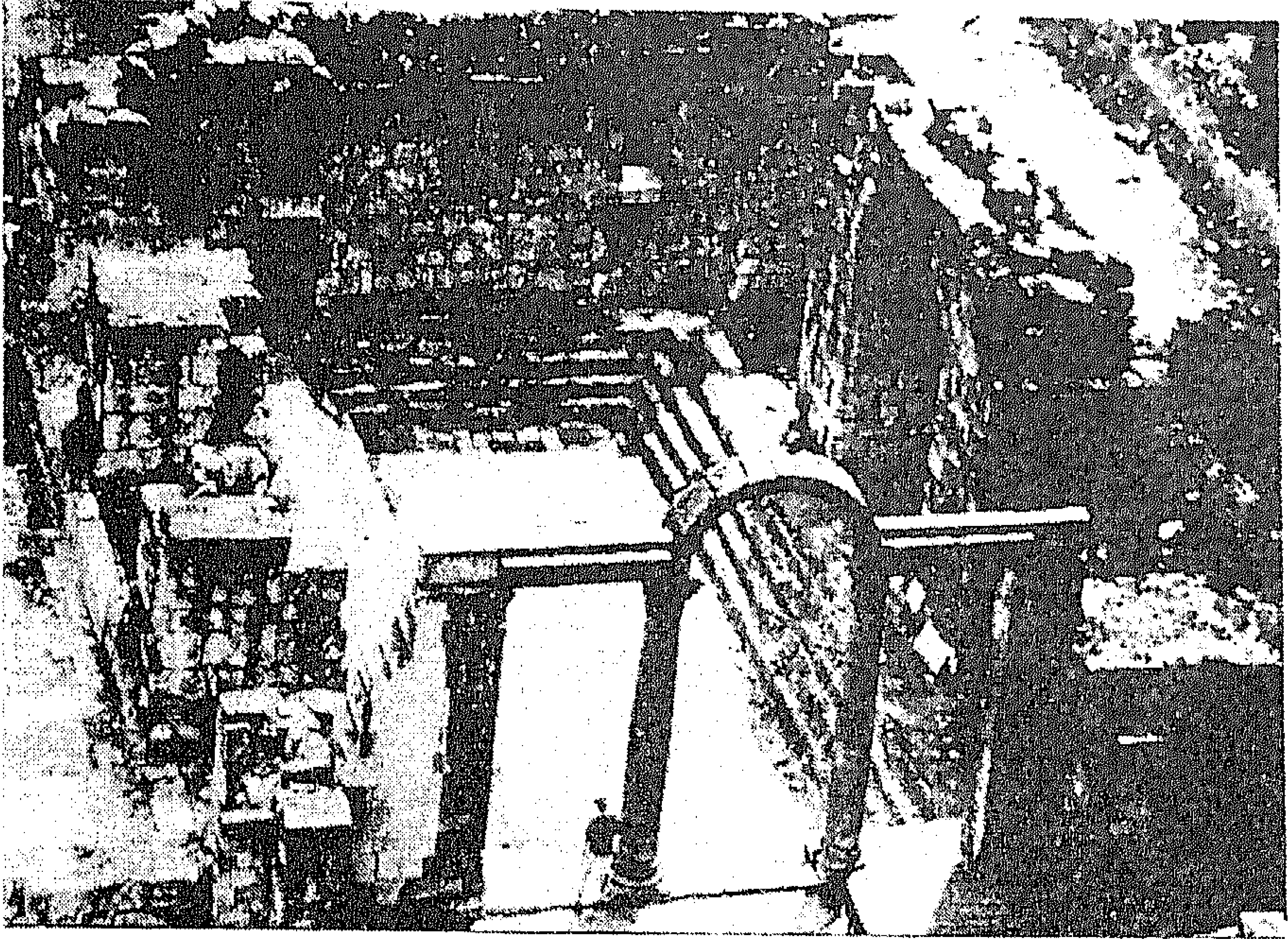


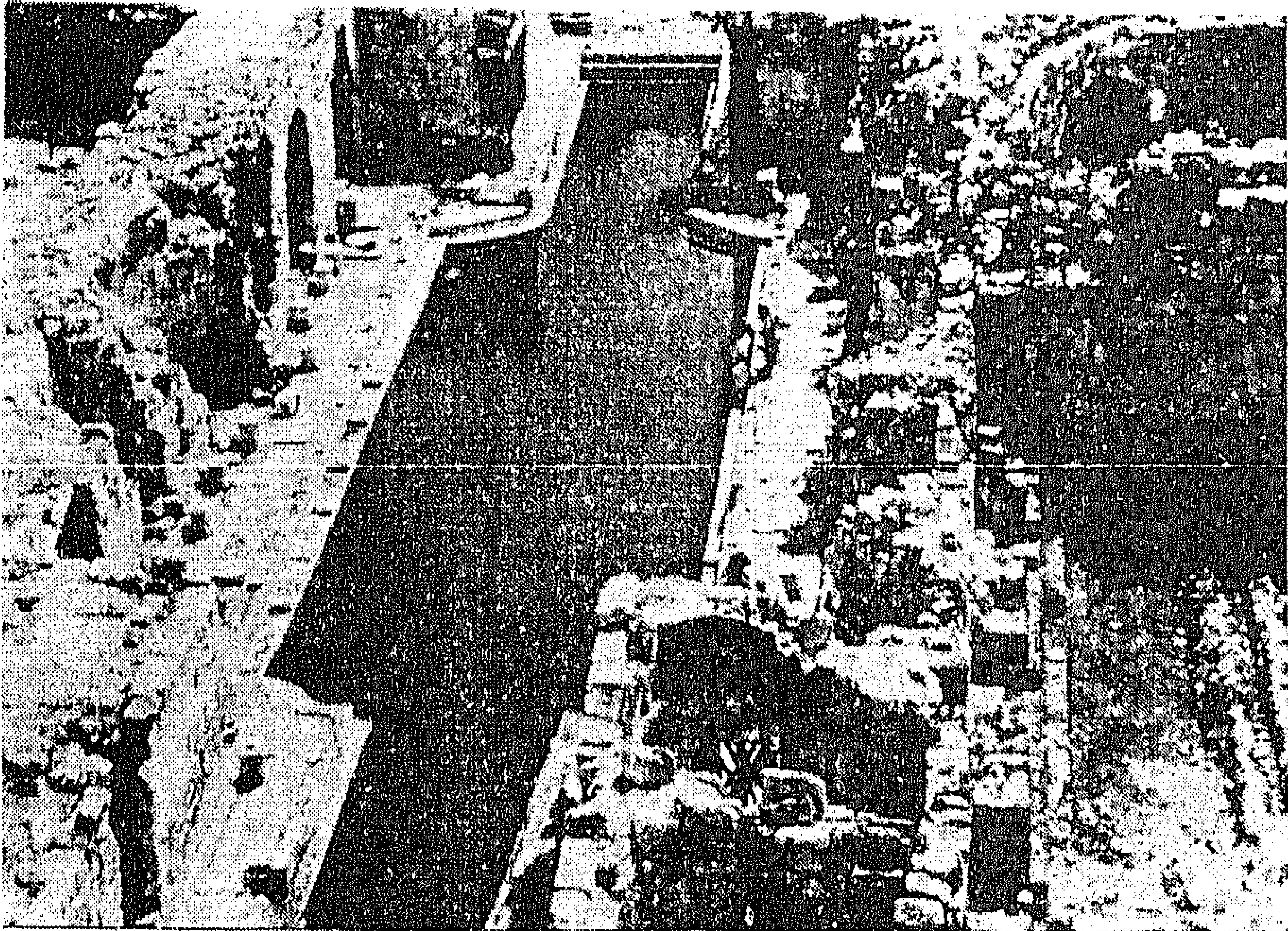
(شكل 98) الحمّـة


(شكل 99) الحمّـة


(شكل 100 و101) الحمّـة


(شكل 102) الحمّـة





صورتان من الحمّة بعد الاحتـلال

هوامش الفصل الأول

1 – أسد الأشقر (م.س.) ص 210.

2 – د. يوسف سمارة (سورية أرضاً وتاريخاً وسماءً) مجلة (العمران) ع 55 – 65/ تموز – آب) 1974، ص 122.

3 – أحمد وصفي زكريا (م. س) ص 566 و518.

4 – الأب متري أثناسيو (م. س) ص 690.

5 – أحمد وصفي زكريا (م. س) ص 567 – 568.

6 – بشير زهدي (ندوة الجولان التاريخية) (م.س) ص 84.

7 – عدد من الاختصاصيين بالآثار السورية، ترجمة د. نايف بللّوز.

8 – الأب متري أثناسيو (م. س) الصفحة نفسها.

9 – أحمد وصفي زكريا (م. س) ص 570.

10 – قمت بتحديد هذه الأبعاد استناداً إلى مخطط القلعة الموضوع بمقياس 2000/1 الموجود في كتاب فولفغانغ مولر – فينر (القلاع أيام الحروب الصليبية) ترجمة العميد الركن محمد وليد الجلاد. ص 54، وقد تبيّن لديّ بالنسبة إلى طولها بأنه يتطابق مع ما ذكره يوسف سمارة في مقاله المنشور في مجلة (العمران) (م. س) ص 122.

11 – أبو الفرج العش (آثارنا في الإقليم السوري) ص 58.

12 – حكمَ بنو بوري دمشق من سنة (1103 – 1154) م.

13 – الإسماعيلية اسم أُطلق على الفاطميين والقرمطيين والحشاشين عامة. انظر د. محمد التونجي (حول الأدب في العصر السلجوقي) ص 81.

14 – فولفغانغ مولر – فينر (م. س) ص 53.

15 – أحمد وصفي زكريا (م. س) ص 571.

16 – (م. س) الصفحة نفسها.

17 – (م. س) ص 579.
18 – (م. س) ص 572.
19 – انظر أحمد وصفي زكريا (م. س) ص 573 – 579 وهو ما اعتمدنا عليه في عرضنا التالي للقلعة بالإضافة إلى كتاب (القلاع أيام الحروب الصليبية).
20 – انظر سليمان المقداد (الآثار في محافظة القنيطرة) مجلة (العمران) ع 57 – 58/ت 2 – ك1 1974، ص 38.
21 – عز الدين سطاس (م. س) ص 17.
22 – د. يوسف سمارة (م. س) ص 124.
23 – د. أنطوان خوري حرب (حرمون الجبل المقدس : مقاماته ومعابده) مجلة (الآثار) دورية تصدر من (صور) لبنان. ع 2 أيار – حزيران 2002، ص 32.
24 – (م. س) ص 34 ود. يوسف الحوراني (ما نجهله عن تاريخية جبل حرمون) مجلة الحداثة، ع 43 – 44 خريف 1999، ص 28.
25 – د. يوسف الحوراني (م. س) الصفحة نفسها.
26 – مجموعة من الباحثين الأوربيين (معرض الآثار السوري الأوربي) أنجزته المديرية العامة للآثار والمتاحف بدمشق بالتعاون مع الاتحاد الأوربي. ص 160.
27 – د. يوسف سمارة (م. س) الصفحة ذاتها.
28 – د. يوسف الحوراني (م. س) ص 27.
29 – معرض الآثار السوري الأوربي، ص 159.
30 – عز الدين سطاس (م. س) ص 16.
31 – استوطن الشركس في الجولان – عدا القنيطرة – منذ أواخر القرن التاسع عشر في القرى التالية : المنصورة، العدنانية (الصرمان)، القحطانية (المدارية)، عين زيوان، الغسانية (مومسية)، الجويزة، بريقة، الخشنية، الفحّام، فزارة، رويحينة.
32 – شوماخر (الجولان) ص 155.
33 – أحمد وصفي زكريا (م. س) ص 545.
34 – عز الدين سطاس (العدنانية سيرة خالدة) ص 31 – 36.
35 – (م. س) ص 185.

36 – (م. س) ص 184 – 185.
37 – استوطن التركمان في سورية على دفعات غير محدّدة بعد الفتح العثماني ، ومنهم من سكن الجولان أيام السلطان عبد المجيد سنة 1839 في القرى التالية : حفر ، السنديانة ، الرزانية ، كفر نفّاخ ، الغادرية ، الحسينية ، الأحمدية ، المغيّر ، نعران ، العليقة ، ضابية.
38 – طراز العمود الدوري في العمارة اليونانية هو أنه عمود بسبط ولكنّه ضخم ولا قاعدة له. قطره في الوسط أكثر اتساعاً ، ويمتاز بحزوزه غير العميقة ، ويرجع إلى القرنين السابع والسادس ق.م.
39 – هو جوزيف فلافيوس المعروف بيوسيفوس. كاهن ومؤرخ يهودي عاش في القرن الأول الميلادي. له مؤلفات مشهورة منها (تاريخ اليهود القديم) و(حرب اليهود). وكان يشيد باليهود وتاريخهم ، ويدافع عنهم بتحيّز ظاهر ، وابتعاد عن الحقائق وتزويرها.
40 – انظر شوماخر (م. س) ص 56.
41 – (م. س) ص 118. ولا ينسى المطّلع أن ما يورده شوماخر في كتابه (الجولان) من معلومات وما شاهده وعثر عليه من آثار يعود إلى الزمن الذي تمت فيه أعمال المسح التي قام بها لاستكشاف الجولان في أواخر القرن التاسع عشر.
42 – شوماخر ، ص 74.
43 – شوماخر ، ص 92.
44 – الأب متري أثناسيو (م. س)، ص 699.
45 – شوماخر، ص 82.
46 – (م. س) ص 143.
47 – (م. س) ص 147.
48 – الطراز الأيوني للأعمدة في فن العمارة اليوناني يتميّز بأن العمود رفيع بالنسبة للعمود الدوري ، وبأنه يقوم على قاعدة ، وتاجه ذو تلفيفة لولبية مزدوجة ، وحزوزه غائرة ، أما الطراز الكورنثي فهو نوع من الأعمدة الأيونية ولكنه يختلف عنها بتاجه المنحوت على شكل زهرة الأكانثوس ، وأنه أكثر زخرفة.

49 — شوماخر ، ص 172.
50 — (م. س)، ص 85.
51 — (م. س)، ص 98
52 — (م. س)، ص 97.
53 — عاش الأديب والمؤلف الموسوعي ياقوت الحموي في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر (1178 — 1228) .
54 — الأب متري أثناسيو (م. س) ص 695.
55 — ميدوزا هي إحدى الأخوات الثلاث اللواتي إذا حدّقن بالإنسان حولنه إلى حجر. وميدوزا أجملهن ، وقد حوّلت أثينا ربّة الحكمة عند الإغريق شعرها إلى أفاعٍ لإدعائها بأنها تضارعها جمالاً.
56 — بشير زهدي (الفن الهلنستي والروماني في سورية)، ص 23 — 24 .
57 — شوماخر ، ص 64 .
58 — سليمان المقداد (م. س)، ص 38.
59- شوماخر (م. س)، ص 137.
60 — (م. س) ص 61.
61 — (م. س) ص 112.
62 — (م. س) ص 123.
63 — الزجاج الملفيوري يقوم على مزج عدد من القضبان الزجاجية المختلفة الألوان في عجينة خاصة يتحكم الصانع بشكلها وألوانها.
64 — معهد الآثار الألماني بدمشق (عشر سنوات من أعمال التنقيب والأبحاث في سورية) تعريب محمد سالم قدور. ص 30 — 31 .
65 — فينوس هي إلهة الحب والجمال عند الرومان ، وهي نفسها أفروديت عند اليونان ، كما أنها هي نفسها عشتار الأسيوية.
66 — النيريدات مجموعة من حوريات البحر يسرعن لمساعدة البحارة ، وتزعم الأسطورة الإغريقية أنهن بنات إله البحر نيروس.
67 — بشير زهدي (الفن الهلنستي والروماني في سورية) (م. س)، ص 24.
68 — شوماخر (م. س) ، ص 117.

69 – عصام أباظة وهشام شيشكلي(الجولان) ص 134.

70 – شوماخر (الجولان) ، ص 58.

71 – (م. س) ص 89.

72 – (م. س) ص 119.

73 – (م. س) ص 154.

74 – (م. س) ص 115.

75 – (م. س) ص 167.

76 – (م. س) ص 93.

77 – (م. س) ص 128.

78 – سليمان المقداد (م. س)، ص 41.

79 – شوماخر (م. س)، ص 105 ، 106 .

80 – سليمان المقداد (م. س)، ص 41.

81 – بشير زهدي (ندوة الجولان التاريخية)، ص 86.

82 – الأب متري أثناسيو (م. س)، ص 698.

83 – شوماخر (م. س)، ص 107.

الفصل الثاني
التنقيبات الأثرية الصهيونية
في الجــولان

1 ـ مواقع أثرية مغمورة على شواطئ بحيرة طبريّا.

2 ـ التنقيب عن آثار قبور الدولمن في الجولان.

3 ـ المكتشفات الأثرية في الكرسي.

1 – "مواقع أثرية مغمورة على شواطئ بحيرة كينيرت(*)"

وصل منسوب المياه في بحيرة كينيرت، بحر الجليل (أو بحيرة طبريا) إلى مستويات منخفضة بشكل غير اعتيادي خلال المواسم الجافة بين العامين 1989 و1991؛ حيث وصل إلى (212.5 – 219.9) متراً تحت سطح البحر. وهو أخفض بمترين إلى أربعة أمتار عن المعدل العام المسجّل في العقد الأخير، وقد زادت امتدادات الشاطئ حديثاً بشكل ملحوظ حول البحيرة.

وخلال هذه الفترة قام المؤلف بالعمل الميداني لمدة ثلاثة أشهر على شواطئ البحيرة بتفويض من "لجنة الآثار الإسرائيلية" IAA وتمّ اكتشاف الموقع المعروف باسم أوهالو 2 والتنقيب فيه في الموسم الأول.

ونظراً لأن الاكتشافات كانت فريدة من نوعها، فقد استمر التنقيب موسمين آخرين، وفي الوقت نفسه تم انتهاز هذه الفرصة النادرة لمسح المساحات الحديثة الظهور.

وبينما ركّزت عمليات المسح على المواقع التي تعود إلى حقبة ما قبل التاريخ، فقد تمّ في ذات الحين تسجيل المواقع الحديثة أيضاً، وقام ستيبانسكي عضو "لجنة الآثار الإسرائيلية" الذي كان مكلّفاً بمسح الشاطئ الشمالي الشرقي بتتمة اكتشافاتنا.

(*) لخصنا هذا البحث من مقال كتبه داني دانيل بعنوان (مواقع أثرية مغمورة على شواطئ بحيرة كينيرت)، نُشر في المجلة التخصصية في الآثار التي يصدرها (الكيان الصهيوني) في القدس باللغة الإنكليزية، وهي:
ATIQOT English Sreies Jerusalem Volume XXII 1993.

وقد قدّم التقريرُ الخاص بهذا المسح التمهيدي وصفاً للعديد من المواقع التاريخية وما قبل التاريخية التي تم اكتشافها على شواطئ البحيرة، والمحدّدة في (الشكل 1) مُلحَقاً بتقرير عن اكتشافات المرحلة الثانية من التنقيب. أما سطح البحيرة فقد ارتفع أثناء كتابة هذه الكلمات (1992) إلى أعلى مستوى له، فانغمرت المواقع – التي أشرنا إليها هنا – بالماء أكثر من أي وقت مضى.

المواقع التاريخية

تمّ تسجيل اثني عشر موقعاً من العصر البرونزي القديم[1] وما بعده في المسح، وكلّها دون ارتفاع 210م، وكانت هذه المواقع غنيّة بكسَر من الأواني الخزفية التي غالباً ما وُجدت بين أكوام الحجارة. في حين أنه في مواقع أخرى من الشاطئ تم اكتشاف آثار متفرقة من ضمنها أوزان خاصة بالمخازن البسيطة لم يعرف تاريخها. وكان معظمها مصنوع من الحجر الكلسي أو البازلتي دون تعديل، وكلها ذات ثقب من طرف واحد (الشكل 2) ومعظم الحجارة التي تزن أقل من كيلو غرام واحد يحتمل أنها كانت تستخدم كأثقال خاصة بشبك الصيد، أما الحجارة الأكبر التي تزن أكثر من 20 كغ (الشكل 3) فيفترض أنها كانت تستخدم كمرساة .

• شاطئ هاؤون Ha'on :

يمتد هذا الموقع على مساحة (1000) $م^2$ تم جمع الآثار فيه من 489 م2 بشكل منظّم؛ حيث يوجد على الشاطئ كيبوتز هاؤون[2] (الشكل 1 الموقع 5) على ارتفاع يتراوح بين 212.2 - 212.4م، ويتميّز بأكوام الحجارة التي يبلغ قطرها ين 0.5 و1.5 م والموقع غني بكِسَر السيراميك التي يعود تاريخها إلى العصر البرونزي المبكّر وإلى التاريخ البيزنطي[3] (اللوحة 1 الأشكال 1- 6) وكانت النتاجات الصناعية الصوانية النادرة لا تمثل أي نموذج لأي صناعة أو حضارة. أما أكثر الاكتشافات إثارة للدهشة فهي أوزان الحجارة التي ربما تكون خاصة بشباك الصيد، والتي جُمع خمس وعشرون منها للدراسة، وتبيّن أنها كانت مصنوعة من الحجر الكلسي الخفيف والقاسي. ومعظم هذه الأوزان كانت بيضوية الشكل،

وعلى الجانب الطولي منها ثلم تمّ إحداثه بضربات خفيفة، وكانت هذه الأوزان المثلّمة مختلفة الأشكال وغير متماثلة (الشكل 4).

وقد عُثر على حجر رحى كبير، أبعاده (31×29×11) سم مصنوع من الحجر الكلسي في المنطقة نفسها. وعلمنا من أحد أعضاء الكيبوتز أن السكان المحليين عثروا على أحجار رحى أخرى. ومع أن طبيعة الموقع غنيّة أثرياً إلاّ أنه لم يتم العثور على أي آثار مرئية لمساكن أو أرصفة أو أي مظاهر معمارية، وهذا يدلُ — مع الأخذ بالحسبان وجود الأوزان والأواني — أن الموقع كان يستخدمه صيادو الأسماك في فجر العصر البرونزي، أو في العصر البيزنطي.

كما تمّ العثور على أوزان حجرية بالكثافة نفسها في هاؤون، بجوار أوهالو 2 وامتداداً إلى الشمال لبضع مئات من الأمتار بما في ذلك شاطئ Shalag حيث تم تسجيل المعلومات حول العشرات من الأوزان على عمق (212.5 — 212.9)م. ولم يكن هناك أي علاقة واضحة بينها وبين أية معالم أثرية أخرى. ويحتمل أن تكون قد وصلت إلى هناك من مرتفعات تل بيت يرا القريبة، والتي كانت مأهولة بشكل كثيف خلال فجر العصر البرونزي والعصر الهليني[4] مع احتمال بديل لهذه النظرية؛ وهو أن وجود هذه القطع هو دليل على وجود أنشطة صيد على هذه الشواطئ، وذلك خلال حقبة مجهولة، عندما كان منسوب ارتفاع المياه أقل من 212.5 م.

• شواطئ روتم شيزاف Rotem - Shesaf :

تم اكتشاف موقعين كبيرين على الشاطئ الشرقي للبحيرة، غنيين بالسيراميك الروماني — البيزنطي على عمق 212.2 — 212.4 (الشكل 1 موقع 6 و7) يغطّيان مساحة مئات الأمتار مع أكوام الحجارة الصغيرة التي يتراوح قطرها بين 4 — 9 سم مما يمكن تأويله بأنه موقع كبير ويحتوي على مراكز أنشطة متعددة، أما قطع الأواني السيراميكية الكبيرة، فكثير منها كان بحالة ممتازة (اللوحة 1 الأشكال 7 — 9).

• شاطئ ديجانيا Deganya :

تم اكتشاف سلسلة من أكوام الحجارة عند المنفذ الجنوبي إلى الأردن (الشكل 1 موقع 2) وذلك مع أواني فخارية من العصر البيزنطي وعصور لاحقة (اللوحة 1

الأشكال 10 – 13). ومع التقدم جنوباً وُجدت مجموعة غنية بعظام وأسنان الحيوانات في مساحة واسعة من الشاطئ. وقد تمّت دراستها بإشراف (ر. رابينوفتش) من الجامعة العبرية. ومعظم هذه العظام هي لحيوانات كبيرة (أبقار وخيول) قد تعود إلى عصور حديثة بناء على السيراميك وعلى طبيعة وآثار النحت على العظام، وهو ما يوحي في بعض الأحيان بأنها تمثل أدوات حديثة.

مواقع ما قبل التاريخية

ابتداء من عام 1986 تم اكتشاف ما لا يقلّ عن 37 موقعاً أثرياً على شواطئ (كينرت) طبريا. وكان أول موقع تم اكتشافه هو (أوهالو 1) الذي جُمعت آثار منه بشكل عشوائي، و(أوهالو 2) في عام 1989 الذي بدأ التنقيب فيه مباشرة بعد اكتشافه. وكانت نتيجة المسح الذي جرى سنة 1990 إحصاء 35 موقعاً. وقد حوت هذه المواقع أدوات حجرية بيضوية الشكل كما في معظم الحالات، مع قطع عظمية في بعض الأحيان. وكان جمع العيّنات من جميع المواقع ودراستها واختبارها بشكل علمي ومنظّم يهدف إلى فهم طبيعة هذه المواقع الجيولوجية.

جمع النماذج الموستيرية[5]

كان تحديد النماذج الأثرية الموستيرية للأدوات المستخدمة في العصر الحجري من خلال المكتشفات التي وُجدت في جنوبي (اشاليم) وشاطئ (جينوسار) وموقع (بيكتا الكبير) (الشكل 1 مواقع 15 و33 و35). وكان من الواضح أن هذه الآثار انجرفت من مكانها الأصلي إلى هذه البقعة، كما أن هؤلاء السكان من النماذج الموستيرية أتقنوا عدة حرف مما يدل على الطبيعة المعقدة للمكتشفات.

التجمع ما قبل العصر الحجري الحديث[6]

إن النماذج التي وُجدت من بقايا هذا التجمّع من جرّاء المسح، وحدّد الاختصاصيون أنواعها، كان العدد الأكبر منها، من الأدوات التي تمثّل مكاشط وأدوات ذات شفرات طويلة، بالإضافة إلى ما تمّ اكتشافه قبل ذلك من ثلاث أراجيح رياضية ثابتة مستطيلة في موقع (أوهالو 1). كما اكتُشف عدد كبير من الأدوات المختلفة خلال التنقيب الذي جرى سنة 1990.

وقد بدا حجم هذه الاكتشافات ضخماً ؛ حيث تناثرت القطع الأثرية على مساحة مئات الأمتار من الموقع الأول. وبما أن كثافة انتشارها لم تكن متساوية ، فقد تم تقسيم الموقع إلى قسمين : أوهالو 1 وشاطئ شالداج الذي حوى بالإضافة إلى مجموعة مكتشفات التجمع السابقة أكبر مجموعة من مكتشفات العصر الحجري الحديث.

مكتشفات العصر الحجري الحديث

شمل موقع شاطئ شالداج أكبر مجموعة من مكتشفات هذا العصر ، حيث تناثرت القطع على مسافة تقدّر بنحو 5000 م^2، وقد تم جمع النماذج من أجزاء مختلفة من الموقع ، وكل مجموعة من النماذج تضمّنت العدد الكامل للقطع الموجودة على مساحات تتراوح ما بين 30 – 150 م^2 ، مع عيّنة اختبار واحدة على الأقل أدّت دراستها إلى اليقين بعدم وجود أي مواقع أثرية مدفونة تحت السطح الرملي.

وقد ضمّت المكتشفات في هذا الموقع قطعاً أثرية تم جمعها بشكل منظم ، وأخرى تم جمعها من قبل هواة محليين ، منها ثلاثة رؤوس حراب طويلة ، ورؤوس حراب أخرى قصيرة (الشكل 5) وقد طليت جميعها باللون الأسود. وكلها تنتمي إلى الصناعات الفخارية في العصر الحجري الحديث ، ولكن دون أية معالم للاحتكاك أو التعرض للعوامل الجوية القاسية كما هي الحال في مواقع أخرى ، أما الحراب الطويلة المنحوتة من الطرفين أو من طرف واحد فقد وجد أحدها ، وهو الأطول ، مكسوراً ممّا أدى إلى ظهور اللون البني الأصلي للحجر ، وهو منحوت من الطرفين ، وأبعاده هي 17.5 ، 3.4 ، 1.1 سم.

وهناك مكتشفات أخرى تعذّر إرجاعها إلى حقبة أثرية محددة الزمن بشكل دقيق. من ذلك قطعتان عظميتان كاملتان ، وقرن منحوت ، وتقّالة مصنوعة من حجر الكلس الخفيف نصفها السفلي مكسور (الشكل 6) وهي مسطحة الشكل مع وجود ثقب قرب إحدى نهايتيها ، وتآكل جزئي في طرف آخر.

أوهالــو 2

تم اكتشاف الموقع الأول من (أوهالو 2) من قِبل (ز. لازار) على شاطئ بحيرة كينيرت (بحيرة طبريا) على بعد 9 كم جنوبي طبريا، وعلى ارتفاع 212.5م ومساحة لا تقل عن 1500 م^2 حيث توضعت الآثار مباشرة. وتمّ العثور على بقايا تعود إلى العصر البرونزي وما بعده مبعثرة على السطح، وتتضمن العديد من العملات التي يعود تاريخها إلى العهد الروماني وما بعده، بالإضافة إلى أوزان حجرية ومعدات من حقب غير معروفة وبعض كِسَر الفخار.

وقد دلّت مجموعة من ستة وعشرين تاريخاً تمّ أخذها من الموقع على أن عمر الموقع بشكل وسطي هو 19.000 سنة ق.م.

واكتُشف مدفن محفوظ بشكل جيد، وُجد فيه هيكل عظمي (الشكل 7) بشكل مطوي واليدان مضمومتان إلى الصدر والركبتان مثنيتان. وبيّنت الدراسة أن الهيكل يعود إلى رجل طوله 170 سم. ذو وجه عريض، ومحور عينيه منخفض. توفي عن عمر 35 عاماً.

ويُعدّ الهيكل العظمي هذا الذي اكتشف في موقع أوهالو 2 أكبر دليل من العصر الحجري الأول على وجود سكّان ما قبل العصر الحجري القديم في فلسطين. كما تم اكتشاف جماجم تعود إلى التاريخ نفسه في عين كيف (En Gev) بالإضافة إلى عظام آدمية منفردة وُجدت في كهف Hayonim وكهف Kebara وغيرهما.

أما في أجزاء أخرى من المنطقة فقد كانت الهياكل العظمية من العصر الحجري الأول وما قبل العصر الحجري نادرة الوجود.

وتتميّز المنتجات الأرضية في موقع أوهالو 2 بعددها وتنوعها؛ حيث تم التعرّف على أكثر من ثلاثين صنفاً منها. من بينها حبوب القمح والشعير البري، حيث يُعدّ القمح هنا هو الأقدم من نوعه ضمن باقي الحبوب التي تم اكتشافها في مواقع تاريخية أخرى. كما أن وجود الحبوب والفاكهة البريّة في هذا الموقع يوحي بأن المنطقة كانت تُسكن في الخريف والربيع.

أمّا البقايا الحيوانية فقد قام بفحصها (د. ريبانوفتش) وتبيّن له أن المنطقة كان يوجد فيها زواحف وطيور وأرانب بريّة وثعالب وغزلان، وكانت أكثر الأنواع شيوعاً هي الأسماك الفقارية.

ومن كل هذا يمكن تفسير الكثافة السكانية التي عرفها الموقع، وذلك نظراً لتعدد مصادر الغذاء النباتي والحيواني، ووجود الأسماك في بحيرة كينيرت. وهذه الكثافة كانت تمتد لفترات قد تصل إلى ستّة أشهر متواصلة.

مواقع أخرى

إن المكتشفات التي أدّى إليها التنقيب في المواقع السابقة ساهمت إلى حد كبير في تعميق معرفتنا في استيطان ما قبل التاريخي في هذه المناطق.

وفي مواقع أخرى تم فحص وادي الأردن جيولوجياً وأثرياً لأكثر من قرن، وتبيّن أن أقدم تواجد سكاني فيه كان في العبيدية (في وسط وادي الأردن) منذ حوالي 1.4 مليون سنة، وفي (منطقة في أعلى وادي الأردن) منذ حوالي 300 — 500 ألف سنة.

وقبل الدراسة التي أجريناها كانت المواقع الأثرية المعروفة تقع في الجزء الأسفل من بحيرة كينيرت، وتتضمّن موقعين من منتصف العصر الحجري والعصر الحجري الحديث. كما تم التنقيب في عدّة مواقع أخرى على طول المنطقة الممتدة من الجولان والخليل الشرقي، والكهوف التي تعود إلى أواسط وأواخر العصر الحجري في منطقة ناحال عامود[7].

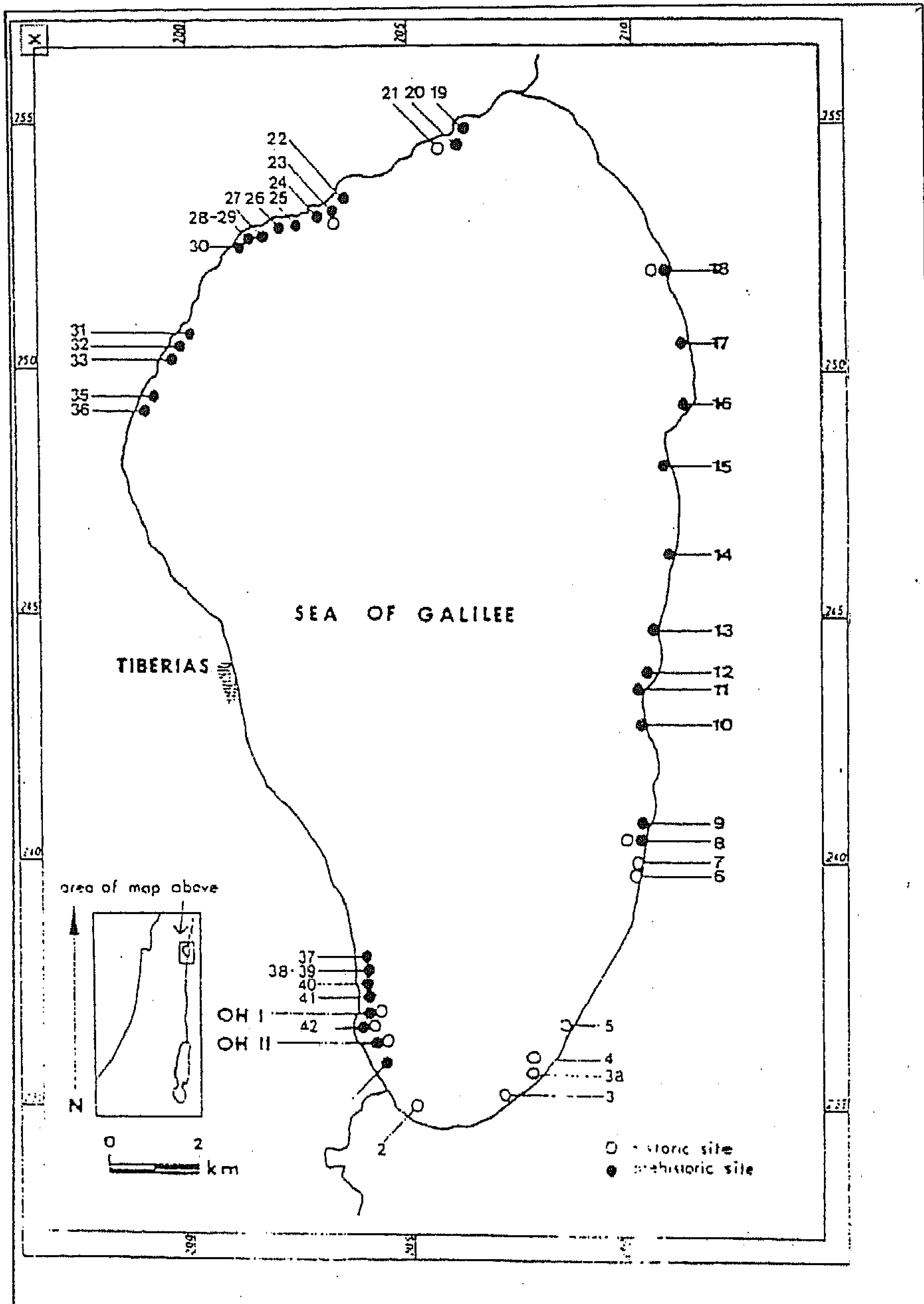
وتم اكتشاف منطقة ذات كثافة في المواقع الأثرية على طول الشاطئ الشمالي، مع أنها لم تكن كبيرة وغنية كما هي الحال في الجنوبي الغربي.

أما منطقة البطيحة في الناحية الشمالية الشرقية من البحيرة، فلم يتم العثور فيها على مواقع أثرية؛ وذلك لأن الجداول التي تنحدر من الجولان تصبّ في البحيرة وربما تكون هي السبب في تغطية الشاطئ بالطمي.

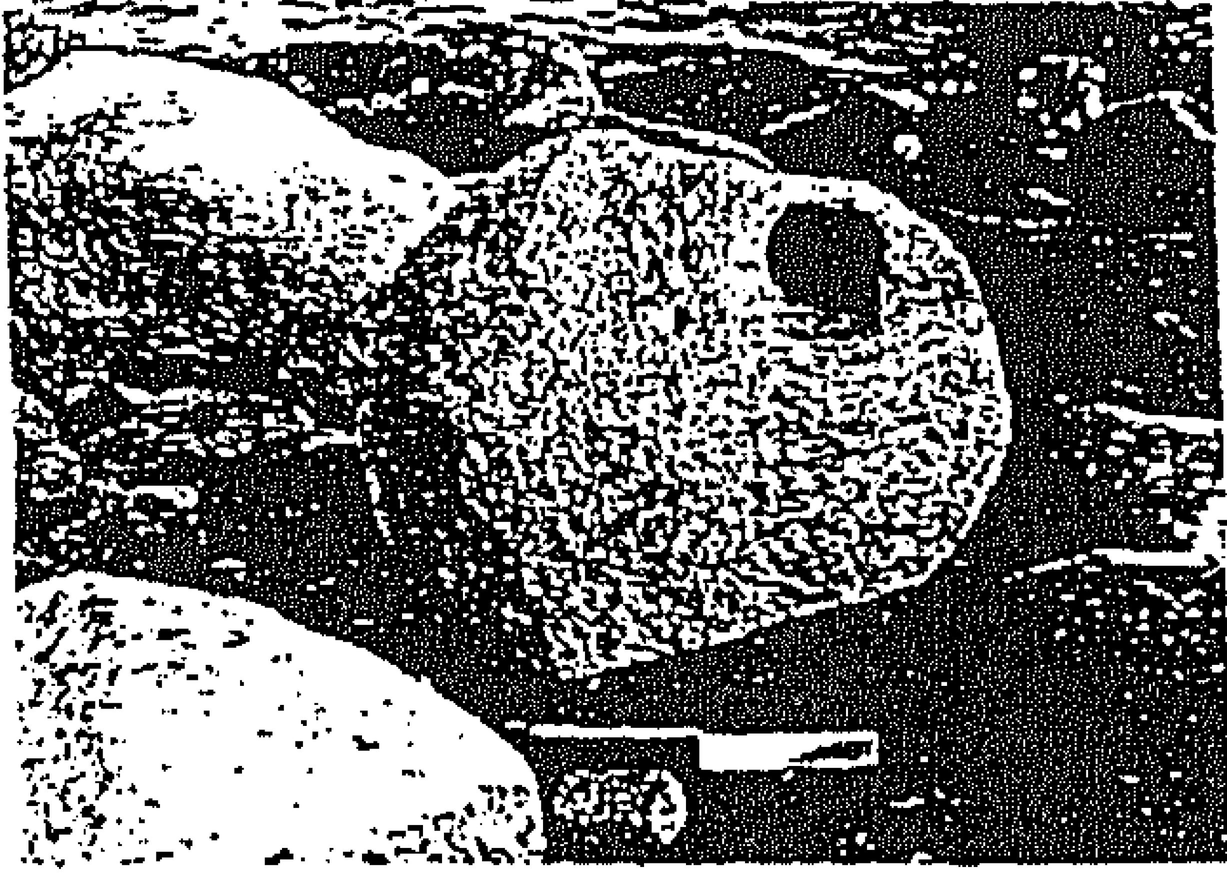
كذلك الشاطئ الصخري الغربي من البحيرة، فإنه يُعدّ من المناطق الخالية أثريّاً.

وهناك نظريّتان يمكن اعتمادهما لتفسير ندرة الآثار في هذه المنطقة. الأولى صغر حجم المواقع الأثرية الموجودة، مثل المستوطنات الموسمية التي تمّ دفنها لاحقاً بفعل السيول، والثانية إن المواقع بقيت فترة طويلة خالية من السكان نظراً لطبيعتها القاسية.

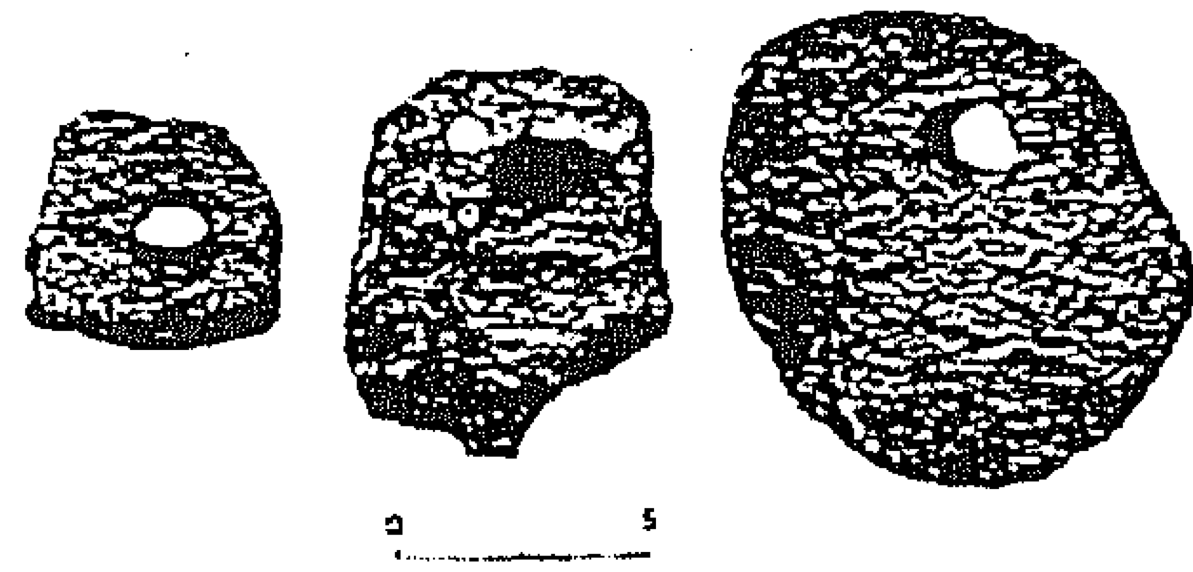
وتبعاً لذلك فإن المدينة الرومانية التي وجدت في منتصف هذه المنطقة تشير إلى وجود عوامل ظهرت فيما بعد، عملت على اختيار العيش فيها.



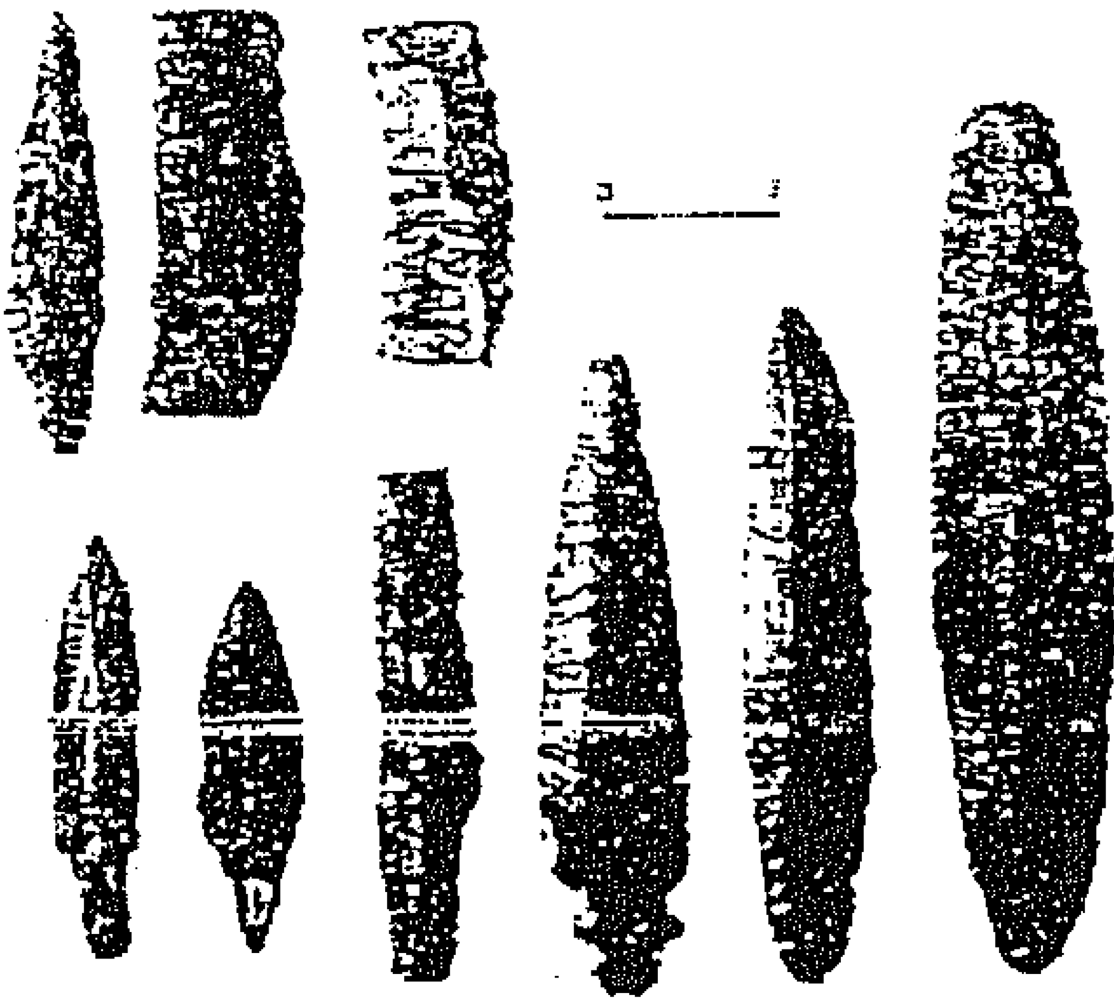
(الشكل 1) المواقع الأثرية على شواطئ بحيرة طبريا



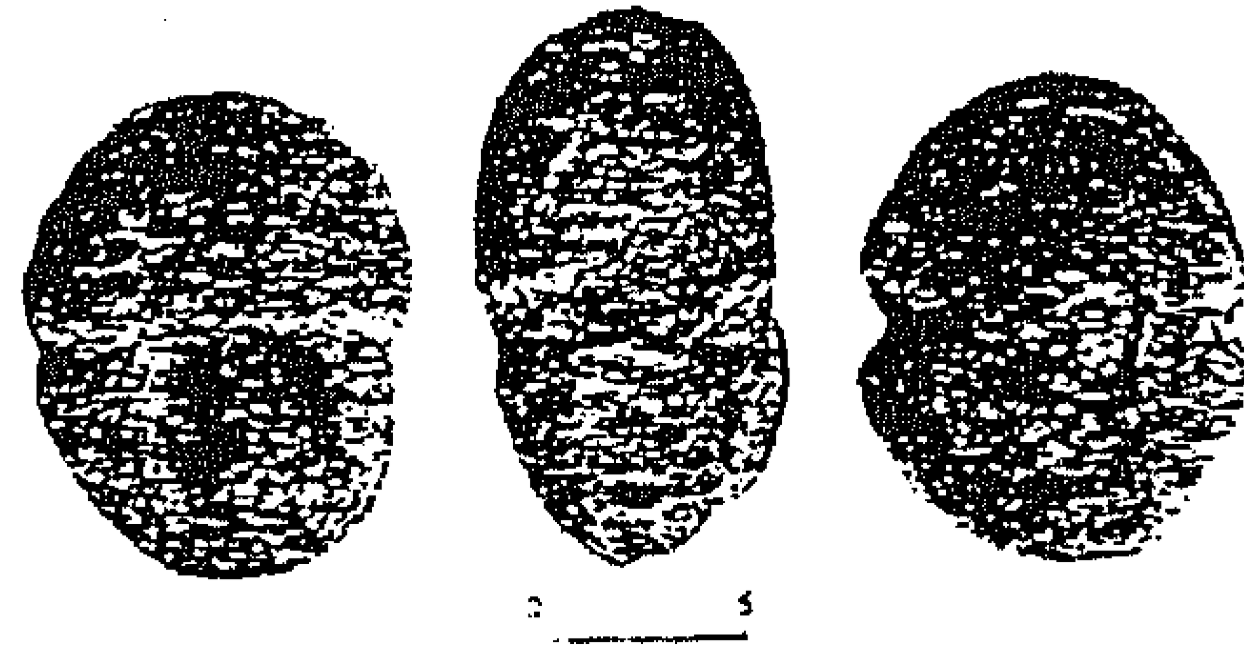
(الشكل 3)



(الشكل 2)



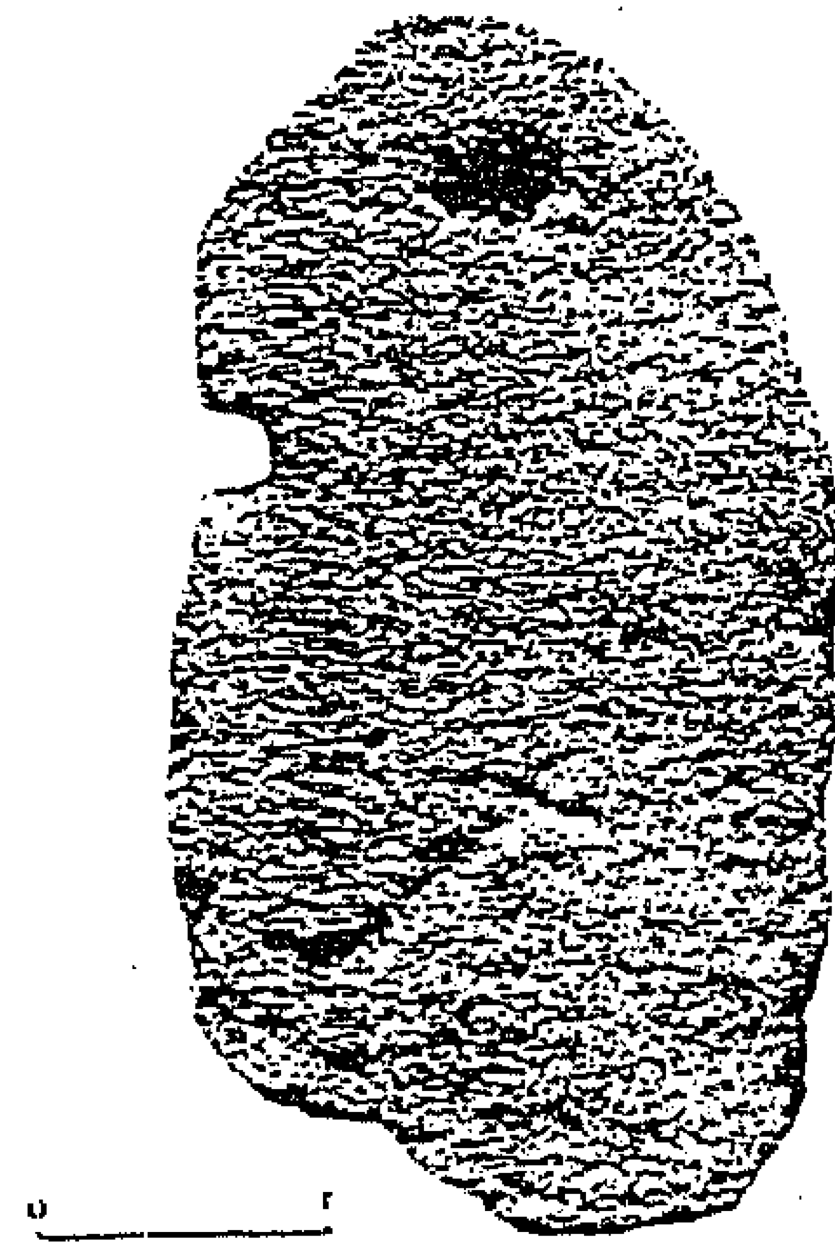
(الشكل 5)



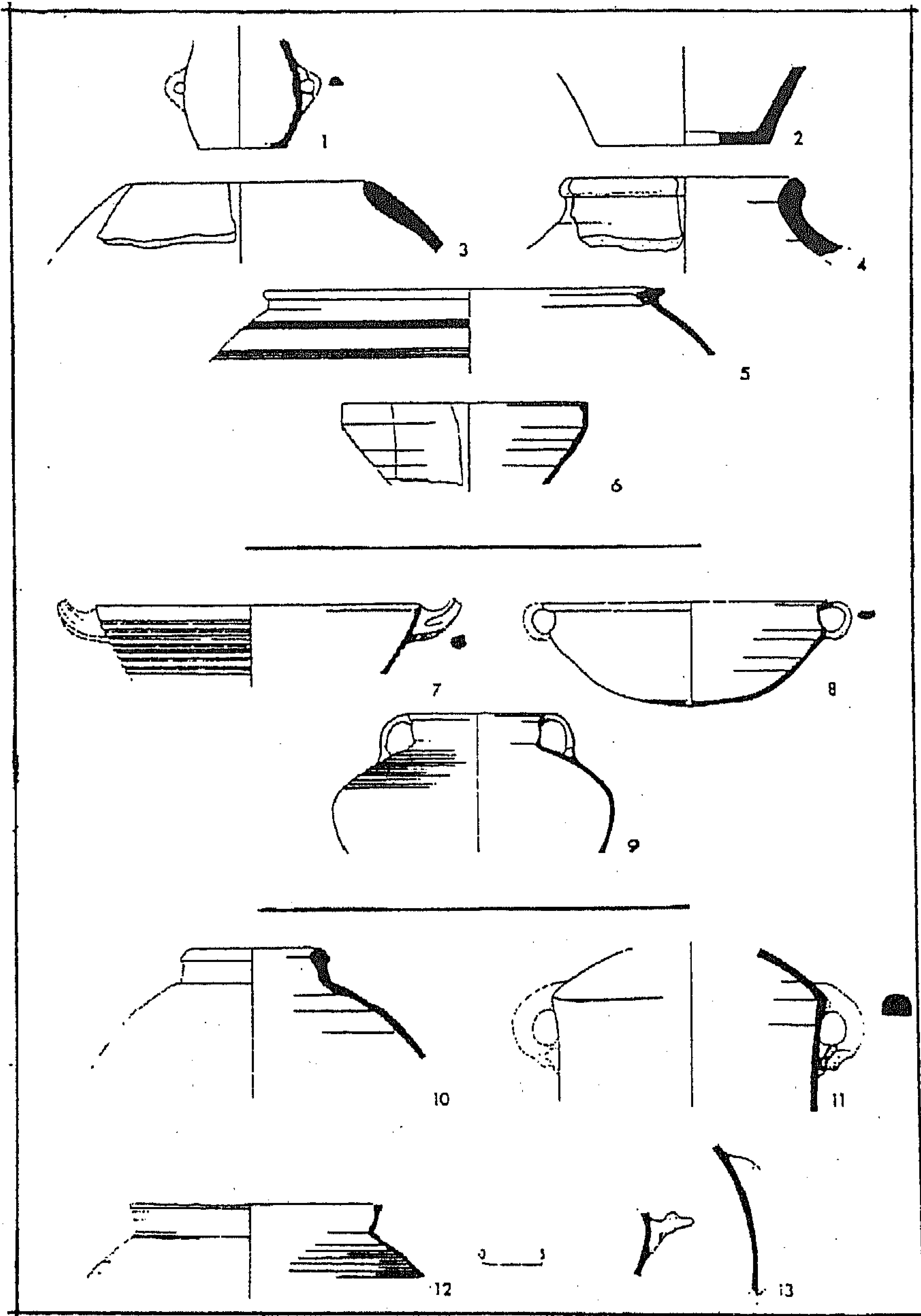
(الشكل 4)



(الشكل 7)



(الشكل 6)



(اللوحة 1)

2 ـ التنقيب عن آثار قبور الدولمن في الجـولان(*)

يلخّص هذا التقرير نتائج أعمال التنقيب التي جرت في السنوات (1971 — 1976) و(1980) للكشف عن قبور الدولمن (أي قبور ما قبل التاريخ) في الجولان.

وقد جرت أعمال الحفر لبُنى قليلة نسبياً في كل موقع، وكان يتمّ اختيار شواهد الدولمن الأسهل تنقيباً، وبأقل ما يمكن من أعمال التخريب. وفي كل هذه الدولمنات التي تم التنقيب عنها كانت توجد بقايا الردم المتراكمة عبر السنين من حجارة وتراب، وما توضّع في طبقاتها العليا من مواد بيزنطية من عظام القوارض صغيرة، وما شابه به ذلك في أكثر من ثلاثين موقعاً.

كما تم التنقيب عن دولمنات إضافية أثناء أعمال المسح السطحي بالقرب منها لكن دون اكتشاف أي بقايا لمواقع استيطانية في هذه الحقول أو قربها.

وقد اختلفت آراء علماء الآثار حول تاريخ الدولمنات في هذه المنطقة، غير أنّنا نستطيع أن نقرّر بأن أولى المواد المكتشفة فوق الأرضيات المرصوفة لحجرات الدولمنات يعود تاريخها إلى العصر البرونزي الوسيط الأول(8) مع عدم استبعاد فكرة أنّه من الممكن أن تكون بعض الدولمنات قد بني قبل هذا العصر بجهود جماعات وافدة. وتشير الدلائل المأخوذة من الشواهد المدروسة في الجولان إلى أن تاريخها يعود إلى أواخر الألفية الثالثة وأوائل الألفية الثانية قبل الميلاد. وإن عزو الدولمنات إلى هذه الفترة ينسجم مع ما هو معروف عن القبور العمودية المعاصرة

(*) لخصنا هذا البحث من تقرير الباحثة كلير إيبشتاين Claire Epestein بعنوان (التنقيب عن آثار قبور الدولمن في الجولان) نشر في مجلة :
,ATIQOT Jerusalem Volume XVII 1985.

لها والموجودة في غربي الأردن والتي حفرت في الصخور الأقل قساوة، بعكس البازلت القاسي المنتشر في معظم مناطق الجولان وحوران. ومن المرجّح أن بناة الدولمنات قد أتوا من هذه المناطق جالبين معهم تقليد البناء بالحجارة القاسية التي تطورت في أراضٍ تسود فيها صخور البازلت البركانية القاسية، ومع مرور الزمن تأصل هذا التقليد عميقاً في هذه المناطق لدرجة أن عادة بناء الدولمنات كمقابر استمرت حتى في المناطق ذات التربة الشيرية والكلسية كما في الجليل وشمالي عجلون. بينما وجدت في جنوبي بحر الجليل (بحيرة طبريا) بالقرب من تل العجول قبور عمودية بُطّنت جدرانها بكتل حجرية قائمة كما هي الحال في الدولمنات. وتتصف كل الأضرحة العمودية وقبور الدولمنات بعدد من الصفات المشتركة؛ فكلاهما يعطي أهمية لمقرّ الراحة الأبدية الأخير للميت، وبذلك الجهود الكبيرة في إعدادها، وكلاهما لم يكن يحتوي إلاّ على حفنة قليلة من العظام؛ مما يدلّ على عملية دفن ثانوية، وعلى عدد قليل من المواد والأمتعة موضوعة حول أكثر من رفات في المدفن الواحد، وبينما كانت القبور العمودية مخفية تحت الأرض، كان كثير من الدولمنات مخفيّ بشكل جزئي أو كلّي تحت ركام التلال الذي يغطيها، ومن جهة أخرى قدّمت الحفريات الحديثة في عدة مواقع دلائل على انتشار واسع لثقافة العصر الحجري النحاسي(9) في الأماكن التي غالباً ما يوجد فيها دولمنات. وليس من الضروري بسبب قرب الدولمنات من الآثار التي كانت قبلها أو بعدها أن يكون هناك أي علاقة بينهما، ومن الواضح – فضلاً عن ذلك – أن مواقع حقول الدولمنات كان غالباً ما يتم اختيارها بسبب اعتبارات طبوغرافية محلية، وذلك باستخدام خطوط الارتفاعات المتساوية لبقعة أرض معيّنة، من أجل تسهيل بناء هذه الدولمنات. وهكذا فقد تمّ بناء المئات منها على المنحدرات الغربية من الجولان، مستفيدين من التدرّج نحو الأسفل الذي يساعد على نقل كتل الحجارة الضخمة بواسطة روافع بسيطة. ويمكن القول بأنه كان يسود نوع واحد وأحياناً نوعان في أي حقل من حقول الدولمنات، كما أن بعضها كان يُبنى في أماكن منعزلة، وليس لذلك أي صلة بمجموعات أكبر، وأحياناً تكون الدولمنات تشير إلى ضريح رجل لم يتم دفنه في المدفن الرئيس، كما أنه من الصعب في الغالب معرفة اتساع حقل الدولمنات؛ لأن حدوده غير محددة وغير واضحة المعالم.

• وصف أنواع الدولمنات:

تتوزع قبور الدولمن في الجولان على مساحة واسعة (الشكل 1) الذي يبيّن المصوّر فيه توضّع هذه القبور. ورغم وجود صفة مشتركة بين هذه الدولمنات فإن هناك اختلاف بينها؛ وعلى ذلك يمكن تصنيفها إلى ستّة أنواع، توضّحها اللوحات، ممّا يتيح لنا تشكيل صورة واضحة عن طبيعة ومحتويات دولمنات الجولان. وهذه الأنواع هي:

الأول (اللوحة 1): (1a) بناء صغير حر (غير مدعّم) مؤلف من حجرين قائمين كحائطين، يرتكز عليهما بشكل أفقي حجر بمثابة السطح، مفتوح من الطرفين، وأرضه أحياناً مرصوفة بشكل بدائي، ولا وجود لتلّة جنائزية فوق القبر.

- (1b) : مشابه للنموذج (1a) لكن مع وجود حجر حائطي معترض يشبه الشاهدة لا يلامس السطح ومحاط غالباً بركام أو سياج من الحجارة. وقد تمّ التنقيب عن هذا النوع في (تل بازوك).

الثاني: (اللوحة 1): حجرة شبه مستطيلة، عريضة في الوسط، ذات مدخل ضيّق على أحد الجوانب القصيرة. حجر أو حجران قائمان على كل حائط جانبي، وحجر مفرد في كل نهاية مغلقة. المبنى تحت الأرض محاط ومغطّى جزئياً بتلّة جنائزية .

- (2a) : سطح من حجر كبير موضوع أفقياً يغطّي معظم الحجرة، ويرتكز على حجر سطحي أصغر فوق المدخل.
- (2b) : سلسلة من حجارة سطح متشابهة الحجم، موضوع بعضها فوق بعض بشكل أفقي.
- (2c) : نموذج مشابه لـ (2a و2b) ولكن بحجم أكبر حجارة قائمة في كل حائط جانبي عددها بين (4 – 6) السطح كما هو الحال في النموذج (2b) مع عدد متفاوت من الحجارة حسب طول الحجرة. ترتكز غالباً على صفوف من الحجارة المتوسطة موضوعة على كتل حائطية قائمة.

وقد تم التنقيب عن هذا النوع في حقل أبو فولة وغابة يهوديا وحقل دير سراس وجوبة قرعة والممر الجانبي للسنابر ورسم حربوش وقصرين.

الثالث (اللوحة 2): حجرة مستطيلة تحت الأرض، وهناك حجران أو حجر في كل حائط جانبي، وحجر مشابه مفرد عند نهاية مغلقة، ومدخل في أحد الجوانب مع زوج من الأحجار وُضعا بشكل قائم على الحيطان الجانبية، كما دعّمت أيضاً من الخارج بزوج من الأحجار. ويوجد حجر وسطي كبير مدعوم من الأساس بحجارة متوسطة ناتئة، ويرتكز في الوقت نفسه على حجر أفقي مشابه فوق المدخل. وهناك تلال منخفضة تغطي قبوراً مبنيّة من الخارج والداخل بجدران حلقية ذات حشوة ضئيلة من الحجارة. وما تم التنقيب عنه من هذا النوع كان في رسم الكبّاش[10].

الرابع (اللوحة 2): حجرة شبه مستطيلة، جدران جانبية وسطح كما هو الحال في النوع الثاني. ولكن كلا النهايتين الضيقتين مغلقتان بواسطة باب حجري قائم. والدخول من التلال الجنائزية الخارجية يتم من خلال ممرات ضيّقة مبنيّة تحتها، وتنفتح على جدار جانبي قرب الزاوية الشمالية الشرقية.

أما المناطق التي تم التنقيب فيها فهي غابة يهوديا ودير سراس.

الخامس (اللوحة 3): (5a): حجرة ذات شكل بيضوي، مغلقة من أحد الجوانب بجدار شبه دائري، مبني من 3 — 5 صفوف من الحجارة المتوسطة الحجم. جدران جانبية متشابهة مع نتوءات متدلّية بين الصفوف، والمدخل محجوب بالقبة الجنائزية، أما السطح فهو عبارة عن حجر كبير يستند على حجر أصغر مشابه فوق المدخل.

- (5 b) : حجرة يتراوح شكلها بين المستطيل والبيضوي، عريضة في الوسط، والمدخل منخفض في أحد الجوانب القصيرة، وهي مدعومة من الجانب بعمودٍ بابي داخلي. ويوجد حجران أو ثلاثة بشكل قائم عند نهاية مغلقة. والحجرة تحت الأرض مغطّاة تقريباً بقبّة جنائزية جيدة البناء وشديدة الميل. والسطح مكوّن من ثلاثة أو أربعة أحجار متوسطة الحجم موضوعة بجانب بعضها بعضاً. وهناك حجر منخفض فوق المدخل ومدمج مع القبّة الجنائزية. والمناطق التي نُقّب فيها غابة يهوديا وموقع الأربعين.

السادس (اللوحة 3): حجرة شبه مستطيلة، عريضة في الوسط، والمدخل منخفض على أحد الجوانب القصيرة. وهناك أربعة إلى ستة أحجار قائمة في كل

جدار جانبي وكتلة مفردة في نهاية مغلقة، وتلّة جنائزية إهليلجيّة منخفضة حول نهاية مغلقة. والسطح مكوّن من ثلاثة إلى خمسة أحجار أفقية يستند بعضها على بعض وترتفع على شكل صفوف كالدرج من كلا النهايتين الضيقتين إلى الوسط، يعلوها قمة جدارية فوق المدخل. وهناك فوق نهاية مغلقة حجارة سقف سفلية على كتل جدارية قاعدية، وسطح عالٍ مدعوم باستخدام الملاط لتثبيت المفاصل والعقد والمنطقة المنقب فيها وادي بترا.

المكتشفات الأثرية في هذه القبور في الجولان

بيّن التقرير الذي لخّص أعمال التنقيب للكشف عن قبور الدولمن ومواقعها في الجولان أن انتشار صخور البازلت من كل الأشكال والحجوم في هذه المواقع من قرى الجولان صالح لأعمال البناء اليدوي وملائم بشكل خاص لبناء هذه القبور.

غير أن رطوبة التربة الدائمة تحت حجارة تلال المقابر، ونمو كثير من الأشجار بينها أو بالقرب منها، إلى جانب الحجارة التي لم تتحرك من مكانها لآلاف السنين والتي غطتها طبقة خضراء بسبب العوامل الجوية والفطريات قد أدى كل ذلك إلى تحلل الهياكل العظمية والمواد الفخارية، بالإضافة إلى الأيام الشديدة الأمطار التي عملت على جرف كثير من المواد المختلفة وقِطع العظام مع الطين، مما أدى إلى هذا الوضع السيّء لهذه الأشياء التي دخلت بقاياها بين الشقوق وتحت الأحجار وفتحات الجدران والأرضيات المرصوفة؛ من ذلك عظام حيوانات، وجمجمة مغروزة في التراب بين الأحجار، وفرق من جلود ثيران، وخشب محروق، وأدوات صوانية، وأوعية طبخ فخارية، وقطع أخرى غير قابلة للتجميع، وأدوات معدنية متعدّدة.

وباستثناء عدد قليل من الدولمنات التي كانت مكتشفاتها تقتصر على المواد الضرورية التي وضعت أصلاً في القبور، والتي تعبّر عن أشكال وصناعة إقليمية، فإن ما تبقى من مواد أخرى ناقصة لم تكتشف، غالباً ما يجعل عملية التفسير والبت في أمرها شيئاً صعباً؛ وخاصة عندما نبحث عن مقارنات متشابهة تمكننا من إعادة بناء الحقب والفترات المتعاقبة لقيام هذه الدولمنات وموجوداتها. ففي بعض المواقع التي وجدت فيها مواد تعود إلى ما بين العصر البرونزي الوسيط الأول

والثاني، وُجدت أيضاً أدوات من عصور تالية تتمثل في أوعية يمكن عزوها إلى هذا العصر الذي لم يوجد له حتى الآن دلائل أخرى غير هذا الدليل في الجولان.

وتتميّز مجموعات العصر البرونزي الوسيط الأول بأمور مشابهة لمواد في سورية. وفي نهايته نجد نوعاً من التداخل يعكس الأشكال الجديدة التي غدت قيد الاستعمال في الشمال، والتي لم ينتشر استعمالها إلاّ فيما بعد، وتتمثل بجرّة عنبر (اللوحة 4 : 16) صنّفت على أنها تعود إلى العصر البرونزي الوسيط الثاني، لكن لا بد أنها كانت قيد الاستعمال في الوقت نفسه مع أوعية من العصر البرونزي الوسيط الأول والتي وُجد لها مشابه في قبر عمودي لم تعبث به الأيدي يعود إلى العصر نفسه.

إن ربط المواد المكتشفة التي تعود للعصر البرونزي الوسيط الأول والمواد من العصر البرونزي الوسيط الثاني في قبر عمودي في مجدّو في سياق واحد يشير إلى تفسير مشابه. وهذا الاتجاه يتوضح أكثر بوجود نوع من الزبادي مسطحة القاعدة لها كتف مدوّرة ورقبة قصيرة وحافة مقلوبة للخارج في عدد من الدولمنات. وهذه الزبادي تكون عادة مصقولة أو مغطّاة بطبقة من الدهان الأحمر توجد في بيئة تعود للعصر البرونزي الوسيط الثاني بينما في سورية توجد في بيئة تعود إلى العصر البرونزي الوسيط الأول، الذي هو أقدم إشارة لتاريخ بناء الدولمنات.

الفخاريات

الأوعية: معظم الفخاريات لم تكن مشويّة بشكل جيد، ولأنها تأثرت كثيراً بالرطوبة في حجرات القبور، فإنها عند أقل حركة أو لمس لها، سرعان ما كانت تتحوّل إلى هباء. وهذا النوع الهش من الأواني الفخارية غالباً ما يتراوح لونها بين القرنفلي الباهت والأصفر، وفيها القليل من الرمل، وخفيفة الوزن، وذات قوام غير متناسق. وكانت تستعمل لقواعد الكؤوس والفوانيس، كالتي وجدت في (دير سراس) وربّما كانت تصنع لتستعمل مرّة واحدة لأغراض تتعلّق بطقوس الجنازة. وإلى جانب هذه الأوعية المتحللة السريعة العطب، هناك أوعية وقطع مؤلفة من بنية متينة (سميكة وخشنة) وجيدة الشوي.

وغالباً ما تكون ذات لون بني ضارب للحمرة غامق اللون، أو ذات لون قرنفلي ضارب للحمرة، وجرار جيدة الشواء ذات لون أصفر.

الأباريق الأمفورية[11] : وُجدت هذه الأباريق في عدد من الدولمنات، في مواقع مختلفة، بعضها له حافة مقروصة (لوحة 5 شكل 1) و(ل 6 ش 1) كما في (معايان باروخ) وQedesh وبعضها له حافة مستقيمة (ل 4 ش 4) و(ل 5 ش 2) والمسكات غالباً ما تكون منخفضة عن العنق، وبعض الأوعية مزيّن بحزوز حول نقطة وصل المقبض أو قاعدة العنق (ل 5 ض 4) و(ل 6 ش 2).

أباريق الشاي : وُجدت في دولمنات (دير سراس) أباريق ذات بلبل، منها ما هو بلا رقبة (ل 6 ش 5، 7) تذكّرنا بأوعية الشاي التي وجدت في (معايان باروخ) و(قادش) قرب (إنان وبيت شان) ومنها أوعية ذات رقبة بحافة مقلوبة ودون قبضة. الجسم صنع يدوياً والرقبة بعجلة الفخّار. وهذه كلها شويت بالنار بشكل جيد، وهي شبيهة بأوعية الطبخ (ل 4 ض 16) و(ل 5 ش 5).

وبالإضافة إلى ذلك وجد إبريق واحد في حقل (وادي بترا) حيث كانت طبيعة المواد الحطامية مختلفة عن طبيعة تلك التي وجدت في (دير سراس). وهذا الإبريق (ل 4 ش 3) هو من الأباريق العادية (غير أباريق الشاي) وينتمي إلى نوع معروف في عدد من المواقع الشمالية من بينها مواقع (مجدّو وبيت شان وطبريا).

أوعية الطبخ : وُجدت في (حقل وادي بترا) قطعة صغيرة من وعاء طبخ مستقيم الجوانب وسطح القاعدة مع شريط من مادة لدائنيّة وثقوب للتنفيس في الأعلى (ل 4 ض 7). أما النوع الشائع من أوعية الطبخ التي وجدت في الدولمنات. فقد كانت جيدة الشوي ذات لون بني قاتم ضارب للحمرة، وجسم كروي بلا قبضة، ورقبة مقلوبة قصيرة، وحافة مصقولة عادة بعجلة الفخار. وقد وجد وعاءان كاملان (ل 5 ش 11، 12). وكثير من قطع الحواف الطوقية وجدت وعلى بعضها حزوز زينة حول قاعدة الرقبة أو آثار مقبض الكتف (ل 5 ش 7، 9).

الجِرار : وُجدت في حقل (وادي بترا) قطع من جرّة تخزين كبيرة مصنوعة من مادة فخارية خفيفة لها مقابض مطوية (ل 4 ش 5) وهي تنتمي إلى نوع معروف جيّداً في (مجدّو) ومواقع أخرى في الشمال، كما وجدت في حقل (دير سراس) قطع

من حواف إطارية لأنواع أخرى من الجرار معظمها أوعية طبخ، بعضها له حزوز في العنق ومقابض أذنيّة (ل 5 ش 8) و(ل 6 ش 4).

القناديل الكأسية : وُجدت أوعية ذات قواعد في (دير سراس) بعضها تناثر هباء عندما تم تحريكه، باستثناء قاعدة صلبة واحدة (ل 5 ش 13). وتتميّز هذه الأوعية بقاعدة عريضة صلبة جزئياً (ل 5 ش 14، 15) و(ل 6 ش 9، 10) وقد عُثر على قنديل كأسي في (مايان باروخ). كما وُجد في كهف (قادش) عشرون من هذه الأوعية التي يبدو أنها كانت تستخدم كقناديل. وهي مع أنها لم تترك أي أثر للسناج، إلاّ أن الكثير منها لا بد أنّه كان يستخدم لهذه الغاية.

الأشياء المعدنية : إنّ تحليل الأشياء المعدنية التي عثر عليها في قبور ما قبل التاريخ (الدولمن) يبيّن أن المادة المستخدمة في العصر البرونزي الوسيط الأول تحتوي على نسبة عالية من النحاس، مع أن المواد المعدنية التي من صنع الإنسان القديم كانت نحاسية. وممّا عثر عليه من هذه الأشياء المعدنية :

رأس رمح مجوّف : وهو ذو نصل طويل وتجويف قصير، وُجد بحال سيئة جداً (ل 4 ش 9) مع بعض الكِسَر الفخارية المتفسّخة والمبعثرة من العصر البرونزي الوسيط الأول. ورأس رمح آخر ذو نصل قصير وتجويف طويل (ل 5 ش 18)، وأوعية ودبوس مدبّب الرأسين جمّعت جانباً لتفسح المجال لدفن آخرين أحدث عهداً. بينما وجد في محيط قبر من ذلك العصر خناجر مبرشمة ورماح معقوفة السّيلانات (السيلان: ما يدخل من السيف أو السكّين في المقبض) وهي نماذج من الأسلحة التي كانت مألوفة في حينها. كما عثر في مدخل قبر في (مجدّو) على اثنين من رؤوس الرماح المجوفة مع فأس مثقّبة (ذي فتحات) وحفنة من عظام آدمية تمثل دفناً ثانوياً. ومن المحتمل أن هذه الأشياء قد أهملت عندما كان يُدخل إلى القبر عبر فتحات في السقف ويفرّغ مع الكثير من محتوياته.

كما وجد في أحد القبور رأس رمح مجوّف وخنجر مبرشم وسيلان رأس سهم، وظهور هذه الأسلحة الثلاثة مع بعضها بعضاً في البيئة نفسها يشير إلى عصر صناعتها في أوغاريت. كما وجدت أيضاً رؤوس رماح مجوّفة مع سيلانات رؤوس رماح ملولبة، وذلك في بناء اسطواني الشكل يعود تاريخه إلى أوغاريت (السويّة

الثالثة، أي عصر البرونز القديم) وفي سبر آخر عُثر على رأسَيْ رمحين مجوّفين في الطور التاريخي نفسه.

إن ظهور رؤوس الرماح المجوّفة، وارتباطه مع فخّار العصر البرونزي الوسيط الأول في قبور الدولمن الحقلية المختلفة، لهو دلالة تشير إلى صلتها مع سورية، حيث لوحظت في ذلك الحين بأشكال سيراميكية.

سيلانات رؤوس سهام: وُجد نصلان صغيران يشبهان بسيلانيهما شكل ورقة شجر، وذلك في حقل (دير سراس) (ل 5 ش 17) و(ل 6 ش 15) النصل الكبير منهما ذو سيلان قصير ومدبب، ويلتقي دائرياً مع نصله، بينما النصل القصير ذو سيلان أطول، ويلتقي بشكل مضلّع مع نصله. وبظهور سيلانات رؤوس السهام في عدد متزايد من المواقع في بيئات من العصر البرونزي الوسيط الأول في الشمال، تبيّن أن هذا السلاح (السهم) كان جزءاً من تجهيزات الأسلحة الرئيسة هناك، بالإضافة إلى ما أشارت إليه سابقة (مجدّو) مثلاً في ذلك الحين، وقد عثر على رؤوس سهام مع خناجر مبرشمة أو سيلانات رماح ملولبة في عدة مواقع شمالية (معايان باروخ وmenahemiya وHanita).

لوازم: وُجدت أجزاء من قطع الفلزات المصنّعة (ل 4 ش 11، 12) في قبور قديمة، وذلك في عدد من المواقع، تمثّل بقايا مسامير مبرشمة أو مسامير عادية استخدمت كلوازم لأشياء قابلة للفساد كالجلود والخشب.

دبوس ذو رأس معقوف: وُجد دبوس وحيد (ل 4 ش 8) بجانب مدخل أحد القبور المبعثرة في حقل (وادي بترا). ومن المحتمل أن هذا الدبوس سقط عندما نظّف القبر وأزيلت محتوياته في العصور القديمة. وهو دبوس طويل يشبه ورقة النبات ورأسه مسطّح معقوف. ونسبة النحاس في معدنه عالية، وهو نموذج للدبابيس التي كانت شائعة في تجمعات ذلك العصر، وخاصة في الشمال مثل (مجدّو وقادش) وفي مواقع أخرى سورية كتل (قطنا وبيبلوس وحماة وأوغاريت) في عصر البرونز القديم.

دبابيس مدبّبة الطرفين: هذا النوع من الدبابيس مربّع المقطع في أحد طرفيه، ودائرية المقطع في الطرف الآخر (ل 4 ش 2) و(ل 5 ش 19) و(ل 6 ش 13) و(ل 7

ش 8) وهي مختلفة الأطوال، وكانت منتشرة في كل مكان من الدولة. وفي مواقع متعددة من سورية وقد صنِّف بعض من هذه الدبابيس كمخارز، وخاصة عندما تكون نادرة الطول أو بقايا قبضتها واضحة المعالم. ووُجد إلى جانب هذا الدبوس الأخير تمثال لعشتروت وعلى رأسها دبوس زينة (ل 7 ش 9).

إن الانتشار الواسع والموزّع لهذا النوع من الدبابيس كافٍ لذكر المواقع المحدّدة التي وُجدت فيها، مثل (باروخ ومجدّو وهانيتا ولاكش وجبين).

وعُثر على دبابيس مشابهة في مدافن من العصور القديمة مركومة تحت تلال جنائزية في (وادي ترافا)، وفي كهف لواحد من قبور الدولمن في حقل (شامير)، وكذلك في مواقع سوريّة نذكر منها (بيبلوس وأوغاريت).

دبوس ذو رأس مسماري : دبوس واحد ذو رأس نصف دائري (ل 6 ش 14) وُجد بشكل مهمل في أرض ليست هي موقعه الأصلي على أغلب الظن. إن الرأس الطويل لهذا الدبوس، ونسبة النحاس العالية فيه، يشيران إلى أنه يعود إلى العصر البرونزي الوسيط الأول. كما عُثر على دبابيس عقدةٍ من النحاس ذات رأس سهمي، وبعضها ذو رأس نصف كروي في محيط أحد قبور (مجدّو) من العصر نفسه، في حين أن الدبابيس ذات الرؤوس التي هي أشبه بالهراوة كانت شائعة في المناطق السورية، وخاصة في الشمال في عصور متأخرة. وهناك دبابيس كبيرة ذات رأس مسماري، وثقب إبري، وجدت في (بيبلوس) ودبابيس مشابهة لها في الطول تعود في تاريخها إلى تاريخ (أوغاريت)، ومثلها ظهرت في حماة.

أساور : عُثر في أحد حقول الدولمن على سوار نحاسي صغير (ل 4 ش 1) متطابق النهايتين، وهو مهترئ جداً، ويبدو أن نهايتيه تمثّلان رأس أفعى، كما عثر على عدّة أساور نحاسية في قبور الدولمن، وفي قبر قديم في حقل (كورازيم) وكذلك على سوار مفتوح النهايتين ينتهي كل طرف منهما برأس أفعى وُجد في أحد المدافن من العصر نفسه، بينما عُثر على أساور نحاسية صغيرة في مداخل القبور، في معايان وباروخ وGa'ed وHazore'a وفي كهف Qedesh.

وفي العديد من المواقع الأثرية المعاصرة لها في سورية وُجدت أساور مشابهة لها؛ ففي (قطنا) عُثر على أساور نحاسية ذات حجم صغير، ونهاياتها متطابقة. وفي مواقع

أخرى كانت الأساور في أذرع الهياكل العظمية، وفي (بيبلوس) أساور من حجوم مختلفة في جرّة، وغالبيتها كانت متطابقة النهايات، وبعضها مزيّن بنقش من الخطوط.

خواتم : وُجد خاتم نحاسي متناسق الشكل متطابق النهايتين (ل 5 ش 20) وكذلك خواتم من هذا النوع في قبور (مجدّو) تعود إلى العصر ذاته (البرونزي الوسيط)، إلى جانب أشياء معدنية تشبهها. كما وُجدت خواتم في Qedesh تشبه الأقراط، بينما عُثر قرب إينان على قطعتين مثل الخاتم، الواحدة فوق الأخرى على إصبع لأحد الهياكل العظمية.

خرز : خرزة واحدة من العقيق الأحمر دائرية المقطع، اسطوانية الشكل وُجدت ملتصقة بأحد الأحجار المرصوفة في أحد حقول الدولمن، إلى جانب بعض الكِسَر من الفخّار، كما وجدت سبع خرزات صغيرة متشابهة من العقيق نفسه كانت متناثرة في أحد الحقول من ذلك العصر، وحبات أخرى مثلها، عُثر عليها في كهف Qedesh وفي ممر أحد المدافن في (يازر) Yazur.

• خلاصة :

وهكذا نرى أن قبور ما قبل التاريخ (الدولمن) اتخذت عدة نماذج، وأنها قد توضعت في حقول مختلفة من الجولان، ويعود تاريخها إلى العصر البرونزي الوسيط الأول، وأنها عنصر أساسي من نتاجات ذلك العصر، ومنذ زمن مبكّر فيه.

وعلى الرغم من اختلاف هذه القبور في الحجم وتفاصيل البناء، فإن القديم منها قد تمّ تنفيذه وفقاً لعادات أو أعراف قبليّة، وحسب الإمكانات المتاحة التي تقدمها البيئة؛ من استخدام كتل حجرية ضخمة جاهزة، واختيار المواقع الطبيعية المناسبة لها، ووجود أشكال جاهزة لتجويف القبر من مستطيل أو شبه منحرف، وانتشار الكتل الحجرية الثابتة كمدماك أساسي جداري، ورصف الأرضية بقطع من الأحجار الصغيرة التي تستخدم لملء الفراغات إلى جانب استخدام الجص الذي اتخذوه مادة لتقوية الربط بين الحجارة.

إن أسلوب بناء هذه القبور قد أملته تضاريس المنطقة التي كان يتحرك فيها بناة هذه المدافن، والتي كانت سابقاً مسرحاً لنشاط بركاني ساد فيه الحجر البازلتي،

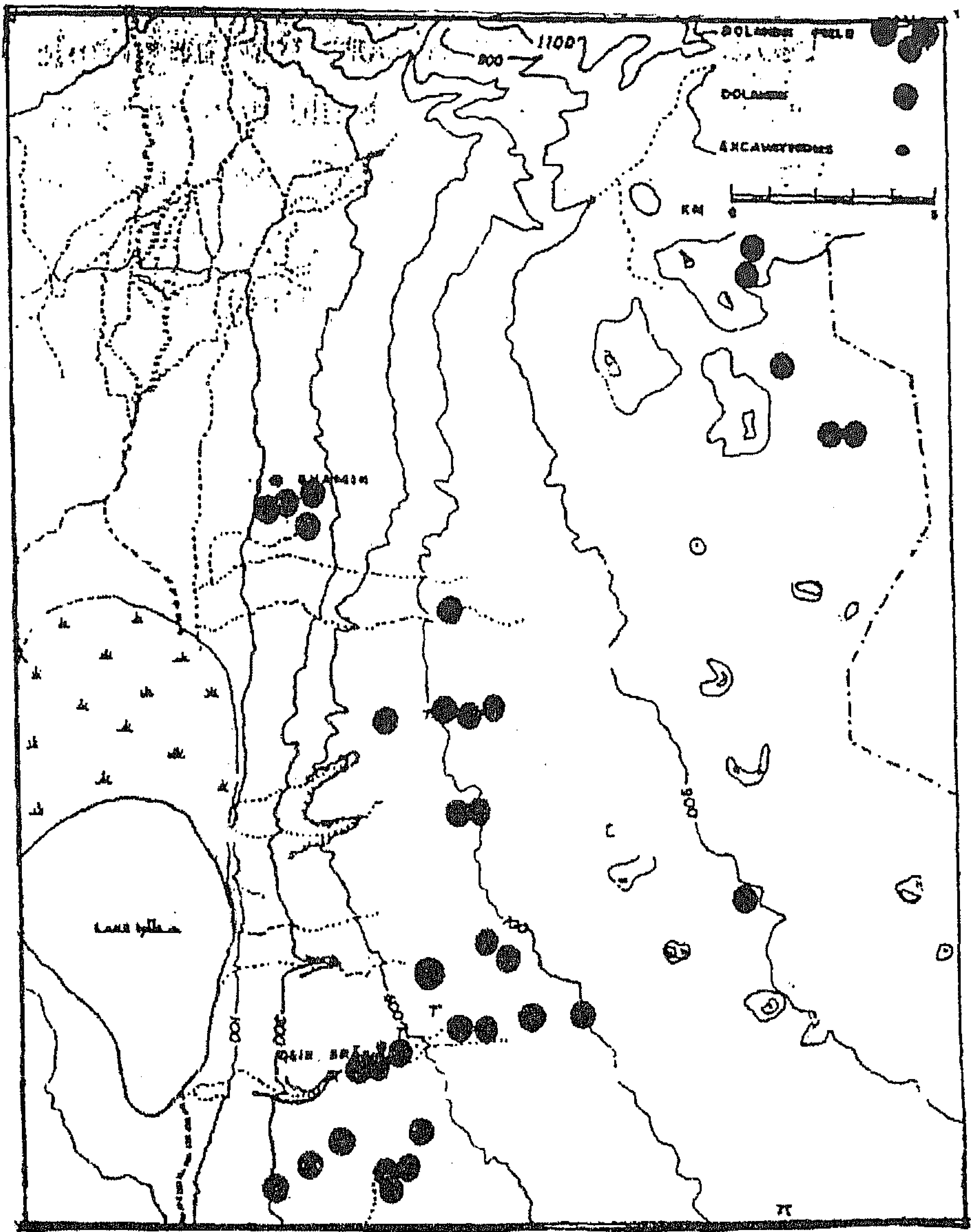
إلى جانب الركام (من رمل وأحجار) الذي كان يقام بشكل متكرر ليحيط بالقبور أو يصل إلى سطحها وأحياناً يغطّيها بشكل كامل، في حين أن بعض القبور محاط بسياج طبيعي. وفي مواضع أخرى يرتفع القبر ليكون أعلى من سطح الركام. وكثير من الركام محاط بجدار دائري يتألف من مداميك ذات أحجار كبيرة. وتحت سطح الركام جدران إضافية دائرية متحدة المركز تغلق القبر. وفي بعض الأحيان اتّخذ الركام وضع مسطبة على شكل إهليلجي، والركام هذا كان دائماً يحمي مدخل القبر الذي يتم الوصول إليه بواسطة نفق تحته.

إن بناء الدولمنات وما يحيط بها من ركام، كان يستلزم كثيراً من الجهد الجسدي والخبرة غير القليلة، وما يتطلب ذلك من أهمية كبيرة تتعلق بإعداد المكان المريح للميت. وكان الدفن في هذه القبور ثانوياً (دفن إفرادي عادة)، وهو يتضمن على الأغلب عدداً قليلاً من العظام التي ترافق ببعض القرابين الجنائزية.

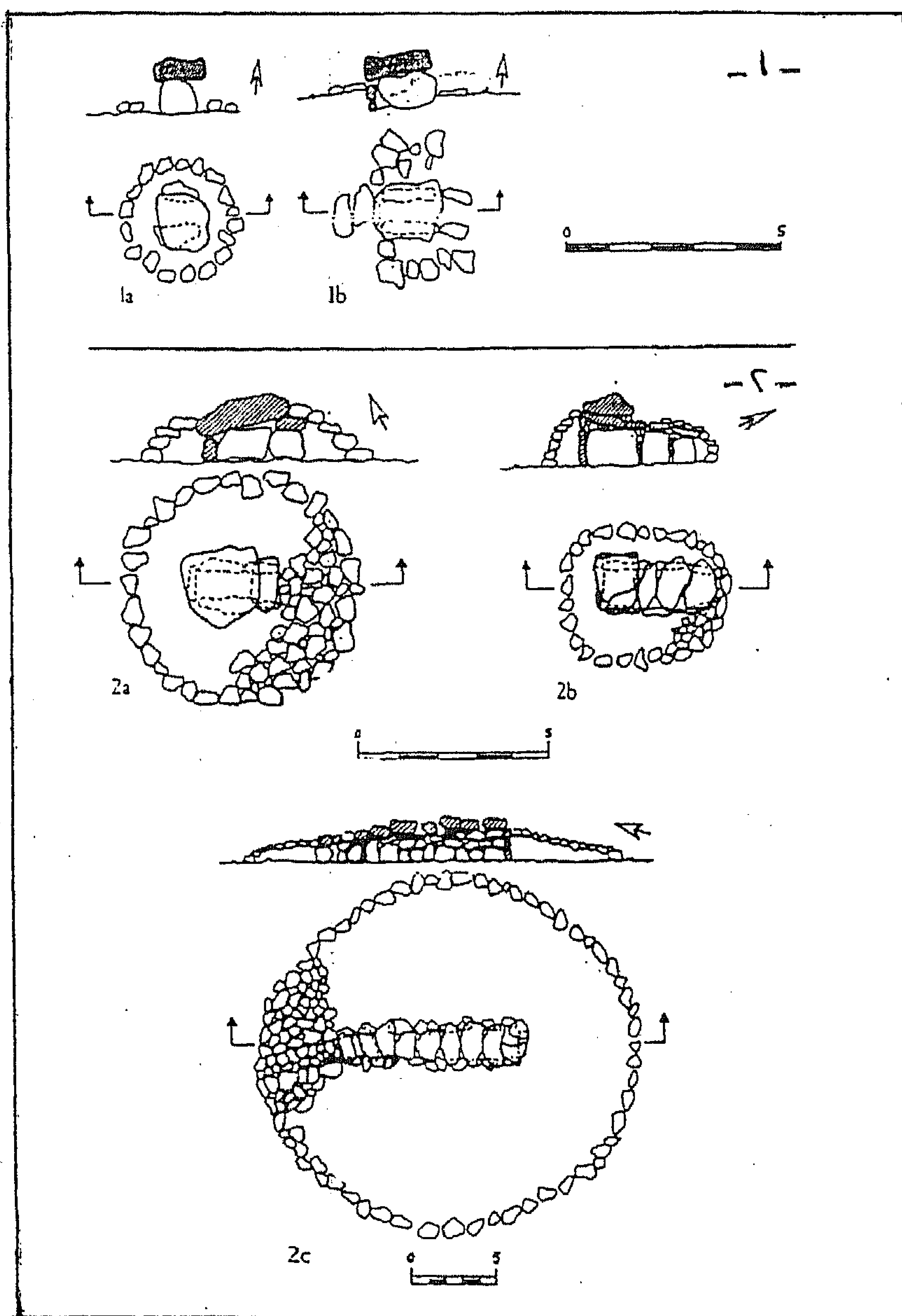
ومع مرور السنين فإن كِسَراً أو بقايا من الهياكل العظمية، تبعثرت لأسباب طبيعية، وبفعل من دخل القبر فيما بعد، وخلّف الفوضى فيه.

وعندما كان الدفن الثانوي يوضع في القبر، فإن طقوساً جنائزية، من نوع ما، كانت تقام فيه. ويستدل على ذلك من وجود قناديل وكؤوس قرابين داخل القبر. وتشير أواني الطبخ إلى أن وليمة جنائزية أو طعام احتياطي كان يوضع في الضريح من أجل الميّت.

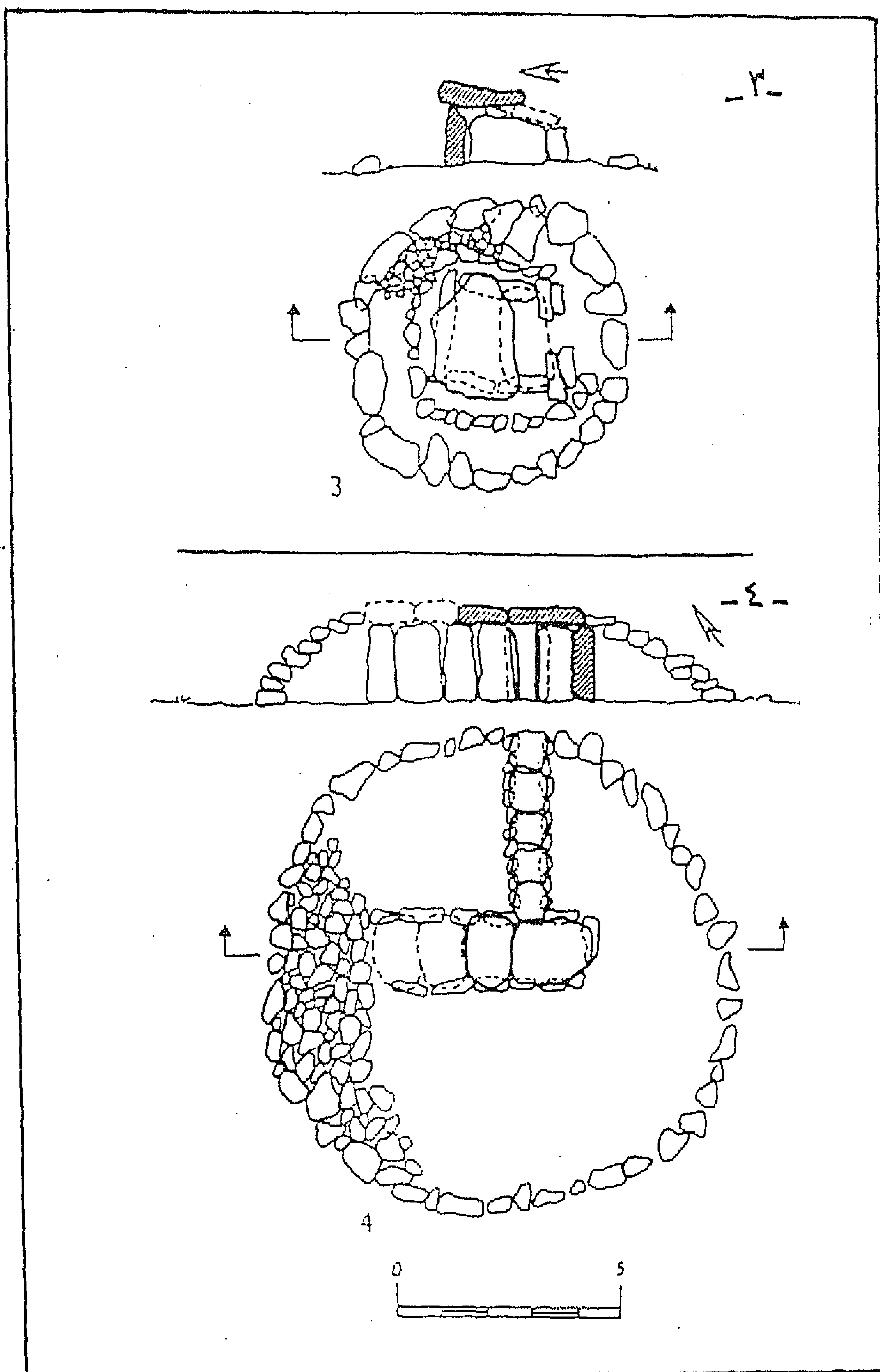
إن معادن وسيراميك العصر البرونزي الوسيط الأول الموجودة في قبور الدولمن تحمل النماذج المميّزة للقبور العمودية التي ظهرت في شمالي البلاد كما ظهرت بشكل واضح في سورية. وهي مشابهة إلى حد كبير لتجمّع Qedesh، أمّا الهبات الجنائزية للدفن الثانوي، فكانت توضع عادة عند النهاية المغلقة لجوف القبر. وكانت هذه الأشياء تتألف من الأدوات المصنوعة من معادن فيها نسبة عالية من النحاس؛ ومنها رؤوس مجوّفة، ويمثّل وجودها تطوّر المبتكرات السورية، في حين أن سيلانات رؤوس السهام التي وجدت في مداخل القبور يمكن عدّها من نماذج الأسلحة المعاصرة لها، والشائعة في شمالي البلاد.



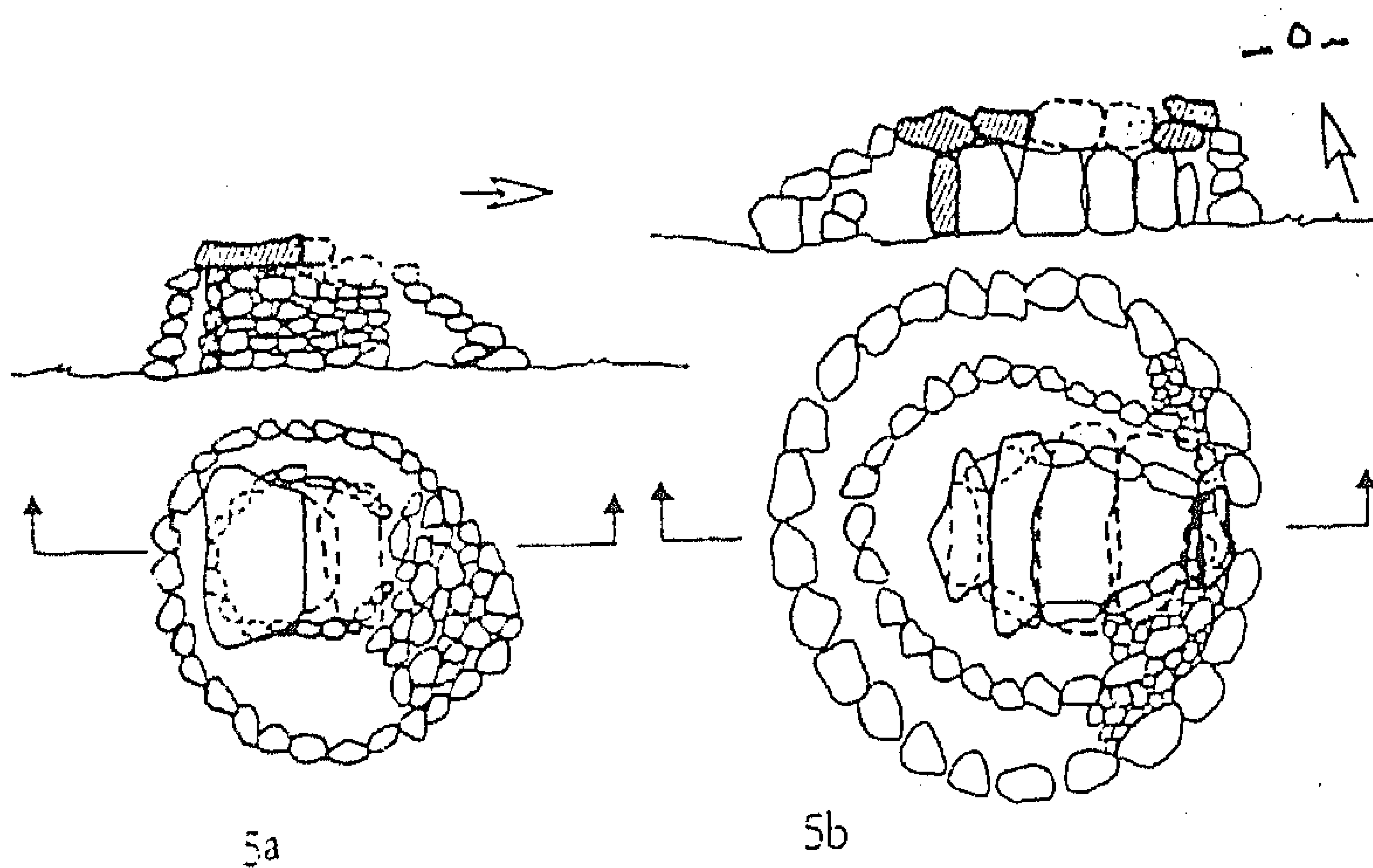
(الشكل 1) توضّع الدولمنات في الجولان

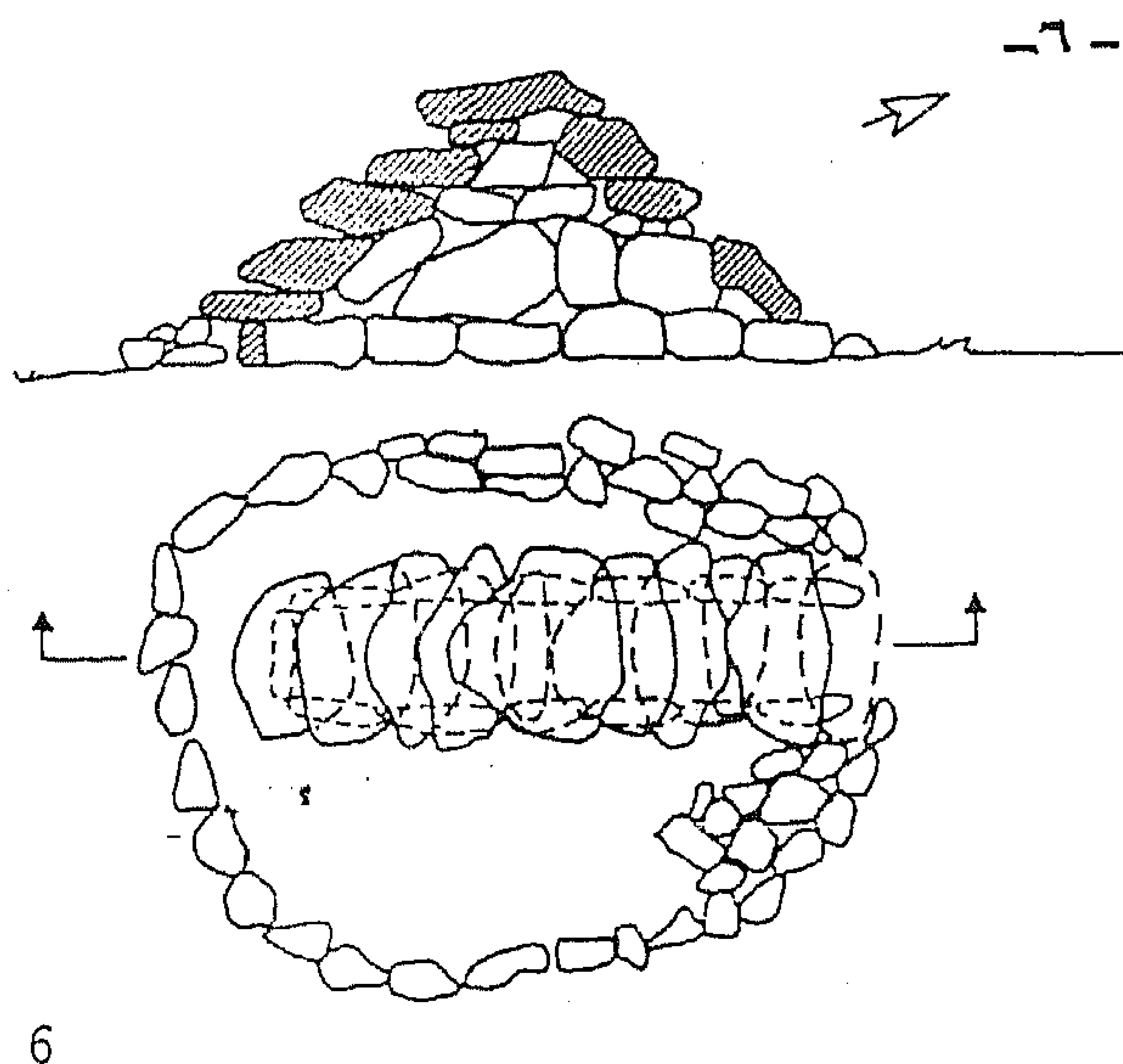


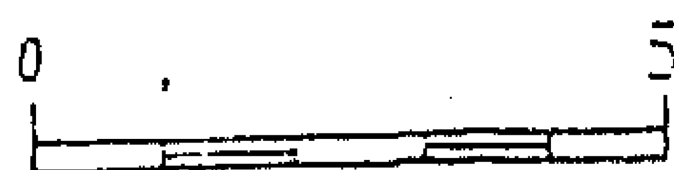
(اللوحة رقم 1) أنواع الدولمنات الأول والثاني



(اللوحة رقم 2) أنواع الدولمنات الثالث والرابع







(اللوحة رقم 3) أنواع الدولمنات الخامس والسادس

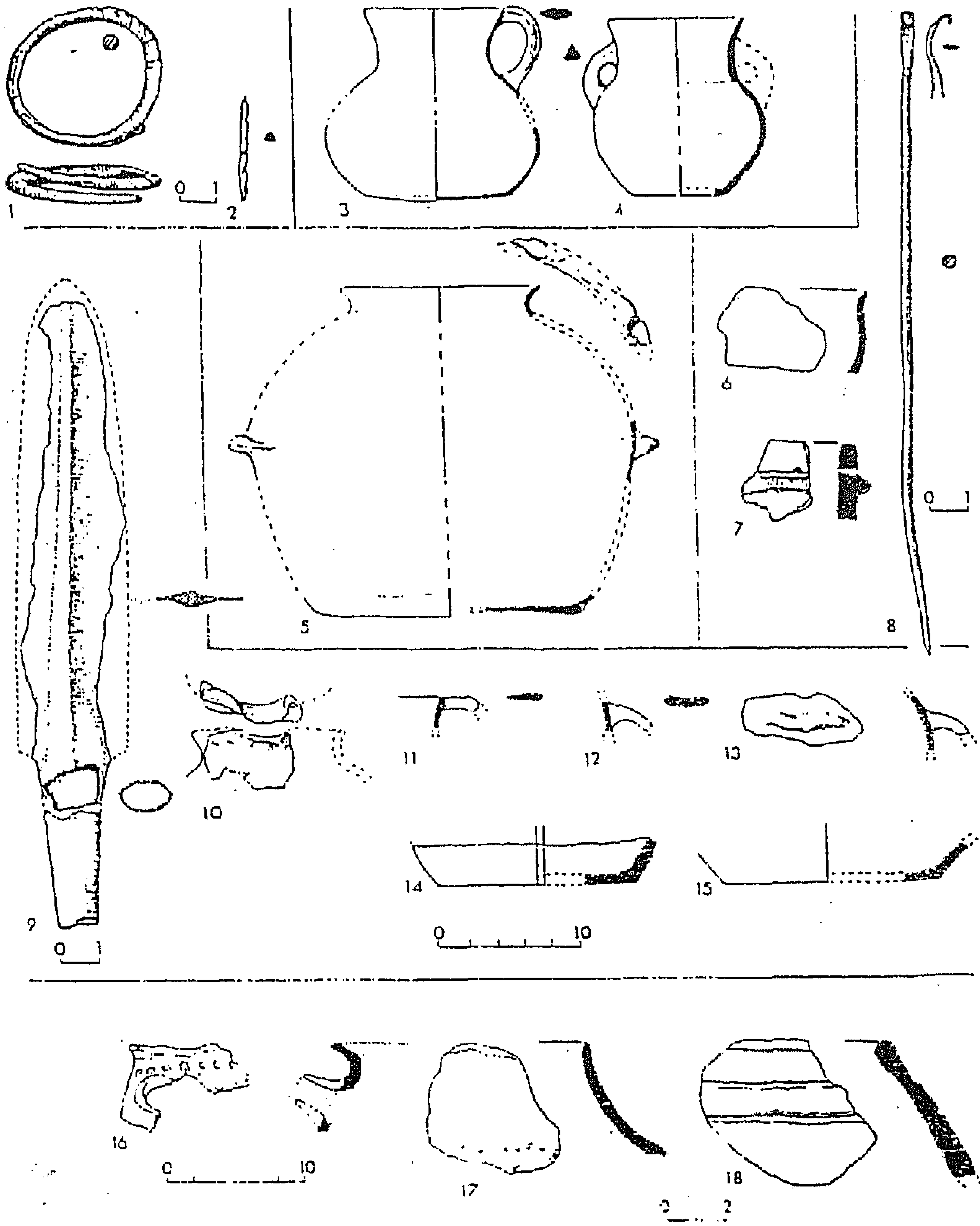
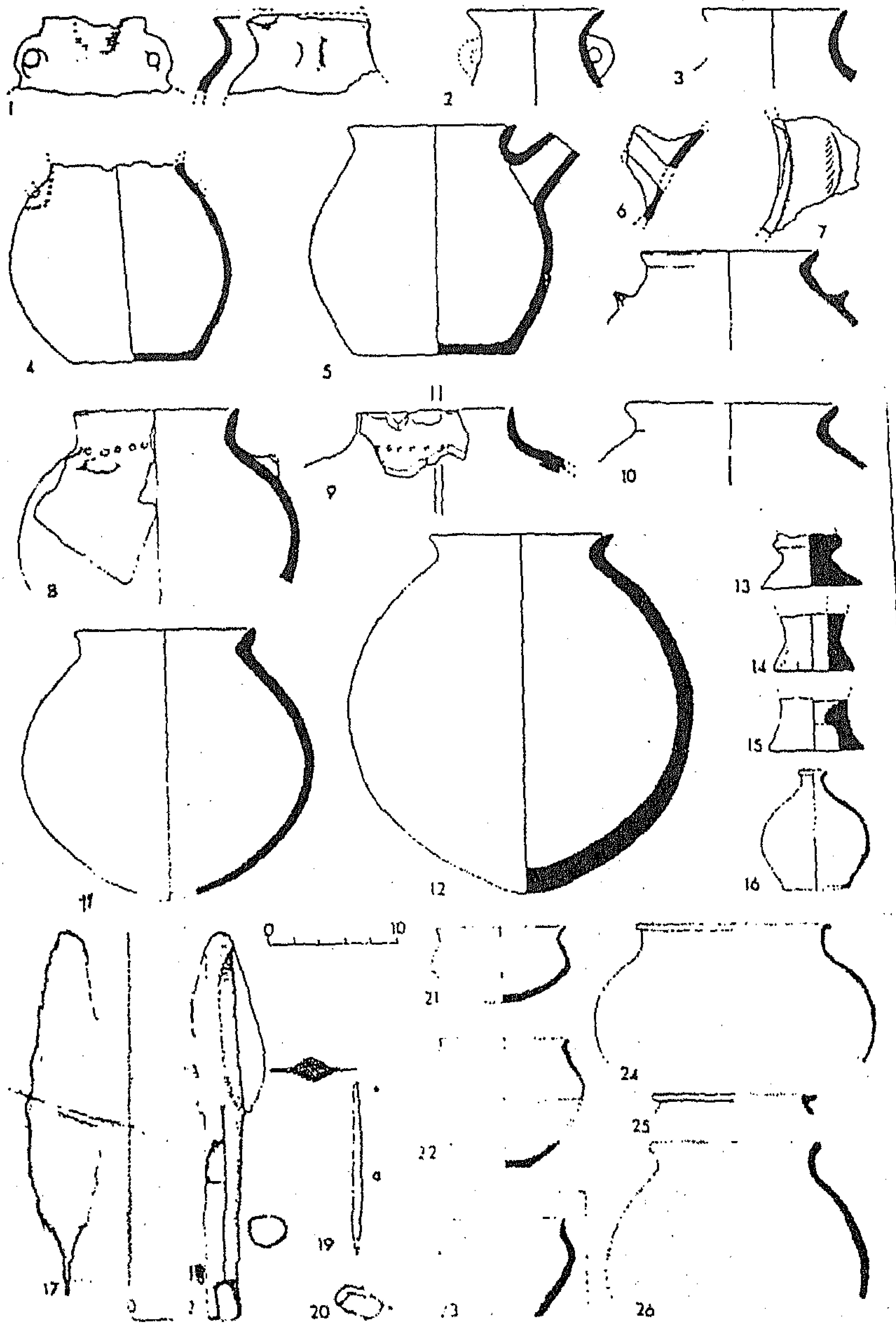


Fig. 2.

(اللوحة رقم 4)



(اللوحة رقم 5)

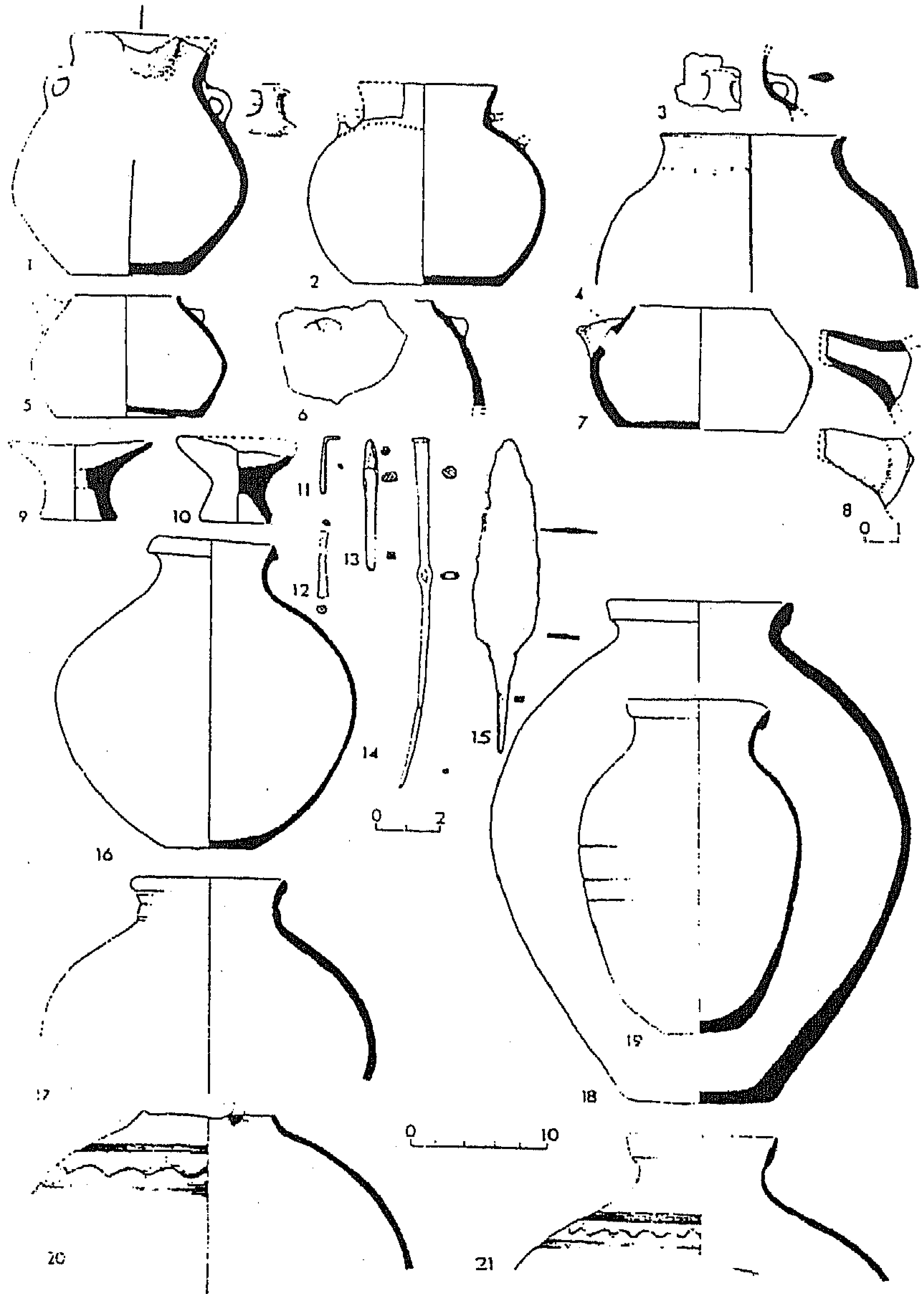
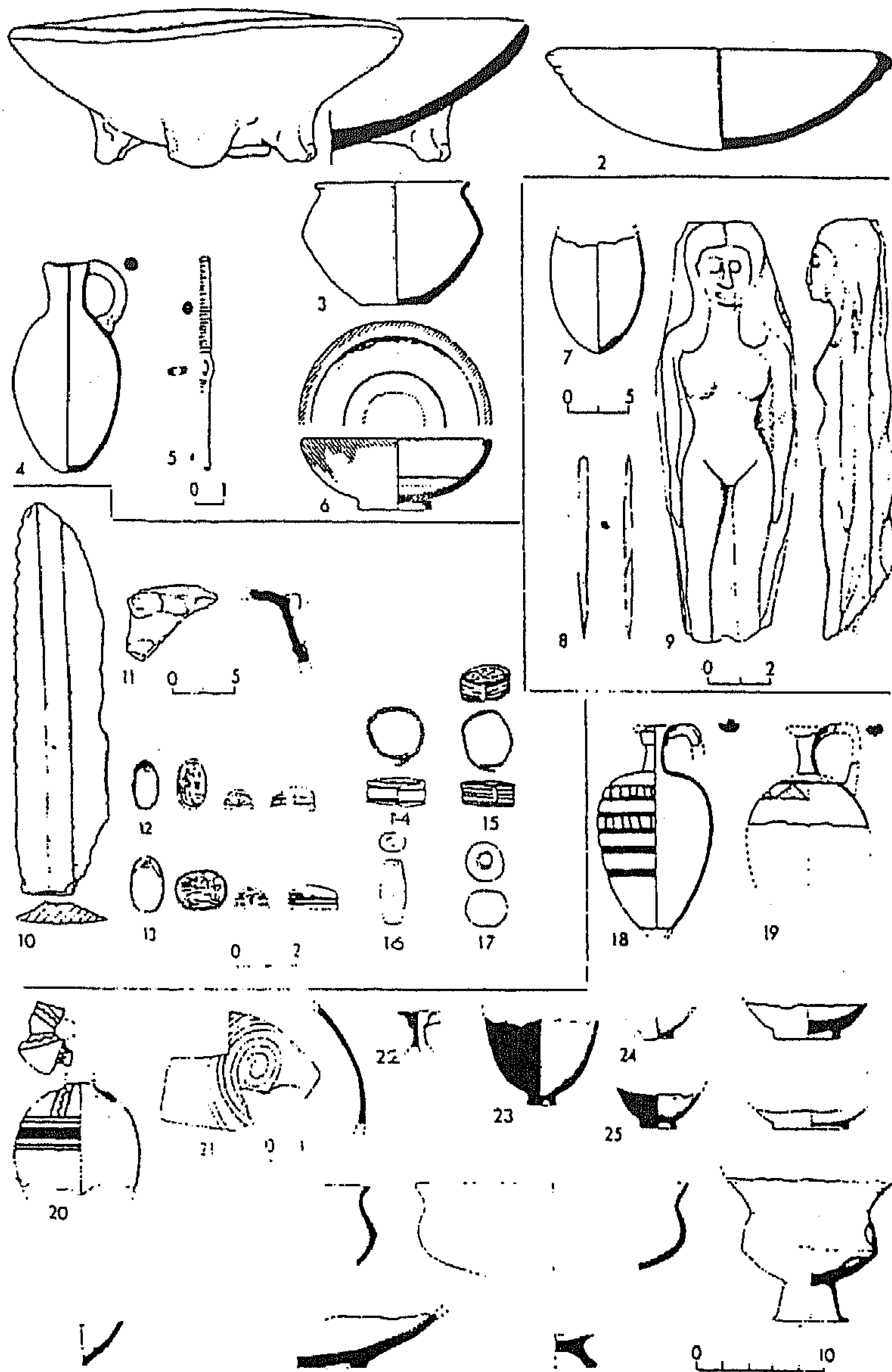


Fig. 4.

(اللوحة رقم 6)



(اللوحة رقم 7).

3 – المكتشفات الأثرية في الكرسي(*)

-1-

تعد الاكتشافات الأثرية على طول الساحل الشرقي لبحر الجليل (بحيرة طبريا) محدودة نسبيّاً بالمقارنة مع الآثار المكتشفة في الساحل الغربي والشمالي ، على الرغم من وجود عدد من المدن والقرى التي كانت تنتشر فيه ، والتي لعبت دوراً هاماً في حياة هذه المنطقة. إلاّ أن هذه الاكتشافات قد ساهمت بشكل ضعيف ومحدود في إعادة بناء هذا الجزء المتاخم للبحيرة .

وشمالي كيبوتز عين غيف أو (عين غيب) التي هي على مستوى مدينة طبريا في الجهة الغربية من البحيرة ، تقطع سلسلة الهضاب وادي السمك المعروف باسمه القديم (وادي الكرسي) المتميّز بأرضه الخصبة.

وقد عدّت الحكومة الصهيونية بعد حرب 1967 منطقة الكرسي جزءاً من خطّتها في البحث والتنقيب في المنطقة. وبدأ العمل فعليا في شهر تموز ، واستمر لشهرين. واتّضح منذ البداية أن هذا الموقع يمثّل مستعمرة ذات طابع ديني ، تضمّ كنيسة من نوعية مختلفة. وتمّ البحث أيضاً في المنطقة المحيطة بها ، والتي تمتد على مساحة 18 دونماً (123×145)م ، والكشف عن معظم الجدران الخارجية التي هي بسماكة 70- 80 سم ، وعن الموضع الذي بُنيت فيه الكنيسة في أسفل الهضبة وحيث وُجد برج مربّع على الشاطئ. وعلى بعد 300 م منها وُجد على الشاطئ بقايا آثار خان الكرسي الذي يعود إلى الفترة العربية الأخيرة ، إلى جانب ما تبقى من آثار تعود إلى

(*) لخصنا هذا البحث من تقرير بعنوان (مكتشفات موقع الكرسي) نُشر في مجلة :
ATIQOT Jerusalem Volume XVI 1983.

احتلال الرومان البيزنطيين، والفترة العربية الأولى، والحروب الصليبية. وفي شمالي التل كشف التنقيب تحت الماء عن آثار مرفأ صناعي يرجع إلى الفترة الرومانية البيزنطية.

وفي موسم آخر للتنقيبات أكثر عمقاً وأطول مدّة، امتدّ بين تشرين الثاني 1971 وكانون الثاني 1972، تم الكشف بشكل أوضح عن معالم (موقع الكرسي) بعد أن قسّم إلى ثلاث مناطق: المنطقة (أ) التي تشكل الكنيسة، والمنطقة (ب) وتشمل القسم الغربي من الدير، ومن ضمنها البوابة الرئيسة، والطريق المعبّد منها إلى الكنيسة وعدد من المنشآت. والمنطقة (جـ) وتشمل وحدات سكنية واقعة شمالي الدير[12] وقد استكمل التنقيب في هذه المنطقة الأخيرة في آذار 1973.

ـ2ـ

أظهرت الأبحاث أن الاستيطان في الموقع، خاصة في منطقة الدير والكنيسة كان على فترات ومراحل؛ فمنذ آخر القرن الخامس وحتى منتصف القرن السادس تمّ بناء المستوطنة بحسب مخطط منظم بشكل دقيق للدير وملحقاته وما فيه من شوارع ومصارف مياه، ومساحة واسعة ليقام فيها مبنى يكون نزلاً للحجاج الكثيرين الذين يقصدون بحيرة طبريا والمواقع المقدسة على شواطئها.

وتلا ذلك فترة أنشئت فيها عدّة غرف؛ منها ما خصص للمعمودية وأخرى للصلاة. وغيرها للضيوف، ومنها ما كان لأغراض خاصة كصناعة الزيت وآلاته وتخزينه. وكل ذلك نتيجة لزيادة عدد السكان المسيحيين في المنطقة. ولكن هذا الازدهار سرعان ما انتهى منذ الغزو الفارسي سنة 614 الذي عمل على تدمير الكثير من الأبنية وتخريبها.

إلاّ أن الحياة استمرت في الكرسي على امتداد القرن السابع، ولكن بظروف معيشة أدنى مما كانت عليه، كما تضاءل الدور الهام الذي كانت تلعبه الكنيسة بعد أن تقلص امتدادها، ولحق الإهمال بالدير وباقي المنشآت الدينية والمدنية. وما لبث الفتح العربي[*] سنة 634 أي بعد فترة قصيرة من الغزو الفارسي أن لعب دوراً

(*) هذه هي نظرة العدوّ الإسرائيلي للفتح الإسلامي.

سلبيّاً على حركة الحج التي كانت تعدّ مصدراً هاماً من مصادر الدخل، إلى جانب المصادر الأساسية الأخرى، ومنها صناعة الزيت.

وفي بداية القرن الثامن تعرضت المستوطنة للدمار لسبب غير معروف، وربما كان ذلك بفعل عوامل طبيعية (كالزلزال)، فأمها بعد حين سكان جدد من الفقراء المعدمين، ليس لهم أي علاقة تربطهم بالمجتمع السابق، ولا أي شعور بأهمية الكنيسة كموقع ديني، لذلك لم تعد مكاناً للعبادة، إنما استخدمت للسكن كغيرها من البيوت المهجورة، ومنها ما جعلوه حظائر لما يملكونه من حيوانات. غير أن إقامتهم لم تكن إلاّ لفترة قصيرة؛ ففي منتصف القرن الثامن هجروا الموقع بشكل كامل، ولم يتم السكن فيه مرة أخرى إلاّ بعد زمن طويل. واقتصرت الحياة في وادي الكرسي على المنطقة القريبة من الشاطئ.

-3-

مجمع الكنيسة (الشكل 1).

كانت الكنيسة تحتل المنطقة الوسطى من الدير على مساحة 1125 م^2. وهي عبارة عن مبنى روماني مستطيل الشكل (يعرف بالبازيليكا)[13] أبعاده (25×45)م.

والمادة الأساسية في البناء هو الحجر البازلتي المحلّي الذي استخدم أيضاً في تعبيد الساحة أمام الكنيسة وعند العتبات. وجميع الأحجار موحّدة في الحجم بهوامش ضيّقة على الجوانب الخارجية، ومرتّبة على شكل صفين متوازيين. واستخدم الرخام الأبيض كعنصر للديكور في القواعد والأعمدة وأرض المذبح. أما أرضية المبنى كله فكانت مرصوفة بلوحات الفسيفساء الجميل.

والكنيسة عبارة عن قاعة للصلاة، تنتهي من ناحية الشرق بمذبح.

قاعة الصلاة: صممت قاعة الصلاة وفقاً للمبادئ الأساسية في الكنائس البيزنطية؛ إذ يقوم فيها من الغرب إلى الشرق صفّان من الأعمدة، وكل صف من ستّة أعمدة، بين الواحد والآخر مسافة مترين. وهذا ما يجعل القاعة مقسّمة إلى ثلاثة أقسام: القسم الأوسط وهو الأعرض حيث يجلس المصلّون، وممشيان على الجانبين. وقد وجد في أعلى القاعة عند أسفل كل عمود نقوش بعض الأحرف

اليونانية. أما تيجان الأعمدة المتطابقة في التصميم والتقنية، فتتّبع الطراز الكورونثي في فن العمارة اليونانية، ومزيّنة بصفّين من نبات الأقنثوس.

والمدخل إلى القاعة هو من الجهة الغربية، حيث توجد ثلاثة أبواب يؤدي كل منها إلى أحد أقسامها الثلاثة. الباب الرئيس في الوسط وعرضه 220 سم، والآخران الجانبيان كلّ منهما بعرض 110 سم.

وقد نُقشت رسوم على لوحات من الجص في كل الجدران الداخلية تقريباً، ورسومُ صلبان على بعض الأعمدة، وفي مجموعة أخرى منها وُجد بعض الفجوات، ممّا يُعتقد بأنها كانت تحمل صلباناً معدنية.

المذبح: هو مكان تواجد رجال الدين والمرتّلين وقت الصلاة، وهو مكسوّ بالحجر والرخام الأبيض. وفيه منضدة صُمّمت لقراءة الكتاب المقدّس، ووعاء مصنوع من الحجر الكلسي، أبعاده (65×35) سم. موضوع تحت مستوى الأرضية بعمق 35 سم وهو لحفظ الذخائر الدينية. وهناك ستار للمذبح يخفي كل ذلك عند الضرورة.

ويحتوي مجمّع الكنيسة على مركز الأبرشية، وبيت للمعمودية، وجناحين جانبيين، وسرداب تحت الكنيسة، وغرفة استقبال، وقاعة مركزية.

وفي مرحلة تاريخية أخرى تمّ إجراء بعض التعديلات على بعض الأقسام والغرف.

مركز الأبرشية(14): هو المركز الخاص برئيس الكهنة، ويتألف من غرفتين متساويتين (6×4) م على جانبي الجزء الناتئ أو البروز نصف الدائري، يوصل بينهما ممر خارجي، والدخول إليهما كما في المخطط الأساسي كان من طرفي الجزء الناتئ اللذين تمّ إغلاقهما، وأصبح الوصول إليهما عن طريق الممشيين في قاعة الصلاة. وقد وجد على بعض جدران الغرفة الشمالية بعض الرسوم.

بيت المعمودية: تبيّن أن إحدى غرفتي الأبرشية (وهي الجنوبية) قد تحوّلت إلى بيت المعمودية خلال النصف الثاني من القرن السادس. ودلّ على ذلك نقش وجد عند مدخل الغرفة، عن طريق الممشى الجنوبي في قاعة الصلاة.

وقد وُجد في الغرفة التي رُصفت أرضها من جديد بالفسيفساء جرن المعمودية الذي لم يبقَ منه إلاّ الجزء الأسفل، وهو بيضوي الشكل (45×25)سم، مجصص من داخله، وأن عمقه 45 سم.

الجناحان الجانبيان: يقعان على جانبي الكنيسة من الشمال والجنوب، وهما متناسقان. يضم كل واحد منهما غرفتين متطاولتين يتوسطهما غرفة مربعة، وقد لحقت بهذه الغرف فيما بعد تغييرات وإضافات، لكن من الصعب تحديد تاريخها.

السرداب تحت الكنيسة: في الطرف الجنوبي من المدخل أو غرفة الاستقبال حجر بازلتي مسطّح مع مسكة من الحديد يعدّ منفذاً محكم السد إلى ممر تحت الأرض بعرض متر واحد، وعمق مترين. ودرج مكوّن من ست درجات تؤدي إلى سرداب مقنطر عرضه 2.40 م وارتفاعه 2 م ويمتد على طول 6.25 م. حجارته من البازلت المتوسطة الحجم مع الملاط، والقنطرة التي تعلوه من الحجارة الأصغر حجماً. (انظر الآثار المتبقية في (الكرسي) اللوحة 1 : أ وب).

وفي داخل السرداب أحواض للدفن، الواحد منها يشبه الصندوق توضع فيه جثة الميت. وقد وُجد في السرداب ثمان وعشرون جثة، وعلى الحائط رسم الصليب.

المدخل وغرفة الاستقبال: مدخل البناء هو في الجدار الغربي منه. عرضه 1.80 م ويؤدي مباشرة إلى غرفة الاستقبال. والأرضية مرصوفة كلها بالفسيفساء المتقنة الصنع.

الردهة أو القاعة المركزية: وهي ساحة كبيرة واسعة، أبعادها (13×18)م. أي أنها تحتل تقريباً نصف مساحة مجمّع الكنيسة، ولها مدخل عرضه 2.50 م دون أن يكون له باب. وفي الساحة المرصوفة بأحجار البازلت — والتي كانت في فترة سابقة مغطّاة بالفسيفساء — رواق بصف من الأعمدة، وعلى الأغلب كان هناك سقف خشبي يغطّيها.

ملاحظات عامة حول الكنيسة:

على الرغم من الدمار الذي حل بمستوطنة (الكرسي) فإن الكنيسة فيها قدّمت رؤية واضحة للحياة والاحتياجات اليومية لمجتمع متدن خلال العصر الذهبي للفترة البيزنطية.

وتُظهر المعالم المعمارية نمطاً كلاسيكياً في التصميم يتجاوب مع متطلّبات الكنائس في الأرض المقدسة؛ ويظهر ذلك واضحاً في تناسق أقسامها، وهو ما نراه في كنائس المنطقة.

وكنيسة (الكرسي) هي واحدة من عدّة كنائس موجودة في محيط بحيرة طبريا. منها على الشاطئ الغربي، ومنها على الشاطئ الشرقي مثل الكنائس الأربع في (هيبوس) أو سوسيتا (قلعة الحصن) جنوبي (الكرسي). وجميعها تقوم على عناصر واحدة وإن اختلفت مخططاتها، فهناك من الكنائس على شكل صليب[15].

-4-

الدير والمنطقة السكنية

تمّ التنقيب في منطقة الدير على مساحة 300 م^2، وعلى بعد 45 م إلى الغرب من مجمّع الكنيسة. وقد ألقت الاكتشافات فيها الضوءَ على شخصية هذه المستوطنة، وتصميمها الداخلي؛ فقد كُشفَ عن بقايا بوابة في الجهة الغربية، وهي المدخل الرئيس إلى الدير، عرضها 2.50م. وكانت تُغلق باستخدام بابين مصنوعين من الأحجار البازلتية، ومدعّمين من الجانبين على طول مترين. أما الجدران المحيطة فكانت مبنيّة من حجارة الحقول الصغيرة.

ومن أمام البوّابة يمتد شارع مستقيم عريض نحو الشرق يؤدي إلى مجمّع الكنيسة، وهو مرصوف بأحجار البازلت المقطّعة بشكلٍ دقيق، ومتشابهة في الحجم. وأمام الباحة إلى الجنوب ساحة مفتوحة واسعة، يُظن أنها كانت تُتّخذ للاجتماعات العامة، لوجود مقاعد حجرية منخفضة على طول الجدار الغربي.

وإلى الشمال من البوّابة بقايا مبنى كبير مكوّن بشكل أساسي من غرفتين كبيرتين، لم تعرف الغاية منه. وربّما أقيم ليكون نزلاً للحجّاج والضيوف الذين يقصدون الدير. وقد عُثر على مصرف للمياه في القسم الجنوبي من الشارع، وكانت قناة الصرف بعرض 30 سم.

ومن التغييرات التي طرأت داخل المبنى نتيجة الغزو الفارسي، وما يتطلبه الدور الدفاعي، هو إقامة مكان للحراسة أو برج للمراقبة.

أما المنطقة السكنية فهي الجزء الشمالي الغربي من الدير، وقد اختير منها مساحة (22×15)م لأعمال التنقيب (الشكل 2).

وقد تمّ العثور فيها على بقايا للسكن، والكشف عن بنائين يمرّ بينهما شارع. كما جرى التنقيب عن مبنى كبير (14×15.50)م مجاور للجدار الشمالي، يتم الدخول إليه من الشارع في الجنوب. جدران المبنى من الحجارة غير المنظمة، ومجصصة من الوجهين، أما الأرضية فمعظمها من الجص.

والآثار التي عثر عليها هنا هي من مواد معدنية وفخّار وعملة، ممّا يقودنا على الاعتقاد بأن المبنى تمّ إخلاؤه بشكل سريع عندما حلّ الدمار بالمستوطنة في بداية القرن السابع.

وإلى الجنوب من المبنى السابق، يوجد بناء أصغر منه، لكنه شبيه به من حيث التصميم والبناء والأرضية، غير أن الكشف عن امتداده لم يتم بشكل كامل.

وفي الناحية الشرقية منه بناء جيد، متميّز في بنائه، فهو يحتوي على درج من الحجر البازلتي تزيد درجاته عن الثلاثين، تؤدي إلى غرفة في الأعلى، لكنّها وجدت مسدودة بألواح من البازلت.

ويبلغ عرض الشارع الموجود بين المبنيين 2 م. كان مرصوفاً بمواد من حجارة الوادي، كما أن هناك مصرف في هذه المنطقة بعرض 30 سم وعمق 50 سم، وهو محدّد بحجارة ومجصص، وهو يتلوى في مساره من مبنى إلى آخر.

وكل ذلك يدلّ على أن المستوطنة كانت مخطّطة ومنظمة بشكل جيد.

وفي مرحلة لاحقة، عندما تدنّى مستوى المعيشة للسكان، اتخذ الناس من البيوت المهجورة أمكنة لأغراضهم الخاصة التي تفيدهم في حياتهم اليومية؛ فقد عثر على فرن في إحدى الغرف، كما جعلوا من غرف أخرى مكاناً لإيواء الحيوانات التي يفيدون منها، فجعلوها حظائر وزرائب.

-5-

الفسيفساء (اللوحة 2: أ وب)

كانت مساحة ما هو مرصوف من الفسيفساء الملون في مجمّع الكنيسة يقدّر بحوالي 800 م^2، وقد نجا من الدمار الذي حلّ في بداية القرن الثامن 60٪ منها.

وأكثر الدمار كان في قاعة الصلاة، حيث لم يبقَ إلاّ بقايا قليلة، أمّا في المشيين، فقد تمّ الحفاظ على أرضيات كاملة، ولكن حتى هنا فإن صور الطيور والحيوانات فيهما قد تمّ تخريبها بشكل متعمّد، وذلك بعد إزالة أنقاض المبنى وجمع حطام الأعمدة في المشيين. ويمكن أن يعزى تدمير هذه الصور إلى الوافدين الجدد، بعد هجر المجتمع المسيحي للموقع. وهذا دليل على أن الذين سكنوا في (الكرسي) هم من المسلمين الذين عملوا على إزالتها كونها تعدّ محرّمة وفق شريعتهم.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الفسيفساء كان يغطي أرضية مركز الأبرشية، والجناح الجنوبي، وغرفة الاستقبال، والأروقة المعمّدة في الردهة أو القاعة المركزية. وقد تم الكشف عن الفسيفساء الموجود في الجناح الشمالي، من المدخل وحتى الغرفة المربعة الصغيرة، حيث أن التغييرات التي حصلت خلال الفترة الثانية قد دمّرت أيّ أثر لأرضية سابقة.

ويمكن تمييز نوعين من طرق تنفيذ الفسيفساء في الأرضية؛ أي أن هناك مدرستين حرَفيتين كانتا تعملان في (الكرسي) في وقت واحد. وهما مختلفتان من حيث حجم القِطع التي تتفاوت بين الصغيرة والكبيرة: فأرضية قاعة الصلاة نفّذت بطريقة رشيقة وحِرَفيّة رفيعة باستخدام قطع صغيرة جداً، في حين تستخدم القطع الأكبر في بقيّة الأرضيات، ومن حيث الرسوم المعقدة أو البسيطة؛ فالرسوم الأكثر

تعقيداً كانت منفّذة في القاعة الرئيسة من المبنى، بينما الرسوم الأقل تعقيداً كانت منفّذة في الغرف الأخرى.

مكان الصلاة: وهو الجزء الأوسط في الكنيسة، مكان جلوس المصلّين. لم يُعثر على أجزاء سليمة من الفسيفساء إلاّ في الجزء الغربي من الأرضية، والتي هي في الأساس مكونة من قسم أوسط وممشى على كل جانب منه، وكان باللون الأبيض، وفي مركز كل تصميم يوجد قطع باللون الأزرق، وهو محاط بإطار متقن عرضه 83سم مشكّل من فسيفساء يمثل أغصان نبات الأقانثوس الشائك بشكل دائري، وأوراق الأقانثوس باللون الأزرق والأحمر والأصفر والأبيض على خلفية سوداء. وقد حطّم فسسيفساء الإطار، حتى غدا من الصعب تحديد الرسوم في داخله.

الألواح بين الأعمدة: الألواح التي كانت بين الأعمدة دمّرت أيضاً. ومن ضمن الألواح الأربعة عشر لم يتبقّ إلاّ أربعة، وقد ضمّت محيط المذبح، وكانت مكوّنة من أشكال هندسية بتصاميم ملوّنة:

اللوح الأول ضمّ مستطيلات بيض، ومربعات حمر، على خلفية سوداء. المربّع والمستطيل مرتّبان بشكل صليب. اللوح الثاني يماثله في الشكل مع اختلاف بسيط في التصميم. ومن ناحية اللون يظهر في اللوح الأول لون أصفر بين الصلبان بينما تظهر في اللوح الثاني بين الصلبان ألوان متعددة (قوس قزح). في اللوح الثالث تظهر دوائر متقاطعة على خلفية صفراء. اللوح الرابع مكوّن من رسوم هندسية تبدو فيه زهرة بأربع ورقات سود، مع شكل مربّع في وسطه صلبان حمر. وفي الصف المتوسط مربعات يحتوي كل منها على شكل مختلف، صليب موجود ضمن إطار أحمر، عقدة على خلفية سوداء، وعقدة مشابهة على خلفية صفراء.

الألواح العشرة المتبقية أظهرت مشاهد متقنة لحيوانات وطيور على خلفية مورّدة، ولم يتم الحفاظ إلاّ على محيطها. بعض الألواح ضمّت أشكالاً لحيوانين كبيرين وألواح أخرى أظهرت رسومات لطيور على أغصان الشجر.

الممشيان في قاعة الصلاة: الممشى الشمالي والجنوبي في قاعة الصلاة مرصوفان بفسيفساء شبيه بشكل سجادة امتدّت على طول كل ممشى (19×3)م.

وفي كل من الأرضيتين يحتوي التصميم في المحيط، وهو بعرض 50 سم، على وردة من ثلاث ورقات متباينة، والأزهار من ثلاثة ألوان: البنيّ في القاعدة، والأصفر في الوسط، والأبيض في الأعلى، ومتباينة مع أزهار باللون الأحمر الغامق والأحمر الفاتح والأبيض، الموجودة على خلفية سوداء. واستخدام عدد من الأزهار البيض لملء الفراغات.

الشكل الأساسي في الممشى مفصول عن التصميم في المحيط بفسيفساء أبيض، متبوع بخطّين باللون الأسود. وتشكيلات الممشى مرتّبة ضمن شبكة من المربعات المتداخلة الصغيرة والكبيرة بشكل عرضي. المربعات الصغيرة تضمّ شكل مربع متعدد الألوان موجود في منتصفه صلبان سود، وهذا الشكل موجود أيضاً في الحوافي.

وهناك أيضاً سلسلة من الألوان الجميلة، ورسوم الطيور والأسماك والورود والنباتات الخضر ورموز الحصاد موجودة على الممشى، وكل شكل ضمن الصفوف يتكرّر أربع مرّات، وبشكل عام كان ترتيب الأشكال يتباين بين صور العصافير والأسماك وأشكال النباتات.

الممشى الشمالي: ابتداء من الغرب تضمّنت السلاسل رسوم عنب ونبات يحمل أزهاراً وأزهاراً طويلة قد تكون زنابق، وشكلاً لعصفور، وكأس نبيذ باللون الأصفر، ونباتاً مكوّناً من ثلاثة ألوان متباينة للّون الأحمر. وفي داخل هذه السلاسل توجد أشكال حقائب (تشبه الأكياس) باللون الأصفر، محدّدة باللون الأسود مع أبيض وأحمر. ويستدل من هذه الحقائب (أو الأكياس) أنها كانت تستخدم لحمل العنب أو الفواكه الأخرى، تندرج بعدها رسوم فواكه مختلفة، مفصول كل منها بصف من العصافير، تمّ تدمير أغلبها. أما الفواكه فمنها بطيخ باللون الأحمر وتفاح باللون الأصفر والبنّي. السلسلة الأخيرة كانت لأشكال من النباتات مع أوراق منها على شكل قلب بألوان الأصفر والأحمر والأبيض.

الممشى الجنوبي: هذا الممشى مشابه لنظيره الشمالي على الرغم من ظهور بعض الأشكال الجديدة، ومنها الطيور والحيوانات.

بداية من المدخل الغربي تظهر أشكال السلال، اثنان منها بقاعدة مسطحة واثنان بقاعدة دائرية. محتويات السلال ملوّنة بالأسود والأبيض، ويوجد بعدها كؤوس النبيذ، وأزهار. الصفوف الثمانية التالية تحتوي على صور، لا يتضح منها إلاّ اثنان: رأس لعصفور جميل وسمكتان. الأشكال الأخرى تتضمن صنفاً آخر من السلال والعنب وأغصان العنب وتفاح وبطيخ. ونباتات مختلفة. وكل هذه بلا شك شائعة، بما في ذلك الأسماك أيضاً. وهناك تصاميم لأزهار وحيوانات مرتّبة ضمن شبكة كانت الأكثر شيوعاً في فن الفسيفساء التاريخي، واستخدام ألواح على شكل سجاد شائع، ويمكن العثور على مثيله في لبنان، والأردن، وكذلك في فلسطين.

مركز الأبرشية، الغرفة الشمالية: أرضية هذه الغرفة على شكل سجادة محاطة بإطار، وهناك لوح خاص بالمدخل من ناحية الممشى الجانبي، وكان مكوّناً من مستطيلات ومربعات بشكل صلبان مشابهة لتلك الموجودة كفواصل بين الأعمدة. أما الإطار المحيط بأرضية الغرفة وعرضه 23 سم فهو باللون الأبيض وفي الأرضية أشكال مربعة صغيرة بألوان متعددة من الأصفر والأحمر والأبيض والأسود وهامش داخلي مشكّل من خطوط بالألوان ذاتها. والوسط كان مكوناً من فسيفساء ملوّنة بالأزرق والأسود والأحمر والأصفر والأبيض على خلفية سوداء، وكان مقسّماً بشبكة من المربعات المكوّنة من أزهار باللون الأبيض والأحمر والأزرق. وعند تقاطع كل مربّع، كانت الأزهار تتقاطع مشكلة صلباناً معقدة، وكل مربع يحتوي على أزهار مكوّنة من دوائر باللون الأحمر والأبيض، وفي وسطها اللون الأزرق والأصفر، وأربع أوراق صغيرة كانت تمتدّ من كل زهرة.

وبعض الفسيفساء كان على شكل دوائر باللون الأحمر الغامق مع اللون الأصفر تملأ الفراغ في الشكل المحيط.

بيت المعمودية: عندما تم تحويل هذه الغرفة إلى بيت للمعمودية، وضعت لها أرضية جديدة من الفسيفساء. وقد احتوت الغرفة على ثلاثة ألواح:

اللوح الأول: يحتوي على حقل من الأزهار باللون الأحمر والأزرق والأبيض، وهو موجود ضمن حد مكوّن من مربعات متباينة الأشكال التي تملأ

المربعات، تضمّنت أشكالاً الماسية باللون الأسود والأحمر، ومربّعات بالأصفر والأحمر على خلفية بيضاء، وصلبان مختلفة مشابهة لتلك الموجودة على الألواح الفاصلة بين الأعمدة.

اللوح الثاني: يحتوي على هامش يحيط بالشكل الأساسي الذي تبدو فيه سلسلة من المربعات الكبيرة والصغيرة، وكل واحد منها يحتوي على أشكال هندسية مختلفة وهو من أكثر الألواح ألواناً في الغرفة.

اللوح الثالث: يحتوي على حقل أبيض اللون، فوقه شبكة من المربعات المتقاطعة، ويوجد صلبان ضمن الشبكة باللون الأسود والأحمر.

وعند مدخل الغرفة عن طريق الممشى الجنوبي، هناك لوح بشكل هندسي بسيط.

ولوح آخر يحتوي على نقش يشير إلى تحويل هذه الغرفة إلى بيت للمعمودية تاريخيّاً، وذلك في النصف الثاني من القرن السادس.

الجناحان الجانبيان، الجناح الشمالي: لم ينج في هذا الجناح إلاّ جزء صغير من لوح، يعدّ من أكثر الفسيفساء أصالة في منطقة (الكرسي). أبعاده (1×0.50) م ويحتوي على عصفورين مواجهين لسلّة تحتوي على ما يظن أنه خبر، وقد نُفّذت التفاصيل بدقة عالية.

الجناح الجنوبي: جرت تعديلات في أقسام مجمّع الكنيسة في مرحلة تالية، فخُصّص بعض الغرف لمهام جديدة؛ من ذلك ما اتُخذ من الغرفة الغربية وجزء من الغرفة الصغيرة المربّعة في الجناح الجنوبي لتكون مصلّى صغيراً إضافياً يتكوّن من غرفة في نهايتها مذبح، أبعادها (3×5,70)م، ولها مدخل ضيّق (40) سم يوصل إلى صحن الكنيسة.

لم يتم العثور إلاّ على جزء صغير من الفسيفساء في هذه الغرفة، مع أنّها كانت على ما يبدو مرصوفة بدوائر عديدة، وفي وسط كل منها صليب صغير وحوافيها سود، بينما هي في الداخل بلون أصفر، وهناك أمام المدخل بعض الحروف المنقوشة المحاطة بغصن زيتون.

والمدخل مزيّن بلوح من المربّعات على حقل أبيض، وضمن كل مربّع صلبان صغيرة باللون الأحمر والأبيض. والفسيفساء في أرضية غرفة أخرى تمّ الحفاظ عليه بشكل كامل، محاط بإطار عرضه 20 سم مع صلبان صغيرة، يليه من الداخل خطوط متوازية باللون الأسود والأصفر والتركوازي.

وقد رُصفت أرضية المصلّى بالفسيفساء على شكل مربعات بالأبيض والأسود، وهناك أربعة صلبان صغيرة بيض تشكّل صليباً، وبعض النقوش، وذلك فوق الأرضية السابقة التي لم يُعرف شكل تصميمها الأساسي.

وقد تبيّن أن أساس الأرضية مكوّن من ثلاث طبقات: الأولى من التراب والحصى، والثانية من الحصى والحجارة الصغيرة، والطبقة الأخيرة من الجص الذي يوضع الفسيفساء في داخله. وسماكة هذا الأساس 20 سم.

الردهة وغرفة الاستقبال: ما رُصف بالفسيفساء هنا يتضمّن الرواق المعمّد الشرقي، والرواق المعمّد الشمالي والجنوبي. أما في الجزء الغربي من الردهة فلا يوجد بقايا للأرضية. وفي مرحلة لاحقة تم استبدال الأرضية البازلت بدلاً من الفسيفساء، ما عدا الرواق المعمد (ذو الأعمدة) الشرقي، وفي حالات قليلة كتلك في الرواق المعمّد الجنوبي تم الحفاظ على الفسيفساء الذي كان بأشكال هندسية.

أما الفسيفساء في غرفة الاستقبال فلم يتم الحفاظ إلاّ على جزء بسيط جداً منه، ما عدا جزأين في الطرف الشمالي والجنوبي. والتصميم عموماً كان على ما يبدو بشكل دوائر متقاطعة، لكن الطرف الجنوبي كان مليئاً بصلبان متوازية الأضلاع بينما الدوائر في الجزء الشمالي كانت مليئة بأشكال مربعة.

-6-

النقــــوش

يحتوي بناء الكنيسة على بقايا لأربعة نقوش. ثلاثة تم إزالتها تقريباً. اثنان منها كانا في المصلّى (في الجناح الجنوبي). واحد منها لم يبقَ منه إلاّ كلمة واحدة، والثاني إلاّ بقايا الإطار. أما الثالث وهو محاط بإكليل في الجانب الشرقي من الغرفة، ولم يتبقَ منه غير ثلاثة أحرف. أما النقش الرابع فهو عند المدخل إلى مكان

المعمودية، وقد وُجد كاملاً باليونانية التي كانت شائعة في العالم المسيحي في القرن الخامس والسادس، وكُتب في تسعة أسطر بالأبيض على خلفية حمراء. وهو نقش تقليدي يظهر في العديد من الكنائس القديمة، يذكر تاريخ رصف الفسيفساء في الجناح الجنوبي باسم رئيس الكنيسة في (الكرسي) استيفانوس، في عهد الإمبراطور موريشيوس تايبريوس (582 – 602) م وأكثر تحديداً في الفترة الأولى لحكمه مما نستنتج أن الفسيفساء وضع في السنوات الخمس الأولى لحكم موراشيوس (582 – 587). ويتضمن النقش الألقاب والنعوت الشائعة في ذلك الزمن «الكاهن، التّقي المحب للمسيح، المسيح المحبوب» مما يؤكد طبيعة المستوطنة في (الكرسي).

-7-

المكتشفات

تمّ العثور على بعض الأواني الخزفية والمواد المعدنية والأوعية الزجاجية والنقود البرونزية، وكان معظمها بشكل جيد، ولم تمس بسوء، ووجدت على الأرضيات، وهي تابعة للمرحلة الثانية، وذلك عندما تم هجر الموقع بسرعة كبيرة، ربّما كنتيجة لكارثة طبيعية. وبهذه المكتشفات أصبح من الممكن معرفة ما يختص به بعض الغرف من أعمال ومهام، كما ساعدت على إيجاد تسلسل تاريخي للموقع.

• الفخاريّات:

أكثر المكتشفات الفخارية دلالةً تابع للمنطقة (جـ)؛ فقد اكتشفت الأوعية الكاملة في البناء الشمالي، حيث تم العثور على آثار للفترة الثانية والثالثة؛ كانت هذه المجموعة هي التي ساعدت على فهم البقايا الفخارية الموجودة في مجمّع الكنيسة ومنطقة البوّابة.

مجموعات فخارية كاملة عُثر عليها على الأرضيات المجصّصة في البناء الشمالي في عدد من الغرف، والتي كما يبدو تابعة للفترة الثانية.

وفي هذه الفترة، بعد الغزو الفارسي، والفتح العربي، وما آلت إليه أحوال المعيشة من التردي بعد ذلك، وما حلّ بالمنشآت والأبنية من خراب ودمار. كانت

هناك حاجة ماسة للصيانة والتنظيم، وإجراء تعديلات على بعض الغرف في مجمّع الكنيسة بقصد استخدامها لأغراض أخرى محلّية وبالأخص في الجناح الشمالي وفي الردهة أو القاعة المركزية. ففي إحدى الغرف وهي القريبة من الجناح المذكور اكتشفت معصرة للزيتون بكامل أجزائها. ولم يبقَ منها في مكانه إلاّ طاولة المعصرة، وكذلك وعاء التخزين الذي ينخفض على عمق مترين تحت مستوى أرضية الكنيسة. أما بقيّة الأجزاء فقد وُجدت مبعثرة بين الحطام بعد أن دُمّرت الغرفة العليا وانهارت من فوق مع الآلات والأحجار المستخدمة.

ويبدو أن إنتاج الزيت كان يتم على مرحلتين، يقوم بهما الجزء العلوي الذي يعمل على التفتيت، والجزء المنخفض الذي يقوم بالعصر[16].

ومن الغرف الأخرى التي تم تحويلها في مجمّع الكنيسة الردهة أو القاعة المركزية، وقد عُثر فيها على أوعية فخارية يمكن التمييز فيها بين ما يعود إلى الفترة الثانية، أو يعود إلى الفترة الثالثة.

كما أن هناك غرفاً أخرى احتوت على جرار تخزين كاملة، مما يدل على أن هذه الغرف خُصّصت لهذا الغرض.

وعدا ذلك فإن صحن الكنيسة عُثر فيه على فخاريات ذات قيمة، وأخرى تقليدية، وأكثرها كان بين الأنقاض التي غطّت أرض المبنى، وهي تمثّل أشكالاً مختلفة، وأنواعاً متباينة في الصنع.

أمّا بقايا الخزف التي وُجدت في الأماكن المنكوبة من المنطقة (ب) فهي شبيهة بما وُجد في المنطقتين (أ) و(جـ).

أطباق كبيرة حمر جيّدة الصنع (اللوحة 3: أ): هذه الأوعية رافقت البيزنطيين في عدد من المواقع؛ في فلسطين والأردن وبلدان البحر المتوسط حتى الشمال الإفريقي.

وشهرة استعمال هذه الأطباق يعود إلى طول مدة استخدامها، كما يشير اسمها الأكثر استخداماً، المعروف بأوعية الرومان.

وفي (الكرسي) ظهرت كميّات كبيرة من هذه الأوعية في مجمّع الكنيسة والمنطقة السكنية. وهي مصنوعة من الطين الجيد، الخالي من الشوائب تماماً.

ومشويّة إلى حد اكتسبت فيه اللون البرتقالي أو الأحمر، وفي بعض الأحيان اللون البني. ومعظمها غير مصقول. أما الزخرفة فكانت محدودة، فلا يوجد على بعضها إلاّ حزم من النقاط على السطح. وبشكل عام فإن لهذه الأطباق قاعدة دائرية، كما أن حوافيها رقيقة.

أجزاء من قصعة خزفية (زبدية) هي الوحيدة من نوعها التي كانت مصقولة بطبقة دهان حمراء من الداخل والخارج، كما أن حوافيها أكثر تماسكاً مع جدران الوعاء.

وهناك نوع آخر أكثر شيوعاً يتميّز بالحوافي الأكثر عرضاً، وموشح بلون بنيّ، مع أنه على الأغلب يكون بلون برتقالي أو أحمر.

ومن هذه الأوعية ما تمتاز به من حواف بارزة مقلوبة، وطبقة دهان بنّية، أو مزيّنة بنقاط على السطح الخارجي، أو سلسلة من النقاط بلون بنّي على الأوعية الأكبر حجماً والتي جدرانها أكثر سماكة. وقد وُجدت أمثال هذه الأنواع في غرفتين من البناء الشمالي، وأوعية شبيهة بها باللون الأحمر في أماكن مختلفة من مجمّع الكنيسة.

وأوعية الرومان هذه كانت أكثر استخداماً في القرن السابع في (الكرسي) غير أنه لم يتم العثور إلاّ على القليل جداً من هذه الأوعية الجيّدة في الفترة الثانية والتي كانت شائعة الاستخدام في فلسطين والأردن خلال القرنين الخامس والسادس، بعد الفتح العربي. وعلى الرغم من ندرة وجودها في هذه المواقع، إلاّ أن ظهورها في نهاية الفترة البيزنطية في مستوطنة (الكرسي) يعزّز الدليل الموجود في هذه الموقع، ويشير إلى المسار التاريخي نفسه.

القصعات الخزفية (الزبادي) (اللوحة 3): كانت هذه الزبادي بأشكال متعددة وأحجام متنوعة وأشكال تزيينيّة عديدة، ولكنّها كانت من نوعين أساسيين: نوع أصفر برتقالي اللون. غير مصقول وقليل الصلابة، وآخر أحمر يتميّز بالصلابة والنعومة.

الزبادي ذات اللون الأصفر البرتقالي كانت الأكثر شيوعاً، كان الطين يشوى إلى درجة من الحرارة بحيث يصبح متوسط القساوة، ويصقل بشكل جزئي. وأكثر التزيينات في هذه الزبادي كانت على شكل خطوط متموجة، ومنها ما تظهر الزينة على الحوافي ومنها ما ليس فيه أي زخرفة. وقد وجد فنجان بجدران رقيقة نسبياً،

وسطحه مصقول ملمّع، بلون بين الأحمر والبنّي، وهو من النوع الأحمر الصلب.

ولم يعثر على أوعية من النوع الأصفر البرتقالي في أيّ من الغرف في الفترة الثانية، ومن الصعب معرفة ما إذا كان غيابها مجرّد صدفة، أو لم تكن قد استُخدمت بعد. لأنه عُثر على أوعية من هذا النوع، على مستوى الأرض، في الفترة الثالثة مع نوع من هذه الأوعية مزخرفة بنقوش هندسية عميقة.

الأحواض: كان من السهل تمييز الأحواض من غيرها؛ وذلك بلونها الأسود الرمادي، والتي كانت تحتوي على شيء من حجر الكلس. وهي متنوعة الحجم والشكل، ومعظمها كان عميقاً، ومسطّح القاع، وهي من الداخل صقيلة لامعة. والزخرفة فيها تبدو بإضافة الطين على الحوافي بخطوط متعددة، أو بجمع خطين مع بعضهما بعضاً.

وقد تم العثور على حوض كامل في إحدى الغرف، وعلى بقايا أحواض أخرى بين حطام الكنيسة، والمنطقة (جـ).

وشيوع هذا النوع مؤكد في المواقع البيزنطية، وقد استمر استخدامه حتى بداية الفترة العربية.

دنان الخمر (اللوحة 4): على الرغم من كونها تبدو مرتبطة إلى حد ما بشكل إناء الطبخ إلاّ أنها ليس لها أي علاقة بها، لا من ناحية صنعها، ولا من ناحية الحجم أو الشكل. والمسكات المثبّتة على الجانبين بشكل عمودي تشير إلى أنها لم تُستخدم إلاّ لهذا الإناء الأملس الناعم، ذي اللون الأصفر البني، بينما بقيت الحوافي باللون الأصفر البرتقالي القريب من الزهري.

أما دنان الخمر الأكبر، فإنها غير متناسقة بالكامل، وبعض منها وُجد مكسوراً وقد أعيد إصلاحها.

أواني الطبخ (اللوحة 5): وهي على نوعين أساسيين: المغلقة ذات العنق العمودية، والآنية المفتوحة. وصنعها يقوم على خلط الطين مع الرمل، وشوي الخليط على النار حتى يصبح بقساوة المعدن، فيكتسب اللون البنيّ المحمر في المركز، واللون الأسود في الجوانب الخارجية. وكان يُستخدمُ في صنعها على ما يُظنّ العجلة

الدوارة من الأعلى إلى الأسفل، وهي تقنية تُتّبع أيضاً في صنع أواني التخزين الكبيرة والصغيرة.

ومن خصائص أواني الطبخ ذات العنق المغلقة تعدد أشكال حافاتها، ومن أكثر أنواعها شيوعاً ما كان على شكل بيضوي مع جوانب حادة، وهو ما وجد منها على أرضيّات بعض الغرف في الفترة الثانية.

أما أواني الطبخ المفتوحة فهي مشابهة للأولى من ناحية التقنية والخطوط، وجوانبها مقلوبة ومسطّحة. وقد وجدت بقاياها مع بعض أغطيتها في أماكن التنقيب بين الأنقاض وفي إحدى الغرف.

جرار التخزين (اللوحة 6): عُثر على بقايا هذه الجرار في كل مناطق التنقيب، وأكثره كمالاً ما كان في إحدى الغرف القريبة من معصرة الزيتون. ويمكن التمييز بين ثلاثة أنواع منها: الأحمر الغامق، والأصفر البرتقالي، والأحمر الفاتح. وهذه الجرار على أنواعها إما أن تكون غير مزخرفة، أو مزخرفة بلون أبيض.

أ — الجرار ذات اللون الأحمر البني (الغامق) المؤلفة من قسمين: البدن، وهو على شكل كيس، وفي الأعلى العنق، ومن الواضح أنه قد أُلصق أحدهما بالآخر.

وقد عُثر على جرة كاملة في إحدى الغرف التي تعود إلى الفترة الثانية.

ب — الجرار ذات اللون الأصفر البرتقالي الفاتح، وكانت شائعة إلى حد ما، ومنها ما كان في الغرفة الخاصة بمعصرة الزيتون.

جـ —الجرار ذات اللون الأحمر الفاتح، وهو نوع فريد يختلف عن النوعين السابقين في البنية والشكل والحجم، وأصغر منهما ارتفاعاً (بين 30 — 40 سم) وقد وُجدت بقاياها في الردهة، ووُجدت كاملة في إحدى الغرف من (الفترة الثانية).

لكن الجرار الأكثر شيوعاً هي جرار التخزين الكبيرة، ذات اللون الأحمر البني، المشويّة بشكل جيد ممّا يكسبها الصلابة إلى حد كبير.

الجرار الصغيرة (اللوحة 7): تم العثور على عدد من هذه الجرار الكاملة في إحدى غرف المبنى الشمالي، ثلاث منها تحت الأرضية (من الفترة الثالثة) وواحدة على الأرضية (من الفترة الثانية)، ومن الواضح أنه يمكن أن تنسب كل الجرار إلى

هذه الفترة. أما لونها فهو برتقالي أحمر مع خطوط مضلعة على السطح الخارجي، وجدرانها رقيقة، وعلى الجوانب لها مسكتان.

الأمفورا وأباريق متنوعة (اللوحة 8 : أ): الأمفورا (وهي قارورة لحفظ الخمر أو الزيت) وُجد منها قارورتان كاملتان مادتهما من الطين الجيد المشوي بفعل حرارة عالية، إحداهما مطليّة باللون الأحمر وُجدت مع بقايا أخرى تماثلها خلال التنقيب، وهي تنتمي إلى مجموعة شبيهة بها، وباللون ذاته في أماكن متعددة في فلسطين والأردن تعود إلى آخر العصر البيزنطي وبداية الفترة العربية.

ومن الصعب تحديد ما إذا كانت هذه الأواني قد بدأت بالظهور خلال القرن السادس أو بداية القرن السابع، حيث يعود تاريخ الدمار إلى الغزو الفارسي، مع ملاحظة ندرة ظهورها في الفترة الانتقالية، أي بين الغزو الفارسي والفتح العربي.

وبعض من هذه الأواني المزيّنة بالرسوم وُجد منها في جرش وقلعة عمّان، مع أنواع أخرى من الفخاريات التي لها علاقة واضحة بالفخاريات الموجودة في الكرسي (الفترة الثانية) في المنطقة (جـ). ولم يكن للأواني المطلية وجود في أرضيات الفترة الثالثة؛ مما يدل على أن استخدامها قد توقف منذ بداية القرن الثامن. وقد كان استخدام التزيينات بالطلاء الأحمر يبدو في عدد من التصاميم، منها ما وجد على أحد القوارير، وهو يمثل شكل شجرة فيها دائرتان تضمّان على ما يبدو نجمة خماسية، ونقشاً لأحرف اسم المسيح باليونانية، ومنها ما هو مزيّن بخطوط محزّزة عمودية. وهذا النوع من الزخرفة موجود أيضاً على بعض الأواني المشابهة لها في الشكل، وهو ما كان شائعاً في آخر الفترة البيزنطية.

لكن الأكثر شيوعاً كانت الأباريق ذات التركيبة المتوسطة القساوة، ذات اللون الأصفر البرتقالي، وهي ذات أشكال منها المزخرفة بخطوط، ومنها غير المزخرفة التي ظهرت في المستوطنة في المرحلة الأخيرة، وذلك في منتصف القرن الثامن.

كما أن هنالك قوارير ذات لون حديدي غامق يشبه إلى حد ما جرار التخزين التي وُجدت في معصرة الزيتون. والقوارير الشائعة في هذه الفترة نادرة في هذه المنطقة، واحدة منها وُجدت في أرضية إحدى غرف (الفترة الثانية)، وتتميّز بقاعدة سميكة وجدران ثخينة، وسطح خشن.

القناديل (أو السرج) (اللوحة 8 : ب): كُشف خلال التنقيب عن ثلاث قناديل كاملة بين الأنقاض (الفترة الثانية) وهي من نوع القناديل اليدوية الصنع الذي لم يكن شائعاً.

كما وُجد قنديل مصنوع بواسطة القالب يعود إلى الفترة نفسها، وهو مزخرف بفتحات صغيرة، وله قناة عميقة توصل الفوهة إلى التجويف المتلئ بالزيت، وله قاعدة دائرية، وقنديل آخر شبيه به عُثر عليه في بيت المعمودية، مزخرف بخطوط بارزة. وهو يعدّ قنديلاً متميزاً من قناديل القرن السابع والثامن.

● المواد المعدنية : (اللوحة 9)

ضمن الركام الموجود في مجمع الكنيسة، عثر على بقايا مواد من الحديد والبرونز والرصاص. استخدم بعضها في البناء كالمسامير من الحديد، وقضبان لتثبيت الأعمدة من الرصاص، ومسكات أبواب من البرونز. وهذه المواد كانت قد تآكلت بشكل سيّئ.

ومن معدن البرونز استعملوا أيضاً الحلي للزينة، والصلبان كالتي علّقوها على الأعمدة في قاعة الصلاة. ومن المواد التي عثر عليها أجزاء من خواتم برونزية، وعقود وأشكال أخرى للمجوهرات، وقلادة برونزية بحالة جيّدة في بيت المعمودية.

وكانت المواد المعدنية بحالة أفضل في إحدى غرف المبنى الشمالي (المنطقة جـ)، فقد وُجد على أرضيتها مجموعة كبيرة من الأدوات؛ منها منجلان حديديان، وأداة حديدية ربما كانت تستخدم لتشذيب الأشجار، وخنجر طويل، وقرص حديدي صغير وبجانبه عصا معقوفة الرأس (صولجان) وقضبان حديدية أخرى متآكلة.

كما عُثر في المنطقة السكنية على أدوات زراعية، ممّا يدلّ على أن قاطني الدير كانوا يقومون بأنشطة زراعية، ذلك أن الوادي الخصب في نحال (سمخ) كان يهيّئ ظروفاً جيدة للزراعة. فبعد الغزو الفارسي، وتراجع حركة الحج إلى (الكرسي) التي كانت مصدراً هاماً للدخل أصبحت الزراعة وكذلك الصيد هما المصدر الرئيس للعيش في هذه المنطقة.

• الأواني الزجاجية(*) : (اللوحة 10)

من المكتشفات التي تم العثور عليها في موقع التنقيب كانت بقايا من الأواني الزجاجية، محددة الكمية، ومتنوعة الأشكال. وكان أكثر هذا الزجاج قد وُجد في المنطقة السكنية (جـ). وهذه المكتشفات هي:

1 – عنق زجاجة صغيرة ذات لون أخضر إلى الأزرق الفاتح، حافتها مطوية إلى الخارج والأسفل والأعلى، يعود تاريخها إلى نهاية الفترة الرومانية، وهي في ذلك سابقة للأشكال البيزنطية في الموقع.

وهذا النوع من الزجاجات الصغيرة، المطويّة الحوافي، السميكة الجدران، وُجد مثيلاً لها في (بيت شي – أريم) و(أزور) وكذلك في (كارانيس) في الفيّوم، وتُسمّى زجاجات الحمّام. يعود تاريخها إلى نهاية الفترة الرومانية.

2 – الجزء العلوي والعنق لزجاجة كبيرة بلون أخضر فاتح، مزيّن بخطّين، وخطوط صغيرة من الزجاج نفسه، وفي الأعلى خط وردي رفيع وآخر بلون فضّي. ولا يوجد شيء مشابه له ممّا تمّ اكتشافه نتيجة التنقيبات التي جرت بفلسطين المحتلة والأردن ينتمي إلى مجموعة من الأواني الزجاجية الشائعة ذات الأشكال المتنوعة التي تعود إلى القرن السادس وبداية القرن السابع.

3 – عنق زجاجة كبيرة على شكل قمع، بلون أخضر ضارب إلى الزرقة، ومزخرفة بخط من الزجاج نفسه، وفي الأعلى خط آخر بلون أحمر. يعود تاريخه إلى القرن السادس وبداية السابع، ويوجد له مثيل في الأردن وفلسطين، وهما يعودان إلى التاريخ نفسه.

4 – عنق وحافة لزجاجة صغيرة ذات لون أخضر ضارب إلى أزرق فاتح، والحافة مطوية إلى الداخل. والزجاجات من هذا النوع كانت شائعة في القرن السادس وبداية السابع (بعد الفتح العربي) وعدد منها اكتشف بقبر في عجلون.

(*) كتب فقرة (الأواني الزجاجية) من هذا البحث D. Barag .

5 – عنق زجاجة والجزء الأعلى منها. لونها أخضر يميل إلى الأزرق. تبدو زينتها في عدد من الفقاعات، والحافة مطوية إلى الخارج والداخل، تاريخها يعود إلى نهاية الفترة البيزنطية وبداية الفترة الأموية.

6 – مشابه لرقم (5) ولكن بفقاعات أقل، وأضيق عند قاعدة العنق. وهو ينتمي مع السابق إلى زجاجات ذات تشكيل بيضوي عريض. وكان هذا الشكل شائعاً في الفترة الأموية، وعُثر على أشكال مشابهة لها في (جيراسا) و(جرش) و(قلعة عمّان).

7 – قطرميز صغير بلون أزرق ضارب إلى الخضرة، فيه عدد من الفقاعات، والحافة مطوية إلى الداخل. يعود تاريخه إلى القرن السابع.

8 – عنق قطرميز مشابه للسابق، وباللون ذاته. وُجد شبيه له في (جيراسا) وتاريخها يعود إلى القرن السابع، دون تحديد هذا التاريخ بدقّة.

9 – الجزء الأسفل من كأس نبيذ باللون الأزرق الضارب إلى الخضرة. وهو من النوع الذي كان شائعاً خلال الفترة البيزنطية. وقد وُجد من أمثاله في كنائس (بيت ييراح) و(جبل نبو) و(شافي زيون).

10 – قنديل باللون الأزرق الضارب إلى الخضرة على جدرانه العديد من الفقاعات، والقليل منها في الأسفل. ينتمي إلى مجموعة كانت تُستخدم في الكنائس في القرن السادس وبداية السابع. وُجد من أمثاله في (جيراسا) و(بيت شان). ويعود تاريخ كليهما إلى بداية القرن السابع.

إن الزجاج الموجود في (الكرسي) لا يقدّم دليلاً على تاريخ أيٍّ من أنواع الزجاج، ولكنه إضافة مفيدة للمعلومات عن هذه الأنواع والأواني الزجاجية الشائعة في شمالي حدود الأردن والجولان في القرنين السادس والسابع.

• العملات (النقود المعدنية)(*) : (الشكل 11)

كل النقود المكتشفة كانت من البرونز. نعرضها بما عليها من صور ونقوش وتاريخ :

1 – الوجه : تمثال نصفي لتايش (وهو من الحكّام المحليين) يعلو رأسه تاج ذو أبراج، ويرتدي وشاحاً، ويتزيّن بحلق. ويبدو خلفه غصن من النخيل.

- القفا : شجرة نخيل، بمجموعتين من الثمار. والتاريخ 219م.

2 – الكسندر سيفيروس (222 – 235) :

- الوجه : تمثال نصفي للإمبراطور. رأسه مكلّل بالغار.
- القفا : صورة نسر يدعم إكليلاً من الزهر.

3 – الشكل (2) نفسه.

4 – جالينوس (253 – 268):

- الوجه : تمثال نصفي لجالينوس.
- القفا : رسم يبدو فيه مكان مقدّس، مع سقف مسطّح على أعمدة.

5 – جالينوس (253 – 268) :

- الوجه : تمثال نصفي لجالينوس.
- القفا : صورة لعشتروت واقفة.

6 – غير واضح تماماً. ومن المحتمل أنه يعود إلى القرن الأول أو الثاني.

7 – قسطنطين (307 – 337) :

- الوجه : تمثال نصفي لقسطنطين.
- القفا : صورة لجنديين واقفين وجهاً لوجه. يحملان الرماح، وتروس موضوعة على الأرض، وبينهما رايتان.

8 – جوستين الثاني (565 – 58) :

- الوجه : جوستين وصوفيا متوّجان. هو يرفع صليباً، وهي تقلّده الصولجان.

(*) كتبت فقرة (العملات) Marcia Sharabani .

- القفا : رسم صليب ، وفي المنتصف حرف M .

9 – كونستانس الثاني (641 – 668) :

- الوجه : صورة كونستانس واقفاً. ويبدو شاباً دون لحية ، ومعه صليب طويل.

- القفا : نقشت عليه أحرف M في الأعلى وANA في الأسفل.

10 – ثلاثة من الخلفاء الراشدين (حوالي 650) م.

- الوجه : الخلفاء الثلاثة واقفون مواجهة بثيابهم الطويلة ، وعلى رؤوسهم تيجان.

- القفا : حرف M في الوسط ، وكلمة (طبريّا).

11 – عرب بيزانطيون :

- الوجه : شخص بشري بهيئة ملكيّة ، يرتدي ثوباً طويلاً. يقف مواجهة ، ويحمل صليباً طويلاً ، وعلى رأسه تاج يعلوه صليب.

- القفا : حرف M مع كرات صغيرة بين أغصان في حقل. وكتابة باللغة العربية (الوفاء لله ، الوفا لله).

12 – أموي ، بعد فترة الإصلاح :

- الوجه : نقش عليه ، ضمن دائرة ، بخط كوفي مطموس (لا إله إلاّ الله وحده) .

- القفا : وفيه ضمن دائرة (محمد رسول الله).

13 – أموي ، بعد فترة الإصلاح :

- الوجه : نقش جاء فيه (لا إله إلاّ الله وحده) .

- القفا : وجاء فيه (محمد رسول الله).

14 – أموي ، بعد فترة الإصلاح :

- الوجه : (لا إله إلاّ الله وحده) .

- القفا : (إله الحمد).

بقايا أثرية في وادي الكرسي

المنقبون في الأرض المقدّسة لاحظوا وجود بقايا قليلة من الآثار، ولكنها مهمّة في منطقة (الكُرسي) على بعد (300) م من الشاطئ؛ فإلى الغرب من مجمّع الكنيسة يوجد تل صغير يُعرف بتل الكرسي أو تل خان الكرسي. التل وهو بحد ذاته غير مرتفع يغطّي مساحة ما يقرب من عشر دونمات على ارتفاع خمسة أمتار. وهناك بقايا أبنية تنتمي إلى فترات سابقة موجودة في مساحات محدودة.

آخر مستعمرة قديمة موجودة في المنطقة كانت مجمّعاً مربعاً ذا جدران دفاعية سميكة. بقايا الأبنية الموجودة في الداخل كانت كبيرة، تعمل جدرانها على تقسيمات ضيّقة لتشكيل الغرف. وجميع الجدران الداخلية والخارجية كانت مبنية من حجارة البازلت، وما ظهر منها من مرحلة سابقة أظهرت تقنية مختلفة؛ فقد بنيت من حجارة أصغر، ومجصّصة، وتشبه في تقنيتها أبنية الكنيسة.

البقايا المعمارية والفخّاريات الموجودة تشير إلى احتلال التل في أواخر الفترة الرومانية البيزنطية أثناء العصور الوسطى.

المرفأ الذي أنشئ بشكل جيد عند خليج الكرسي، ويغطّي مساحة 1.5 دونم، وتبلغ أعرض نقطة فيه (100) م. كان محميّاً بكاسر أمواج مبنيّ من البازلت. هذا الحائط الممتد على طول الحانة الجنوبية للمرفأ كان بعرض (4)م. ويزداد عرضه بشكل تدريجي إلى حوالي (6) م. على طول الجانب الشمالي والغربي. والمدخل إلى المرفأ كان من الجهة الشمالية، ويقوم على امتداد الشاطئ عدد من الأبنية التي كانت تخدم عمل المرفأ الأساسي، وبشكل خاص صناعة صيد السمك.

ويوجد أيضاً بقايا لحوضٍ مجصّص إلى الشمال من المرفأ، كان يُتّخذ مخزناً للسمك أبعاده (3 × 3.5) م. ويتّسع لـ (2.5) طن.

يتم نقل الماء إلى هذا الحوض عن طريق أنابيب من الطين، من نحّال سمخّ، وإلى جانبه منصّة من الحجارة. وبالقرب من المنصة وُجد عدد من الأثقال الحديدية. وغير بعيد عن المنصة وُجد بناء كبير بأرضية مرصوفة بالفسيفساء، والمرفأ و(الأبنية

الملحقة به) يقع المدخل مقابلها مباشرة، وقد لعب المرفأ دوراً هاماً في الحياة الاقتصادية للمستوطنة.

تم بناء الكنيسة والدير عند أسفل الهضبة، التي كانت إلى حد ما معزولة عن المنطقة المحيطة بها، إلى الجنوب الغربي من سهل (سمخ).

وقد جذبت هذه الهضبة اهتمام العديد من المنقبين، وذلك بسبب خصائصها المتميّزة بمنحدرها المقابل للبحيرة وشاطئها الضيّق. وفي منتصف الطريق بين المنحدر والشاطئ يقوم برج صغير معروف بالكِرسي أو "غورسي".

قصة (العهد الجديد) تروي وجود كهوف ما زالت محفوظة في المنحدر فوق نحّال (سمخ).

وخلال التنقيب الأثري في الجولان الذي قام به قسم الآثار في الكيان الصهيوني تمّ العثور على مستعمرتين على الهضاب الجنوبية الغربية لنحّال سمخ، وتم التنقيب فيهما بشكل بسيط أما الفخاريات المكتشفة فيهما فتعود إلى الفترات الرومانية والبيزنطية.

-9-

في هويّة الموقع

إن الحجم الكبير لمستوطنة (الكرسي)، وتصميمها المنظّم، يشير إلى الطبيعة المتميّزة للموقع. ويبدو أن (الكرسي) كانت مستوطنة منيعة، ذات سكّان مسيحيين.

ومن جهة أخرى يشير تنظيمها إلى طبيعتها الدينية، لما فيها — عدا الكنيسة (البازيليكية) — من دير يستضيف الحجّاج الوافدين إليها، ومكان يرتبط بمعجزة قام بها السيد المسيح، وهي طرد الشياطين أو الأرواح النجسة التي تلبّست بعضهم[17].

غير أنّه لا يمكن تأكيد هذه القصة، وذلك نتيجة لاختلاف الأناجيل بذكر ثلاثة أسماء للمكان التي حصلت فيه. وهذه الأسماء هي (غادارينس، جيراسينس، جيرجَسينس) بالإضافة إلى اسم (الكرسي)، وهو المرشّح الأقوى ليكون المكان الذي حدثت فيه القصة التي وردت في الأناجيل.

وعلى الرغم من أن الكرسي قد جذبت عدداً من المؤرخين فإنه لا يمكن تحديد هويّة الموقع اعتماداً على اعتبارات طبوغرافية، كما أن الاختلاف في الأسماء الثلاثة التي ذكرت في الأناجيل يجب أخذها بعين الاعتبار؛ ذلك أنه وإن كان الاتفاق العام قد حدّد المكان الذي حدثت فيه القصة بأنه الشاطئ الشرقي لبحر الجليل (بحيرة طبريا)، إلاّ أن هناك مكانين أيضاً في مناطق أخرى، وهما (جيراسا) في الأردن وهي بعيدة عن البحيرة، والثانية (غادارا) وهي على مسافة بعيدة منها أيضاً.

وردت القصة في أناجيل (متى، ومرقس، ولوقا) وهي أن المسيح عبَر مع تلاميذه البحيرة بالقارب إلى الطرف الشرقي، ولم يكن الهدف من ذلك محدّداً، وعندما وصلوا إلى منطقة تُسمّى أرض (غادارنس أو جيراسنس أو جيرجسنس) التقى المسيح برجل يسكن في القبور، في هضبة قريبة ومرئيّة يرعى فيها قطيع من الخنازير، كما يقول (مرقس ولوقا) في حين أن (متّى) يشير إلى أن الهضبة بعيدة قليلاً.

ومن الصعب فهم لماذا أوردت الأناجيلُ الثلاثة أسماء مختلفة للمكان، وغير متطابقة للوصف الجغرافي. وإذا كان أقربها في ذلك (جيراسينس) إلاّ أنه حتى هذه ليس لها من ذكر واضح في كتابات (يوسيفوس)[18] أو في الأدب التلمودي.

ونقف الآن عند بعض آباء الكنيسة الأوائل، ومنهم (أوريجن)[19] الذي حاول أن يشرح الصعوبات في التعرّف على الأمكنة المختلفة؛ فقد رفض أن تكون (جيراسينس) هي (جيراسا)، لأن هذه واقعة في شبه الجزيرة العربية. إنما هي (جيرجيسا) المدينة القديمة، القريبة من بحيرة طبريا. أما بالنسبة لـ (غادارين) فليس فيها هضبة ولا بجانبها بحيرة.

أما (أسيبوس)[20] في كتابه (علم أصول الكلمات) فقد سجّل اسم (جرجيسا) وربطها بأحداث القصة الإنجيلية، وهي تظهر على قمة جبل كقرية صغيرة، من بحيرة طبريّا، وقريبة من مكان الحادثة. ويتّفق مع (أوريجن) على أن مكان القصة الإنجيلية هو على الشاطئ الشرقي من البحيرة. وتُعرف منذ القرن الثالث والرابع (جرجيسا).

وهناك آباء آخرون تشير شهاداتهم على أن اسم الأرض (الجرجسينس) كان يُطلق على مكان معروف لهم، يقع على الشاطئ الشرقي للبحيرة.

ولم يرد ذكر (جرجيسا) وأرض (الجرجسينس) إلاّ في المصادر المسيحية التي لم يُعرف بشكل مؤكّد ممّن استوحوها. قد يكون ذلك من أدب (العهد القديم)، كما أن الكتب المقدّسة العبرية تشير إلى الاسم (جيركاشيتس) الذي ظهر في قائمة أولاد كنعان، والتي ذكرت على أنها الأمة التي طردها الإسرائيليون عندما احتلوا كنعان، الذين لم يوضح أصلهم الجغرافي أبداً، إلى جانب أسماء أخرى تُعرف بـ (جيشوريتس) و(جاراسي) وهو ما اعتمد عليه (أسيبوس) في كتابه علم أصول الكلمات.

وكتب (يوسيفوس) عن الجيركاشيتس بأنهم قد دُمّروا كليّاً ولم يحفظ عنهم أيّ أثر، كما أن بعض الصفحات في الأدب التلمودي تذكر الجيركاشيتس، والهجرة من الأرض المقدسة، لكنّها لا تذكر شيئاً عن أصلهم.

على الرغم من صعوبة حسم الأمر فيما كانت تعنيه عبارة (أرض جيرجسين) ومن أين جاءت هذه التسمية، فمن الواضح أن المسيحيين كانوا يقصدون بها مكاناً على الشاطئ الشرقي لبحيرة طبريا. والتفسير الوحيد لعدم ذكر هذا الاسم في مصادر غير مسيحية هو أن المنطقة ربما كانت تسمّى بغير هذا الاسم، وأن هذا الاسم ربّما يكون (الكرسي).

وإذا كان نادراً ما يُذكر اسم (جيرجيسا) كمكان، إلاّ أننا نجد اسم (الكرسي) وارداً بشكل مكرر في الأدب التلمودي، وإن لم يكن له دلالة جغرافية واضحة، كما نجد أنه كان فيها معبد متخصص لعبادة الأصنام يدعى (معبد نيبو).

مصدر واحد يرد فيه اسم (الكرسي) مع معلومات جغرافية محددة، هو السيرة الذاتية للقديس (ساباس) في القرن السادس. ويذكر فيه مكاناً يدعى (الكرسي) على الشاطئ الشرقي لبحيرة طبريا، وأنه في رحلته نزل في هذا المكان المسيحي المقدس الوحيد على الشاطئ الشرقي (مستوطنة الكرسي) مما نستنتج أن هذه المستوطنة ذات تاريخ عريق، وأن الكرسي هو الاسم المحلّي للمنطقة، في حين أن (جرجيسا) و(أرض جيرجسينس أو جيرسينس) هو الاسم الذي استخدم ودرج في (العهد الجديد).

جيرجيسا (الكرسي) بعد الفتح العربي:

ابتداء من القرن الثامن وما بعد، ظهر اسم (الكرسي) أو (جرجيسا أو جيرسا) في السجلات التاريخية، ومن ضمنها تقارير الحج.

وبما أن (الكرسي) لم يكن لها أي ارتباط بأحداث (العهد الجديد) فقد سبّبت الكثير من التعقيدات عند الباحثين في الأراضي المقدّسة.

نتيجة:

يمكننا أن نستنتج أن هناك منطقة، ومستوطنة أيضاً على الشاطئ الشرقي لبحر غاليلي (بحيرة طبريا) كانت تُعرف محليّاً باسم (الكرسي) وهذه المنطقة هي مطابقة لأرض (جيرجَسينس) المذكورة في المصادر المسيحية.

وبغض النظر عن اسمها فإن المسيحيين الأوائل لم يشكّوا في الموقع الأصلي للقصة، كما أن وجود الكنيسة الكبيرة، والمستوطنة ذات الطابع الديني هو دليل كبير آخر على ذلك. فالمسيحيون الأوائل اختاروا بناء الدير هنا عند أقدام الهضبة التي بُني فوقها أيضاً البرج الذي كان يسمّى (كيرزا) أو (جورسا) والذي كان رمزاً تاريخيّاً بالمعنى المسيحي لهذا المكان، وكان مقصداً للحجّاج الذين يبحثون عن مواقع مرتبطة بحياة السيد المسيح.

ملحق

معبد معجزة القطيع(*)

خلال التنقيب في مبنى الكنيسة في (الكرسي) لفت انتباهنا وجود ما يمكن أن يكون بقايا لبرج قديم في الدير. يوجد البرج في منتصف منحدر (تحّال سمخ) مطوّقاً بغرابة ملفتة للنظر صخوراً أكسبها حتّ المياه والأحوال الجوية شكلاً مدوراً على ارتفاع سبعة أمتار. وصعوبة الوصول إليه لحد ما، وعدم وجود تحصينات دفاعية بشكل عام يشير إلى أن البرج لم يبن للاستعمالات الدفاعية، وإنما كرمز أو نصب تذكاري. وبعد التفحّص الدقيق للبرج كانت النتيجة العثور على معبد بشرفتين أبعاده (8.25×15.20) م مبنيّ على جانب التل.

الشرفة المنخفضة موجودة في البرج (8.25×8.25)م. جدرانها الثلاثة المكشوفة المبنيّة على صخرة هي بسماكة أكثر من متر واحد، والأساس كان من حجارة البازلت مع ملاط. والشرفة الأخرى أعلى من الأولى بمسافة 1.80 م. وتحتوي على قاعة مستطيلة للصلاة (8.25×4.25). كانت محاطة بجدران من الرخام. وقد تمّ العثور على أرضيتين من الفسيفساء على طول الجدار الجنوبي. والجزء الذي تمّ الحفاظ عليه يضمّ هامشاً عريضاً مزخرفاً بأشكال ألماسية، مع أشكال هندسية متباينة، ويضم الجزء الداخلي دوائر متداخلة على شكل أزهار.

على طول الجزء الشرقي للقاعة هناك درجة على ارتفاع (20) سم، وأمام المدخل إلى المصلّى نقش من الفسيفساء لم يسلم منه إلاّ جزء بسيط. لكن أكثر المناطق إثارة للاهتمام في المعبد هو الجزء النصف دائري والمصلّى، وهو مبني فوق

(*) كتب فقرة (معبد معجزة القطيع) V. Tzaferis and D. Glick .

صخرة، بقطر (3.75)م. وكانت الجدران مجصصة، وكذلك السقف، وما يميّز الجزء النصف دائري هو تقسيمه إلى مقاعد مجصصة نصف دائرية، ولم يسلم إلاّ الجزء الجنوبي مع ثلاثة مقاعد، وكان تصميم المصلّى يتيح للشخص أن يتمتع بمنظر كامل لقاعة الصلاة، والصخرة المقدسة والبحر، وقد عُثر على ما تبقّى من الأعمدة البازلتية القصيرة.

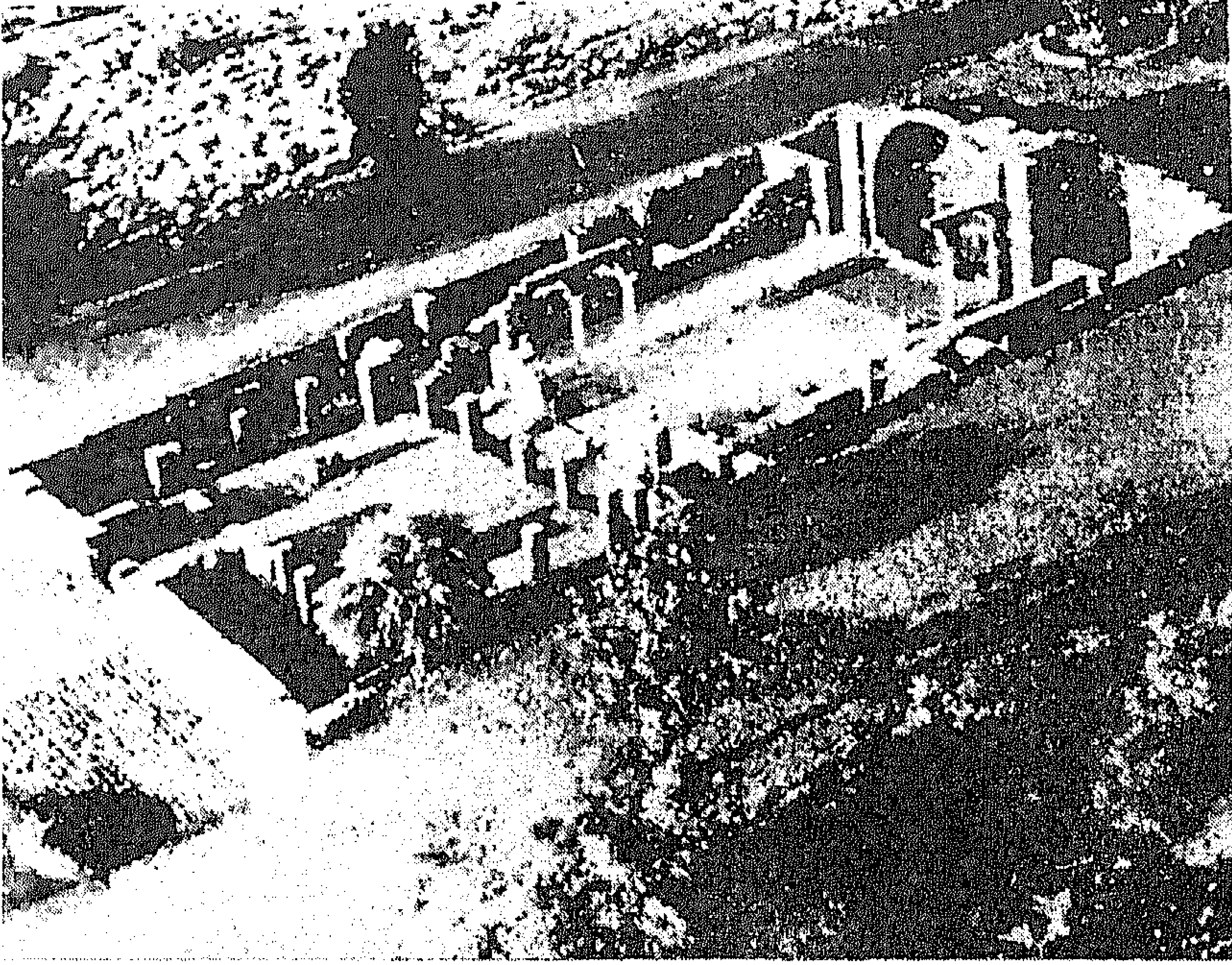
وفي مرحلة لاحقة من بناء المعبد؛ وربما يكون بعد الفتح الإسلامي، عندما لم يعدّ المعبد يؤدي أي دور ديني، تعرض المصلّى إلى تعديلات بسيطة؛ حيث أقيم جدار على الجانب الغربي منه. يشير إلى عزله ليكون غرفة منفصلة لها مدخل من الزاوية الجنوبية الغربية، ورُصفت أرضها بفسيفساء جديدة بأحجار كبيرة.

وإلى الجنوب يوجد مصرفا مياه مجصصان، واكتشف درج إلى الشمال الشرقي لقاعة الصلاة، يؤدي إلى مبنى أعلى غير معروف. وقد تعرّض على ما يبدو في مرحلة ما إلى التدمير أو أنه انهار بشكل طبيعي، وسبّب انهيار الحجارة على السقف الهش نسبيّاً إلى إحداث فتحة فيه أدّت إلى تدمير معظم المصلّى وإتلاف نسبة كبيرة من الفسيفساء الأبيض في الداخل.

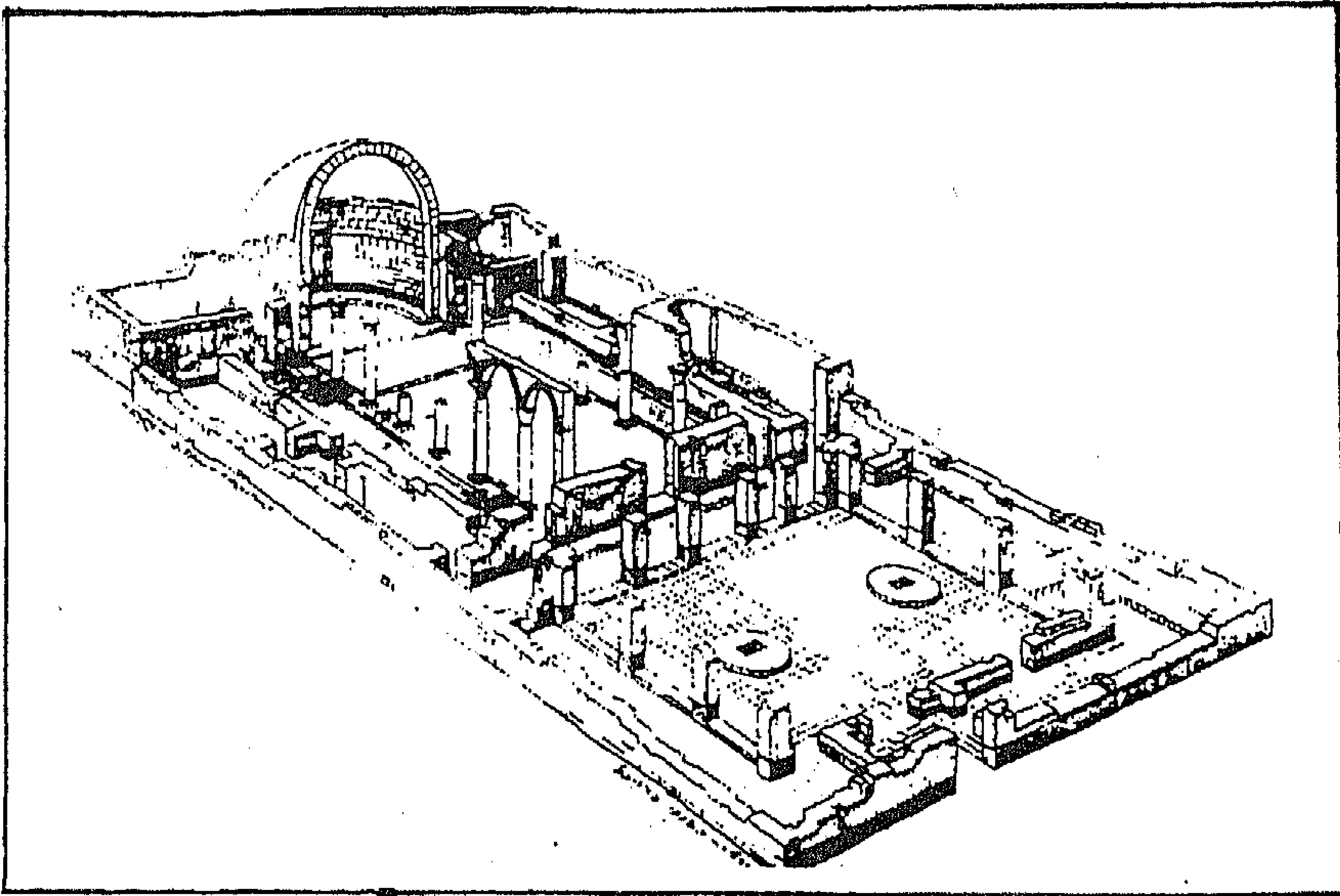
أما مكتشفات المرحلة الأولى والثانية في المعبد فهي موازية لهاتين المرحلتين في الدير، أي من القرن الخامس حتى الثامن، في حين أن المرحلة الثالثة قد شهدت تدهور المعبد، وعزل قاعة الصلاة وتحويلها إلى غرفة عادية.

كما أن الفخاريات التي تعود إلى العهد العربي مماثلة لتلك الموجودة في المرحلة الثالثة في الدير.

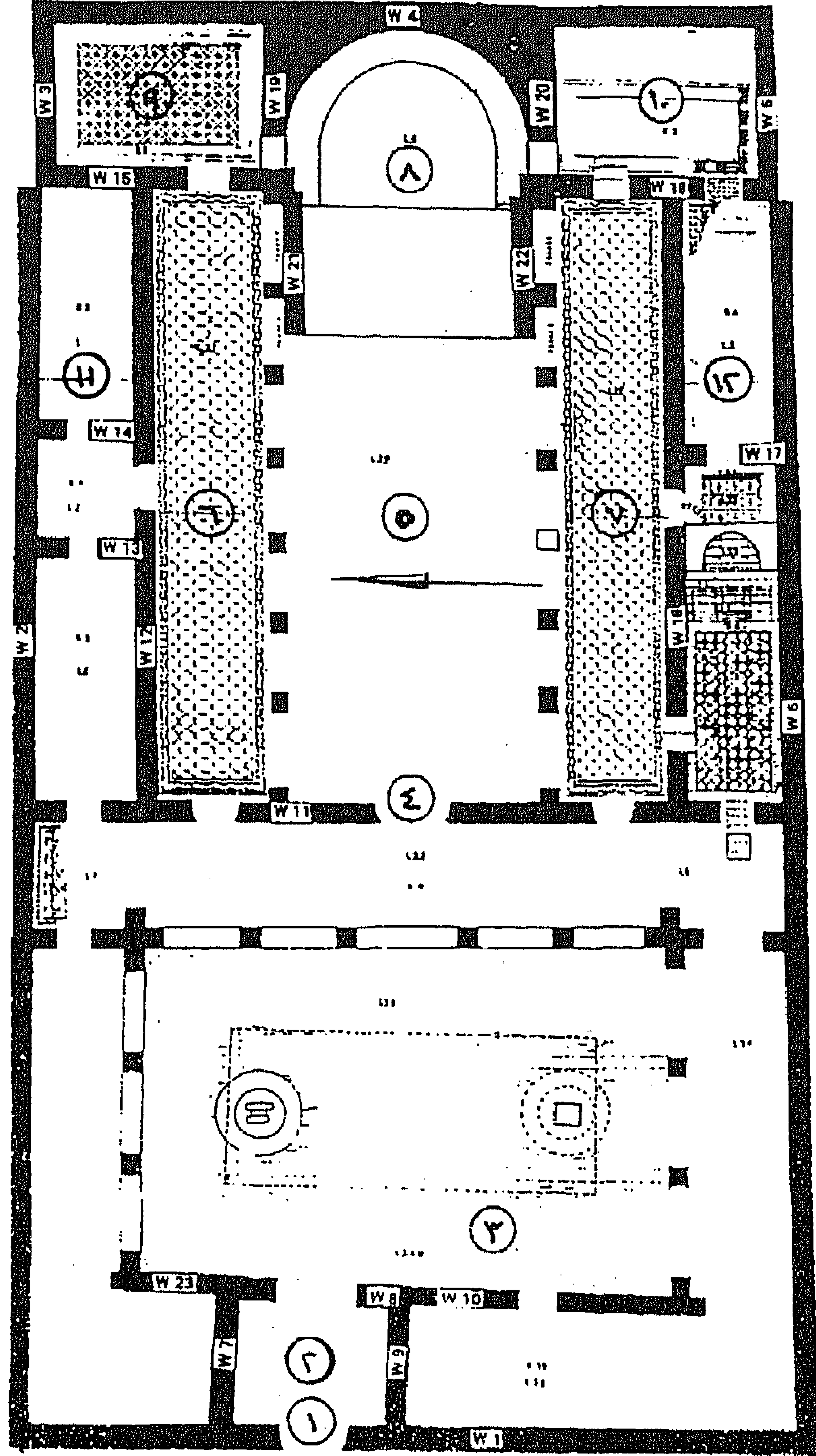
وفي الختام: من البديهي أن المسيحيين الذين بنوا الدير في (الكرسي) قاموا بربط الصخرة مع المكان الذي شفى فيه السيد المسيح مَن تلبّس به الروح النجسة، فقاموا بحماية الصخرة عن طريق بناء برج كبير، ومعبد خلفه للحفاظ على المكان الذي يمكن للحجّاج المسيحيين أن يربطوه بحياة السيد المسيح.



(الشكل 1) أ – الآثار المكتشفة لمجمّع الكنيسة في (الكرسي)



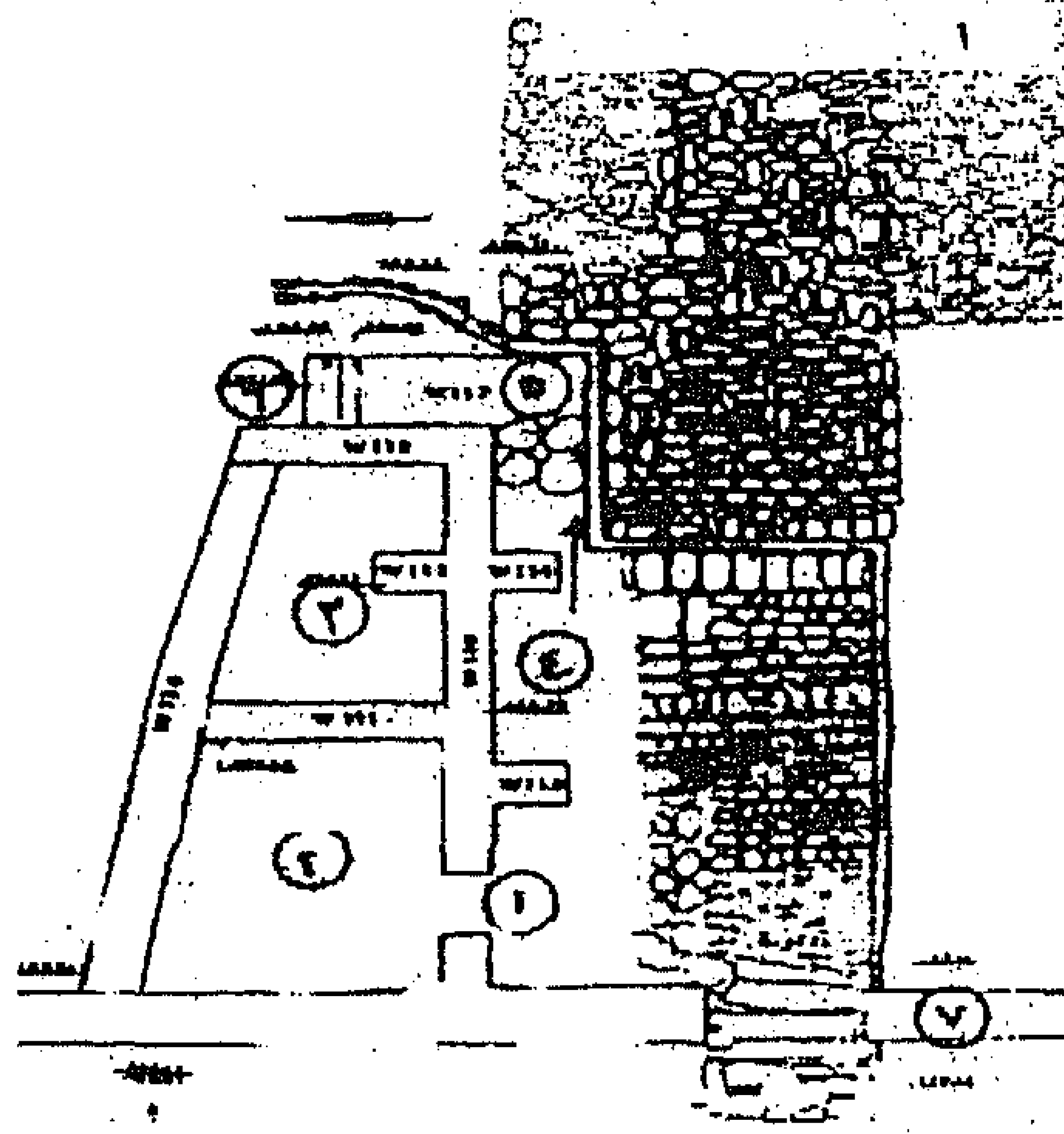
(الشكل 1) ب – رسم مجسّم منظوري (تقريبي) لمجمع الكنيسة



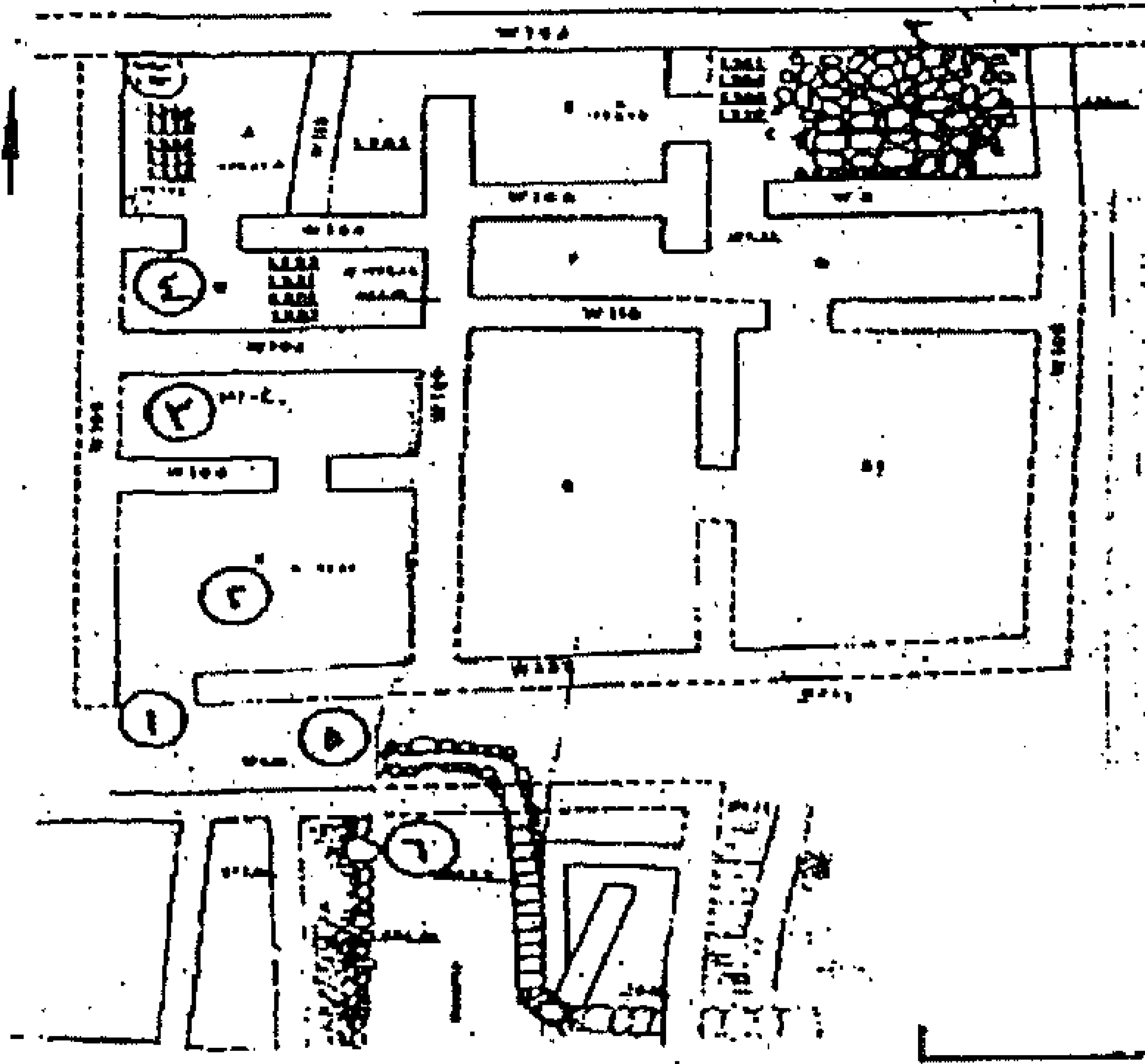
(الشكل 1) جـ – مخطّط يبيّن أقسام مجمّع الكنيسة

1 – مدخل المبنى . 2 – غرفة الاستقبال . 3 – الردهة أو القاعة المركزية . 4 – مدخل الكنيسة . 5 – قاعة الصلاة (القسم الأوسط) . 6 – قاعة الصلاة: الممشى الشمالي . 7 – قاعة الصلاة: الممشى الجنوبي . 8 – المذبح . 9 – مركز الأبرشية . 10 – بيت المعمودية . 11 – الجناح الشمالي . 12 – الجناح الجنوبي .

(الشكل 2) مخطط لما تبقى واضحاً من المنقطة السكنية



1 – المدخل الرئيس للدير. 2 و3 – المساحات المخصصة للسكن والنزلاء
4 – شارع عريض. 5 – ساحة. 6 – مجمع الكنيسة. 7 – مصرف للمياه



1 – البوابة الرئيسة. 2 و3 و4 – المباني المخصصة للسكن
5 – شارع عريض. 6 – مبنى ينتهي من ناحية الشرق بدرج

(لوحة 1) أ – من بقايا الآثار العمرانية في موقع الكرسي



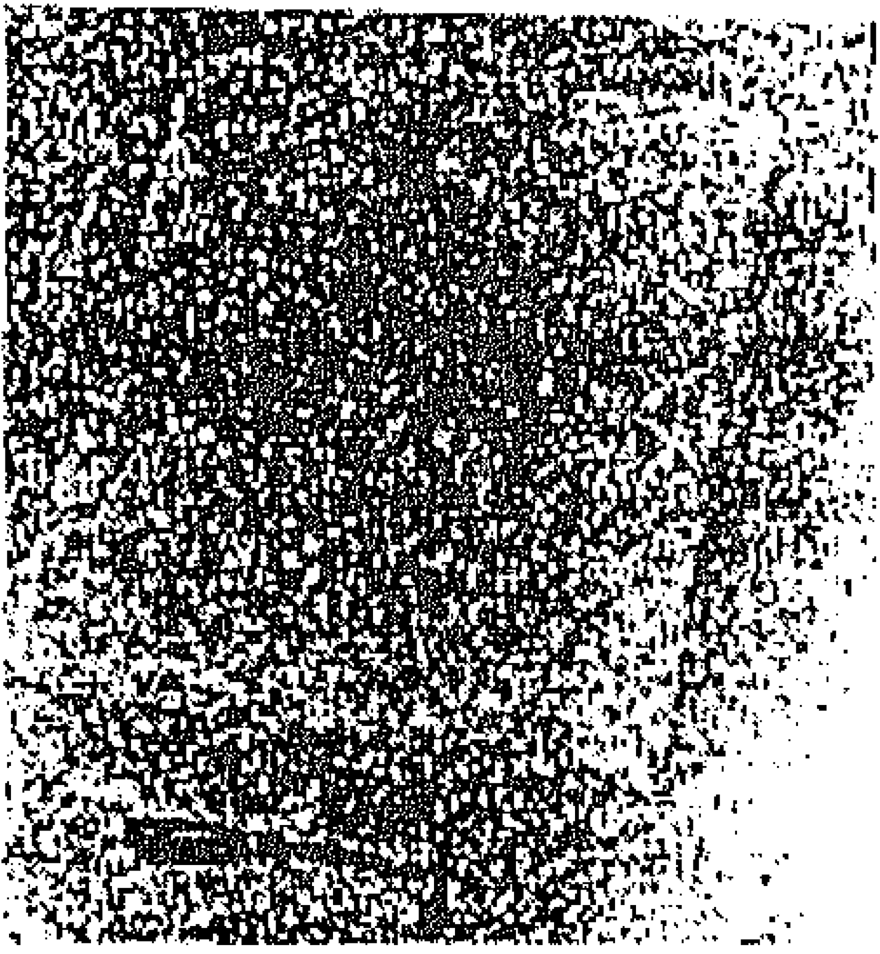
مرفأ الكرسي



معصرة زيت



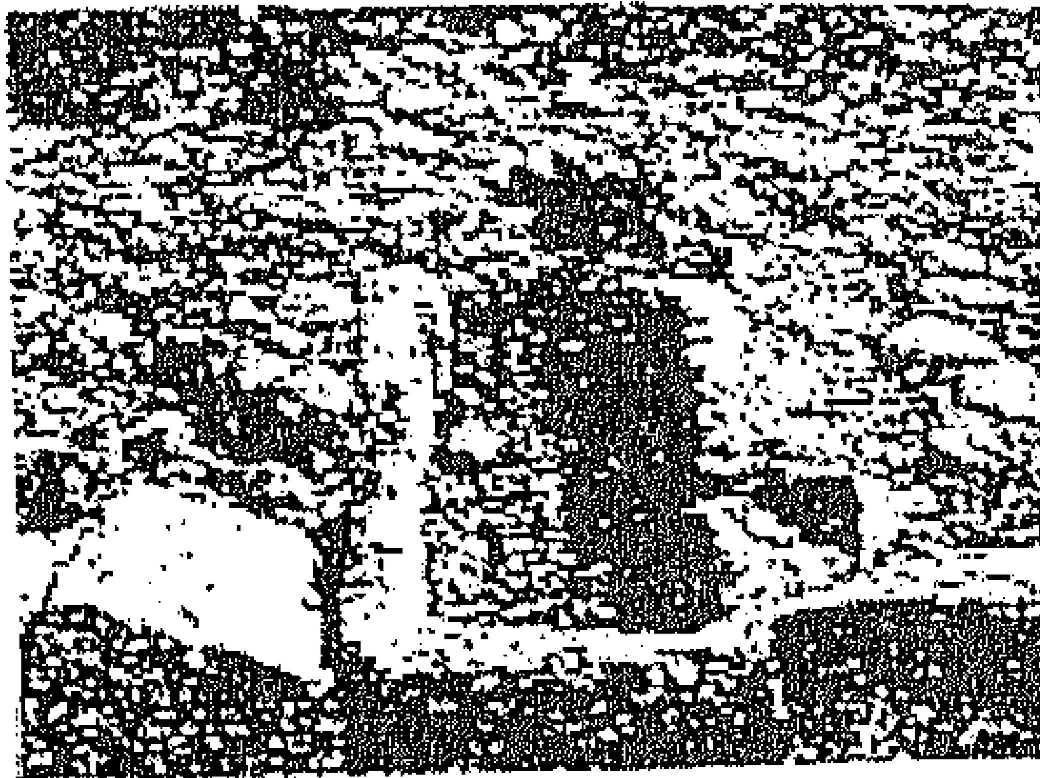
بقايا البرج القديم في الدير



وعاء توضع فيه الذخائر

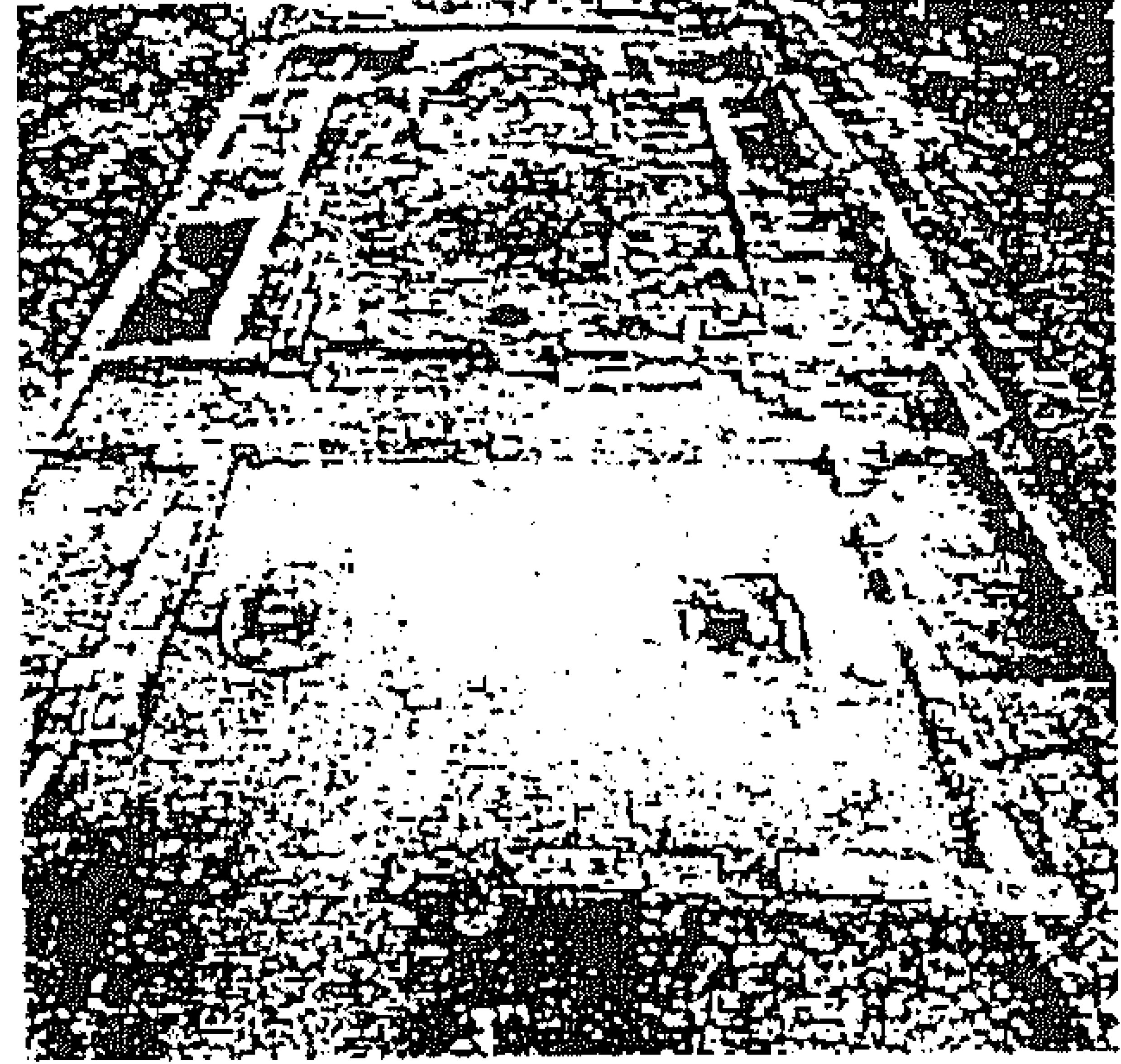


بقايا صهريج

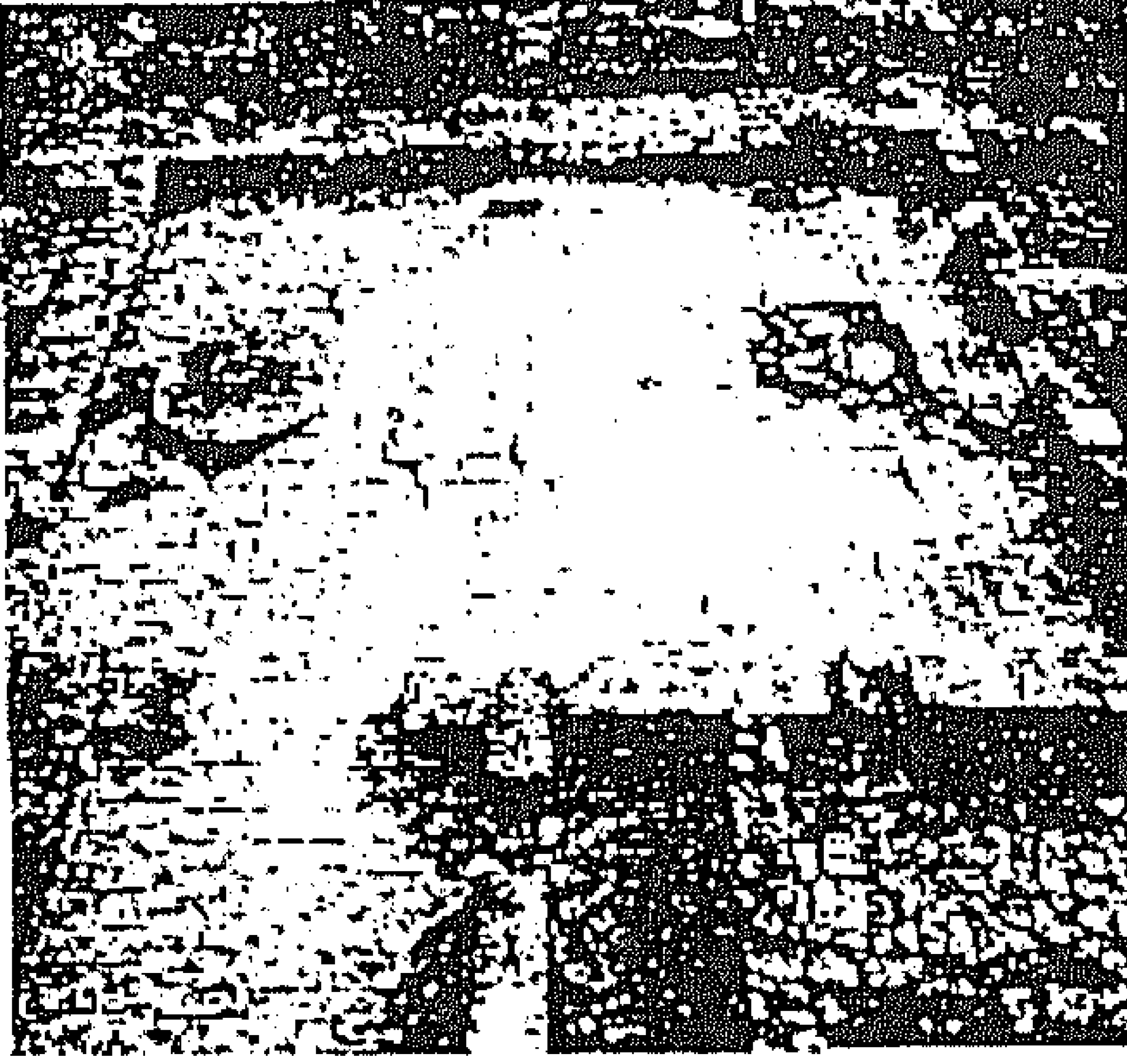


لوح من الحجر فوق باب السرداب

(لوحة 1) ب – من بقايا الآثار العمرانية في موقع الكرسي

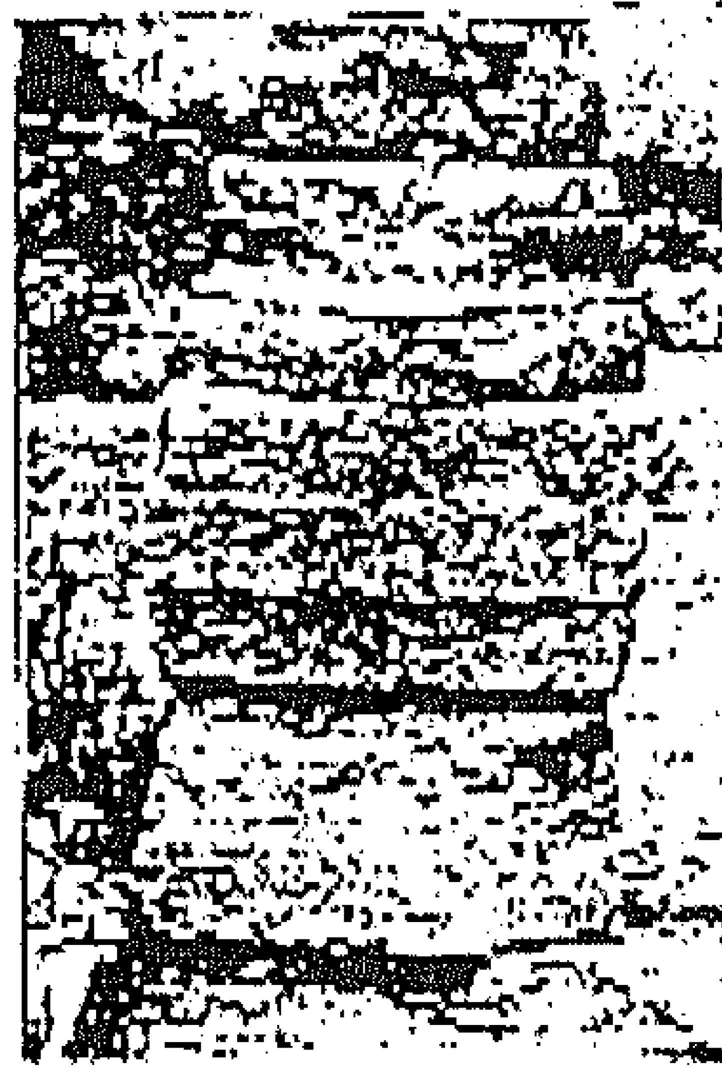


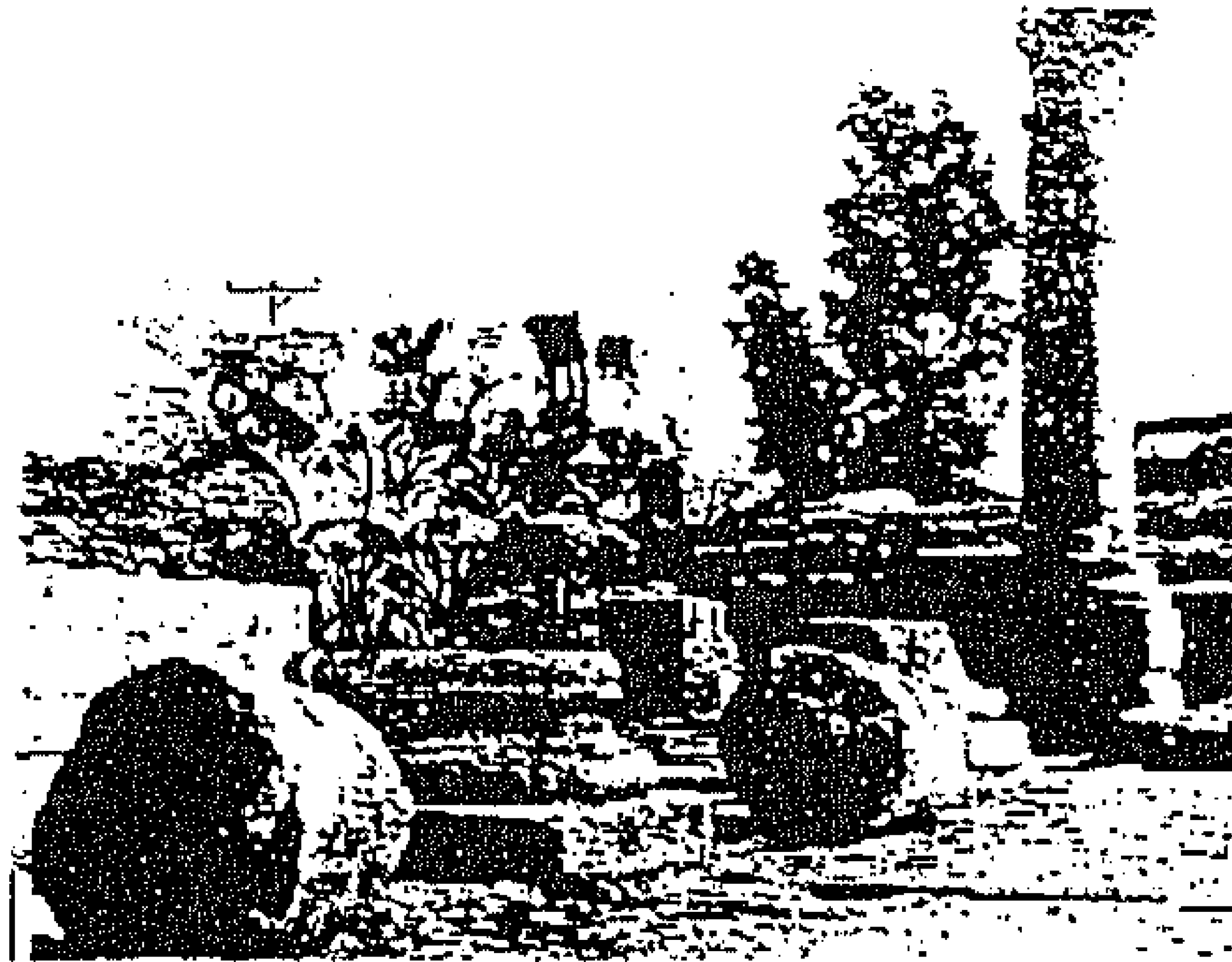
من بقايا مجمّع الكنيسة



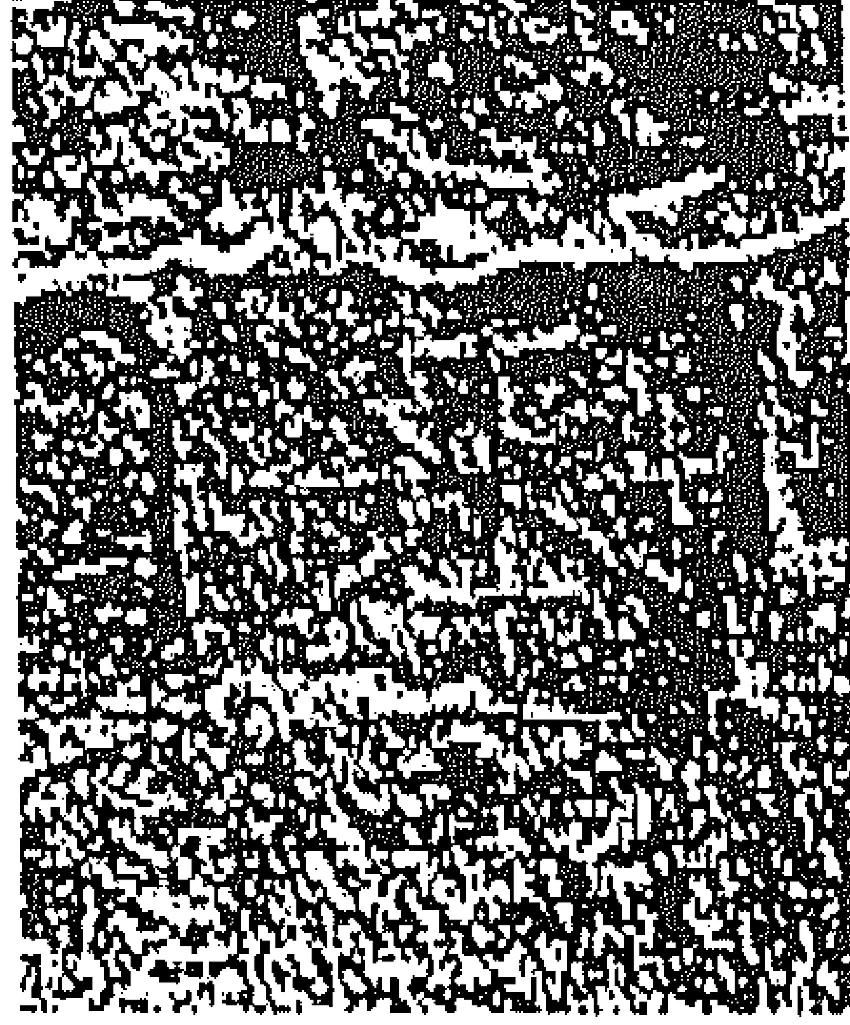
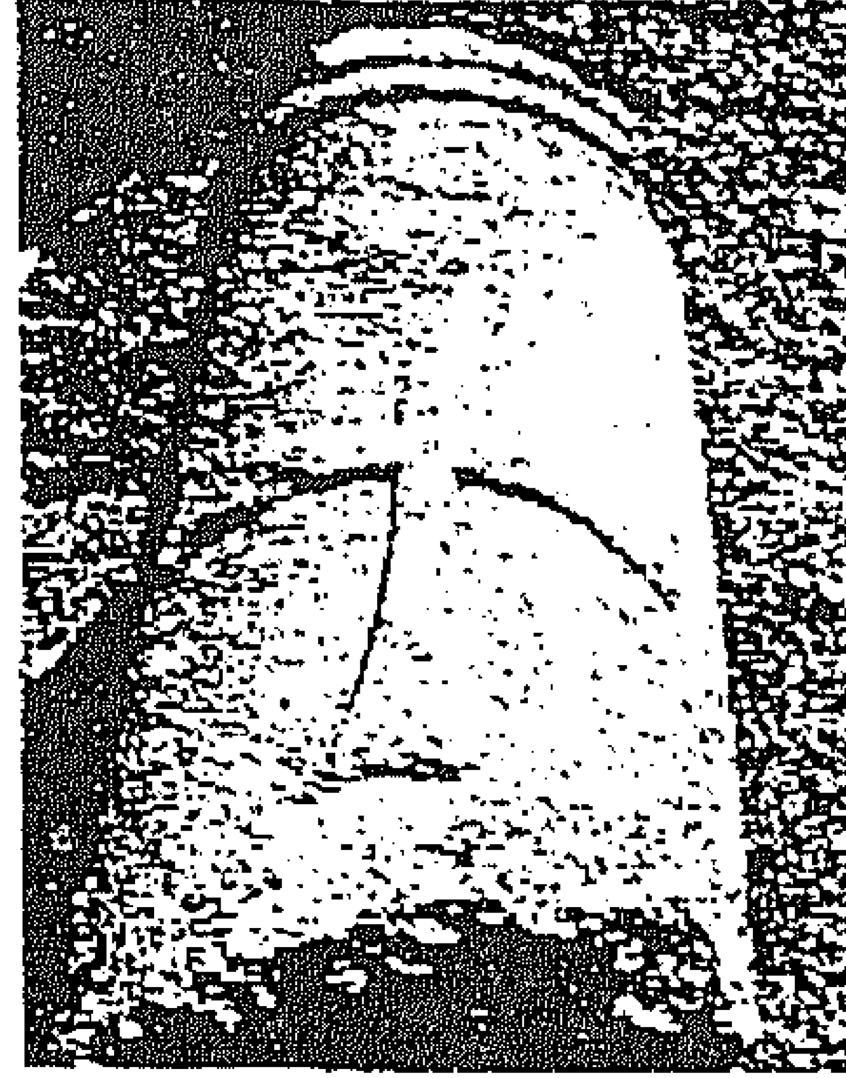
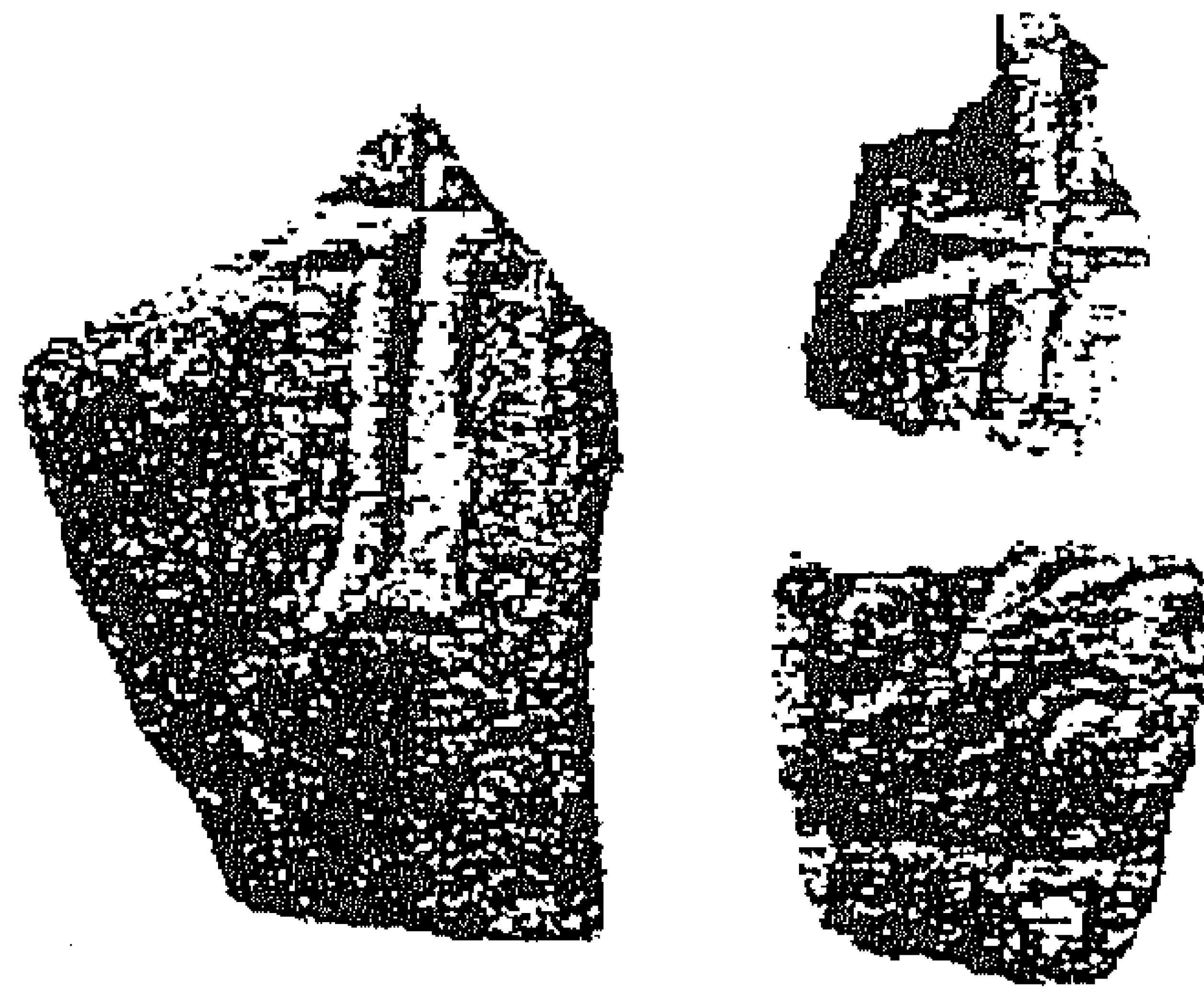
من بقايا الردهة



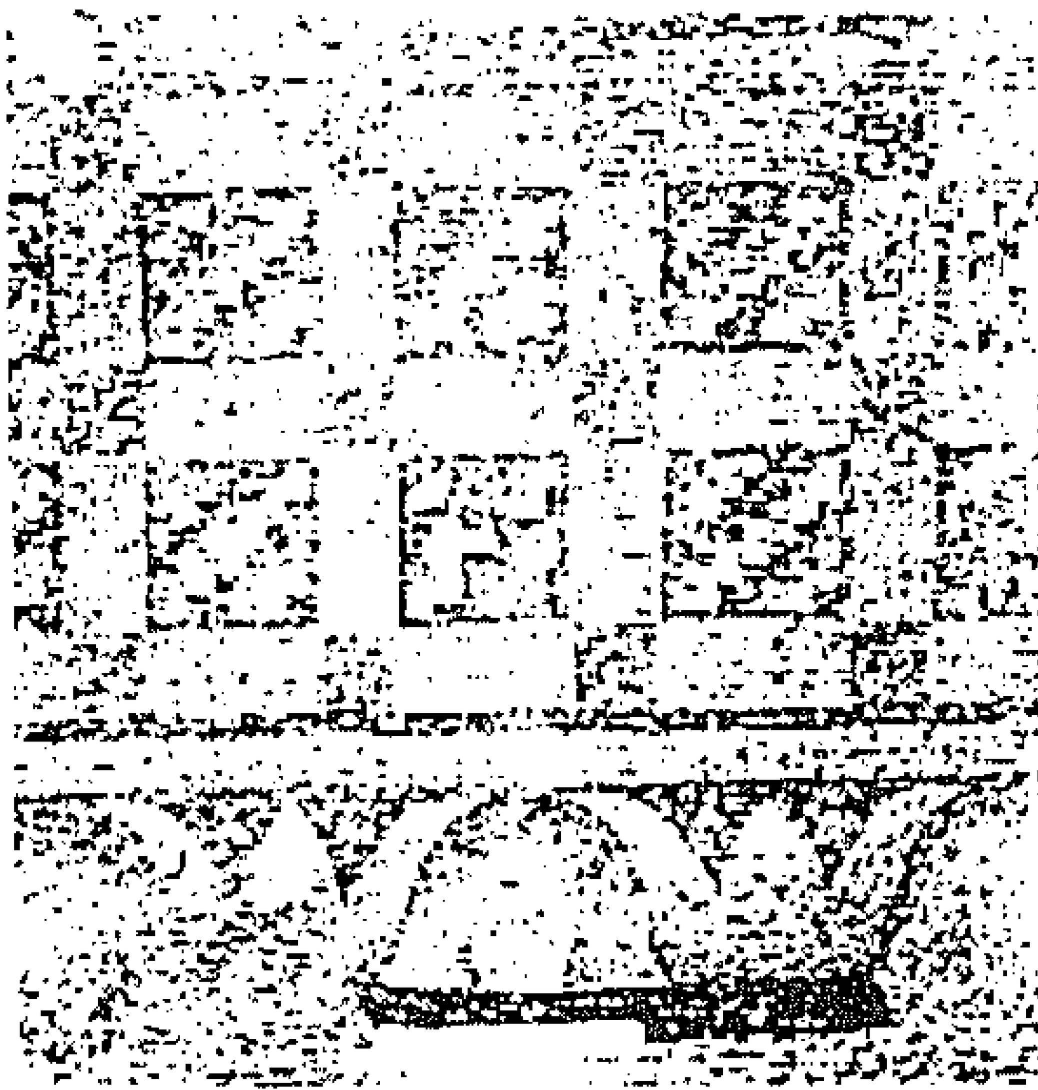




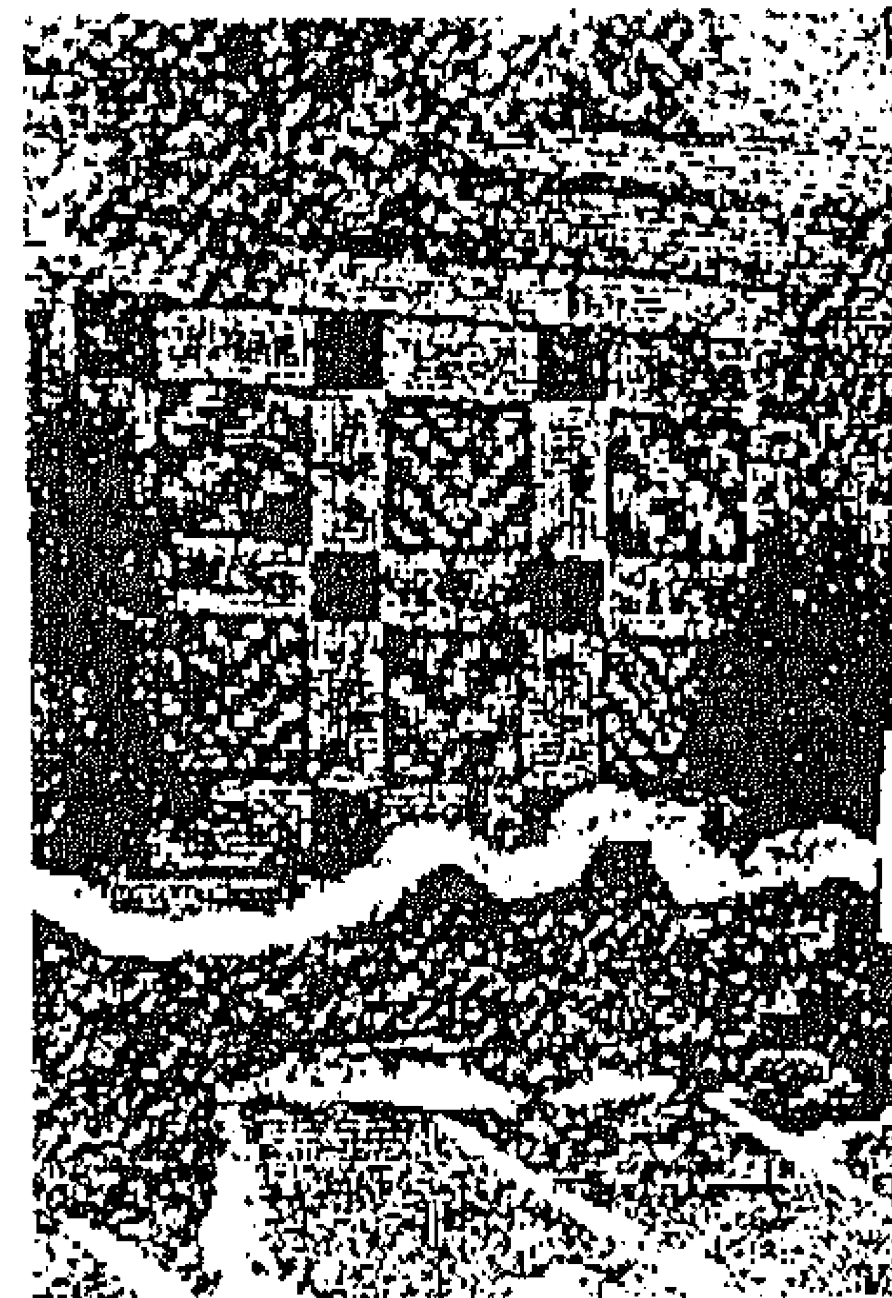
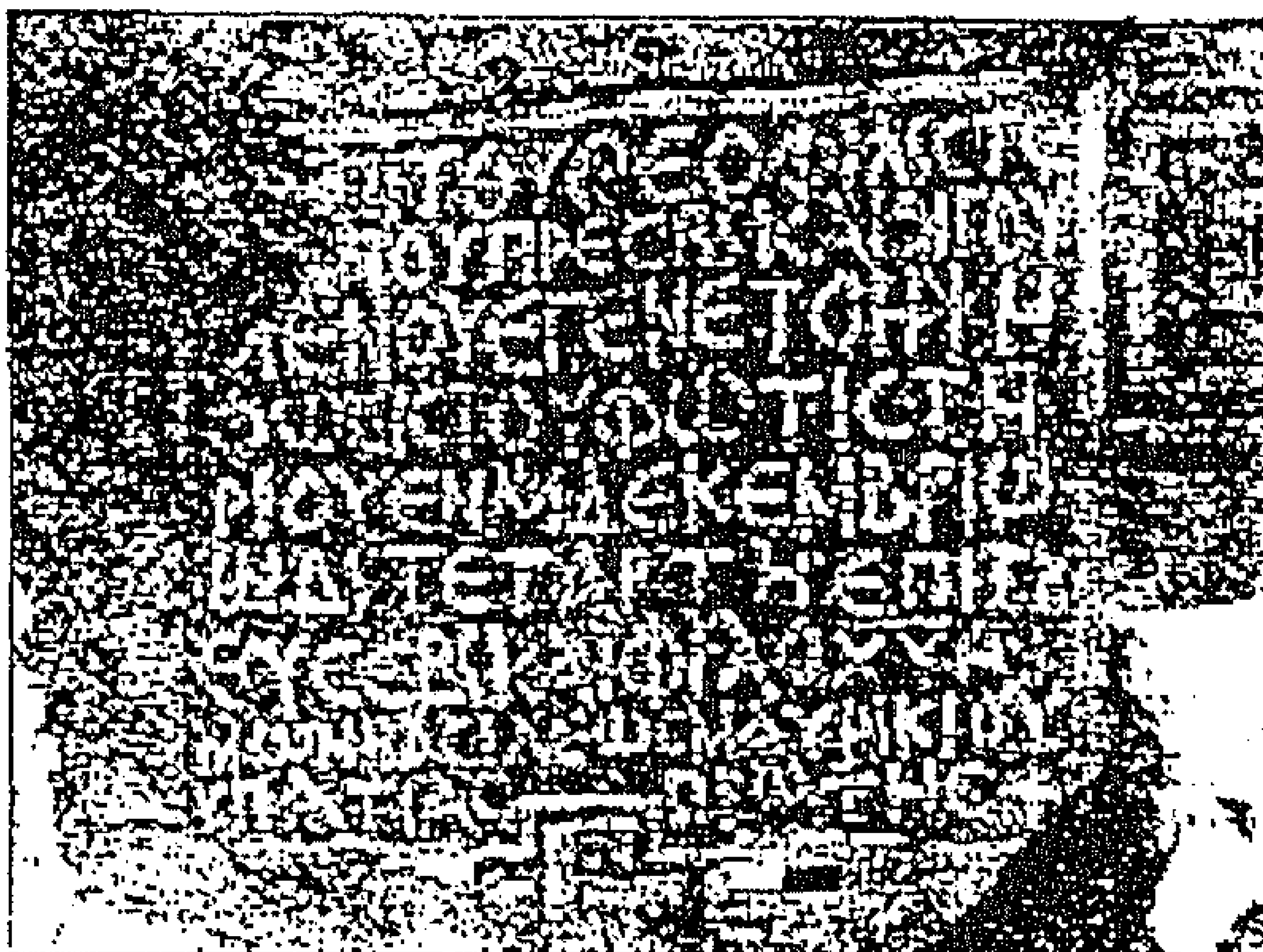
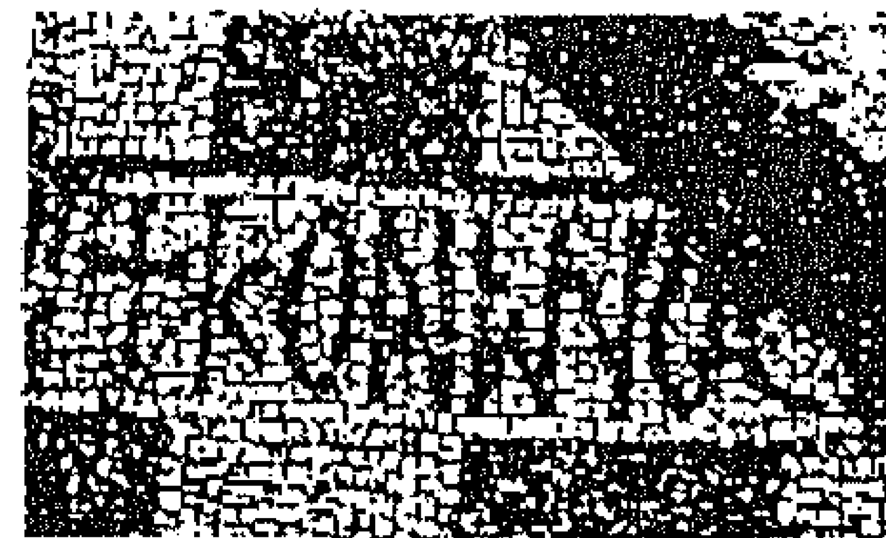
بقايا من الأعمدة والتيجان من الطراز الكورنثي




أشكال من الصلبان على الأعمدة والألواح

(لوحة 2) أ – بقايا من الفسيفساء التي تمثل أشكالاً هندسية
وأزهاراً وسلال فاكهة وصلباناً وكتابة يونانية

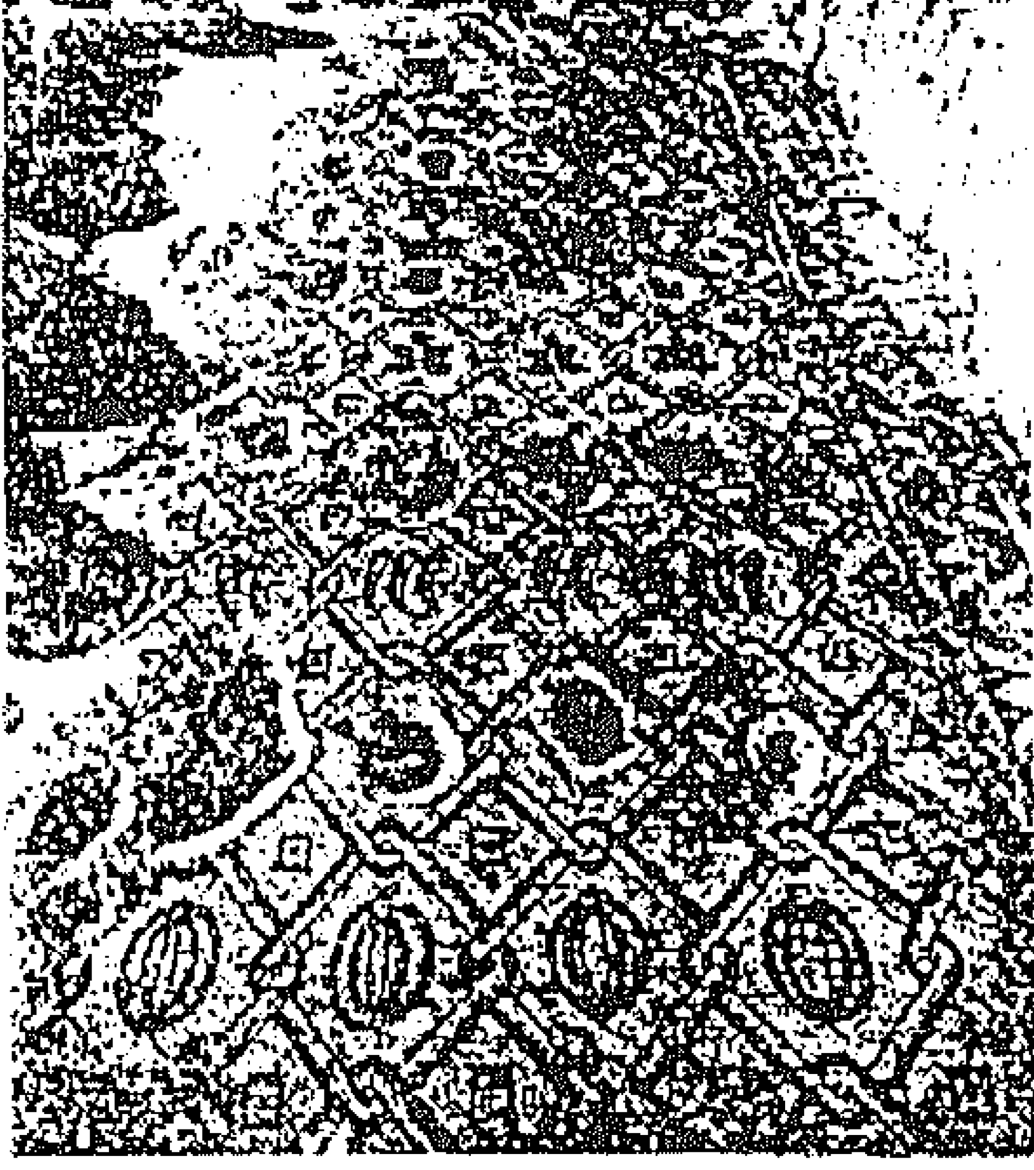
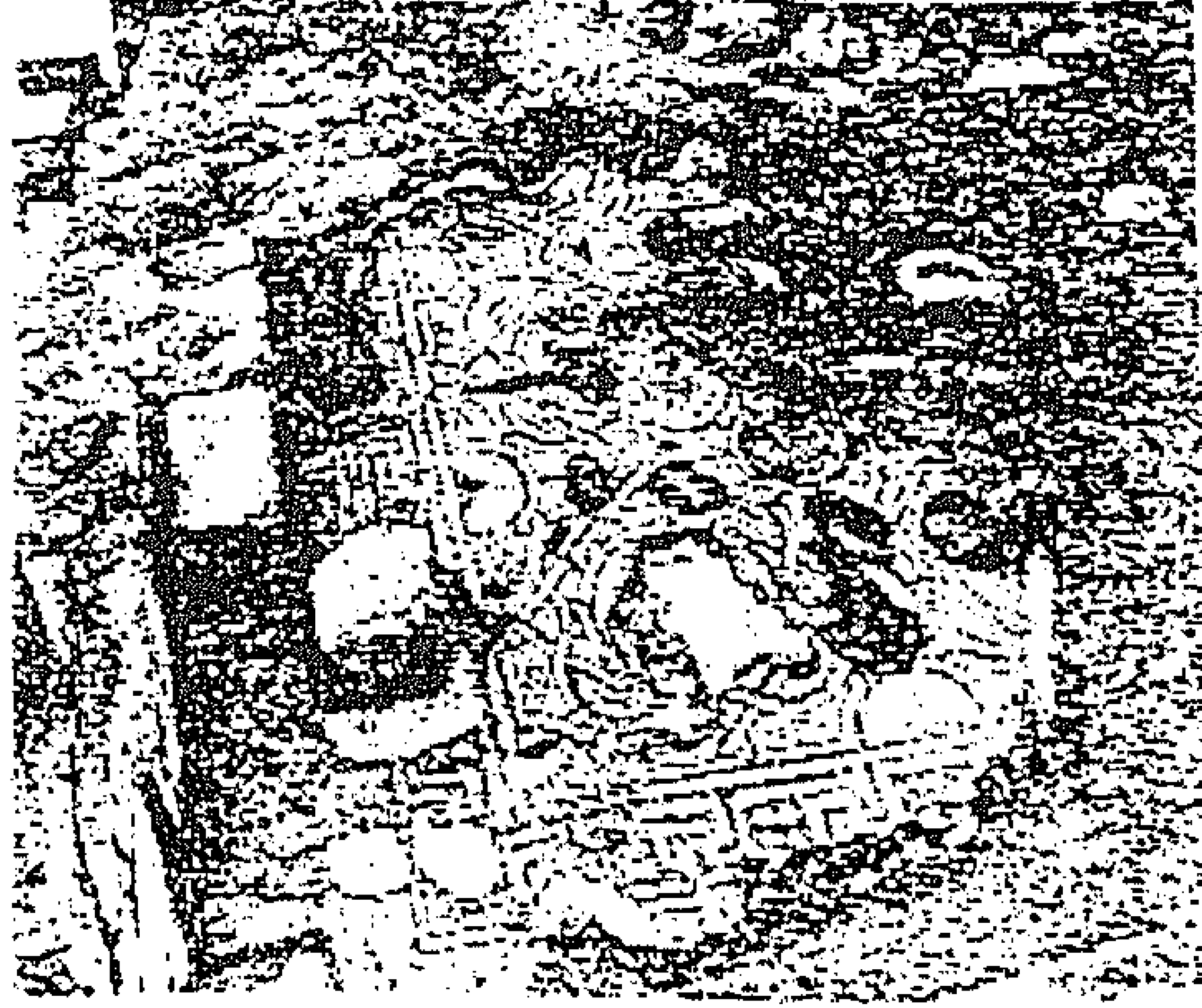


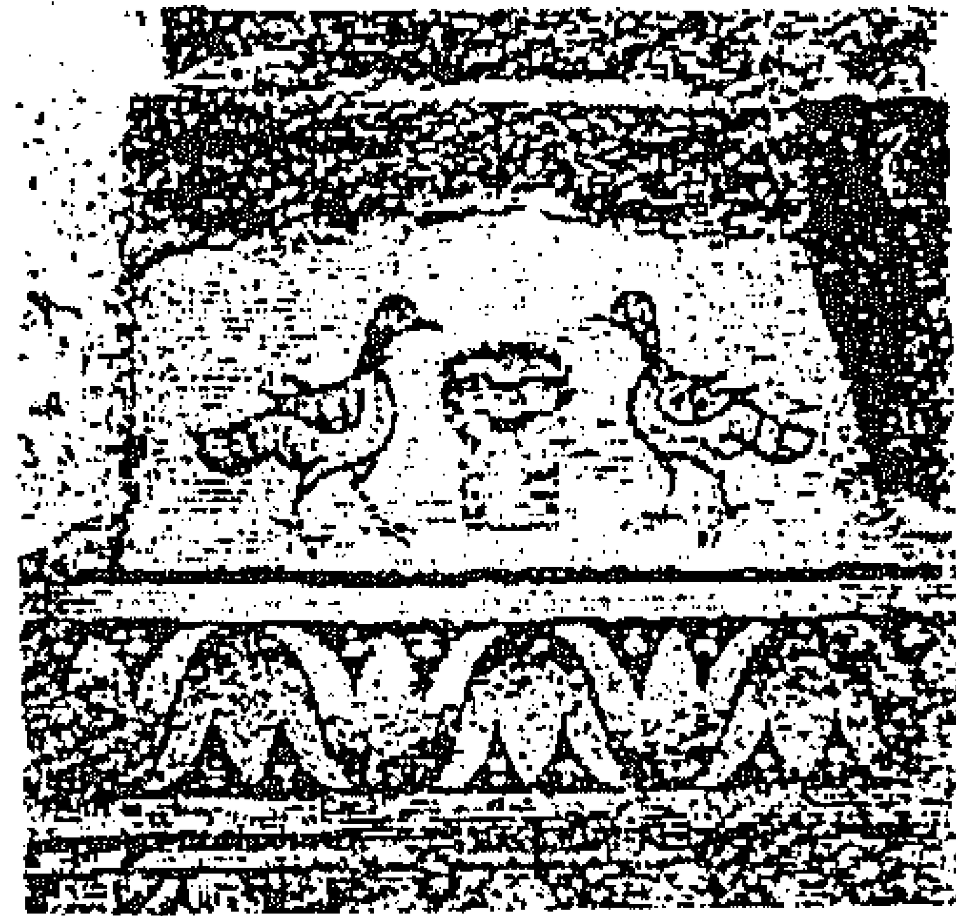
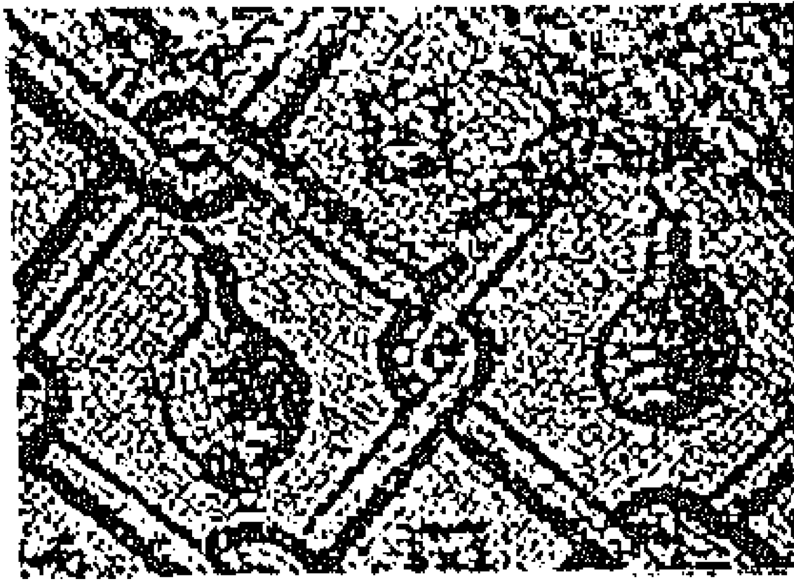


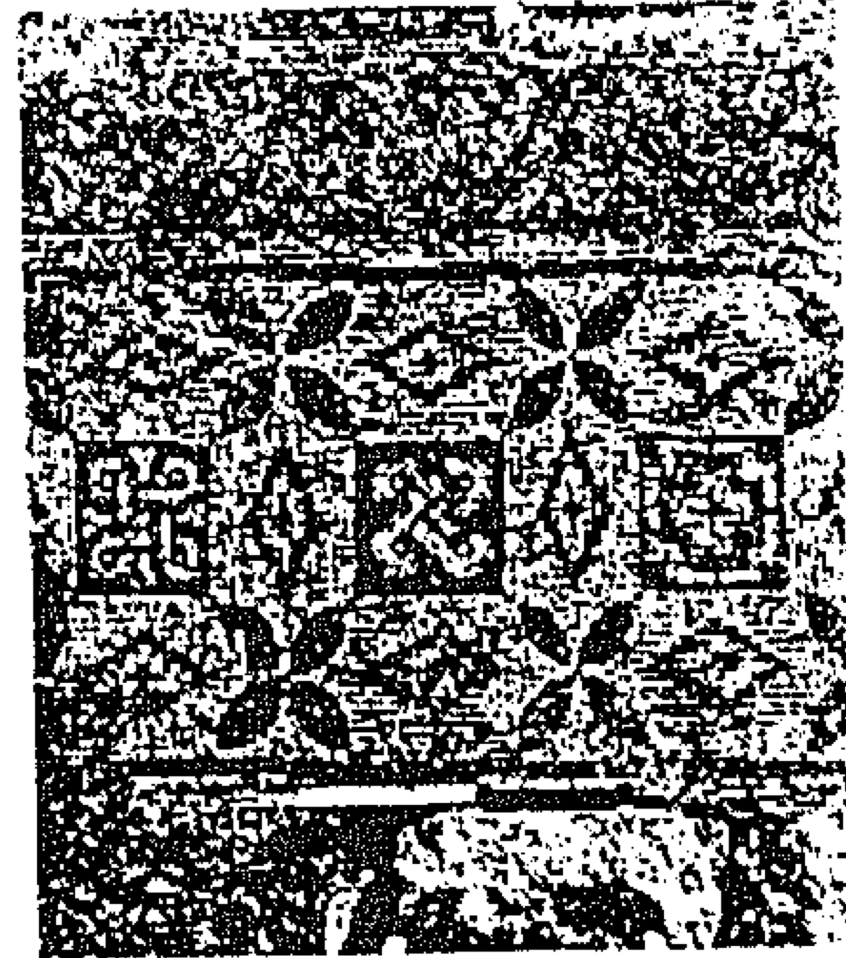




(لوحة 2) ب – بقايا من الفسيفساء التي تمثل أشكالاً

من الزخارف المتنوعة والفاكهة والطيور والصلبان

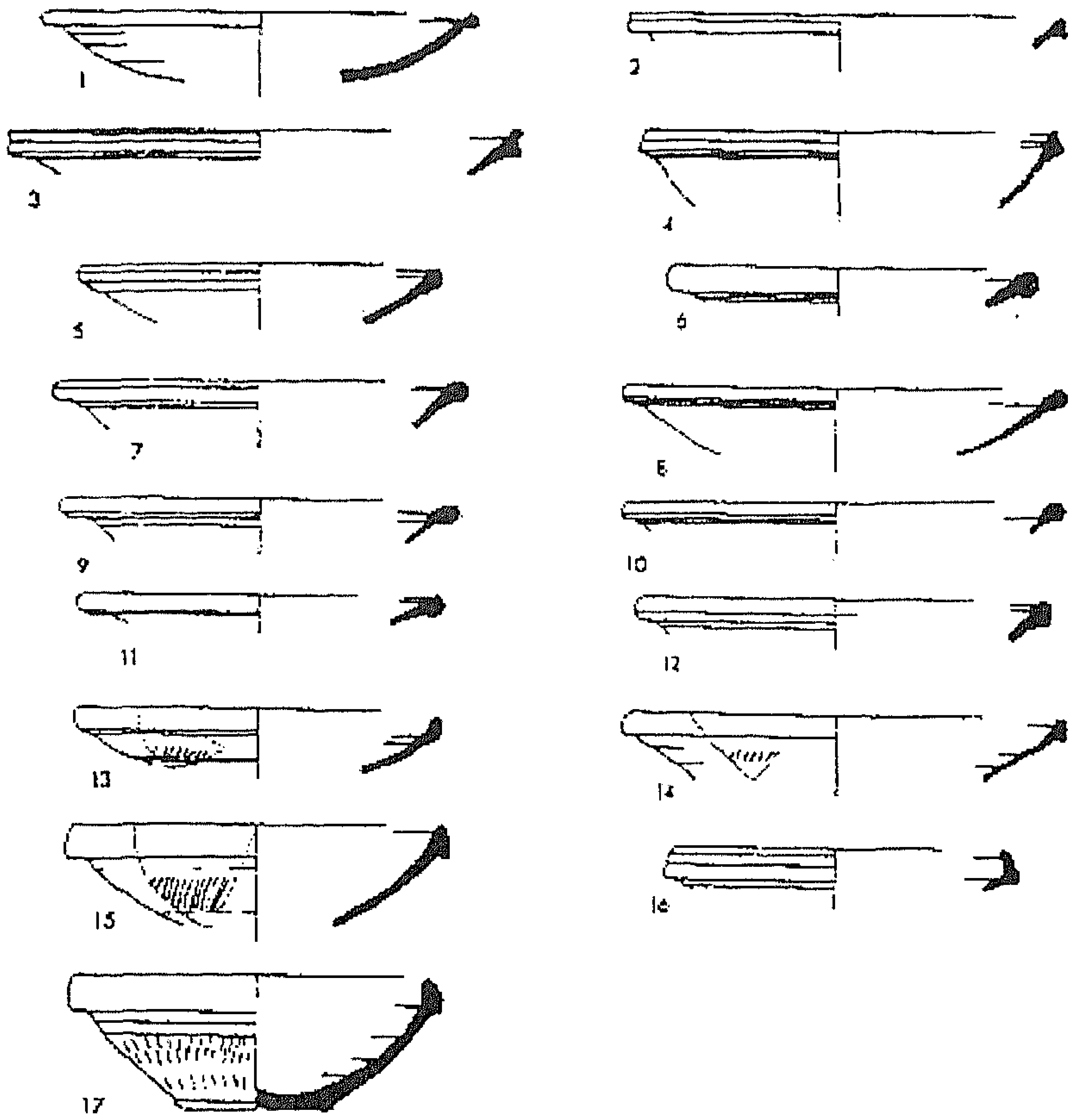



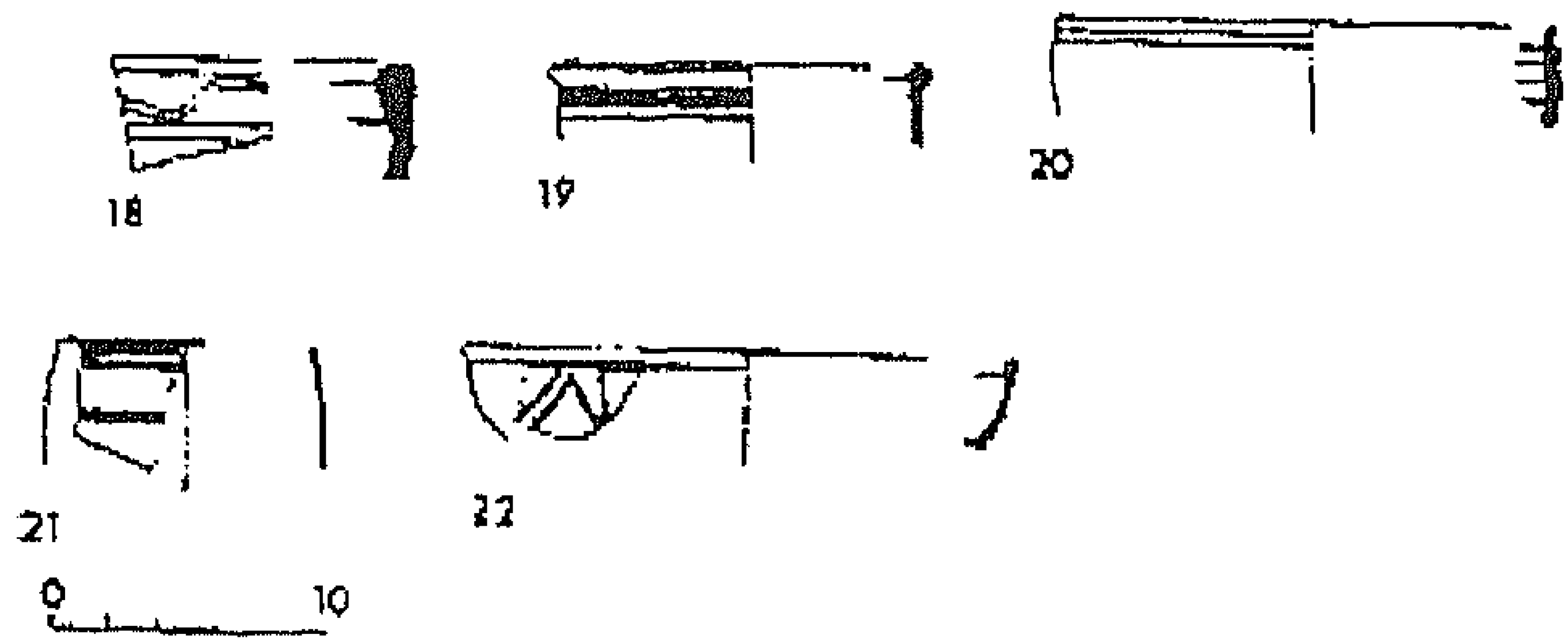


(لوحة 3) فخّاريّات

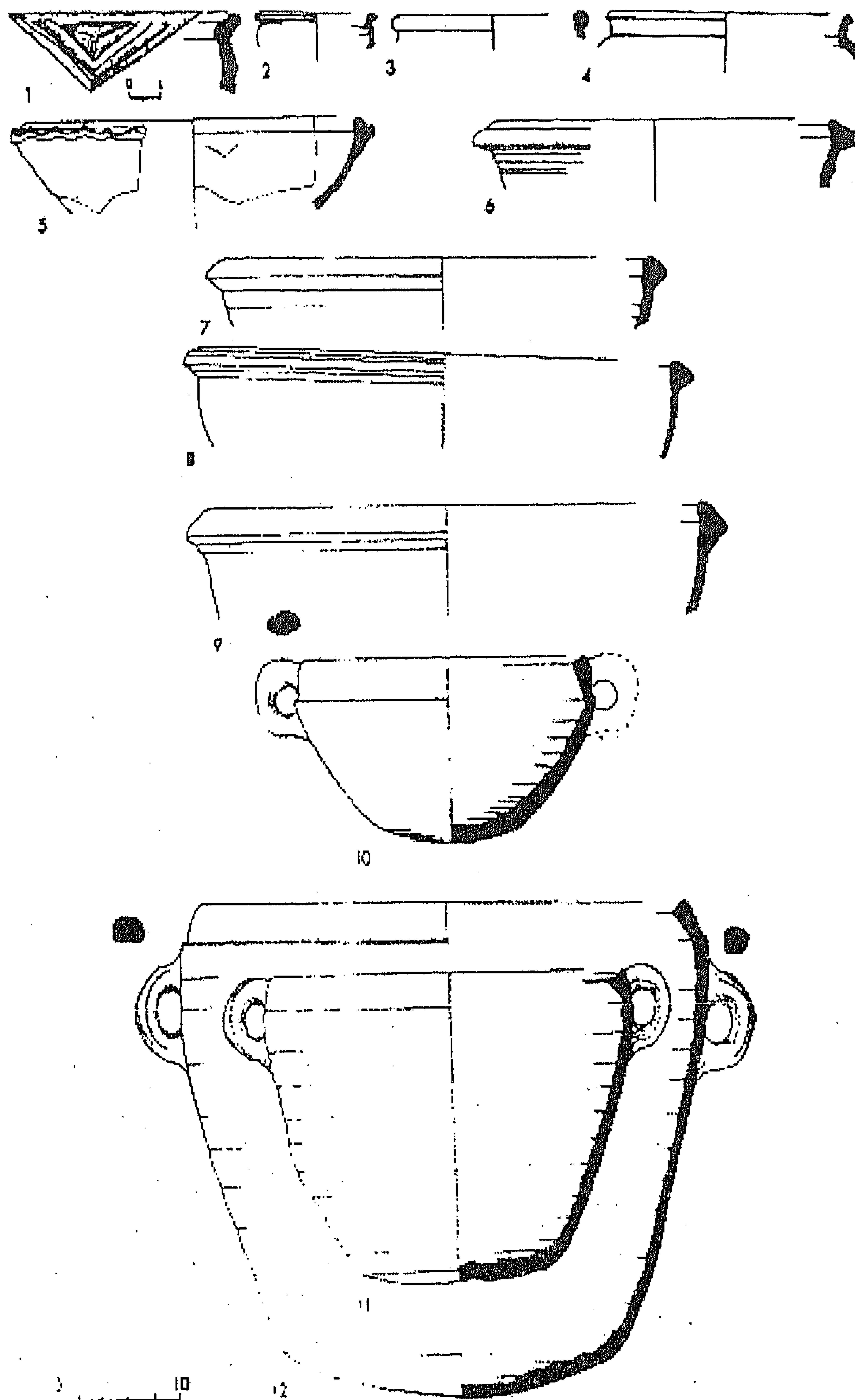
أ – أطباق كبيرة حمر



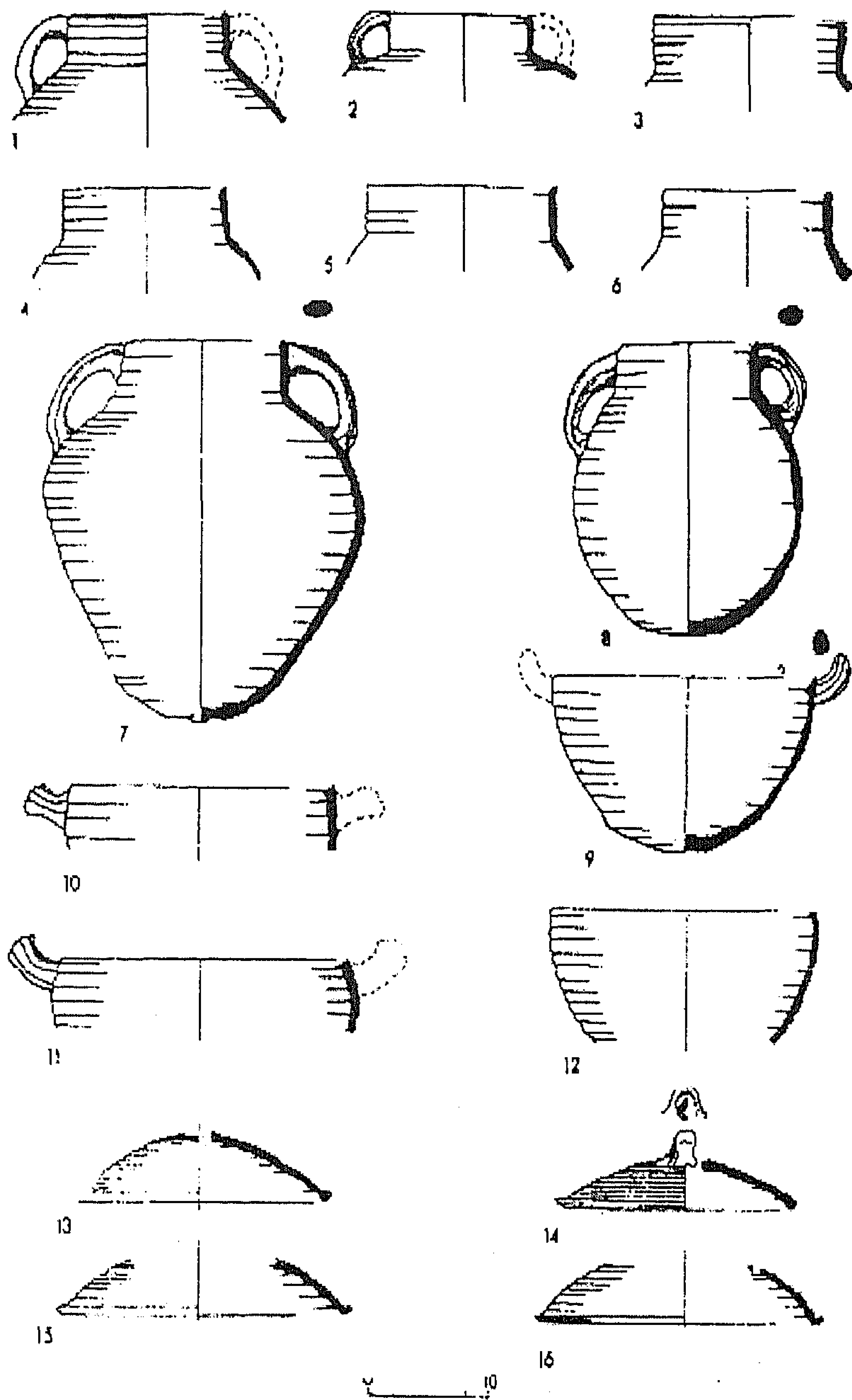
ب – قصعات خزفية



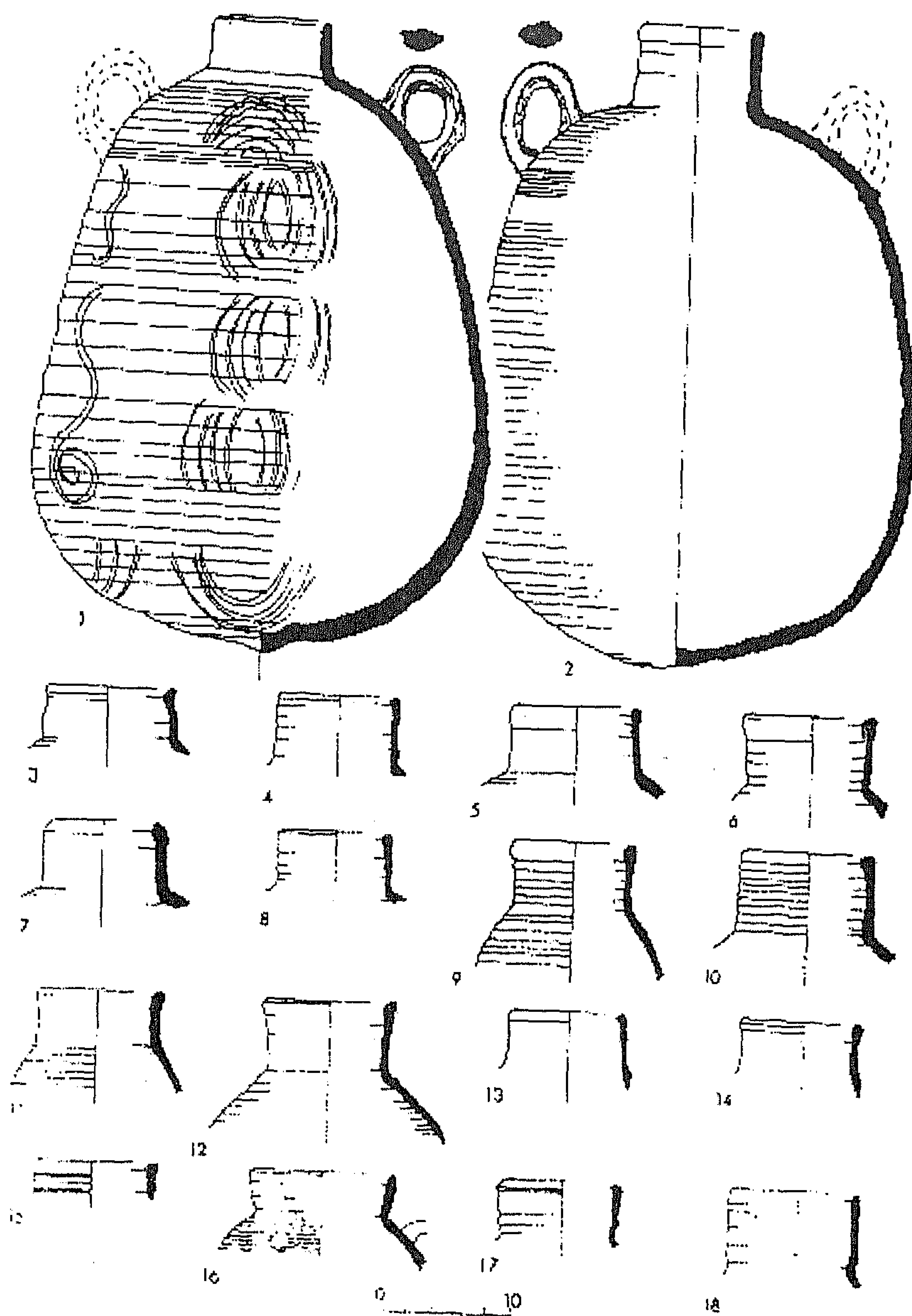
(لوحة 4) فخّاريّات : دنان الخمر



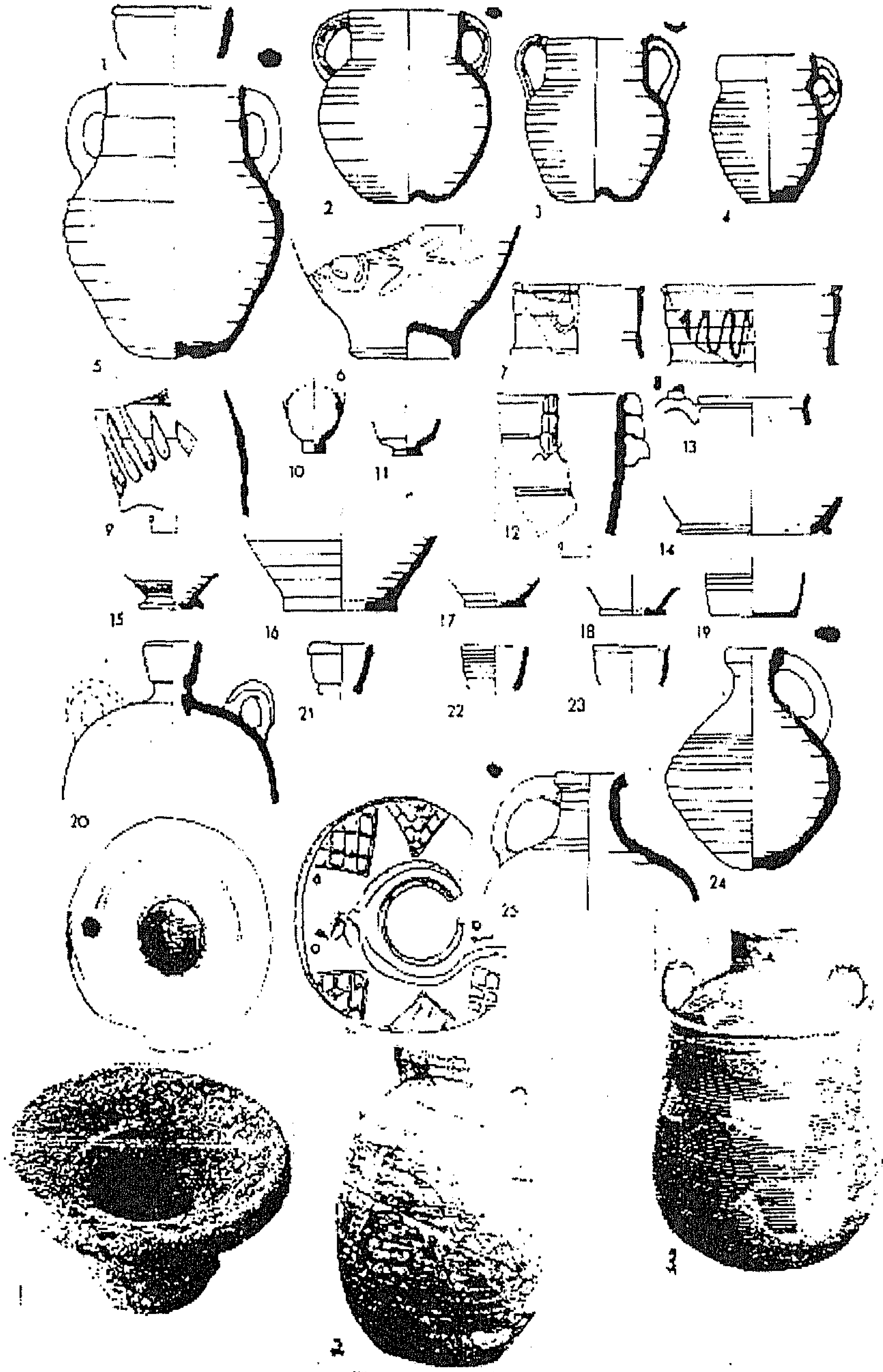
(لوحة 5) فخاريّات : من أواني الطبخ



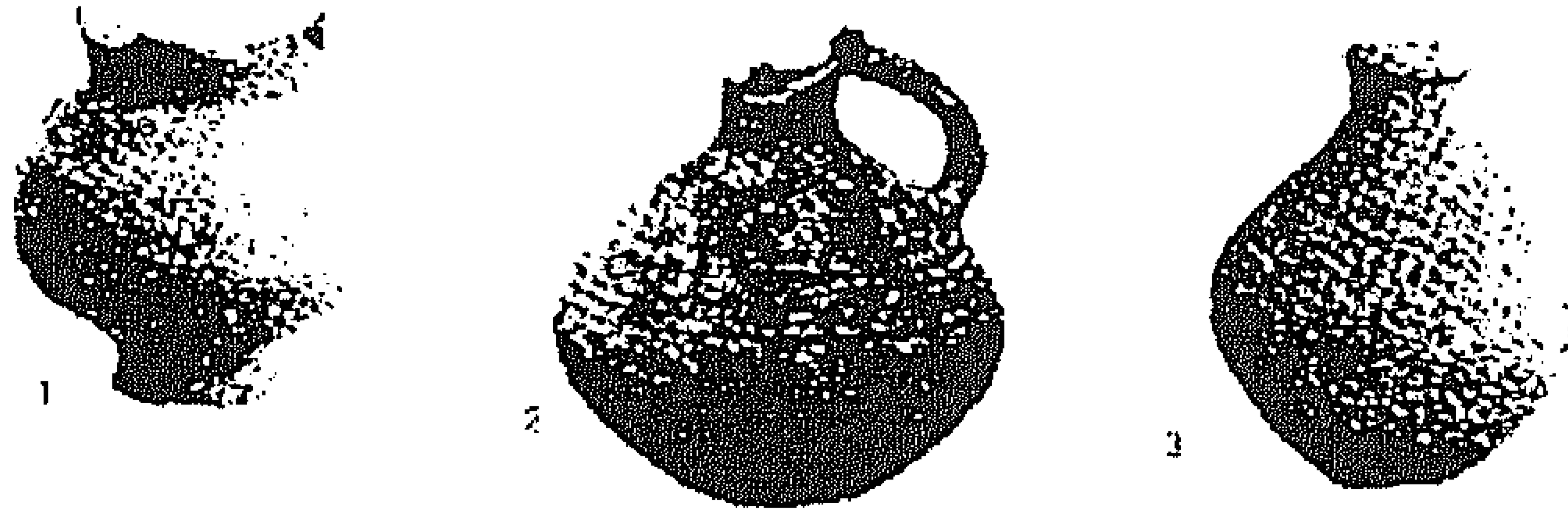
(لوحة 6) فخّاريّات : جرار التخزين

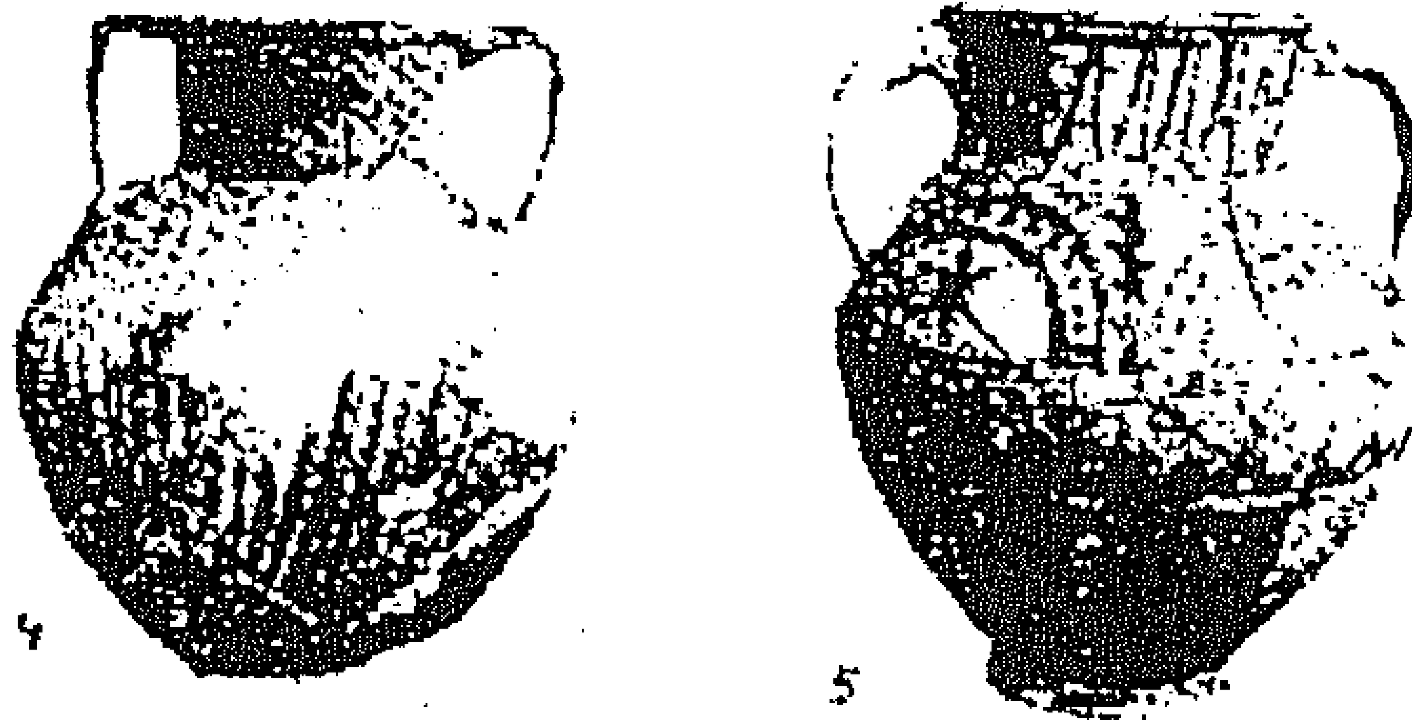


(لوحة 7) فخّاريّات : جرار صغيرة مزخرفة، وأخرى ملوّنة

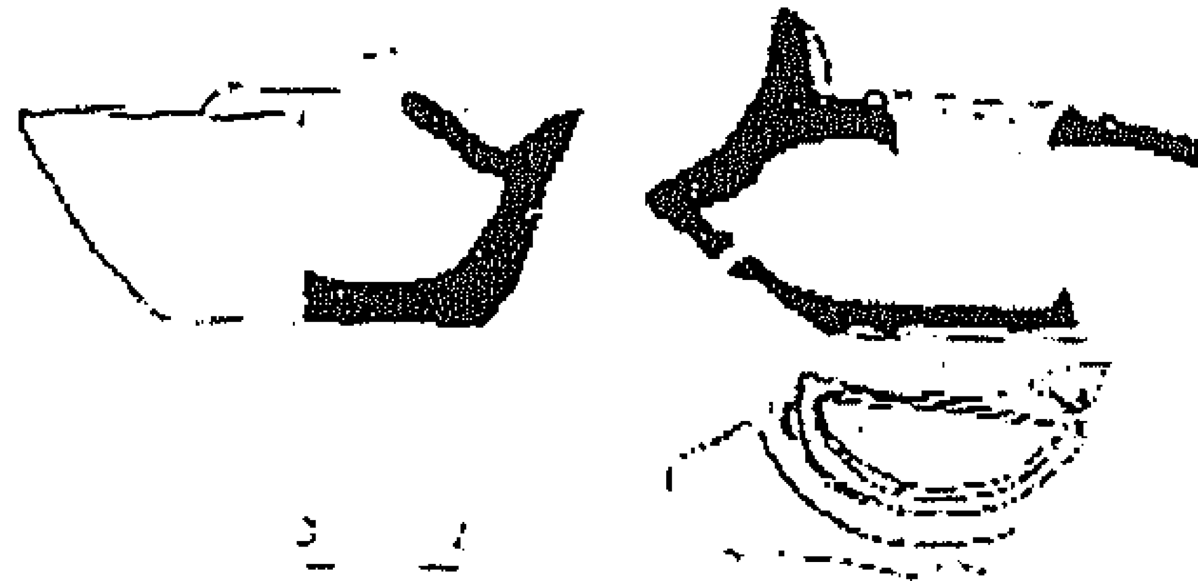


(لوحة 8) فخّاريّات . أ – أباريق الأمفورا . – القناديل أو المسرح

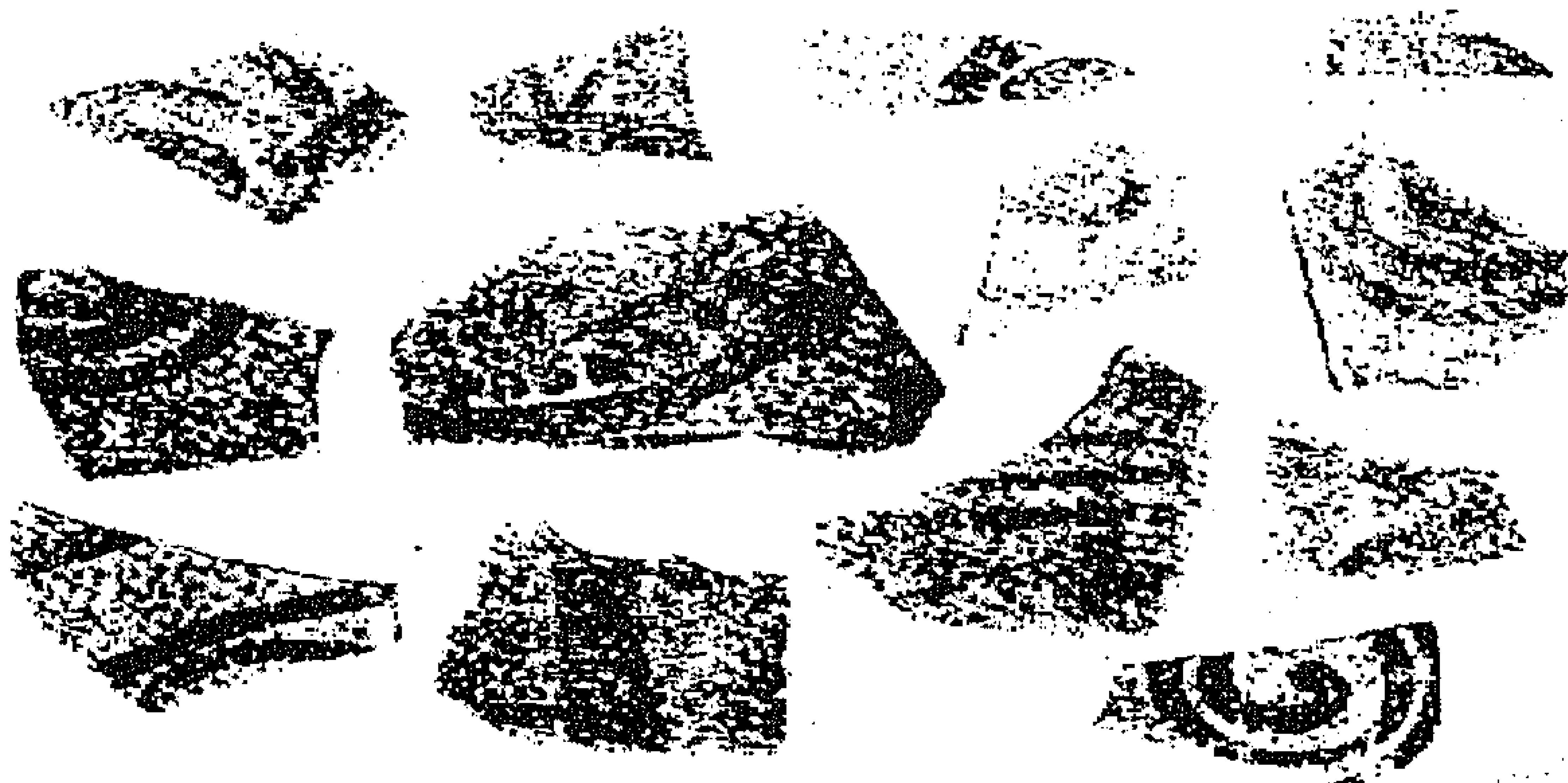




أ – أباريق وقوارير الأمفورا

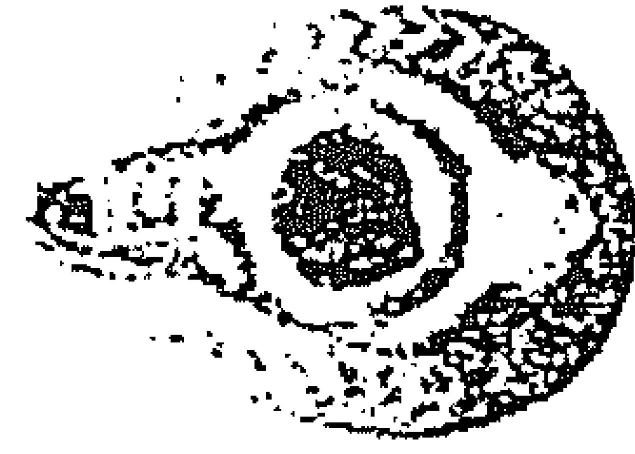


ب – قناديل



كِسَر لأباريق وقوارير مزخرفة

(لوحة 9) من المواد المعدنية

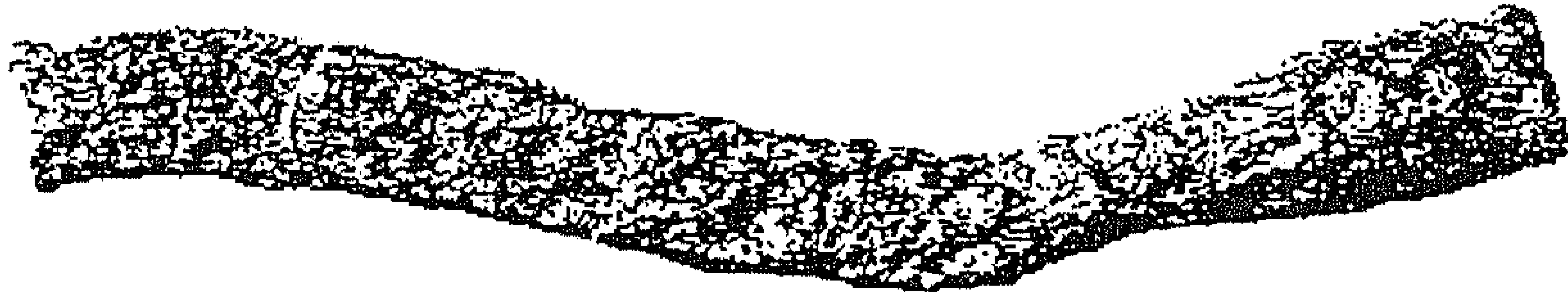


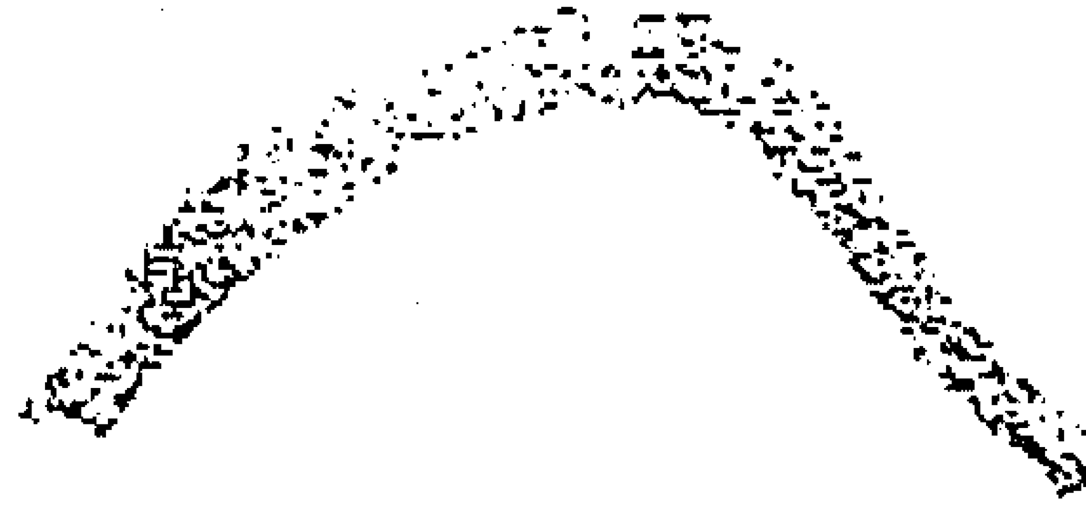




أجزاء من خواتم برونزية

قـلادة برونزيــة





مخلان من الحديد





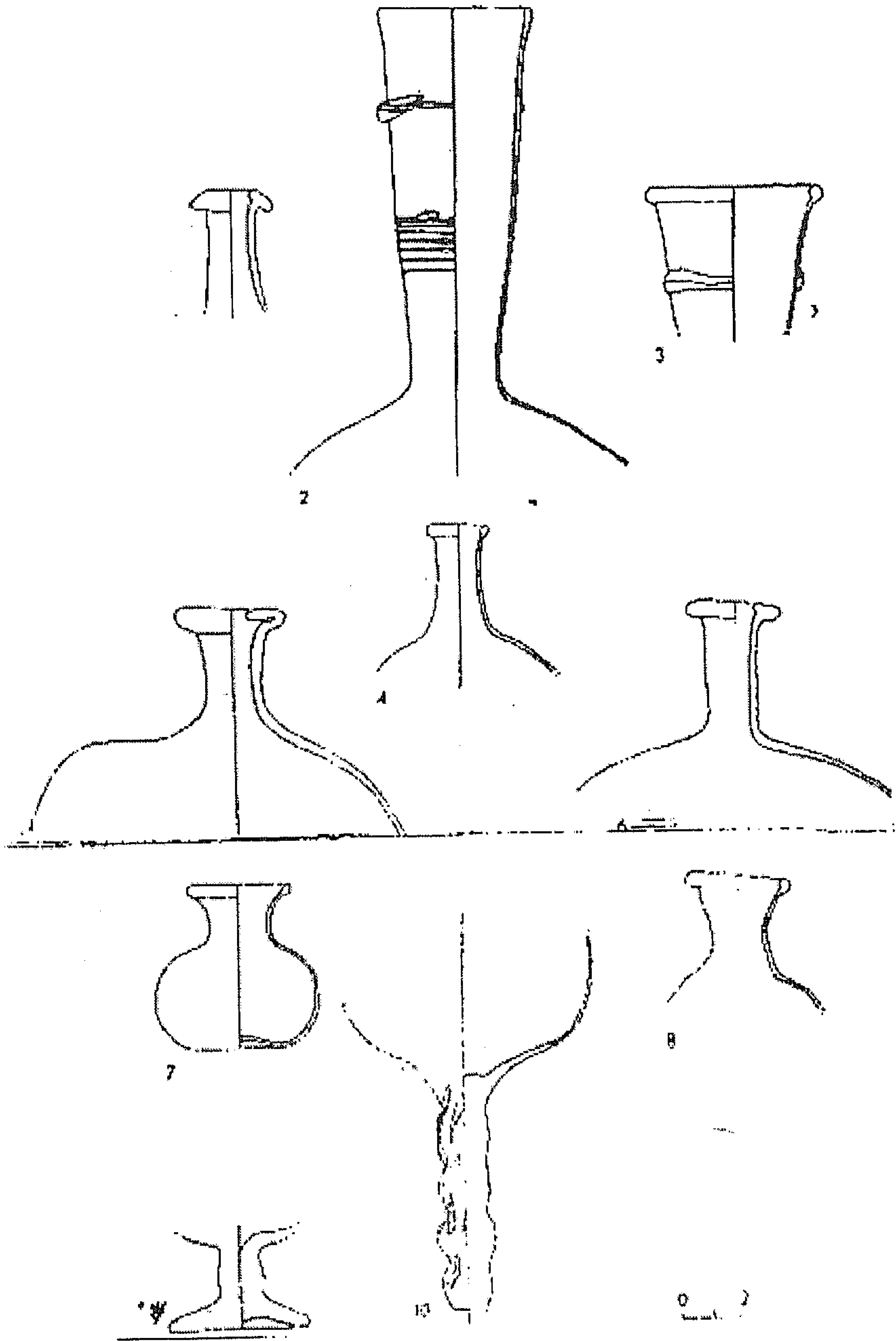
أداة حديدية لتشذيب الأشجار

قرص حديدي



خنجر طويل

(لوحة 10) من الأواني الزجاجية



(لوحة 11) العملات (النقود المعدنية)



هوامش الفصل الثاني

البحث الأول

1 – يُحدد العصر البرونزي بين 3100 – 1200 ق.م. والعصر البرونزي القديم منه بين 3100 – 2100 ق.م.

2 – الكيبوتز هو المستوطنة الصهيونية التي تمثّل تجمعاً كبيراً يعتمد على العمل الزراعي الجماعي القائم على الملكية العامة في كل شيء. ومن مهامّه وظائف الأمن والدفاع، ويشمل ذلك المناطق العربية المحتلّة عام 1967.

3 – يبدأ التاريخ الروماني البيزنطي في المنطقة من حكم الإمبراطور قسطنطين الأول سنة 313 م بعد اعتناقه المسيحية، حتى انتصار العرب في معركة اليرموك سنة 634.

4 – العصر الهلّيني: الهلينيّون أو الإغريق هم اليونان القدامى الذين سكنوا بلاد اليونان منذ العصر الحجري قبل بضعة آلاف من السنين، وقد عرفوا بالهلّينيين نسبة إلى جد أسطوري لهم هو Hellen. وبلغوا أوج الحضارة في الفلسفة والأدب والعلم في القرن الخامس ق. م.

5 – الموستيرية: أُخذت التسمية من الكهف المعروف باسم موستير في الجنوبي الغربي من فرنسا، الذي تعود آثار الإنسان فيه إلى العصر الحجري الوسيط (1200 – 800) ق.م. والذي تميّز أدواته عن العصر الحجري الأول بما قام به إنسانه من تطويرها وتشذيبها، وما زاد عليها من حيث العدد والتنوع.

6 – يحدّد العصر الحجري بأزمنة ثلاثة: الأول بين المليون و12000 ق.م والوسيط بين 12000 – 8000 ق.م والحديث بين 8000 – 4000 ق.م.

7 – الناحال مستوطنة صهيونية يقوم عمل شبيبتها على التعاون في ميدان الزراعة لتمتين علاقتهم بالأرض، وارتباطهم بجيش "الدفاع الإسرائيلي" بشكل نظامي، للدفاع عسكرياً عن مثل هذه المستوطنات لترسيخ استيطانهم فيها.

المبحث الثاني

8 – يقسم بعضهم العصر البرونزي الوسيط إلى قسمين: البرونزي الوسيط الأول بين 2100 – 1800 والبرونزي الوسيط الثاني بين 1800 – 1600 ق. م.

9 – يُحدّد العصر الحجري النحاسي بين 4000 – 3100 ق. م.

10 – رسم الكبّاش تمّت إزالته ليعاد بناؤه خارج متحف الجولان الأثري الذي أقامه الصهاينة قرب قرية قصرين.

11 – الأمفورا عند الإغريق والرومان قارورة ضيّقة العنق، كانوا يستعملونها لحفظ الخمر أو الزيت. أما أباريق الأمفورا هنا (التي ترجع إلى العصر البرونزي الوسيط) فهي جرار فخارية صغيرة أو كبيرة، لبعضها عروة، وهي قصيرة العنق، فوهتها واسعة وكذلك قاعدتها.

المبحث الثالث

12 – حدّد الكاتب أيضاً الفترات الزمنية التي تشملها الدراسةبثلاث: الفترة الأولى وهي على مرحلتين، أولاً من أواخر القرن الخامس وحتى منتصف القرن السادس. ثانياً من سنة (582 – 614) أي خلال النصف الثاني من القرن السادس وحتى الغزو الفارسي. والفترة الثانية من 614 حتى أواخر القرن السابع وبداية القرن الثامن. أما الفترة الثالثة فهي من بداية القرن الثامن وحتى منتصفه.

13 – البازليكا كلمة يونانية الأصل، تعني الصالة. وطولها عادة ضعف عرضها. وهي في الكنيسة تتكون من ثلاثة أروقة يفصل بينها صفان من الأعمدة؛ حيث يكون الرواق الأوسط أعرض من الرواقين الجانبيين. وآخر القاعة ينتهي بحنية كبيرة على شكل نصف دائرة، وترتفع عن مستوى أرضية المبنى.

14 – الأبرشية كلمة يونانية الأصل، يراد بها ولاية الأسقف الكنسية. و(الأسقف) يونانية أيضاً وتعني رئيس الكهنة الذي يتولى تدبير الأبرشية، ويراقب الأمور الدينية لرعيته.

15 – إن الكنيسة المعروفة بالبازليكا لا تختلف عن الكنيسة على شكل الصليب بأضلاعه الأربعة المتساوية ، لأن هذه قائمة أيضاً على فن العمارة الروماني البيزنطي ، إنما هي أربع كنائس بازليكية مجموعة في كنيسة واحدة.

16 – يقول الباحث في آخر الفصل الثالث ولم نذكره في حينه ، لأننا رأينا من الأفضل أن نورده هنا ، وهو «بالنسبة لاستخراج الزيت ، فإن الطريقة تقوم على تفتيت الزيتون في حوض مصنوع من البازلت مع شق مربع لحمل العارضة ، وعجلة طحن بازلتية مكوّنة من سطح أملس دوّار ، وفتحة دائرية لتثبيت العارضة الخشبية. وطريقة السحق كانت تتم على ما يبدو لمرة واحدة ، وذلك باستخدام حجرين أحدهما ضخم شبه دائري ، والآخر دائري مع فتحة كبيرة في المركز». ثم يقول : «وقد انتشر استخدام هذه التقنية في فلسطين منذ العهد الروماني بشكل كبير ، وفي محيط بحر الجليل».

17 – ورد ذكر المعجزة في أناجيل (متّى ، الإصحاح 7 ومرقس 5 ولوقا 8) وهو أن السيد المسيح بحسب متّى عبر البحيرة هو وتلاميذه وجاؤوا إلى (كورة الجرجسيين) وعند الآخَرين (كورة الجدريين) فاستقبله مجنونان بهما روح نجسة – وبحسب الآخْرين مجنون واحد – وقالا له ما لنا ولك يا يسوع. وكان هناك قطيع خنازير كثيرة ترعى. فسأله الشياطين قائلين : إن كنت تخرجنا فأرسلنا إلى قطيع الخنازير. فلمّا خرجوا دخلوا في الخنازير ، فإذا بالقطيع كله قد وثب عن الجرف ومات في المياه.

18 – هو جوزيف فلافيوس المعروف بيوسيفوس ، وقد مرّ التعريف به في الفصل الأول هامش 40.

19 – أوريجينوس (185 – 254) م فيلسوف مسيحي ولد بمصر ودرس بالاسكندرية. كان يعمل على تأييد العقيدة المسيحية باتفاقها مع الفلسفة اليونانية.

20 – أسيبوس (264 – 339) م. مؤرخ يوناني ولد بفلسطين. عيّن أسقفاً لقيصرية. كتب (التاريخ الكنسي) في عدة أجزاء ، وكان له جدال عنيف مع الخارجين عن العقيدة الأرثوذكسية وأصحاب الهرطقات.

الفصل الثالث

الآثار والمواقع الأثرية
في الأراضي المحرّرة وغير المحتلة

• **القنيطرة :**

تقع القنيطرة في الجنوبي الغربي من دمشق على بُعد 67 كم. ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر بين 950 – 1000 م.

كانت في القرن التاسع عشر عبارة عن قرية صغيرة يبلغ عدد سكانها 1000 شخص، معظمهم من الشراكسة الذين بدؤوا بالتوطّن فيها منذ عام 1872، إلى جانب بعض من البدو الرعاة. وكانت تتبع إدارياً بلدة الشيخ مسكين التابعة لمنطقة حوران. وفي عام 1893 أصبحت مركز قضاء أُلحق بدمشق.

ولموقعها الهام بين فلسطين ودمشق لا بدّ أن تكون قد عرفت العمران قبل ذلك بقرون، فاتّخذها العسكر محطة استراحة لهم، كما اتخذتها القوافل نزلاً لها في مرورها إلى لبنان عن طريق مرجعيون، وإلى فلسطين عبر جسر بنات يعقوب؛ فمنذ مطلع القرن الخامس عشر (في عهد المماليك) كان التاجر الدمشقي الكبير المعروف بشمس الدين بن المزلّق[1] على ما ورد في كتاب النعيمي: «قد أنشأ على درب الشام إلى مصر خانات عظيمة بالقنيطرة، وجسر بنات يعقوب، والمنية (في الشمالي الغربي من بحيرة طبريا)، ولم يسبقه أحد من الملوك والخلفاء لمثل ذلك، وقد أنفق على عمارتها ما يزيد على مائة ألف دينار»[2]. غير أن القنيطرة ما لبثت أن لحق بها العبث والتخريب في منتصف القرن السادس عشر «بعد أن صارت مجمعاً لقطّاع الطرق والأعراب المفسدين الذين يغيرون على التجار وغيرهم من أبناء السبيل ويتلفون أموالهم» فعمد أمير الأمراء في بلاد الشام (الوزير العثماني) لالا مصطفى باشا بموجب مرسوم سلطاني مؤرخ سنة 1576 «إلى إقامة قلعة فيها لأجل الأمن، وبناء تكية وجامع شريف وحمّام ودكاكين. وأوقف لها قرى ومزارع عديدة»[3].

ولمّا كان لالا باشا واسع الغنى، وأملاكه من الأراضي بمساحاتها الشاسعة التي لا تحدّها حدود، تمتد في الجولان من القنيطرة إلى دمشق شمالاً بما يقارب

منتصف المسافة بينهما، إلى جانب ما يتصف به من همّة عالية، فقد قام بكثير من إنشاء المباني والمزارع.

من ذلك ما أنشأه في شرقي القنيطرة من جامع وحمّام وخان وسوق تقوم على جانبيه حوانيت ومخازن غلال وغرف مخصصة نزلاً للمسافرين مع توابعها من حجرات أخرى لتأمين الخدمات وحاجات النزلاء.

غير أنه لم يبقَ من ذلك كلّه إلاّ الخراب والدمار والأحجار المتراكمة والمبعثرة من أثر الزلزال الهائل الذي حدث في المنطقة سنة 1173هـ - 1759م كما يقول أحمد وصفي زكريا[4].

وفي أواخر القرن التاسع عشر تمّ ترميم ما تهدّم من الحمام، وأُقيم مكان المسجد القديم مسجد حديث أصبح يُعرف منذ ذلك الحين باسم جامع الشركس «وهو مزيّن بزخارف بيزنطية منحوتة بإزميل على حجارة غضارية، تعدّ تحفة من نوعها» (الشكل 1)، وبالقرب منه عمود من الغرانيت مصقول بشكل جيد، طوله (2.35)م وقطره (53.35) سم. وإلى جانب تلك الزخارف تشكيل زخرفي محفور على حجر بازلتي (الشكل 2)، ورموز مسيحية على شواهد قبور من البازلت تحمل كتابات يونانية (الأشكال 3 – 5)، كما أن هناك رسوم صلبان (الشكل 6) على عمود باب السوق[5].

أما الخان القديم فقد بنيت على خرائبه السرايا (دار الحكومة) (الشكل 7) الأرضي ويشتمل على الإسطبلات، والثاني خُصّص سكناً للموظفين والجنود.

وبعد أن تحرّرت القنيطرة سنة 1974، أُحدثت دائرة الآثار في المحافظة سنة 1983. وبتاريخ 31 كانونَ الأول 1992 صدر مرسوم جمهوري بجعل مبنى السرايا متحفاً.

● بريقة :

تقع قرية بريقة، وهي من القرى التي يقطنها الشراكسة، على بعد 12 كم إلى الجنوبي الشرقي من القنيطرة. وقد استخدم سكانها الأحجار القديمة في بناء مساكنهم، ممّا عمل على ضياع آثار البناء القديم، وإن كان هنالك ما يشير إلى أن الطرف الشرقي من البلدة كان محصّناً بسور قوي من الأحجار البازلتية.

وتبدو آثار العصر الروماني واضحة من وجود «بئر من أصل روماني»[6] وبقايا أعمدة رومانية[7]. وكان باستطاعة المرء في أواخر القرن التاسع عشر — كما يرى شوماخر — أن يعثر في القرية على «أشكال صلبان وزخارف من الأزمنة القديمة على العتبات العليا للأبواب، وإحدى هذه الحلي الزخرفية الجديرة بالانتباه ما يبدو في (الشكل 8)، وهو يحمل رسم الصليب والشمعدان اليهودي»[8].

غير أن الشمعدان لم يكن وقفاً على العقيدة اليهودية كما مرّ معنا من قبل عند حديثنا عن قرية الفرج؛ فقد كان المسيحيون الأوائل يستخدمونه، فلا يمكن أن نعدّ رسم الشمعدان المحفور على حجر في قرية البريقة وإلى جانب الصليب على أنه أثر يهودي. وقد تنبّه شوماخر إلى ذلك في كلامه، فاستدرك يقول: «ويبدو في الواقع كما لو أن الأخير (أي الشمعدان) قد أضيف كملحق للصليب».

وبالإضافة إلى ذلك، فقد ورد في كتاب (كنيسة العرب المنسيّة) لتيسير خلف أن موقع البريقة كان يضمّ ديراً في الطرف الجنوبي منه، ويبدو بشكل سليم نسبيّاً، ويضمّ عدة أبنية منها بناء مقنطر، وبناء آخر لا يزال الدرج قائماً في أحد جدرانه، وكذلك في الموقع بيوت تحت أرضية مسقوفة بألواح حجرية[9] وكل ذلك يرجع إلى العصر الروماني — البيزنطي.

• الرفيد:

تقع الرفيد في الطرف الشرقي من المنطقة الوسطى في الجولان (شرقي تل الفرس).

ويقول شوماخر بأنها من أهم الخرائب القديمة، كما أن غزارة نبعها ووفرة مياهها وخصوبة تربتها وسهولها الفسيحة هو ما جعل الناس يتوطّنون فيها، وما جعلها مسكونة حتى وقت قريب.

ويستدلّ من آثارها أنها تتميّز بفترتين معماريتين: النمط الحوراني القديم في الأسفل، والعربي على سطح الأرض. الأول يتمثل في ما تبقى من بناء مغطّى بالصفائح البازلتية، إلى جانب الحجارة البازلتية غير المنحوتة. والثاني تعبّر عنه أجزاء من المباني التي يعود أصلها إلى الحقبة العربية[10].

ويقول سليمان المقداد: «الرفيد بلدة غنية بالمباني القديمة التي يعود تاريخها للعهد الروماني، والبيزنطي، والعصور الوسطى. وقد أصبحت أثراً بعد عين. ومن الصعب تمييز بقايا المباني التي كانت قائمة فيها؛ ومن ذلك المسجد والكنيسة»[11].

ومن هذه البقايا الأثرية ما يشير إلى أن أقواس البناء كانت تحمل سمات النمط الحوراني، ويدلّ على ذلك أحد العقود المبيّن في (الشكل 9)، والغرف الحجرية ذات الأبواب المربعة، والتي تعلو عتباتها العلوية كوى مربعة أيضاً (الشكل 10). وأحياناً تظهر على تلك العتبات أشكال محفورة لطيور وصلبان (الشكل 11 و12). وتقدر سماكة الجدران لهذه الغرف نحو 91 سم. أما أعمدة الأبواب المنحوتة بدقّة وعناية فمزيّنة بأشكال مختلفة من الصلبان (الشكل 13) كالتي وُجدت في القنيطرة (الشكل 3). ويعود كل ذلك إلى الحقبة المسيحية (العربية).

وقد تبيّن من أساسات أحد الأبنية أنها لمبنى ربّما يكون لكنيسة، وهو ما يوضحه – على أساس ذلك – الرسم المخطط في (الشكل 14)، كما تبيّن أن حجارة الجدران لهذه الكنيسة بعضها كبير ومنحوت بعناية، وبعضها بدائي. ويتماسك بعضها ببعض بواسطة الملاط (الشكل 15). ويعرض سليمان المقداد في مقاله الذي ورد من قبل، صورةً لكنيسة أثرية في منطقة الرفيد، كان قد دمّرها العدو الصهيوني في حرب تشرين التحريرية (الشكل 16).

• جبـا:

هي إحدى قرى ناحية (خان أرنبة) وتقع إلى الجنوبي الشرقي منها. وتبعد عن مدينة القنيطرة شرقاً 10 كم. وقد وُجّهت إليها الأنظار لما لها من أهمية تاريخية وآثارية، وهو ما يتناقله أهل البلدة منذ منتصف القرن التاسع عشر؛ فقد أشار أحمد وصفي زكريا إلى ما يذكرونه بأن في الناحية الشرقية منها «يوجد نفق طويل له تعاريج كثيرة لا يُعرف آخره، ولا يُعلم إن كان في الماضي نفقاً أم قناة ماء. وقيل أن الرجل يستطيع أن يمشي في أماكن منه وهو قائم، وفي بعضها لا يستطيع إلاّ وهو زاحف»[12].

ومن الآثار المتبقية في قرية جبا كما أشار سليمان المقداد «كنيسة أثرية لم يبقَ منها إلاّ المذبح»[13] (الشكل 17) كما أن فيها مزار سعد الدين الجباوي مؤسس الطريقة السعدية[14].

وخلال حفريات الصرف الصحي في القرية سنة 1999 عُثر على ما يشير إلى وجود قبور قديمة، وعندما تمّ التنقيب عنها تبيّن أنها بضعة قبور. وفي أحد الدور القريبة منها اكتشفت ثلاثة قبور أخرى، واتجاهها كلّها من الشرق إلى الغرب، وهي جميعها ترجع إلى العصر الروماني[15].

• نبع الصخر:

تقع قرية (نبع الصخر) وهي جنوبي قرية جبا، في الجنوبي الغربي من مدينة القنيطرة التي تبعد عنها 14 كم.

وقد شَكّلت المديرية العامة للآثار والمتاحف (في دمشق) بعثة وطنية لتعمل في دائرة آثار القنيطرة بالتنقيب في القرية، فتوصّلت في شهر تشرين الأول سنة 1995 إلى اكتشاف مدفن أثري ضخم بطول 22 متراً، وعمق لا يقل عن 1.5م؛ وذلك عن طريق بابٍ بارتفاع 2 م وعرض 80 سم، يعقبه نفق ذو درجات (18 درجة)، وعرضه متر واحد يؤدي أولاً إلى غرفة للدفن طولها 3 م وعرضها حوالي 2.5م، ثم إلى حجرة على شكل سرداب بطول 6 م وعرض 1.5م. والسقف مغطّى بأحجار بازلتية كبيرة.

وقد جُمع من المدفن أوانٍ فخارية من أباريق وجرار وقدور (الشكل 18 و19) وهي بأشكال وأحجام وألوان مختلفة.

وتبيّن من أنماط الفخّار المكتشفة أن المدفن يعود إلى العصر البرونزي الوسيط الثاني؛ أي أنه كما يقول د. سلطانِ محيسن — المدير العام للآثار والمتاحف آنذاك – «يقابل الموجة الأمورية الثانية التي استقرت في بلاد الشام والرافدين[16]، وأسّست ممالك عدّة، ومثل هذه المدافن وفخارها بخاصة ظهرت في أماكن عديدة بسورية، ووجودها في منطقة الجولان، ودلالة ذات معنى على الوحدة الحضارية في بلاد الشام»[17].

كما تمّ اكتشاف مدفن آخر بالضخامة نفسها جنوبي المدفن الأول، ويبعد عنه 15 م وهو على عمق 14 م من سطح التل، وشبيه به؛ إذ يبدأ بدرج طوله 10 م، ويؤدي إلى سرداب طوله 5 م ثم إلى حجرة الدفن.

وفي تموز سنة 1999 بدأت البعثة الوطنية عملها بالتنقيب في موقع (نبع الصخر) وكان ذلك:

أولاً : في بقعة تقع في الجهة الغربية من قمة التل، وقد عُثر بعد الحفريات فيها على قطع فخارية، وعلى بقايا فرن لشي الفخار. ويدل نمط هذه الفخاريات على أنها تعود إلى العصر الروماني – البيزنطي، وأكثرها مخطط باللون الأسود على أرضيّة بلون زهري فاتح، والخطوط السود تمتدّ بشكل منحنٍ من الفوهة حتى ما قبل القاعدة.

ثانياً : في بقعة تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من انحدار التل. وقد اكتشف فيها بقايا سور كان يحيط بالموقع، وهو من أحجار بازلتية ضخمة، غير منحوتة.

وأكثر الموجودات التي عُثر عليها داخل السور ترجع إلى العصر البرونزي الوسيط ومنها[18]:

1 – قُطع حجرية دائرية الشكل، مختلفة الأحجام، ربما كانت تُتَّخذ وزنات أو تُستخدم لإغلاق الأبواب.

2 – قطع حجرية تمثّل أجزاء من أجران، ذات أحجام مختلفة.

3 – مدقّة حجرية بمقبض طويل وقاعدة دائرية.

4 – قطعة حَجَرية بيضاء اللون على شكل قرص دائري مثقوب من الوسط، قطرها 4.5 سم وسماكتها 2.2 سم، وربما كان يستخدم كتعويذة.

5 – جرّة فخارية صغيرة، خشنة الملمس طولها 18.5 سم وقطرها 11.5 سم. لونها بني فاتح ولها عروة بطول 5 سم، ويشوبها بعض الخطوط الدائرية.

6 – كوز من الفخّار مفلطح الشكل بلون بني فاتح، طوله 20 سم وقطر البطن 12سم، ومزيّن بزخارف، وله عروة بطول 4.5 سم، أما العنق فطوله 5 سم.

7 – جرّة من الفخّار كبيرة الحجم ترجع إلى الفترة الرومانية، مزيّنة بخطوط سود على أرضية بنيّة فاتحة، عنقها طويل، ولا قاعدة لها. أما ارتفاعها فهو 46 سم، وقطرها 32 سم.

8 – جرّة من الفخار متوسط الحجم، ذات لون بنّي غامق، ارتفاعها 24.5 سم، وقطرها 20 سم.

9 – قرص دائري من الفخّار، مثقوب الوسط، سماكته 1.8 سم وقطره 2.5 سم، وربّما كان يُتّخذ كتعويذة.

10– تمثال صغير من الفخّار، لونه مائل للخضرة. فُقد منه الرأس والقدمان، لامرأة عارية تضع يديها تحت ثدييها. ربما تمثّل الإلهة عشتار. وطول هذه الدمية 8.5 سم، وعرضها في الأعلى 4 سم، وفي الأسفل 3.5 سم.

11– تمثال صغير آخر من الفخّار، فُقد منه القدمان، لامرأة عارية تضع يديها على ثدييها، وربما تمثّل عشتار أيضاً. وطول هذه الدمية 8.5 سم وعرضها في الأعلى 3 سم. وفي الأسفل 2 سم.

12– حلية عظمية على شكل نصف كرة صغيرة، مثقوبة من الوسط. قطرها 4 سم وارتفاعها 1.5 سم. الوجه العلوي (النصف الكروي) أملس، والوجه السفلي (المسطّح) مخرّش.

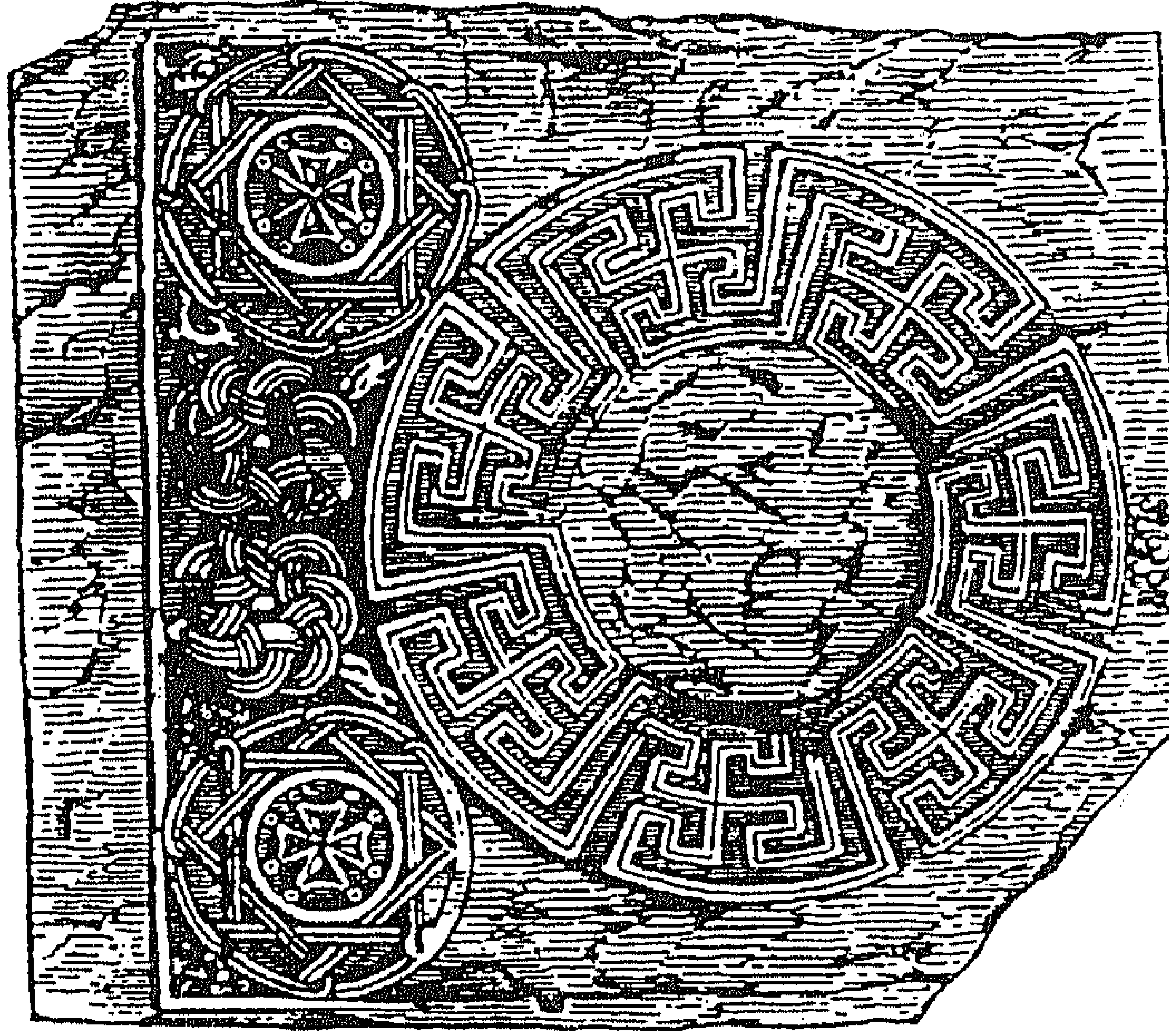
13– قرن وعل أبيض اللون، مدبّب النهاية، تبدو عليه خطوط طولانية طبيعية، طوله 17 سم وقطره 2.5 سم.

14– خمس قطع من الحليّ المصنوعة من العاج، مختلفة الأحجام، قطر كل منها يتراوح بين 1.5 سم و4 سم.

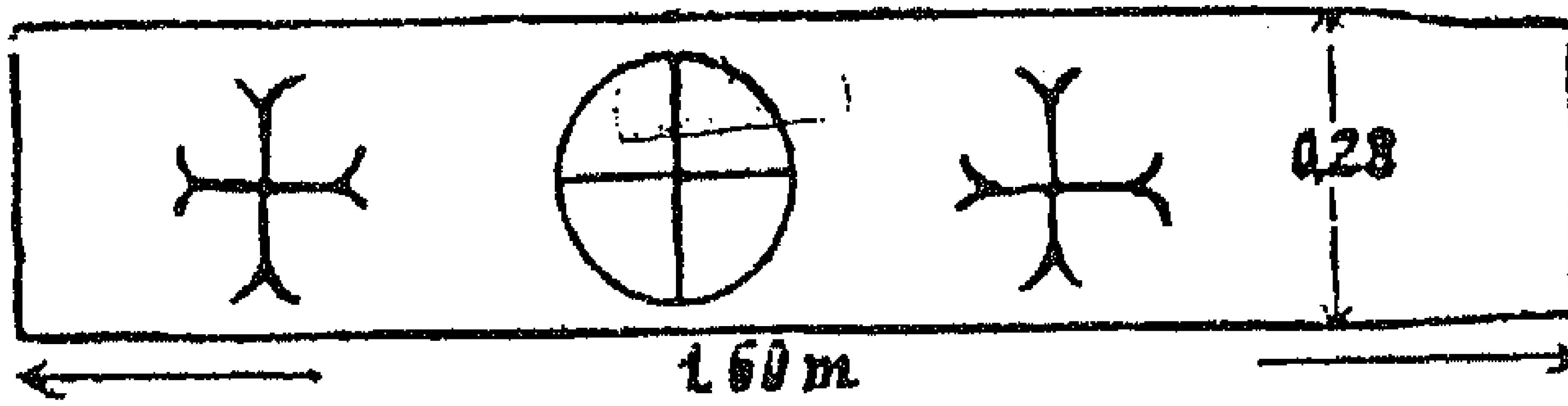
15– ناي من العاج مثقوب من الوسط، طوله 9.5 سم وقطره 1.4 سم.

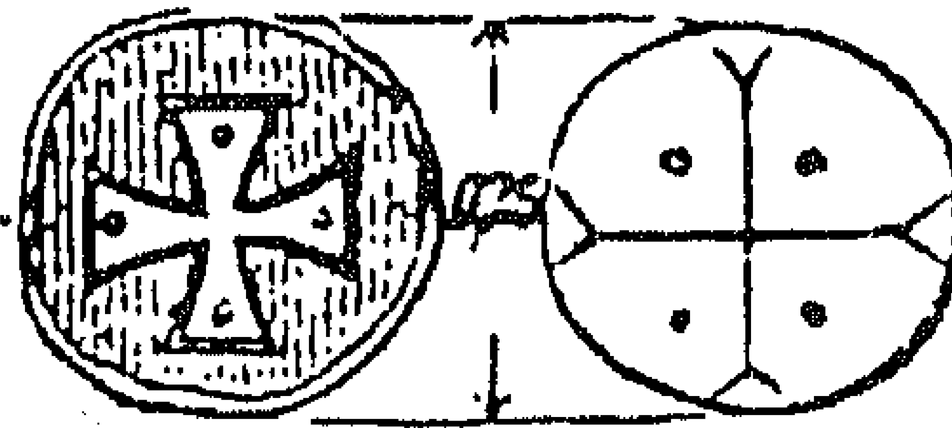
• مسحرة:

تقع إلى الجنوبي الشرقي من جبا، وعلى بعد 11 كم شرقي القنيطرة. وكان قد اكتشف في قرية مسحرة بعض الآثار، وأبرزها تمثال حسناء الجولان بالحجم الطبيعي، وهي تبدو مستندة على إحدى رجليها في حين أن رجلها الأخرى منثنية، مما جعل لثوبها الواسع الفضفاض ثنيات متوازية ومنحنية جميلة[19].



(الشكل 1) القنيطـرة

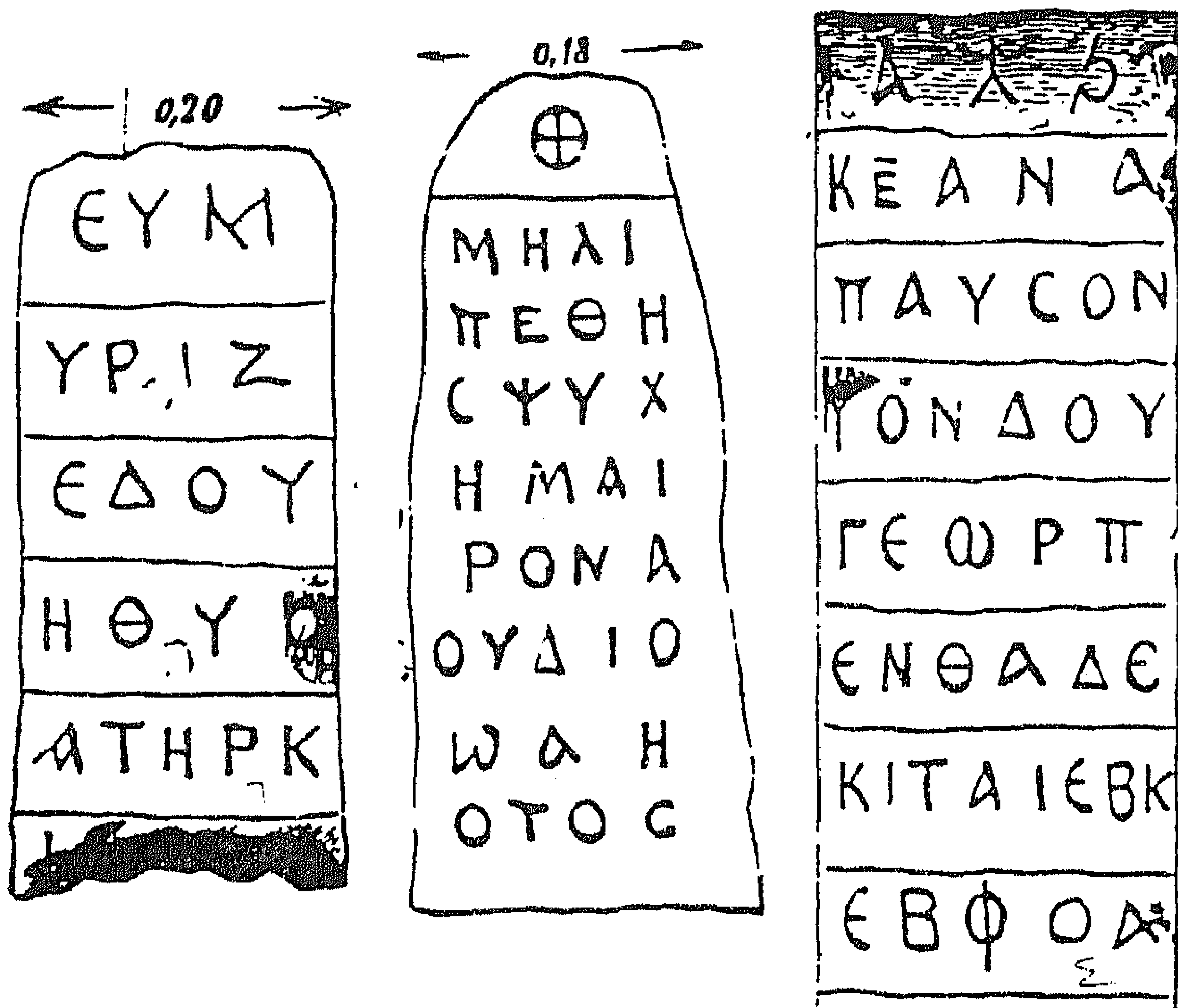




(الشكل 3) أشكال من الصلبان
على عمود باب السوق : القنيطرة



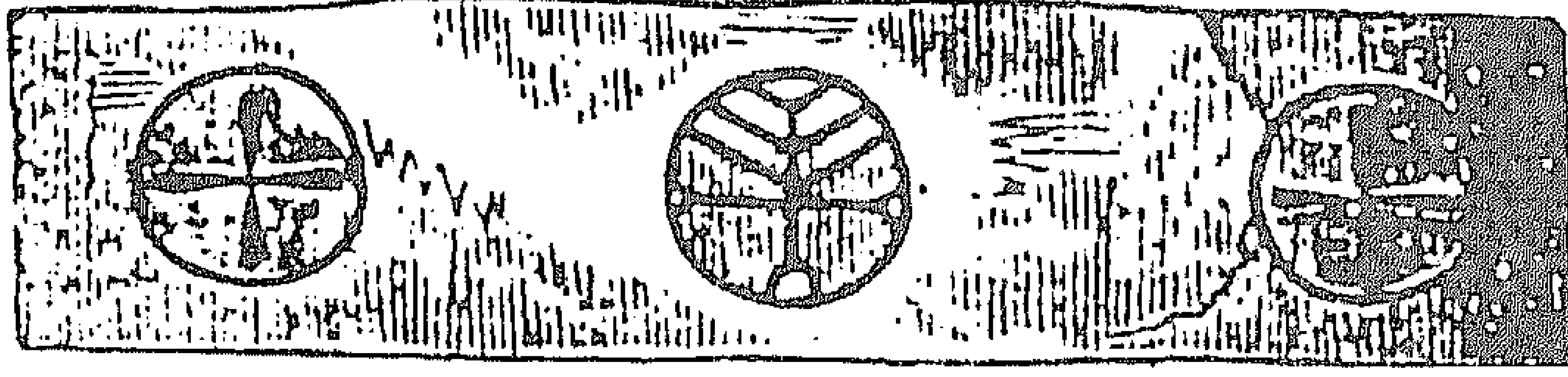
(الشكل 2) القنيطـرة



(الشكل 4- 6) كتابات يونانية على شواهد القبور : القنيطرة

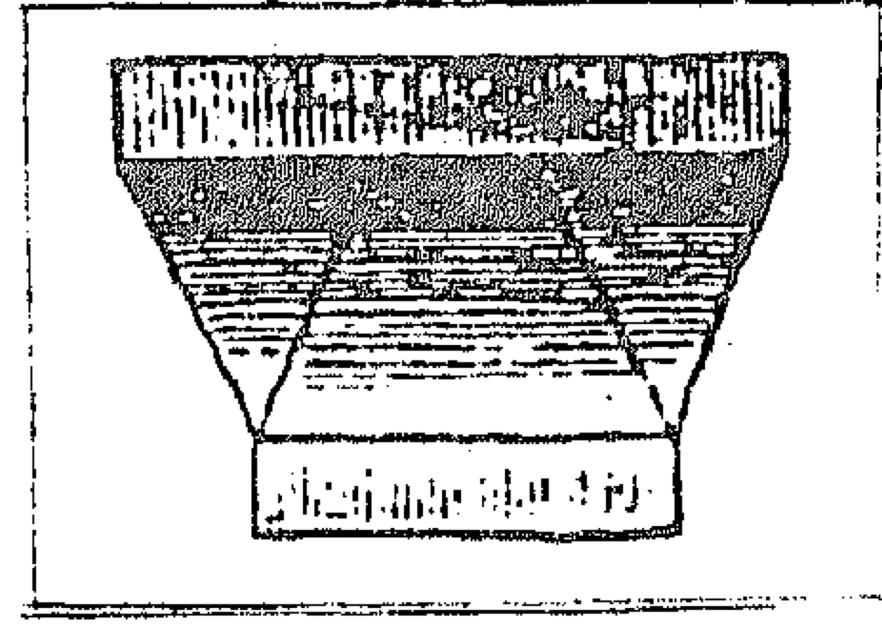


(الشكل 7) السرايا أو دار الحكومة : القنيطرة



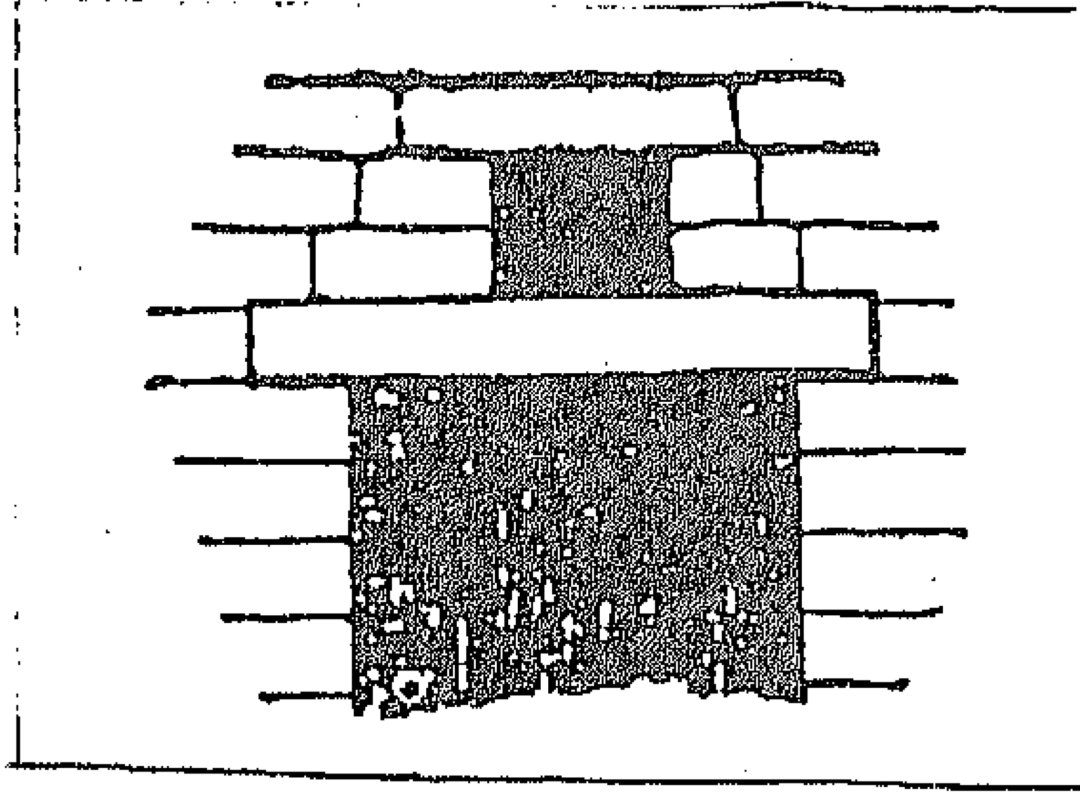
(الشكل 8)

صلبان وزخارف على العتبات العلوية للأبواب : البريقة



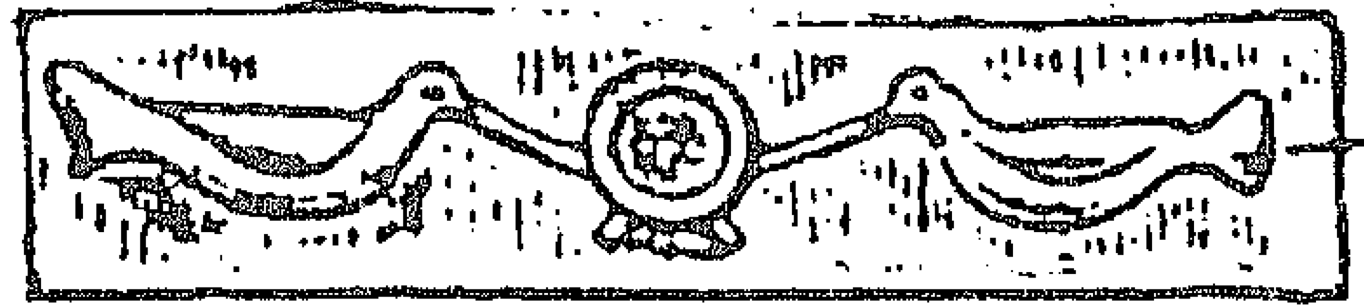
(الشكل 9)

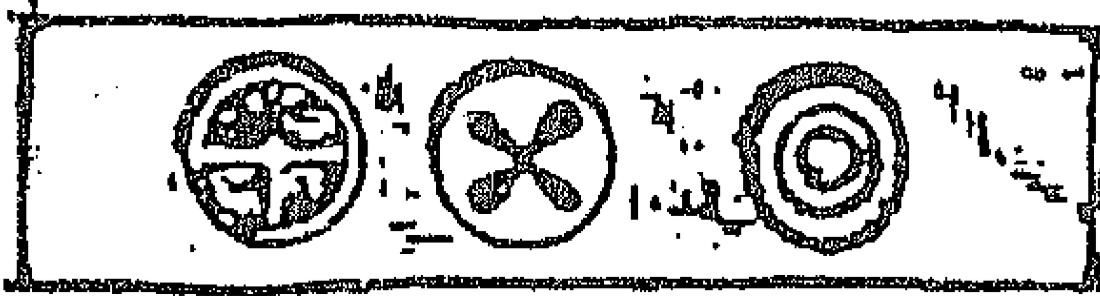
من عقود الأقواس : الرفيد



(الشكل 10)

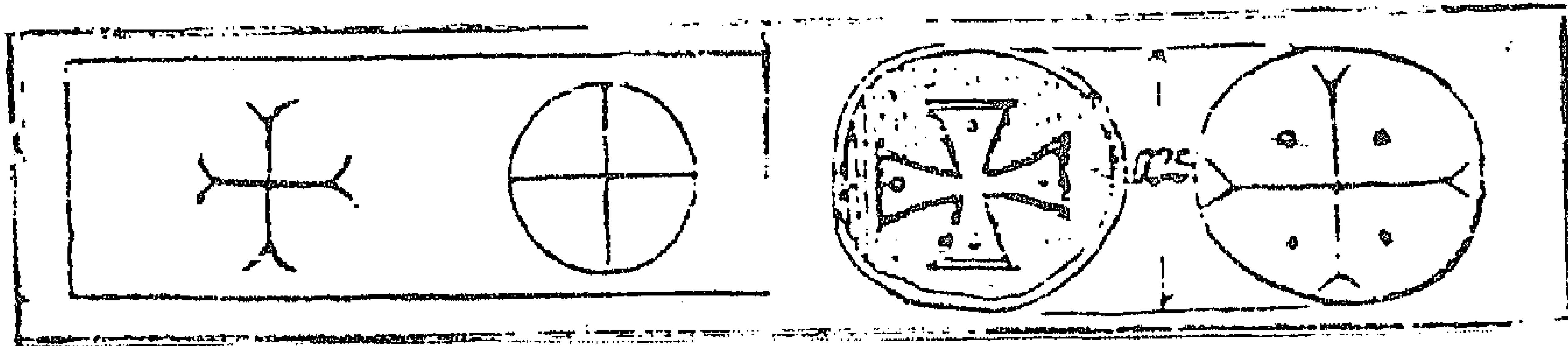
نموذج من الأبواب المربعة : الرفيد





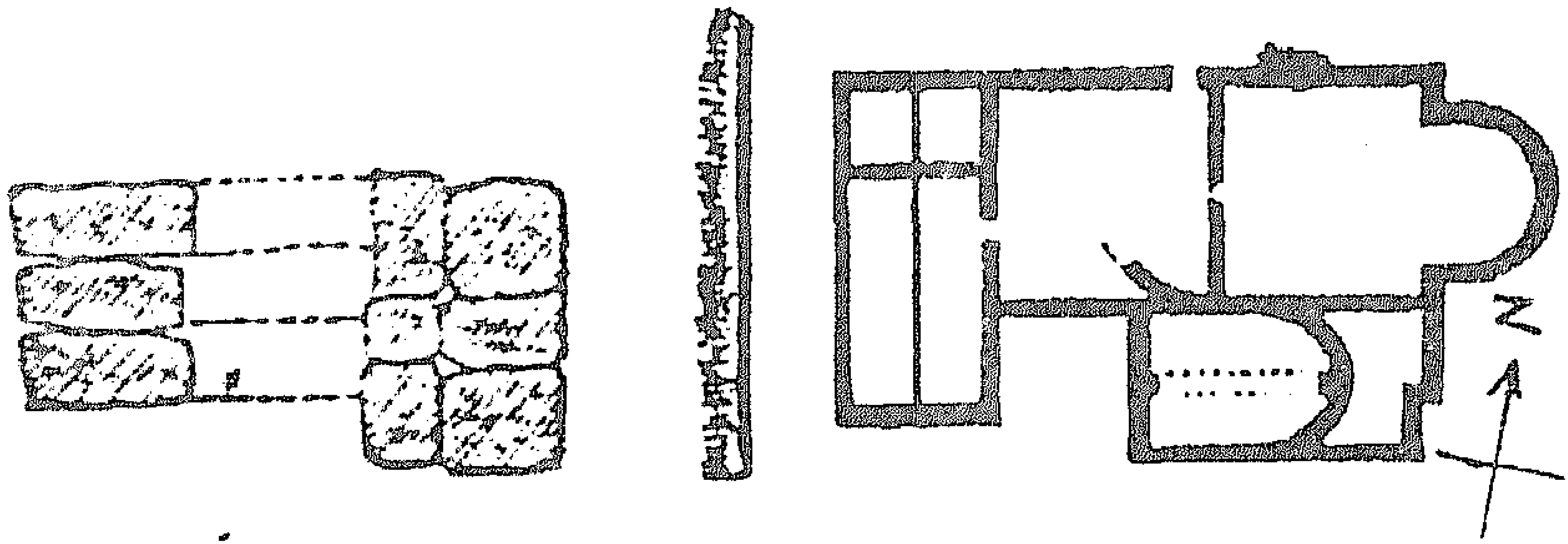
(الشكل 11و 12)

زخارف على عتبات علويّة : الرفيد



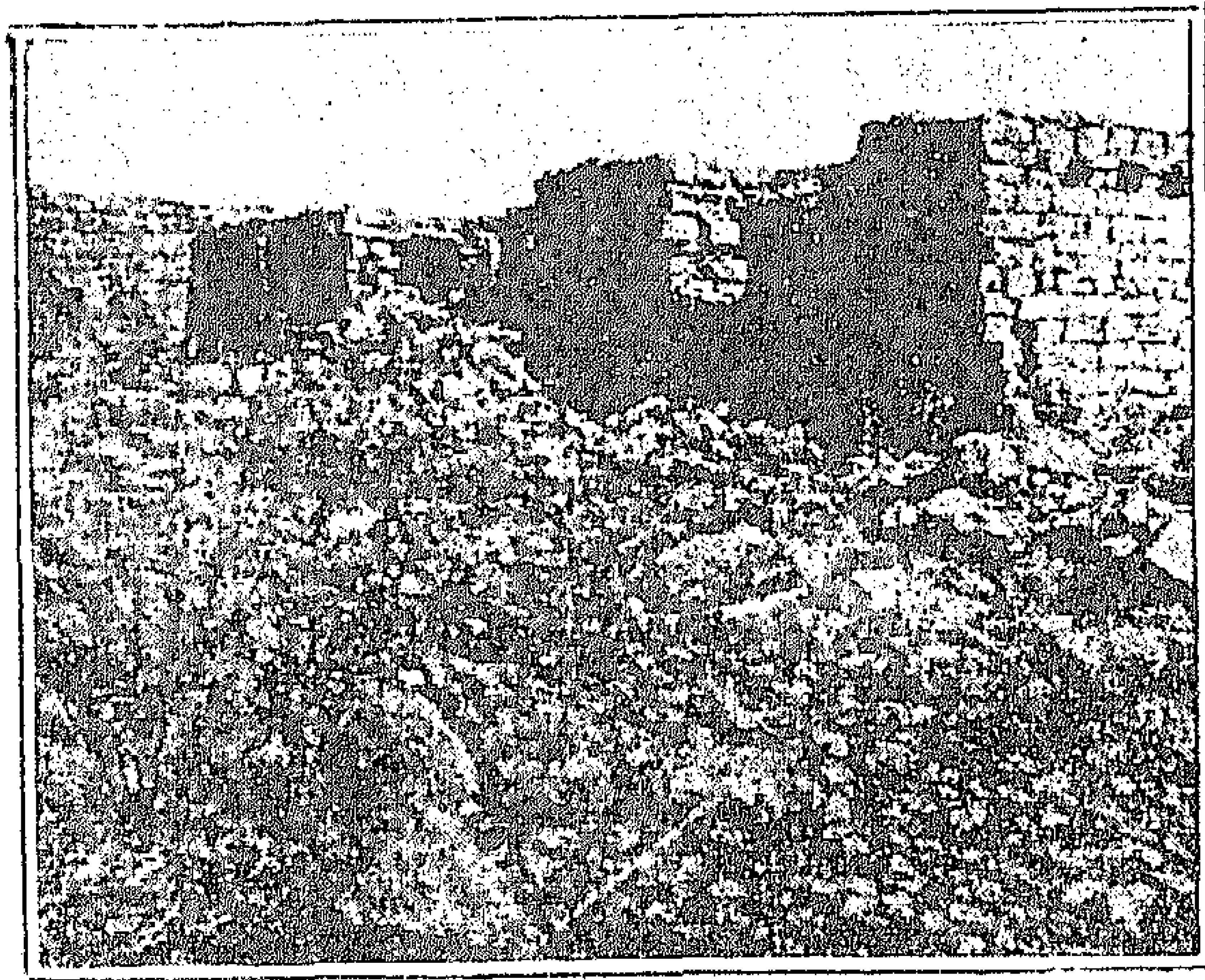
(الشكل 13)

أشكال من الصلبان على الأعمدة : الرفيد

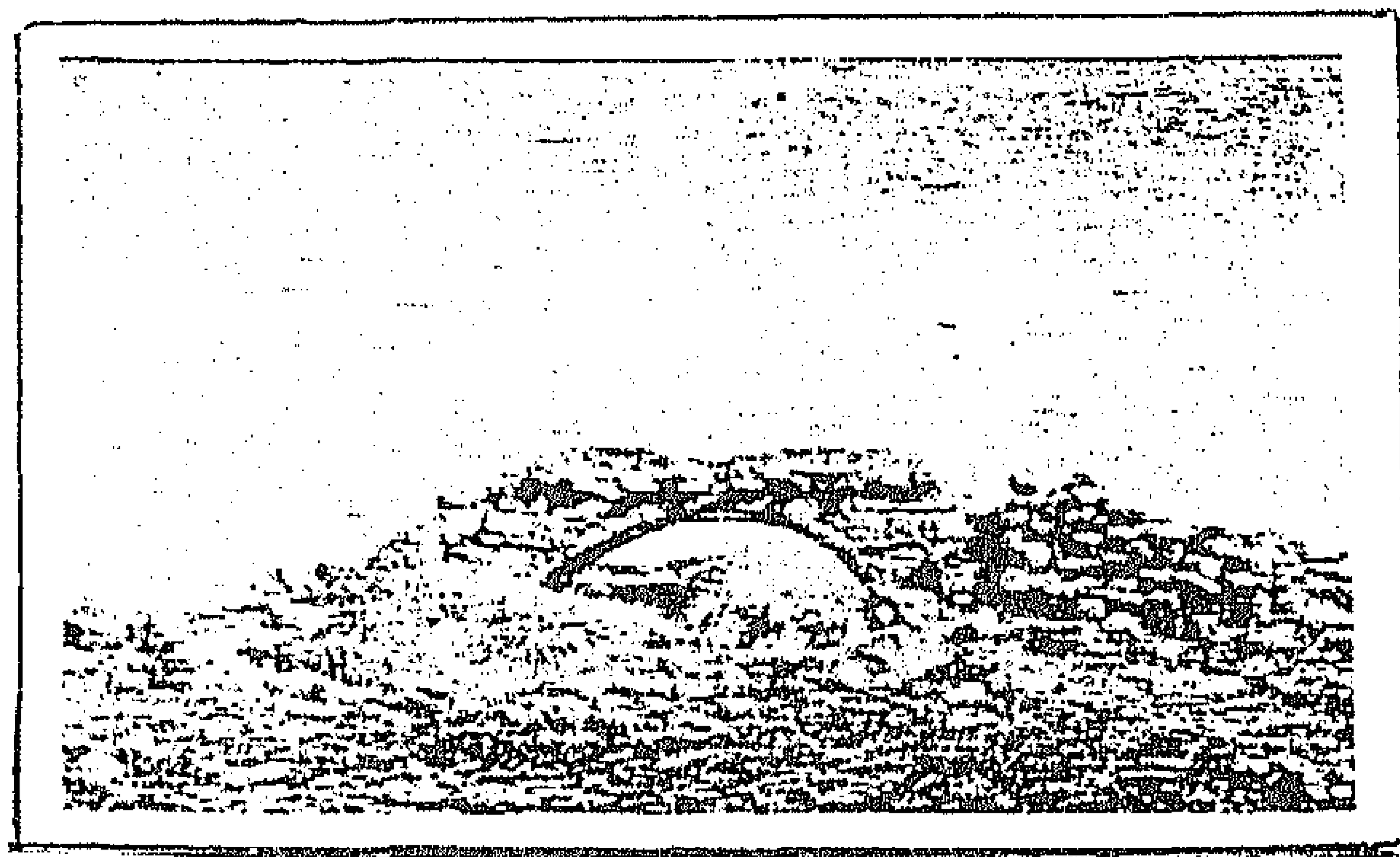


(الشكل 15) توضّع الأحجار في الجدران: الرفيد

(الشكل 14) مخطط كنيسة في الرفيد



(الشكل 16) كنيسة أثرية في منطقة الرفيد، دمّرها العدو الصهيوني قبل انسحابه



(الشكل 17) بقايا كنيسة : الرفيد

أشكال من الأواني الفخارية (نبع الصخر) :



(الشكل 18)



(الشكل 19)

هوامش الفصل الثالث

1 – هو أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي بكر المعروف بابن المزلّق (1353 – 1444) م.

2 – عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (الدارس في تاريخ المدارس) تحقيق جعفر الحسني، ص 290.

3 – انظر أحمد وصفي زكريا (الريف السوري، محافظة دمشق) ج 2. (م. س) ص 541.

4 – (م. س) . ص 543.

5 – شوماخر (م. س) ص 136.

6 – د. أديب باغ (م. س) ص 207.

7 – أحمد وصفي زكريا (م. س) ص 501.

8 – شوماخر (م. س) ص 85.

9 – تيسير خلف (كنيسة العرب المنسية) ص 115.

10 – شوماخر . ص 144.

11 – سليمان المقداد. مجلة (العمران) ع 57 – 58 (م. س) ص 41.

12 – أحمد وصفي زكريا (م. س) ص 501.

13 – سليمان المقداد . مجلة (العمران) (م.س) ص 40.

14 – سعد الدين الجباوي هو سعد الدين بن فريد الجباوي الشيباني، من قرية جبا. كان في مطلع شبابه من قطّاع الطرق. تاب بعد ذلك وتنسّك، واتخذ زاوية له في دمشق واشتهر بطريقة صوفية عُرفت باسمه. توفي سنة 621 هـ/1224م ودفن في بلدته.

15 — المديرية العامة للآثار والمتاحف. دمشق 1999.

16 — بدأت موجة الأموريين تستقر في بلاد الشام والرافدين منذ الألف الرابعة أو الخامسة ق.م.

17 — المديرية العامة للآثار والمتاحف ، دمشق. من كتاب للدكتور سلطان محيسن إلى السيدة د. وزيرة الثقافة.

18 — المديرية العامة للآثار والمتاحف 1999.

19 — بشير زهدي في (ندوة الجولان التاريخية) 1987 ص 85.

الفصل الرابع

تعقيبات ختامية

تعقيبات ختامية

-1-

عاش الإنسان القديم، فيما يُعرف بالجولان، منذ آلاف السنين، وقد استدلّ الآثاريون على ذلك ممّا اكتشفوه من هياكل عظمية، بشرية وحيوانية أو أجزاء منها، وممّا خلّفه ذلك الإنسان عن أدوات بدائية صنعها من الحجر والعظام، تفيده في معيشته والحفاظ على حياته والدفاع عن نفسه، ما لبث أن طوّرها مع الزمن من عصر إلى عصر. وكل ذلك يعود تاريخه إلى العصور الحجرية القديمة. «فقد اكتُشفت في سورية ولبنان وفلسطين مواقع أثرية يرجع تاريخها إلى مئات آلاف من السنين؛ منها في فلسطين (موقع العبادية) في الضفة الغربية بالقرب من بحيرة طبرياً، و(موقع جسر بنات يعقوب) بين الحولة وطبريا، و(موقع مغارة الطابون) بالقرب من جبل الكرمل، وفي لبنان (موقع جب جنين) وفي سورية موقع في أسفل جبل حرْمون»[1]. والمطّلع يدرك من ذلك أن بعض هذه المواقع يقع في الجولان أو في محيطه. والحقيقة أن الصلات كانت وثيقة بين النصف الشمالي والنصف الجنوبي من سورية. ورغم الطبيعة السورية الفلسطينية المتفاوتة كما يقول محمد وحيد خياطة «فإنه لا يمكن فصل تاريخ فلسطين عن سورية في العصور القديمة بشكل من الأشكال؛ لوحدة المصير المشترك الذي يربطهما، ذلك أن فلسطين هي جزء من تاريخ المنطقة الحضاري، ومرتبطة ارتباطاً عضوياً بسورية»[2]. وعلى سبيل المثال فإن صناعة الفخّار الذي عرفته سورية في منتصف الألف السادس ق.م سرعان ما وصلت إلى فلسطين قادمة من المواقع السورية.. ومنذ نهاية الألف الخامس ق.م وخلال الألف الرابع ساد تجانس حضاري كبير في كل مناطق بلاد الشام[3].

وفي العصر الحجري الحديث (8000- 4000) ق.م تطورت أشكال المساكن، وتعدّد استخدامها، من الحُفر والمغاور والكهوف إلى بناء الأكواخ

والبيوت. واختلفت المواد التي تستخدم في بنائها، فانتقل الإنسان من مرحلة الصيد والالتقاط إلى مرحلة الزراعة وتدجين الحيوانات.

وفي هذه المرحلة من العصر الحجري الحديث، كانت أولى القبائل العربية أي الكنعانيون والآموريون قد هاجروا إلى سورية القديمة (الطبيعية) كما كانت تعرف منذ القديم (أي سورية ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن) أو ما أصبح يعرف فيما بعد ببلاد الشام، واستوطنوا فيها.

وبحسب ما يقوله التوراتيون انتشر الكنعانيون (نسبة إلى كنعان من أحفاد نوح) في أرض فلسطين التي تشمل ضفتي الأردن، كما يقول أحد التوراتيين، وهو D. Baly في كتابه (جغرافية التوراة) 1974، ويعقّب وايتلام على ذلك بقوله «المشكلة هنا هي أن الاسم الذي يطلق على فلسطين لا يزيد على كونه تعبيراً مختصراً عن (أرض التوراة). فالاعتبارات الدينية والتعريفات التوراتية هي التي تفرض نفسها على أي فهم لتاريخ المنطقة»[4] وذلك من وجهة نظرهم.

غير أن لفظ كنعان، وربما يكون معناه الأرض المنخفضة، هو «قديم جداً، يرجع إلى ما قبل عهد التوراة بعدّة قرون»[5] فهو تسمية جغرافية «وليست توراتية كما يعتقد الكثيرون؛ إذ كانت تطلق على سكّان المناطق الجنوبية الغربية من سورية، وبهذه الدلالة كانت ترد في النصوص المصرية القديمة»[6].

كما أن الآموريين الذين استوطنوا أولاً سورية الداخلية، بما فيها بادية الشام «لا تحمل تسميتهم بالآموريين معنىً عرقياً، بل معنىً جغرافياً، وهي من كلمة (مارتو أو أموروم) وتعني الجهة التي دخلت منها هذه الموجات — فيما بعد — إلى بلاد الرافدين، أي جهة الغرب»[7].

وقد عمّت الحضارة الكنعانية كل مناطق سورية الطبيعية، وطبعت سكانها على اختلاف فئاتهم وأصولهم بطابع (عربي) خاص، بعد أن تفاعلت مع حضارات الشعوب المجاورة كالمصريين والبابليين والآشوريين والحثّيين والحوريين.

برع الكنعانيون في الزراعة والصناعة، كما اشتغلوا في صناعة التعدين، وتوصلوا إلى اكتشاف البرونز من معدني النحاس والقصدير، وبرعوا في صناعة الفخّار والزجاج والعاج والأصباغ، وصنعوا الأدوات والأواني المختلفة والأسلحة

المتباينة، وعملوا في إنشاء البيوت المتواضعة والفخمة كما يقتضي الحال، إلى جانب أماكن العبادة والهياكل، واستخدام الفنون المختلفة من زخرفة وتصوير ونحت، واستخرجوا بمهارة الخمور من ثمار العنب والتين، واستخدموا المعاصر لصناعة الزيت.

واخترع الكنعانيون السفينة، ومارسوا التجارة البرية والبحرية، وكان للكنعانيين آلهتهم وطقوسهم الخاصة في العبادة، ومن أشهر هذه الآلهة (إيل) و(بعل) و(عشتروت) التي حيكت حولها الأساطير.

ومن أهم اختراعاتهم الحروف الهجائية (الأبجدية). «ومن المتّفق عليه الآن أن الكنعانيين كانوا أول من استعمل الحروف الهجائية في الكتابة، ومنهم انتقلت إلى الفينيقيين (سكان الساحل) الذين نقلوها بدورهم بين سنة 850 و750 ق.م إلى الإغريقية واللاتينية»[8].

وقد استطاع الكنعانيون في مرحلة من تاريخهم إقامة عدد كبير من المدن والدويلات التي كنا تعرضنا إلى ذكر بعضها في بداية البحث. إلاّ أنهم لم يتمكنوا من إنشاء ممالك كبيرة في سورية الجنوبية والوسطى، كالتي عرفها المشرق العربي القديم، كمملكة ماري وإيبلا والممالك الآشورية والبابلية، ويعود السبب في ذلك إلى أن الكنعانيين هنا كان يهمهم الاستقرار في العيش قبل كل شيء، خاصة بعد أن رأوا كيف تتحوّل أرضهم بين فترة وأخرى إلى مسرح للحروب والاقتتال بين الأقوام المتناحرة التي تطلّ عليهم من الغرب والشمال.

ثم إنهم كانوا يدركون أن استقرارهم المنشود لا يمكن أن يتحقّق ويستمر مع الرغبة في الصراع لإخضاع دويلات المدن لسلطة واحدة، تتمثل في حاكم تدفعه أطماعه وطموحاته إلى فرض قوّته وهيمنته على الجميع، لكنهم رأوا أنه من الأجدى أن يكتفوا باستقلالهم في إطار حكمهم الذاتي، وأن ينعموا بما وصلوا إليه من تقدم وازدهار في جميع مناحي الحياة الزراعية والصناعية والتجارية. ولهذا السبب يمكن القول «بأن أخلاق الكنعانيين لم تكن مهيّأة للغزو والتقتيل»[9].

-2-

في البحث الأول من الفصل الثاني (مواقع أثرية مغمورة على شواطئ بحيرة طبريا) يتحدّث الكاتب (داني دانييل) عن هذه المواقع، ويرى أن الآثار المكتشفة فيها يعود تاريخها إلى عصور مختلفة؛ من هذه المكتشفات في موقع (أوهالو 2)، وموقع (عين غيب) هيكل عظمي وجماجم وبقايا عظام آدمية. وهو ما يدلّ على وجود السكان في فلسطين منذ العصر الحجري القديم، مما يفهم منه القارئ أن هذه المواقع هي في كل العصور، وحتى ما كان يرجع منها إلى العصر الحجري القديم هي في فلسطين. أي ضمن الاستيطان الإسرائيلي. وغاية الباحث من ذلك التأكيد على وجود إسرائيل القديمة في المنطقة منذ عصور ما قبل التاريخ، متجاهلاً تاريخ فلسطين الحقيقي وإعمارها منذ خمسة آلاف سنة من قِبَل القبائل العربية.

غير أن هذا الادعاء والتزوير الذي يقوم على طمس الحقيقة لا ينطلي على الملم بشيء من التاريخ.

وفي هذا الصدد يقول (وايتلام): «وبالنسبة لما يُطلق عليه فترات ما قبل التاريخ، فإن السكان لا اسم لهم»[10]، والحقيقة إن الإنسان في تلك الفترات كان يسكن المغاور والكهوف. وظلّت هذه حاله حتى العص ر الحجري الحديث (8000 — 4000) حيث استقرّ في الأرض، وعرف الزراعة وتدجين الحيوانات.

ويقول (وايتلام): «وإن كانت هناك أرض تدعى فلسطين، فلماذا لا يمكن تسمية مواطنيها بالفلسطينيين؟.. ثم في العصر البرونزي يصبح الفلسطينيون سكان الأرض هم الكنعانيين. ويعترف علماء الآثار بإنجازات هؤلاء الكنعانيين، وخاصة بالنسبة للعصر البرونزي المتوسط والمتأخر، غير أنهم لا يضفون عليهم أي وعي قومي»[11].

وإذا كان هناك من يدّعي أن "إسرائيل" كان لها وجود حقيقي تمثّل في قيام مملكة إسرائيل أيام (داود وسليمان) بحسب ما ورد في التوراة، وأن حكمهما كان في بداية العصر الحديدي[12] (إذْ يقدّر حكم الأول بين (1010 – 971) ق.م، والثاني بين (971 – 931) ق.م، وذلك في أورشليم)، وإذا سلّمنا بوجود هذه المملكة أو الدولة، فإنها في الحقيقة:

أ – «لم تكن إلاّ دويلة قائمة على تراث كنعاني بحت، تمثّل أقلية صغيرة بين دويلات عريقة في حضارتها السامية العربية، تحيط بها من جميع أطرافها»[13].

ب – وكل ما قيل عن (داود وسليمان) وعن مملكتهما، وما قاما به من أعمال، منها أن سيطرة (داود) امتدت إلى نهر الفرات. وما روي (عن سليمان) من عظمة وحكمة، والرخاء الذي عمّ في عصره؛ حيث كانت الفضة تتكدّس في شوارع أورشليم (عدا أكداس الذهب لديه)، وأنه هو الذي بنى تدمر. فإن كل ذلك في الحقيقة هو ما قام به كَتَبَةُ التوراة الذين أضافوا على ما كتبوه كثيراً من الخيال والمبالغات «واستطاع كل ذلك أن يحمل العالم المسيحي بل الإسلامي على الاعتقاد بأن سليمان كان من أشدّ الملوك عظمة وأبّهة»[14]، مع أن التوراة لم يدوّنها الكتبة إلاّ في فترة السبي البابلي لليهود الذي قام به (نبوخذ نصر) سنة 586 ق.م «ولم يظهر النص لها باللغة العبريّة إلاّ اعتباراً من أواخر القرن الأول للميلاد. لكنّه لم ينته إلى شكله النهائي المعروف اليوم إلاّ في أواخر القرن الثامن للميلاد»[15]، والقصد من هذا التلفيق الذي قام به كتبة التوراة هو «ما مكّن الصهيونية من الإدعاء بأن "إسرائيل المعاصرة" ما هي إلاّ إعادة بناء لما كان موجوداً في السابق»[16] حتى أن الصهيونية ما لبثت أن صوّرت منذ نشأتها في القرن التاسع عشر أن مملكة داود وسليمان – استناداً إلى النصوص التوراتية – هي إمبراطورية عظمى، امتدّت حدودها من خليج العقبة حتى الفرات والبحر المتوسط في شمالي سورية، وإن تاريخ الدولة الإسرائيلية هو تاريخ فلسطين.

جـ – وإذا كانت التوراة نفسها لا تصوّر هذه المملكة الوهمية «أكثر من مشيخة قبلية متواضعة، وملوكها ليسوا أكثر من أمراء محليين لم يأخذوا بعد بأسباب التمدّن.. فإن البيّنة التاريخية والأركيولوجية لم تتوفّر حتى الآن على وجود

هؤلاء الملوك، ولا يوجد لدينا خارج النص التوراتي مصدر يتعرض لذكرهم تعرضاً مباشراً أو يقدم مادة يمكن مقاطعتها مع كل ما ذكره النص التوراتي بخصوصهم»[17]، كما أن سليمان «لم تذكره أية وثيقة تاريخية واحدة تنتمي إلى عصره أو إلى العصور اللاحقة»[18]. ويقول أحمد سوسة: «إن مصدرنا الوحيد عن أعمال داود وسليمان، ودورهما السياسي والعمراني في فلسطين هو التوراة وحدها، إذ لم يعثر المنقبون على أي أثر لهذا الدور»[19].

وأخيراً يقول الكاتب في نهاية التقرير إن منطقة (البطيحة) وهي الناحية الشمالية الشرقية من بحيرة طبريا (في الجولان) لم يتم العثور فيها على مواقع أثرية؛ ويعلل ذلك بأن الجداول التي تنحدر من الجولان تصب في البحيرة، وربّما تكون هي السبب في تغطية الشاطئ بالطمي.

ونحن نرد على ذلك لنبيّن كذب هذا الإدعاء الذي يهدف إلى إخفاء ما يعملون على طمسه، ويتعارض مع منظورهم فيما يهدفون إليه، فنقول:

1- قام الصهاينة بالتنقيب حتى في الأماكن المغمورة بالماء على شاطئ البحيرة المغطّى بالطمي؛ كما ورد في التقرير نفسه، وكذلك في البحث الثالث من الفصل الثاني وهو (المكتشفات الأثرية في الكرسي) حيث تم التنقيب تحت الماء بحثاً عن آثار مرفأ الكرسي.

2- جاء في (مذكّرة) لعلي أبو عساف «أن الباحثين الإسرائيليين أجروا تنقيبات أثرية في شرقي بحيرة طبريا بين وادي كنف في الشمال ووادي السمك في الجنوب، فوجدوا في خربة قرية (لاوية) آثاراً لموقع حصين، تبيّن أن بقاياه المعمارية تمثّل نموذجاً للحظيرة البدوية التي نشأت في العصر البرونزي القديم (3100 – 2100) ق.م.»[20].

3- قمت بمقابلة أناس من أبناء البطيحة، فعرفت منهم أن هناك آثاراً كثيرة في قرية البطيحة وما حولها؛ منها قناة أثرية منحوتة في الصخر تسمّى قناة العفريتية، وهناك أيضاً آثار أخرى شرقي القرية في منطقة الطواحين، وعمارة الفريج، وعين الفريجية وغيرها.

-3-

عندما يقوم المرء بقراءة ما يكتبه الصهاينة، أو من يتعاطفون معهم ويدعمونهم، عليه ألاّ يأخذ بأقوالهم دون تمحيص، وأن ينفذ ببصيرته إلى ما يكمن وراء كلماتهم، وهم الذين لا يتورعون في تزوير التاريخ وتزييف الحقائق إن لم يطمسوها.

ومن هذا المبدأ ننطلق في قراءة التقرير حول (التنقيب عن آثار قبور الدولمن في الجولان).

ومع أن الباحثة (إيبشتاين) تعرّف قبور الدولمن بأنها (قبور ما قبل التاريخ) فإنها تعيد بناءها إلى العصر البرونزي الوسيط الأول، أي بين أواخر الألفية الثالثة وأوائل الألفية الثانية (2100 – 1800) ق.م. وهذا ما ورد أيضاً في (مذكّرة) علي أبو عساف التي أعدّتها (إيبشتاين)، ذاتها والتي تقول فيها: «بُنيت هذه الضرائح بالحجارة البازلتية المحلية. ويتألف كل منها من حجرة واحدة مبلّطة، مستطيلة الشكل تقريباً. طولها وسطياً (7.5) م. يتألف جدارها العرضاني من لوح واحد، والسقف من عدة ألواح. وقد عُثر في أحد الضرائح بموقع (أبو فولة) على أوانٍ فخارية وأدوات برونزية، وعظام حيوانات أرّخت بين (2350 – 1950) ق.م.»[21].

غير أن إيبشتاين لم تذكر أو تحدد أي عصر من عصور ما قبل التاريخ تم فيه إقامتها. واكتفت بالقول إن علماء الآثار قد اختلفت حول تاريخ الدولمنات في هذه المنطقة، وأنها تنتشر في قرى ومواقع عديدة من الجولان شمالاً إلى أقصى الجنوب في شرقي الأردن، كما بيّنه المصوّر (الشكل 1) الذي ورد في بحث (قبور الدولمن).

والغريب أنها عندما تتحدث عن هذه القبور، تعني ضمناً أنها "قبور إسرائيلية"، مع أنه لا يمكن إرجاع آثار (ما قبل التاريخ) إلى قبائل أو شعب معيّن. كما لا يمكن أن نقول أنها ترجع إلى العصر البرونزي الوسيط، الذي لم يكن فيه "للإسرائيليين" أصلاً أي وجود في أرض كنعان.

وإذا كان قولها هذا تمويه قائم على نوع من الخداع والتلاعب اللفظي فإن تفسير ذلك أنه من خلال منظورها ومنظور أمثالها من التوراتيين يقوم على الإيمان بالزمن التوراتي الذي تعود إليه كل فترات التاريخ، وتنتظم فيه أحداثه، أي أنه إذا كان هناك تاريخ أو وجود "لإسرائيل" مقصور على الفترة الانتقالية بين أواخر العصر البرونزي الحديث وأول العصر الحديدي، فإن ذلك التاريخ يكون امتداداً طبيعياً لما (قبل التاريخ) في صيرورة الزمن التوراتي. والغاية من ذلك كما يذكر (وايتلام) في دراسته «هو إسكات ونفي التاريخ الفلسطيني» الذي يقع خارج الزمن التوراتي «فإذا قُدّر للتاريخ الفلسطيني أن يبزغ كموضوع قائم بذاته، ينبغي أولاً تحريره من طغيان الزمان التوراتي، وكذلك من طغيان (ما قبل التاريخ). كما أن هذه العلاقة بين التاريخ وما قبل التاريخ هي علاقة معقّدة ومضلّلة.. بالإضافة إلى أن فكرة (ما قبل التاريخ) هي إحدى أكثر الأفكار المثيرة للسخرية التي يمكن أن نتصورها»[22].

ومن جهة أخرى، لو عدنا إلى قبور الدولمن، لرأينا أن القبر يتألف من حفرة أو حجرة في الأرض بشكل دائري أو مستطيل أو شبه مستطيل يتمّ فيها الدفن. ويقوم فوقها بناء بسيط وبدائي يتألف من حجرين متقابلين أو عدد من الأحجار الضخمة بشكل قائم على الجانبين، يعلوها سطح من الأحجار. ويغلق من الخلف بحجر قائم أو حجرين، ليبقى من الأمام مفتوحاً ولو بشكل جزئي ليكون بمثابة مدخل يتصل بنفق يؤدي إلى حفرة القبر. وكل هذه الأحجار لا يستخدم بينها الملاط. أما أرضية القبر فهي مرصوفة بالحصى والأحجار الصغيرة، وتحتوي على قليل من العظام وإلى جانبها قرابين وبعض أواني الطعام كوليمة جنائزية.

ولّما كانت هذه القبور هي (قبور ما قبل التاريخ) فإنه يمكننا القول بأنها ترجع إلى الفترة التي تقع بين النصف الثاني من العصر الحجري الوسيط إلى النصف الأول من العصر الحجري الحديث، أي بين (10.000- 6.000) سنة ق.م. وهي الفترة التي عُرفت بالحضارة النطوفية في بلاد الشام، نسبة إلى وادي النطوف القريب من القدس. وتتميز حياة الإنسان في هذه الفترة بأنه ترك المغاور والكهوف، وانطلق يعيش في الهواء الطلق، ويشارك في تجمّعات بشرية تمثّل القرى الأولى،

ويعتمد في معيشته على الصيد والتقاط الثمار والحبوب، واستخدام العظام والأحجار في صنع أدواته. ويقوم ببناء البيوت والمقابر. وقد عمت سمات هذه المرحلة منطقة الشرق الأدنى، ومنها سورية القديمة.

وبمقارنة قبور الدولمن هذه في الجولان بقبور الفترة النطوفية وبيوتها، نرى أنها كانت على نمط واحد وصفات مشتركة مع الضرائح العمودية من حيث شكل الحفرة وما يحتويه القبر من أوعية وأدوات مختلفة، منها ما يستخدمه في حياته اليومية، ومنها ما يستخدمه أسلحة للصيد وحماية نفسه. بالإضافة إلى التقدمات والقرابين والدمى؛ كما في قبور (عين الملاحة) في وادي الأردن، و(أبو غوش) في الضفة الغربية، و(بيسمون) في الجليل الأعلى غربي بحيرة الحولة، وذلك على سبيل المثال[23].

أما إرجاع المواد المكتشفة في دولمنات الجولان، فإن التقرير يعيدها إلى العصر الحجري النحاسي، والعصر البرونزي الوسيط (الأول والثاني) وهي تبيّن أن المواد تحتوي على نسبة كبيرة من النحاس.

وبعض هذه المواد هو نموذج لما كان شائعاً في تجمّعات تلك العصور، وخاصة في شمالي فلسطين، مثل مجدّو في سهل (مرج ابن عامر)، وقادش (شمالي صفد، وبعض مواقع أخرى من سورية مثل قطنا، وبيبلوس (جبيل) في عصر البرونز القديم، وبعضها كان منتشراً وشائعاً في كل مكان من الدولة وفي مواقع متعددة من سورية.

أما الفخّار الذي وجد منه الكثير في قبور الدولمن في الجولان والمناطق الجنوبية، فقد استُخدم لأغراض كثيرة، كالأواني المتنوعة (من الزبادي وأباريق الشاي وأوعية الطبخ والجرار الصغيرة والكبيرة) وأكثر هذه الأواني تتصف بالحواف المقلوبة إلى الخارج.

وممّا يلفت النظر في تقرير الباحثة :

أولاً : قولها إن بعض المواد المكتشفة في قبور الدولمن كان منتشراً وشائعاً في كل مكان من (الدولة) دون أن تسمّي هذه الدولة أو تشير إلى مَن تعود نسبتها، وكأنه من البديهي أن تكون هذه الدولة هي (دولة إسرائيل)، وكأن من الطبيعي أن

يفهم المطّلع من ذلك أن الحقيقة هي ما تعنيه وتقصده. وتضيف على ذلك أن سلطان هذه الدولة بما تحمله من حضارة، قد اتّسع ليس في فلسطين ومنطقة الجولان فحسب، بل وفي مواقع متعدّدة ومناطق كثيرة من سورية.

ثانياً : قولها إن أكثر الأوعية الفخارية التي وُجدت في دولمنات الجولان تتّصف بحافّة مقلوبة للخارج ومنها الزبادي والأباريق وأوعية الطبخ. وهي تذكر ذلك على أنها من نتاج "إسرائيل" كما يقول الباحثون من (المدرسة التوراتية) من أمثال Albright وGal. فأولبرايت يرى أن التنقيبات الأثرية تبيّن أن انقطاعاً مفاجئاً كان قد حصل بين ثقافة الكنعانيين في العصر البرونزي المتأخر وبين ثقافة الإسرائيليين (في العصر الحديدي)؛ إذ حلّت ثقافتهم في المنطقة بدلاً من ثقافة الكنعانيين وهو يعني بذلك الزمن الذي كان للإسرائيليين فيه وجود في أرض كنعان، وقيام مملكة إسرائيل المزعومة أيام داود وسليمان التي كنّا قد تحدّثنا عنها من قبل، فكان للمكتشفات الأثرية عظيم الأهمية في إعادة بناء هذه الفترة من التاريخ؛ لما أظهرته من علامات مادية مميّزة للثقافة الإسرائيلية، تمثّلت في طراز المنازل ذات الغرف الأربع والأواني ذات الحواف المقلوبة، لينتهي إلى القول بأنه قد «استبدل بالفلسطينيين المكان والزمان الإسرائيليان، باعتبار هذا جزءاً من العملية الحتمية في التطور، وحلول الحضارات بعضها محل بعضها الآخر.. وهذا التطور الحتمي الذي حلّت فيه "إسرائيل" — بحسب أولبرايت — محل الشعوب البدائية في فلسطين، وبالتالي «أدى إلى إنشاء دولة قومية إسرائيلية» إلاّ أن هذا التفسير لم يعد له أهمية بعد أن دحضت الحجج التي أقامها أولبرايت، وتقوضت نظريته حول وجود الانقطاع المفاجئ والحاد مع الثقافات المحلية، كما يقول (وايتلام)[24].

أمّا (غال) الذي يحاول ربط المعطيات الأثرية بالاستيطان الإسرائيلي في تلك الفترة، فإن حججه تسقط أيضاً مثلما تسقط استنتاجاته لعدم صحتها، كما يبيّن وايتلام[25].

-4-

قام الصهاينة بالتنقيب في (موقع الكرسي) الواقع على الساحل الشرقي من بحيرة طبريا في جنوبي الجولان بعد الاحتلال مباشرة، واستكملت تنقيباتها بشكل مكثف في بداية السبعينيات، لتعلن عن اكتشاف آثار منشأة دينية كبيرة، تتمثّل في دير وكنيسة يرجع تاريخها إلى العصر الروماني (البيزنطي).

ويصدر بعدها — نتيجة ذلك — تقرير قام بإعداده مجموعة من الباحثين بعنوان (المكتشفات الأثرية في الكرسي).

يطلعنا التقرير منذ البداية على أن هذه المنشأة هي عبارة عن (مستعمرة) لها طابع ديني؛ ومعنى ذلك أنها احتلال أجنبي لدولة أو أرض منها، ليقطن فيها ذلك الأجنبي، أو يستغلّها، أو يتّخذها قاعدة لخدمة مصالحه وأغراضه. كما يطلق التقرير أكثر من مرّة على هذه المنشأة بأنها (مستوطنة) بيزنطية[26] والمستوطنة كما نعرف هي الأرض التي يتّخذها الأجنبي محلاً أو مسكناً أو وطناً يقيم فيه، من دون أن يتمتّع بجنسية الدولة التي تتبع لها هذه الأرض، لكنّا نتساءل باستنكار كيف نقول إن هذا الموقع مستعمرة، أو أنه مستوطنة بيزنطية في الوقت الذي كانت تقع فيه سورية بكاملها تحت الاحتلال أو السيطرة البيزنطية.

ثم يضيف بعد ذلك، عندما يتحدث عن هويّة الموقع، فيقول بأن الكرسي مستوطنة منيعة ذات سكان مسيحيين.

فإذا عرفنا أن تاريخ إنشاء هذه المستوطنة — كما يقول التقرير — يعود إلى فترة تقع (بين أواخر القرن الخامس ومنتصف القرن السادس) فإنّا نقول ليس أصحاب هذا الموقع عناصر غريبة عن الأرض، إنما هم في الحقيقة آخر القبائل العربية التي هاجرت من اليمن واستوطنت بلاد الشام في القرن الثالث الميلادي. وقد نزل هؤلاء العرب — الذين عُرفوا باسم الغساسنة — في البلقاء وحوران والجولان أولاً، وما لبث

نفوذهم أن امتد حتى الرصافة شمالاً، والفرات شرقاً. واتخذوا الآرامية لغة لهم إلى جانب العربية. أما المثقفون منهم فقد استخدموا اليونانية ومارسوها في صلواتهم وشعائرهم الدينية؛ وكانوا قد اعتنقوا المسيحية منذ بزوغها. فموقع الكرسي ليس مستوطنة أجنبية لأناس غرباء، إنما هي بقعة من أرض الجولان السورية، للعرب الغساسنة الذين بنوا كنيسة فيها، مثلما بنوا أديرة وكنائس عديدة. وهذا ما تشهد به آثارهم الباقية، وما يدركه الباحثون الإسرائيليون الصهيونيون أصحاب التقرير، لكنهم يتغافلون عنه.

والجدير بالذكر أن الغساسنة عندما علا شأنهم وازداد عددهم، واتسع نفوذهم، وخاصة رؤساء القبائل منهم من أمراء وزعماء محليين، أخذ أباطرة البيزنطيين يتقربون منهم ويعتمدون عليهم، ويتّخذونهم عمالاً لهم، ويمنحون بعضهم لقب (الملك) بحسب رأي بعض المؤرخين) فكانوا يقفون إلى جانب البيزنطيين لحماية الإمبراطورية من هجمات الطامعين المتمثلين في الفُرس وحلفائهم المناذرة، وكذلك في صد الغزوات التي يشنّها عليهم أعراب البادية. ومن أشهر هؤلاء الأمراء والملوك: جفنة بن عمرو (491- 518) وابنه عمرو الذي بنى عدة أديرة وكنائس، وجبلة بن الحارث، وابنه الحارث الثاني ابن جبلة (529- 569)، والمنذر بن الحارث (569- 582) الذي اهتم ببناء الكنائس أيضاً[27]، كما اهتم بفن العمارة بشكل عام. وكل ذلك وغيره كان في الفترة الواقعة بين القرن الرابع والقرن السابع الميلادي. ومن هذه الكنائس على سبيل المثال لا الحصر ما أنشؤوه في إزرع وبصرى وقنوات والرصافة، وكنيسة الحمّة التي اندثرت آثارها، وجميعها تمثّل الفن السوري المتقن في العمارة، والذي له ملامحه وصفاته الخاصة المميّزة، كما أنه «يتصف بالغنى في البدائل المتنوعة والتباينات المتعارضة بالرغم من تفاوت البنية الجيولوجية والجغرافية للمناطق السورية[28]، وهو في كل ذلك يؤكد هويّته بأنه نتاج سوري محلي من حيث التخطيط والهندسة والعمال المنفذين.

ويقول التقرير: «إذا نظرنا في بناء كنيسة الكرسي القائم على نمط معيّن، وعناصر واحدة وإن اختلفت مخططاتها، فإنا لا نجد أنها تخرج عن نمط الطراز البازيليكي الموجود في محيط بحيرة طبريا (على الشاطئين الشرقي والغربي منها) وهو

ما يتجاوب مع متطلبات الكنائس في الأرض المقدسة». لكنّا نضيف؛ بل إنها لا تخرج عن نمط جميع الكنائس السورية التي بُنيت في أيام الغساسنة وما قبل، بين القرنين الرابع والسابع. ومنها الكنائس التي على شكل صليب ككنيسة القديس سمعان العمودي التي بنيت في أواخر القرن الخامس تخليداً لذكرى القديس سمعان (386- 459).

ولو نظرنا في لوحات الفسيفساء التي كانت مرصوفة في أرضية جميع أقسام الكنيسة، بحسب ما جاء في وصفها، أو ما صُوّر منها، لرأينا أنها تحتوي على صور لحيوانات مختلفة من أسماك وطيور وغيرها، وأشكال من النباتات والأغصان والورود والأزهار، والفواكه، والسلال، وبعض الرموز المسيحية، بالإضافة إلى الصلبان المتباينة الأشكال، والزخارف (القائمة على التوريق والأشكال الهندسية) واستخدام الألوان المتعددة القائمة على التناسق والتدرج اللوني وما ينسجم مع لون الخلفية. وبمقارنة هذه اللوحات بفسيفساء الكنائس السورية، نرى أنها قائمة على أصول فنية واحدة، وذات تقنية عالية في الخبرة والمهارة؛ وهي محصلة تفاعل حضاري بين الفنون المختلفة التي عرفتها سورية من هلنستية وفارسية وتدمرية ورومانية وبيزنطية. وإذا كان هناك ما أخفاه التقرير من لوحات، أو صمت عن التكلّم عما من شأنه أن يدعم وجهة نظرنا، إلاّ أنه لا يقلل من حقيقة ما قلناه.

وعدا عن ذلك، فإن التقرير يغفل عن ذكر وجود الغساسنة، والغاية من ذلك أن يغيّب تاريخهم، وينفي أي دور حضاري لهم في المنطقة. وكأنه ليس من تاريخ لهم، ولا آثار تدل على وجودهم. غير أنه لا يستغرب ممن يجعلون من قضية فلسطين — من خلال منظورهم — منذ أن فكّروا باستباحتها، قضية أرض بلا شعب، أو أرض فيها سكّان دون أن يكون لهم تاريخ.

وبالمقابل يعمل التقرير على إيهام القارئ — كما في كثير من العبارات الواضحة — بأن ازدهار الحضارة المادية في المنطقة السورية، ومنها الدير والكنيسة في (موقع الكرسي) هو نتاج الحضارة الرومانية (البيزنطية) والحضارة الإسرائيلية؛ فهناك كثير من الأوعية الخزفية — كما يقول التقرير — هو ما كان يعرف بأنه روماني، وكثير من الأوعية والأواني الفخارية والزجاجية كانت حافة العنق فيها مطوية إلى الخارج.

ونقف عند نقطة أخرى وردت في التقرير جاء فيها أن موقع الكرسي، قد عرف بعدة تسميات؛ منها (جيركاشيتس) الذي ظهر في قائمة أولاد (كنعان) الذين انحدرت منهم قبائل (الجرجاشيين) والأموريين وغيرهم كما ورد في (العهد القديم)[29].

وهنا يعبّر واضعو التقرير عما يحملونه في نفوسهم من حقد تجاه كل ما يُقال عن الكنعانيين، فهم يرون أن الأصل الجغرافي للكنعانيين (من أبناء كنعان) غير معروف، بل إن (يوسيفوس) الذي يتقن التلفيق والكذب والتزوير في عرض الأحداث، يؤكد ذلك في تاريخه بقوله إن الكنعانيين قد أُبيدوا ودُمّروا كليّاً، دون أن يخلّفوا وراءهم أي شيء يُذكر. كما أن ما ذكره أحمد سوسه بعد رجوعه إلى كتاب هانس كوهن (الصهيونية والقومية اليهودية) هو أن الكتّاب اليهود عندما يتطرقون إلى موضوع الكنعانيين، يدّعون أن اليهود أبادوا الشعب الكنعاني، ولم يبقَ له وجود[30].

وحتى (التوراة) ذاتها تنكر ذلك كما في (سفر القضاة). وإذا رجعنا إلى (سفر يشوع) فإنّا لا يمكن أن نعدّه نصاً تاريخياً بأي معيار. فالمدن التي ادّعى هذا السفر تخريبها وإحراقها بالنار، فإن التنقيب الأثري قد أخفق حتى الآن في تقديم الدلائل على تاريخية الرواية التوراتية[31].

أما الغاية الكامنة وراء إدعاء أولئك الكتّاب اليهود، وأمثالهم من التوراتيين، بالقضاء على الكنعانيين، وإفنائهم وتدميرهم، فيكشف عنها ويوضحها (وايتلام) بأن المقصود من ذلك هو أنه عندما ينتهي التاريخ الفلسطيني، يبدأ تاريخ إسرائيل، بحسب منظورهم[32].

-5-

بالإضافة إلى ما يقوم به الصهاينة خلال بحثهم عن الآثار في المناطق العربية المحتلّة من الإدعاءات الكاذبة، والتمويه، وتزوير الحقائق، والتلاعب بالألفاظ والمفاهيم، وهو ما بيّنا شيئاً منه في النقاط السابقة، فإن الكيان الصهيوني يعمل خلال تنقيباته إلى السرقة وطمس المعالم الأثرية، وهذا ما فعلوه في الجولان بعد احتلاله سنة 1967م، وهو ما قاموا به أيضاً خلال فترات الانتداب البريطاني في فلسطين منذ سنة 1920 إلى 1948 وما بعد قيام الكيان الصهيوني حتى حرب حزيران 1967[33]، وبعد احتلالهم في هذه الحرب للضفة الغربية وقطاع غزّة، واحتلال القدس الشرقية – بعد احتلال القدس الغربية سنة 1949 والأراضي التي حولها فيما بعد – واستيلائهم على (سيناء) من مصر، وكان الجيش الصهيوني قبل ذلك قد اجتاح سيناء سنة 1956، وفي كليهما عُرف موشي ديان (وزير الدفاع الصهيوني) بسرقة كل التحف والآثار التي تصل إليها يده، كما صرّح بذلك عضو الكنيست الصهيوني (يوري أفنيري) الذي كان مرافقاً لديان في الجيش، وانقلب عليه فيما بعد، كما صرّحت (ياعيل ديان) بسرقات أبيها في كتاب أصدرته سنة 1995. ومن هذه المسروقات المعبد الذي كان مخصصاً للإله (حتحور) في مصر القديمة، والمعروف حالياً باسم معبد (سرابيط الخادم) في جنوبي سيناء، وهو من أهم الآثار الفرعونية وأقدمها في منطقة سيناء، أما النقوش المرسومة على جدرانه باسم الملك سنفرو فتعود إلى تاريخ (4750) ق.م. ونقوش عديدة أخرى يعود تاريخها إلى الدولتين الوسطى والحديثة[34]. ومنذ أن دخل الجيش الصهيوني جنوبي لبنان وبعد ذلك بيروت سنة 1982 بدأت عمليات النهب للآثار «من قانا الجليل إلى مدينة صور ومحيطها، وفي مناطق الاحتلال من أعالي شبعة إلى حولا مروراً بكفر شوبا والخلوات وميمس والخرائب وغيرها، وكذلك سرقة عدد من القطع الأثرية الثمينة من المتحف الوطني في بيروت»[35]، وما قامت به أميركا والقوات المتحالفة معها من استباحة العراق سنة 2003.

والغاية الأولى من الحفريات والتنقيبات الأثرية التي يقوم بها الكيان الصهيوني هي الوقوع على أي أثر ينبئ عن وجودهم أو تاريخهم أو أي أثر مادي يدلّ على حضارة يدّعونها أو ينسبونها لهم، أو حتى أن يكون هناك أي رمز من رموز الديانة اليهودية، ليتخذوا من ذلك ما يؤكد لأوهامهم وأطماعهم بأن هذه الأرض إنما هي الأرض التي وُعدوا بها منذ أيام إبراهيم الخليل الذي لا يمتون إليه بصلة. وإذا كانت هذه حقيقة الأمر، فكيف يكون ليهود الشتات في العالم قد وُعدوا بهذه الأرض منذ أيام الخليل، الذي ليس لهم أي رابطة به لا من قريب ولا من بعيد.

أمّا السُبل التي انتهجها الكيان الصهيوني في نهبه وسطوه لما عثر عليه من الآثار المنقولة وغير المنقولة فهي:

1 - الاحتفاظ بالآثار، وإيداعها في متاحفها بعد اللجوء إلى التزييف، وتشويه الحقائق التاريخية، بالإضافة إلى إقامة المعارض الخاصة لبعض الآثار في البلدان والعواصم الأجنبية، مع ما للمعروضات من (دليل) يوزّع على الزائرين في صالات العرض[36].

2 - تغيير ملامح وصفات الأمكنة والمنشآت المدنية والدينية الأثرية من عربية وإسلامية، باختلاق أسباب تدفع إلى العمل على ذلك؛ منها تنظيم الحي مثلاً أو إصلاح المكان أو تجميل المنشأة أو إزالتها كليّاً. وهو ما فعله الكيان الصهيوني في معظم المدن الفلسطينية لطمس الطابع القومي للهويّة العربية الإسلامية، وفي كثير من الأحيان تلجأ إلى تحويل هذه المباني لأغراض أخرى؛ كما فعلت في عدد كبير من المساجد والمقامات التي حولّتها إلى غير استعمالاتها الأصلية، من ذلك على سبيل المثال مسجد عسقلان الذي حُوّل إلى مطعم وخمارة، والمسجد القديم في قيساريا — ساحل حيفا الذي حوّل إلى مكتب لمهندس شركة التطوير، ومقام الست سكينة في طبريا الذي حوّل إلى قبر يهودية، كما أن كثيراً من القبور والمزارات الإسلامية تحوّلت إلى معابد يهودية[37].

3 — العمل على طمس المواقع الأثرية وتدميرها بشكل كامل، بعدّ سرقة ما تحتويه أو تشتمل عليه من آثار؛ ففي أثناء الغزو الأميركي للعراق، عندما

واجه الغزاة في بابل (الحلّة) «أعمالاً جدرانية تحدثت عن السبي البابلي، وفيها تمجيد لنبوخذ نصّر، سرقوا بعضاً منها، ودمروا بعضها الآخر، حتى لكأنّ هناك من ينتقم الآن من السبي البابلي لبني إسرائيل، قال (حاخام) كان يرافق القوات الأميركية، وهو يقف واضعاً رجله فوق أسد بابل (ها قد عدنا لنحتل بلادك) »[38].

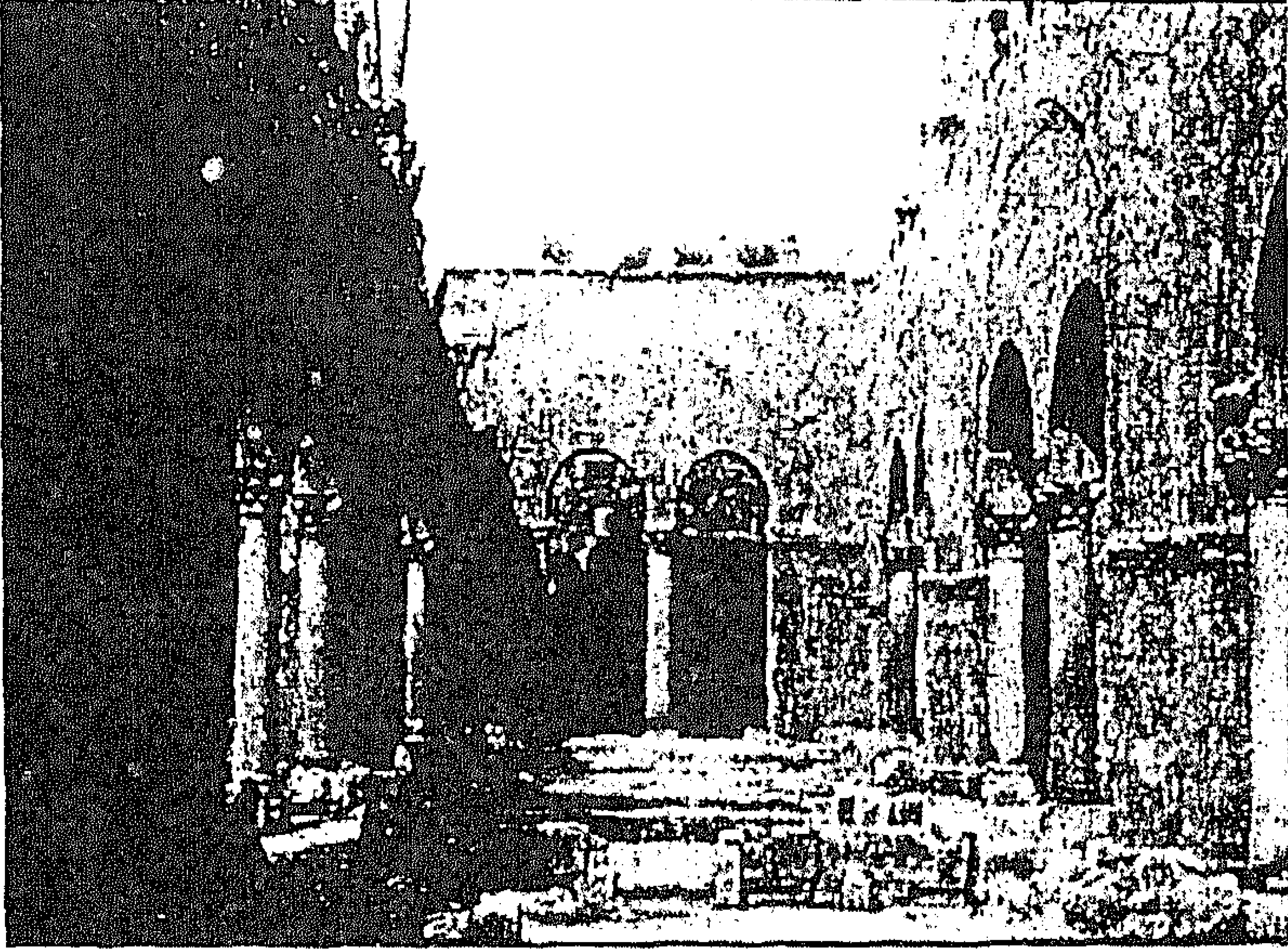
وفي شهر كانون الثاني من عام 1998 «كشفت صحيفة (يديعوت أحرونوت) الصهيونية عن طمس وإزالة آثار هامة جداً في مستوطنة (ريشون ليتسيون) جنوبي مدينة يافا على مقبرة كنعانية يعود تاريخها إلى ما قبل (4000) سنة، وبسبب المواد الكثيرة التي عثر عليها، يمكن معرفة الكثير عن سكان البلاد الكنعانيين بل حتى أكثر ممّا لو عُثر على بيوتهم.. إذ أن الكيان الصهيوني قرّر إفراغ هذا الموقع من محتوياته، وشق طريق فوقه، وستباشر الجرافات خلال شهر بمحو آثاره وتحويله إلى شارع عام»[39].

أما في الجولان فقد نهبت الصهيونية في احتلالها للجولان كل ما فيه من موجودات أثرية وغير أثرية. حتى حجارة البناء البازلتية، وقرميد سطوح المنازل «وسقط تحت نير الاحتلال 249 قرية ومزرعة، عدا مدينة القنيطرة؛ أي 80٪ من مجموع المراكز البشرية في كامل الجولان (137 بلدة وقرية و112 مزرعة) وقد تم تدميرها جميعها، وإزالتها عن وجه الأرض لم يجرِ مثلها في تاريخ الاحتلالات»[40].

وبعد أقل من شهر أقامت الحكومة الصهيونية عشر نقاط للناحال، الشبيبة العسكرية في المنطقة، وبعد ذلك استمرت بإقامة المستوطنات حتى بلغ عددها (35) مستوطنة حتى أيار 1978[41] و(39) مستوطنة حتى عام 1985[42].

وفي عام 1977 بدأت الحكومة الصهيونية بإنشاء مستوطنة (كتزرين) على أرض قرية (قصرين) العربية التي كانت تتبع ناحية الخشنية في المنطقة الوسطى من الجولان، التي تعود آثارها إلى العصر الروماني «ومنها القصر ذو الأقواس الحجرية المنحوتة، بوّابته فخمة وعلى جانبيها زخارف نافرة، ومبنى ملحق بالقصر فيه بئر ودرج وكنيسة وكتابات رومانية»[43].

وقد هدفت الحكومة الصهيونية من إقامة (كتزرين) إلى أن تكون مدينة نموذجية حديثة، وصلة وصل بين مستوطناتها الشمالية والجنوبية، وعلى أن تضمّ من السكان (30) ألف نسمة حتى عام 2000، بعد أن بلغ عددهم عام 1985 ألفي نسمة[44]. ولكي تضفي عليها طابعاً خاصاً، عملت على إنشاء متحف فيها تمّ تدشينه في تموز 1981 يضمّ آلاف القطع الأثرية التي سرقتها من الجولان، موزّعة على قاعات بحسب جميع العصور[45] وهي تبتغي من وراء ذلك أن تعرضها للزائرين والسيّاح، لتدّعي أن الكثير منها، إنّما هو نتاج حضارة قديمة كانت لهم يوماً ما في منطقتنا العربية.



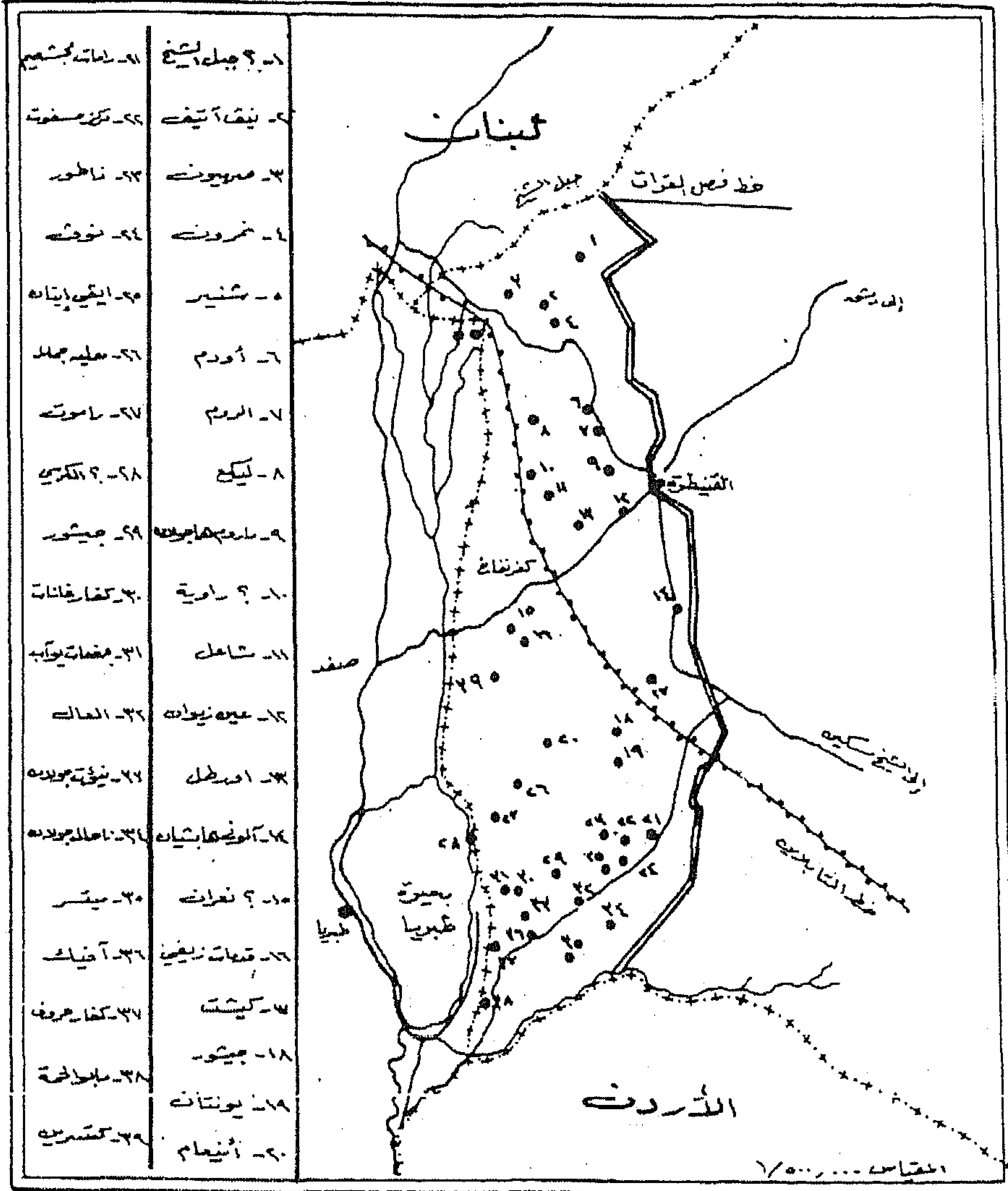
من آثار الغساسنة

بقايا من كنيسة القديس سرجيوس في الرصافة



من آثار قصرين

المستعمرات الصهيونية في هضبة الجولان حتى عام 1985 م



عن كتاب العميد رزق الياس

هوامش التعقيبات الختامية

1 – الأب أنطوان نمنم (المواقع الأثرية بفلسطين في فترة ما قبل التاريخ) محاضرة ألقاها في (الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية) في جامعة حلب.

2 – محمد وحيد خيّاطة (التفاعل الحضاري في فلسطين) محاضرة ألقاها في (الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية) جامعة حلب.

3 – د. سلطان محيسن (عصور ما قبل التاريخ) ص 218، 219.

4 – كيث وايتلام (اختلاق إسرائيل القديمة، إسكات التاريخ الفلسطيني) ترجمة د. سحر الهنيدي، ص 99.

5 – د. أحمد سوسة (العرب واليهود في التاريخ) (م. س.) ص 99.

6 – انظر فراس السواح (آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي) م. س. ص 19.

7 – انظر د. عيد مرعي ود. فيصل عبد الله (تاريخ الوطن العربي القديم) ص 229.

8 – د. أحمد سوسة (م. س.) ص 332.

9 – (م. س) ص 126 نقلاً عن الشيخ نسيب الخازن (من الساميين إلى العرب) ص 40.

10 – كيث وايتلام (م. س.) ص 107.

11 – (م. س) الصفحة ذاتها.

12 – يحدّد العصر الحديدي بثلاثة أدوار: العصر الحديدي القديم (1200- 900) والوسيط (900- 700) والحديث (700- 535) ق.م.

13 – د. أحمد سوسة (م.س) ص 633.

14 – (م. س) ص 627.

15 – سهيل ديب (التوراة بين الوثنية والتوحيد) ص 9.

16 – كيث وايتلام (م. س) مقدمة المترجمة سحر الهنيدي ص 15.

17 – فراس السوّاح (م. س) ص 126، 127.

18 – (م. س) ص 147.

19 – د. أحمد سوسة (م.س) ص 628.

20 – د. علي أبو عساف (مذكرة حول الدراسات الأثرية الإسرائيلية في الجولان المحتل) مطبوعة على الآلة الكاتبة، ص 4.

21 – مذكّرة د. علي أبو عساف (م.س) ص 2.

22 – كيث وايتلام (م.س) ص 117، 119.

23 – انظر د. جاك كوفان (الوحدة الحضارية في بلاد الشام بين الألفين التاسع والثامن قبل الميلاد) تعريب قاسم طوير. صفحات متفرقة. وأيضاً د. سلطان محيسن (عصور ما قبل التاريخ) ص 158 – 162.

24 – انظر وايتلام (م. س) ص 147 و153.

25 – (م. س) ص 297 – 299.

26 – دخل الرومان سورية سنة 70 ق.م، وأصبحت سورية ولاية رومانية سنة 64 ق.م. وبعد انقسام الإمبراطورية في زمن قسطنطين الأول 274 – 337 م بدأ العصر الروماني البيزنطي الذي أعلن فيه قسطنطين حريّة العقائد والأديان واتخاذ المسيحية الديانة الرسمية للدولة، ونقل العاصمة من أنطاكية إلى بيزنطة التي أسماها القسطنطينية سنة 330، وانتهى هذا العصر الروماني البيزنطي بالفتح الإسلامي سنة 636.

27 – انظر د. أحمد أرحيم هبّو (تاريخ العرب قبل الإسلام) ص 163 وما بعد.

28 – عدد من الاختصاصيين بالآثار السورية (الآثار السورية، مجموعة أبحاث أثرية تاريخية)، ترجمة د. نايف بلّوز، ص 234.

29 – انظر (العهد القديم) سفر التكوين 10 : 15.

30 – د. أحمد سوسة (م.س) ص 624.

31 – انظر فراس السواح (م.س) ص 93 ، 94.

32 – كيث وايتلام (م.س) ص 170.

33 – للاطلاع على هذه الحفريات التي قامت بها الصهيونية في هذه الفترة بعد الانتداب، يمكن الرجوع إلى د. مروان أبو خلف (الحفريات الأثرية في فلسطين) مجلة (الفكر العربي) ع 52 آب 1988 ص 124.

34 – انظر محمد عبد الواحد (هل تستعيد مصر ما سرقه موشي ديان منذ 30 عاماً) مجلة (المجلة) ع 891 تاريخ 1997/3/9 ص 20- 24 .

35 – إيلي سعادة (الآثار المسروقة من الشرق، من يعيدها إلى أصحابها الشرعيين) جريدة الحياة 1997/11/16.

36 – ينظر مقال أسامة المصري (الآثار والآثاريون، واقع مخيف) الذي يتحدّث فيه عن المعرض الذي أقيم في شهر آب في باريس 2001، مجلة (أبيض وأسود) ع 84.

37 – د. شوقي شعث (الاعتداءات الإسرائيلية على المواقع الجغرافية والأراضي الفلسطينية) جريدة (الأسبوع الأدبي) ع 945، ويُنظر أيضاً د. غازي حسين (إسرائيل والاعتداءات على المقدّسات الإسلامية في الأراضي المحتلة) جريدة (تشرين) 4 تموز 2001.

38 – عمران القيسي (السرقات الأثرية في العراق) مجلة (عشتروت) ع (8 – 9) 2004 ص 39.

39 – انظر مقال (إسرائيل تطمس وتسرق أهم موقع أثري في الشرق الأوسط) بتوقيع (ت.ح.) (المحرر نيوز) ع 128.

40 – سفارة الجمهورية العربية السورية في مسقط (الجولان تحت الاحتلال) WWW.syrianembassy.gov.om

41 – حبيب قهوجي (استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة) وقد عدّدها بأسمائها، ص 227 – 230.

42 – العميد رزق الياس (الخارطة السياسية داخل الكيان الصهيوني) وقد عددها بأسمائها مع مواقعها على الخارطة، ص 115.

43 – (قصرين) موسوعة ويكيبديا WWW.jawlan.org

44 – العميد رزق الياس (م.س) ص 113.

45 – د. علي أبو عساف (مذكرة حول الدراسات الأثرية الإسرائيلية في الجولان المحتل) (م.س) ص 8.

المصادر والمراجع

- أبو الفرج العش (آثارنا في الإقليم السوري) دمشق، المطبعة الجديدة 1960.
- د. أحمد أرحيم هبّو (تاريخ العرب قبل الإسلام) منشورات جامعة تشرين – كلية الآداب 1989.
- د. أحمد سوسة (العرب واليهود في التاريخ) ط7. دمشق – العربي للإعلان والنشر والطباعة والتوزيع.
- د. أحمد سوسة (حضارة العرب ومراحل تطوّرها عبر العصور) الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام، دار الحرية للطباعة 1979.
- أحمد وصفي زكريا (الريف السوري، محافظة دمشق) ج2 المطبعة العمومية، دمشق 1957.
- د. أديب باغ (الجولان، دراسة في الجغرافية الإقليمية). ترجمة د. يوسف خوري وآخرون، منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق 1983.
- مقال أسامة المصري (الآثار والآثاريون، واقع مخيف) الذي يتحدث فيه عن المعرض الذي أُقيم في باريس، آب 2001، مجلة (أبيض وأسود) عدد 84 تاريخ 2008/6/7.
- أسد الأشقر (الخطوط الكبرى في تاريخ سورية ونشوء العالم العربي) ج3 مؤسسة فكر للأبحاث والنشر 1982.
- أ. ولفنسون (أبو ذؤيب) (تاريخ اللغات السامية) بيروت، دار القلم 1980.
- أنطون خوري حرب (حرْمون الجبل المقدّس، مقاماته ومعابده). مجلة (الآثار) دورية لبنانية تصدر في صور. ع 2 (أيار – حزيران) 2002.
- الأب أنطوان نمنم (المواقع الأثرية بفلسطين في فترة ما قبل التاريخ) محاضرة

ألقاها في الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية في جامعة حلب (19- 24) أيلول 1981.

- إيلي سعادة (الآثار المسروقة من يعيدها إلى أصحابها الشرعيين). جريدة (الحياة) 1997/11/16.
- بشير زهدي (ندوة الجولان التاريخية) 1987 ، طُبع بإشراف مكتب الإعداد في قيادة فرع القنيطرة للحزب 1987.
- بشير زهدي (الفن الهلنستي والروماني في سورية). دمشق ، مكتبة أطلس.
- مقال بتوقيع (ت. ح) بعنوان (إسرائيل تطمس وتسرق أهم موقع أثري في الشرق الأوسط) (المحرر نيوز) عدد 128.
- تيسير خلف (كنيسة العرب المنسية). دمشق ، دار التكوين 2008.
- جاك كوفان (الوحدة الحضارية في بلاد الشام بين الألفين التاسع والثامن قبل الميلاد) تعريب قاسم طوير ، مطبعة سورية ، دمشق 1984 ، ود. سلطان محيسن (عصور ما قبل التاريخ) منشورات جامعة دمشق ، 2008.
- د. جباغ قابلو (تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي) منشورات جامعة دمشق ، كلية الآداب 1996.
- جرجي زيدان (العرب قبل الإسلام) ، طبعة راجعها د. حسين مؤنس ، القاهرة ، دار الهلال (د. ت).
- حبيب قهوجي (استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة) إصدار مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية ، دمشق 1978.
- العميد رزق الياس (الخارطة السياسية داخل الكيان الصهيوني) القيادة القومية ، المكتب الثقافي والإعداد الحزبي ، دمشق ط2 ، 1987.
- رنيه ديسو (العرب في سورية قبل الإسلام) ترجمة عبد الحميد الدواخلي. بيروت ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2 ، 1985.
- سفارة الجمهورية العربية السورية في مسقط (الجولان تحت الاحتلال) WWW.syrianembassy.gov.om

- د. سلطان محيسن (آثار الوطن العربي القديم) مطبوعات جامعة دمشق، كلية الآداب 1988.
- د. سلطان محيسن (عصور ما قبل التاريخ) جامعة دمشق، كلية الآداب، 2003.
- سليمان المقداد (الآثار في محافظة القنيطرة) مجلة (العمران) ع 57 – 85 ت2 ك1 1974.
- سهيل ديب (التوراة بين الوثنية والتوحيد). دار النفائس، بيروت 1981.
- د. شوقي شعث (الاعتداءات الإسرائيلية على المواقع الجغرافية والأراضي الفلسطينية) جريدة (الأسبوع الأدبي) عدد 945 تاريخ 2005/2/19.
- عبد القادر النعيمي الدمشقي (الدارس في تاريخ المدارس). تحقيق جعفر الحسني، مكتبة الثقافة الدينية 1988.
- عدد من الاختصاصيين بالآثار السورية (الآثار السورية، مجموعة أبحاث أثرية تاريخية) ترجمة نايف بللوز. مؤسسة البريد الدولي للصحافة والنشر والتوزيع. فيينا، النمسا 1985.
- عز الدين سطاس (الآثار في الجولان والانتهاكات الإسرائيلية لها) محاضرة مطبوعة على الآلة الكاتبة 1999.
- عز الدين سطاس (العدنانية، سيرة خالدة) دمشق 2000.
- عصام أباظة وهشام الشيشكلي (الجولان) دمشق 1975.
- د. علي أبو عساف (فنون الممالك القديمة في سورية) دمشق، دار شمأل للطباعة والنشر 1993.
- د. علي أبو عسّاف (الآراميون تاريخاً ولغةً وفناً) سورية، طرطوس، دار الأماني للطباعة والنشر والتوزيع 1988.
- د. علي أبو عساف (مذكرة حول الدراسات الأثرية الإسرائيلية في الجولان المحتل) مطبوعة على الآلة الكاتبة، 1992/2/29.
- عمران القيسي (السرقات الأثرية في العراق) مجلة (عشتروت) عدد (8- 9) 2004.

- العهد الجديد (أناجيل متّى ومرقص ولوقا) و(رسالة القديس بولس الثانية إلى أهل كورونثيوس).
- (العهد القديم) سفر التكوين 10 : 15.
- د. عيد مرعي، ود. فيصل عبد الله (تاريخ الوطن العربي القديم) جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1995.
- د. غازي حسين (إسرائيل والاعتداء على المقدسات الإسلامية في الأراضي المحتلة) جريدة (تشرين) 4 تموز 2001.
- غوتليب شوماخر (الجولان) ترجمة منير كنعان. دمشق، مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية (د. ت).
- فراس السوّاح (آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي). دمشق، منشورات علاء الدين 1995.
- فلولفغانغ مولر – فينر (القلاع أيام الحروب الصليبية) ترجمة العميد الركن محمد وليد الجلاد. دمشق، مركز الدراسات العسكرية 1997.
- كيث وايتلام (اختلاق إسرائيل القديمة، إسكات التاريخ الفلسطيني) ترجمة د. سحر الهنيدي. الكويت، سلسلة عالم المعرفة (249) أيلول 1999.
- الأب متري هاجي أثناسيو (موسوعة بطريركية أنطاكية التاريخية والأثرية) مج5، سورية الجنوبية، لبنان، دار صادر 1997.
- مجموعة من الباحثين الأوربيين (معرض الآثار السوري الأوربي) أنجزته المديرية العامة للآثار والمتاحف بدمشق بالتعاون مع الاتحاد الأوروبي. منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية. دمشق 1996.
- د. محمد حرب فرزات (ندوة الجولان التاريخية) 1987.
- محمد سالم قدور (عشر سنوات من أعمال التنقيب والأبحاث في سورية 1989 – 1998) (تعريب). إصدار معهد الآثار الألماني بدمشق 1999.
- محمد عبد الواحد (هل تستعيد مصر ما سرقه موشي ديان منذ (30) عاماً) مجلة (المجلة) عدد 891، تاريخ 1997/3/9.

- محمد وحيد خيّاطة (التفاعل الحضاري في فلسطين) محاضرة ألقاها في الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية) في جامعة حلب (19- 24) أيلول 1981.
- المديرية العامة للآثار والمتاحف (تقارير).
- للاطلاع على هذه الحفريات التي قامت بها الصهيونية في هذه الفترة بعد الانتداب، يمكن الرجوع إلى د. مروان أبو خلف (الحفريات الأثرية في فلسطين) مجلة (الفكر العربي) عدد 52 تاريخ آب 1988.
- د. مفيد رائف العابد (سورية في عصر السلوقيين) دمشق، دار شمأل للطباعة والنشر 1993.
- موسوعة ويكيبديا ، WWW.jawlan.org
- د. يوسف الحوراني (ما نجهله عن تاريخية جبل حرمون) مجلة (الحداثة) ع 43 – 44 خريف 1999.
- د. يوسف سمارة (سورية أرضاً وتاريخاً وسياحة) مجلة العمران ع 55 — 56 تموز — آب 1974.

• المراجع الأجنبية:

- G. Schumacher, The Golan. London 1888.
- ATIQOT, English Series Jerusalem :
  - Volume XXII 1993.
  - Volume XVII 1985.
  - Volume XVI 1983.

الفهرس

الفصل الثالث:

جورج عيسى

- مواليد القنيطرة (الجولان) 1935
- إجازة في الفلسفة – دبلوم في التأهيل التربوي.
- عمل مدرساً للفلسفة في ثانويات دمشق.
- كاتب وباحث وشاعر.
- عضو اتحاد الكتاب العرب.

مؤلفاته :

- شيخ المصورين العرب ، يحيى بن محمود الواسطي – دار الكنوز الأدبية. بيروت 1996
- بشر فارس رائد المذهب الرمزي في الأدب العربي – منشورات وزارة الثقافة. دمشق 2000
- فائز سلامة شاعر الصعاليك – منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق 2000
- مواقف وأغنيات ، شعر للأطفال والناشئين - منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق 2001
- الشعر الشعبي في الشام زمن الانتداب – منشورات الهيئة العامة للكتاب - دمشق 2012.
- الشعر المحكي في الشام زمن الاستعمار الفرنسي ـ منشورات وزارة الثقافة ـ الهيئة العامة للكتاب 2012. .

له العديد من المقالات والدراسات حول اللغة والفن والفلسفة في العديد من الصحف والدوريات والمجلات في سورية وأقطار الوطن العربي.

الآثار والمواقع الأثرية في الجولان/ جورج عيسى.- دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠١٢.- ٢٢٧ ص ؛٢٥ سم.- (سلسلة الدراسات؛ ٨).

١-٩٣٠,١ ع ي س آ ٢- ٩٣٣ ع ي س آ

٣- العنوان ٤- عيسى ٥- السلسلة

مكتبة الأسد


اتحاد الكتاب العرب
Union des Ecrivains Arabes
Damas دمشق

وكما كانت سورية، بحكم موقعها الجغرافي الذي يتوسط قارات آسيا وأوروبا وأفريقيا، قد اتخذت أهمية استراتيجية، فتعاقبت على أرضها حضارات عدة خلّفت آثارها في كل بقعة من بقاعها، كذلك الجولان الذي هو في القلب منها، كان ملتقى تلك الحضارات التي عاش بعضها على أرضه وكان معبراً لبعضها الآخر، وممراً للأمم المتصارعة التي تطمع في استيطان (بلاد الشام) وللجيوش المتناحرة من أجل إخضاع الممالك والدويلات التي عرفتها المنطقة.

Designed By: Muneer Al-Refai





(210) ل.س داخل القطر
(290) ل.س خارج القطر



اتحاد الكتاب العرب
دمشق